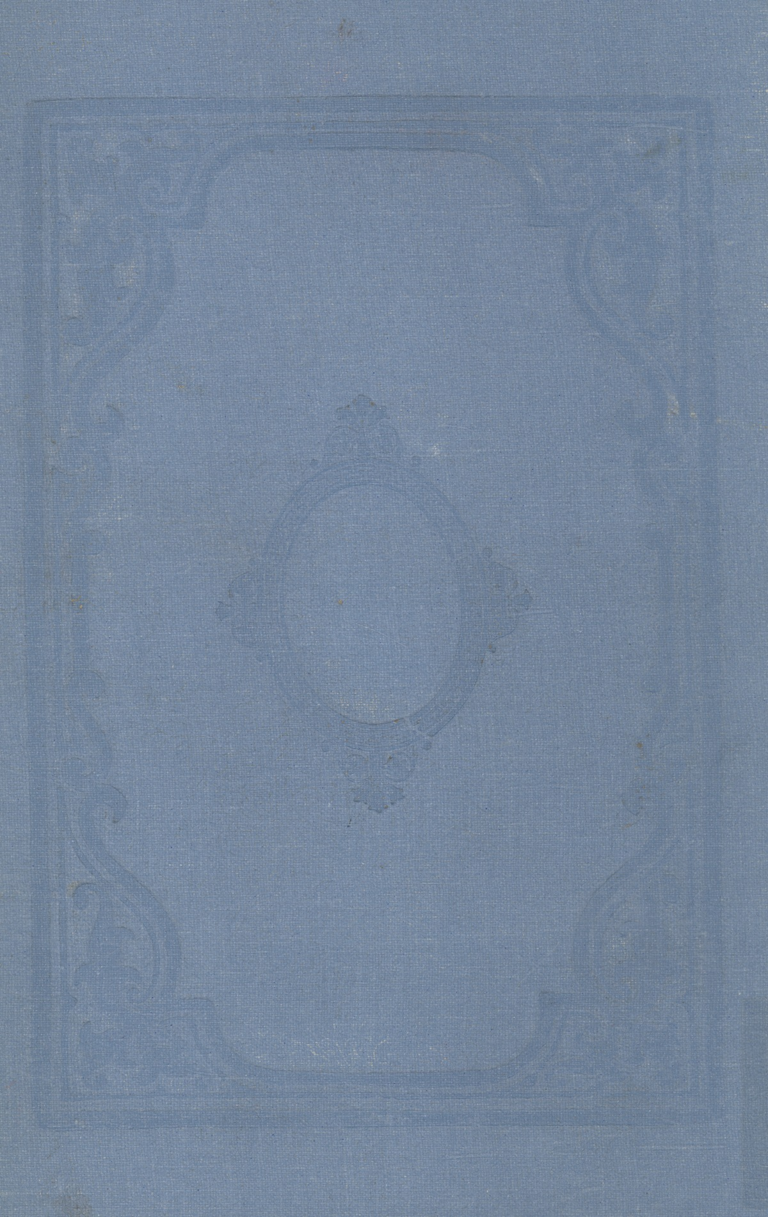






العقد الفريد

لأبي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه
القرطبي الأندلسي المتوفى
سنة ٣٢٨ هجرية

الجزء الثالث

(الطبعة الاولى)
سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

(طبع على نفقة محمود افندى شاكر الكتبى)

(صححه وشرح غريب ألفاظه أحد أفاضل العصر)

﴿ طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر ﴾





(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم)

١٣

فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

(وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب)

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الخطب وفضائلها ، وذكر طوالها وقصارها ، ومقامات أهلها ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب وفضل الايجاز اذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأوقعه قدرا ، وأعظمه من القلوب موقعا ، وأقله على اللسان عملا ، مادل بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ، ومنه قولهم رب اشارة ابلغ من لفظ ، أليس ان الاشارة تبين مالا يبينه الكلام ، وتبلغ مايقصر عنه اللسان ، ولكنها اذا اقامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت أبلغ لخفة مؤنتها وقلة عملها . قال ابرويز : لكتابه اجمع الكثير مما تريد من اللفظ فى القليل مما تقول يحضه على الايجاز وينهاه عن الاكثار فى كتبه ألا تراهم كيف طعنوا على الاسهاب والاكثار حتى كان بعض الصحابة يقول أعوذ بالله من الاسهاب قيل له وما الاسهاب قال المسهب الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقر و يشول به شولان الروق . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أبغضكم الى الثرثارون المتشدقون » يريد أهل الاكثار والتقعير فى الكلام ولم أجد أحدا من السلف يذم الايجاز و يقدح فيه ولا يعيبه و يطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف ولهربها من التثقيل والتطويل كان قصر

الممدود أحب اليهامن مد المقصور وتسكين المتحرك أخف عليهامن تحريك الساكن لان الحركة عمل والسكون راحة . ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم أحمد فى الجملة وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له وقد تومىء الى الشىء فتستغنى عن التفسير بالايماء كما قالوا اللمحة دالة . كتب عمرو بن مسعدة الى ضمرة الحروري كتابا فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع فى ظهره اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز مقصرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا . وبعث الى مروان بن محمد : قائد من قواده بغلام اسود فامر عبد الحميد الكاتب ان يكتب اليه يلحاه ويعنفه فكتب واكثر فاستثقل ذلك مروان وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله اما انك لو علمت عددا اقل من واحد ولونا شرا من اسود لبعثت به . وتكلم ربيعة الرأى : فا كثر وأعجبه اكثاره فالتفت الى اعرابى الى جنبه . فقال له ما تعدون البلاغة عندكم يااعرابى قال له حذف الكلام وايجاز الصواب . قال فما تعدون العى قال ما كنت فيه منذ اليوم فكانما القمه حجرا . أول من وضع الكتابة : أول من وضع الخط العربى والسريانى وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة كتبه فى الطين ثم طبخه . فلما كان ما أصاب الارض من الغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به فكان اسمعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب . وروى عن أبى ذر : عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ادريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس : ان أول من وضع الكتابة العربية اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمرو بن شبة : بأسانيده ان أول من وضع الخط العربى أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من الجبلة الآخرة وكانوا نزولا مع عدنان بن اددوهم من طسم وجديس . وحكى : انهم وضعوا الكتب على أسمائهم . فلما وجدوا حروفا فى الالفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف وهى الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق فى حروف الجمل . وعنه : ان أول من وضع الخط نصر وبصر واتيا ودومة بنو اسمعيل بن ابراهيم وضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذار . وحكوا أيضا : ان ثلاث نفر من طىء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر ابن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر

انساناوهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله وعثمان وأبان ابناسعيد بن خالد بن حذيفة بن عتبة ويزيد بن أبي سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وأبوسلمة بن عبد الاشهل وعبدالله بن سعيد بن أبي سرح وحويطب ابن عبدالعزى وابوسفيان بن حرب ومعاوية ولده وجهيم بن الصلت بن مخرمة • استفتاح الكتب : ابراهيم بن محمد الشيباني قال لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت بسورة بني اسرائيل قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت بسورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الى اصحابه وامراء جنوده من محمد رسول الله الى فلان • وكذلك كانوا يكتبون اليه يبدؤن بانفسهم • فمن كتب اليه وبدأ بنفسه ابوبكر والعلاء بن الحضرمي وغيرهما • وكذلك كتب الصحابة والتابعين • ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك فعظم الكتاب وامر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضا فجرت به سنة الوليد الى يومنا هذا الاما كان من عمر بن عبدالعزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم رجع الامر الى رأى الوليد والقوم عليه الى اليوم • ختم الكتاب وعنوانه : واما ختم الكتاب وعنوانه فان الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس • فلما قرأها ختمت وعنونت وكان يؤتى بالكتاب فيقال من عني به فسمي عنوانا :

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها * جعلتها للذي أحببت عنوانا

وقال أهل التفسير في قوله تعالى «اني القي الي كتاب كريم» أي مختوم اذ كانت كرامة الكتاب ختمه • تاريخ الكتاب : لابد من تاريخ الكتاب لانه لا يدل على تحقيق الاخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ • فاذا أردت أن تؤرخ كتابك فانظر الى ما مضى من الشهر وما بقي منه فان كان ما بقي أكثر من نصف الشهر كتبت لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا وان كان

الباقى أقل من النصف جعلت مكان مضت بقيت وقد قال بعض الكتاب لا تكتب اذا أرخت الا بما مضى من الشهر لانه معروف وما بقى منه مجهول لانك لا تدرى أيتم الشهر أم لا ولا تجعل سحاءة كتابك غليظة الا فى كتب العهود والسجلات التى يحتاج الى بقاء خواتيمها وطوابعها فان عبدالله بن طاهر كتب اليه بعض عماله على العراق كتابا وجعل سحاءته غليظة فأمر باشخاص الكاتب اليه . فلما ورد عليه قال له عبدالله بن طاهر ان كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع الى عملك وان عدت الى مثلها عدنا الى اشخاصك لقطعها ولا تعظم الطينة جدا وطن كتبك بعد كتبك عناوينها فان ذلك من أدب الكاتب فان طبعت قبل العنوان فأدب مستحيل تفسير الامى : فاما الامى فجازه على ثلاثة وجوه قولهم أمى منسوب الى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال رجل أمى اذا كان من أم القرى قال الله تعالى « لتنذر أم القرى ومن حولها » وأما قوله تعالى « النبى الامى » فانما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب والامية فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة لانها أدل على صدق ما جاء به انه من عند الله لا من عنده وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده . قال المأمون : لابى العلاء المنقرى بلغنى انك أمى وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن فى كلامك . فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه . وأما الامية وكسر الشعر فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشد الشعر . فقال له المامون سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتنى رابعا وهو الجهل أما علمت يا جاهل ان ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفى أمثالك نقيصة . شرف الكتاب وفضلهم فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم « علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقوله تعالى « كراما كاتبين » وقوله تعالى « بايدى سفرة كرام بررة » وللكتاب أحكام بينة كاحكام القضاة يعرفون بها وينسبون اليها ويتقلدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم وباهلها يقام أود الدين وأمور العالمين . فمن أهل هذه الصناعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحى . ثم أفضت اليه الخلافة بعد الكتابة . وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحى فان غابا كتب أبى بن كعب وزيد بن ثابت فان لم يشهد واحد منهما كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه . وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية اذا لم يحضرا . وكان زيد بن أرقم بن عبد يغوث والعلاء

ابن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الانصار بين الرجال والنساء . وكان ربما كتب عبدالله بن الارقم الى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز وكان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى . وقيل : انه تعلم بالفارسية من رسول كسرى وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام وروى : عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقام لحاجة فقال لى ضع القلم على اذنك فانه أذكر للملى وأقضى للحاجة وكان معيقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حنظلة بن الربيع بن المربع بن صيفى ابن أخى أكثم بن صيفى الاسدى خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا غاب عن عمله فغاب عليه أسلم وكان يضع عنده خاتمه . فقال له الزمنى واذكرنى بكل شئ أنا فيه وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام الا أذكره فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شئ . ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة . فقال لحنظلة الحق خالدا وقل له لا تقتلن ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها فقالت فيه امرأة وحكى انه من قول الجن وهذا محال :

ياعجب الدهر لمحبوبة * تبكى على ذى شيبة شاحب

ان تسالنى اليوم ماشفنى * أخبرك قيلا ليس بالكاذب

ان سواد الرأس أودى به * وجدى على حنظلة الكاتب

ولما وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعدا الى العراق وكتب اليه ان يسبع القبائل أسباعا ويجعل على كل سبع رجلا ففعل سعد ذلك وجعل السبع الثالث تميما وأسدا وغطفان وهوازن واميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سير الى يزدجرد يدعوه الى الاسلام وكان الحصين بن زهير من بنى عبد مناة شهد بيعة الرضوان ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فابى ذلك سهل بن عمرو . وقال لا يكتب الا رجل منا فكتب على بن أبى طالب . وروى عنه عليه السلام انه قال لما جاء سهل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قريشا كان عبد الله بن سعد ابن أبى سرح يكتب له . ثم ارتد ولحق بالمشركين وقال ان محمدا يكتب بما شئت فسمع ذلك رجل من الانصار فحلف بالله ان أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف . فلما كان يوم فتح مكة جاءبه عثمان وكان بينهما رضاع

فقال يارسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا فاعرض عنه والانصارى مطيف به ومعه سيفه فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه . وقال للانصارى لقد تلومتك ان توفى بنذرك فقال هلا أومضت الى فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لى ان أومض . أيام أبى بكر رضى الله عنه : كان يكتب لابى بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت . وروى أن عبد الله بن الارقم كتب له وحنظلة بن الربيع ولما تقلد الخلافة دعا زيد بن ثابت . وقال له أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت تكتب الوحى فتتبع القرآن فاجمعه . وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافى بعد حسان وابنه * ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت وعبد الله بن أرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك فلم يزل عليه الى ان ولى عبيد الله بن زياد فعزله . وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه . كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم . وكان عبد الملك ابن مروان يكتب له على ديوان المدينة . وأبو جبيرة على ديوان الكوفة . وعبد الله بن الارقم على بيت المال . وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى همدان من قيس بن غيلان يكتب له أيضا وكان يكتب له اهيب مولاه وحمران مولاه . أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : كان يكتب له سعد بن عمران الهمدانى ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن جعفر يكتب له وروى أن عبد الله بن حسن كتب له وكان عبد الله بن أبى رافع يكتب له وسماك بن حرب . وكان يكتب لمعاوية بن ابى سفيان سعيد بن أنس الغسانى . وكاتب يزيد بن معاوية سرحون بن منصور . وكاتب مروان بن الحكم حميد بن عبد الرحمن بن عوف . وكاتب عبد الملك بن مروان سالم مولاه . ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى وهو عبد الحميد الاكبر . وكاتب الوليد بن عبد الملك جناح مولاه . وكاتب سليمان بن عبد الملك عبد الحميد الاصغر . وكاتب عمر بن عبد العزيز الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم . وكتب له رجاء بن حيوة وخص به واسمعيل بن أبى حكم مولى الزبير وسليمان بن سعد الحسنى على ديوان الخراج وكان عمر يكتب كثيرا بيده . وكاتب يزيد بن عبد الملك عبد الحميد أيضا . ثم لم يزل كاتبا لبنى أمية الى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بنى أمية وكان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر . ثم جاءت

الدولة العباسية: فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر أبا أيوب المرزباني الاهوازي . وكاتب محمد المهدي بن المنصور معاوية بن عبيد الله ثم يعقوب بن داود . وكاتب موسى الهادي محمد بن المهدي ابرهيم بن ذكوان الحراني . وكاتب هرون الرشيد بن محمد المهدي يحيي بن خالد البرمكي ثم الفضل بن الربيع ثم ابراهيم بن صبيح وكاتب محمد بن زبيدة الامين الفضل بن الربيع . وكاتب عبد الله المامون بن هرون الرشيد الفضل بن سهل ثم الحسن بن سهل ثم عمرو بن مسعدة ثم أحمد ابن يوسف . وكاتب أبي اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد وهو المعروف بابن ماردة الفضل بن مروان ومحمد بن عبد الملك الزيات . وكاتب الواثق هرون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضا . وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم ابراهيم بن العباس بن صول مولى لبني العباس . وكاتب المنتصر محمد ويكنى اباجعفر بن المتوكل احمد بن الخصيب ثم كتب للمستعين احمد بن محمد المعتصم فظهر من عجزه وعيه ما أسخطه عليه ثم جعل وزارته الى اوتامش وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ثم سخط عليهما فقتلهما . واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني . فلما استقام الامر ردوزارته الى احمد بن اسرائيل . وكاتب المهدي محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ثم استوزر بعده اباأيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان . فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد وكان سبب موته انه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق فحمل الى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد احمد بن طلحة والموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله القاسم ابن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله علي بن محمد بن الفرات ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم علي بن عيسى بن حامد بن العباس ثم محمد بن علي ابن مقلة الذي يوصف خطه بالجودة ثم سليمان بن الحسين بن مخلد ثم عبد الله بن احمد الكاوداني ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ولقب بعميد الدولة . وكان يكتب على كتبه من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة وذكر لقبه على الدنانير والدراهم ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن علي بن مقلة ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم القاسم بن عبيد الله الخصيبي . وتقلد الوزارة للراضي بالله

أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مقلة ثم عبد الرحمن بن عيسى اخو الوزير علي بن عيسى بن محمد بن القاسم الكرخي ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد .
وتقلد الوزارة للمتقي بالله ابراهيم بن جعفر بن المقتدر كاتبه احمد بن محمد بن الافطس ثم أبو اسحق القراريطي ثم محمد بن علي بن مقلة . وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله ابن علي المكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ثم محمد بن علي السامري المكنى اباالفرج ثم ولي للمطيع بالله الفضل بن المقتدر فوزر له الحسن ابن هرون

١ — اسماء من كتب لغير الخليفة — كان المغيرة بن شعبة كاتبا لابي موسى الاشعري . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود . وكان قاضيا بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري مع نبله وفقهه وورعه وزهده كاتبا للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقيل له من وليت القضاء بالبصرة فقال وليت سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري وكان محمد بن سيرين مع علمه وورعه كاتبا لانس بن مالك بفارس . وكان زياد بن أبيه مع رأيه ودهائه وما كان من معاوية في ادعائه يكتب للمغيرة بن شعبة ثم لعبد الله بن عامر بن كرز ثم لعبد الله بن عباس ثم لابي موسى الاشعري فوجهه ابو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع اليه حسابه . فامر له عمر بالف درهم لما رأى منه من الذكاء وقال له لا ترجع لابي موسى . فقال يا أمير المؤمنين أعن خيانة صرفتني ام عن تقصير قال لا عن واحدة منهما ولكني اكره ان أحمل فضل عقلك على الرعية * ثم ولي بعد الكتابة العراق . وكان عامر الشعبي مع فقهه وعلمه ونبله كاتبا لعبد الله بن مطيع ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم بعد . وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحرث وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ابو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمر و بن عثمان ثم قتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنه . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها وكان زيد بن عبيد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتبا على ديوان المدينة من يزيد بن معاوية . وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري



٢ — أشرف كتاب النبي صلى الله عليه وسلم — كتب له عشرة كتاب . على ابن ابي طالب . وعمر بن الخطاب . وعثمان بن عفان . وخالد بن سعيد بن العاصي . وأبان ابن سعيد بن العاصي . وأبوسعيد بن العاصي . وعمرو بن العاصي . وشرحبيل بن حسنة وزيد بن ثابت . والعلاء بن الحضرمي . ومعاوية بن أبي سفيان . فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام . وكان عثمان بن عفان كاتبا لابي بكر ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتبا لعثمان بن عفان ثم صار خليفة. وكان عمرو بن سعيد بن العاصي كاتبا على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المغيرة بن شعبة كاتبا لابي موسى الاشعرى . وكان الحسن بن أبي الحسن البصرى كاتبا للربيع بن زياد الحارثي بخراسان . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود وكان فاضلا . وكان زياد كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم لابي موسى الاشعرى ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم لعبد الله بن عباس . وكان عامر الشعبي كاتبا لعبد الله بن مطيع وهو والى الكوفة لعبد الله بن الزبير وكان محمد بن سيرين كاتبا لانس بن مالك بفارس وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتب نافع بن الحرث الخزاعى وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن أوس الغسانى سيد أهل الشام كاتب معاوية . وكان سعيد بن غزوان الهمدانى سيد همدان كاتب على بن أبي طالب . ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعى أخو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمر وعثمان وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد ابن معاوية . وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا ﴾ سرجون بن منصور الرومى كاتب لمعاوية . ويزيد ابنه ومروان بن الحكم . وعبد الملك بن مروان الى ان أمره عبد الملك بامر فتوانى فيه . ورأى منه عبد الملك بعض التفريط فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل ان سرجون يدل علينا بصناعته وأظن انه رأى ضرورتنا اليه فى حسابه فما عندك فيه حيلة . فقال بلى لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية . قال افعل قال انظرنى أعانى ذلك . قال لك نظرة ما شئت فحول

الديوان فولاه عبد الملك جميع ذلك . وحسان النبطى كاتب الحجاج . وسالم مولى هشام بن عبد الملك . وعبد الحميد الاكبر وعبد الصمد وجبلة بن عبد الرحمن . وقحذم جد الوليد بن هشام القحذمى وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية الى العربية . ومنهم الفراء كاتب خالد بن عبد الله القسرى ، ومنهم الربيع والفضل بن الربيع ويعقوب بن داود ويحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وأبو عبد الله بن المقفع والفضل بن سهل والحسن بن سهل وجعفر بن الاشعث وأحمد بن يوسف وأبو عبد السلام الجند نيسابورى وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب وابراهيم بن العباس الصولى ونجاح بن سلمة وأحمد بن محمد المدبر فهؤلاء نبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها ﴿من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها﴾ صالح بن شيرزاد وجعفر بن سابور كاتب الافشين والفضل ابن مروان وداود بن الجراح وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وأحمد بن الخصيب فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة ومادنوها . وقال بعض الشعراء فى صالح بن شيرزاد :

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثوبك فى المداد

ومنهم أبو أيوب ابن أخت أبى الوزير وهو القائل يرثى أم سليمان بن وهب الكاتب :

لام سليمان علينا مصيبة * مفلقلة مثل الحسام البواتر

وكنت سراج البيت يا أم سالم * فاضحى سراج البيت وسط المقابر

فقال سليمان بن وهب ما نزل باحد من خلق الله ما نزل بى ماتت أمى فرثيت بمثل هذا الشعر ونقل اسمى من سليمان الى سالم

٣ ـــ صفة الكتاب ـــ قال ابراهيم بن محمد الشيبانى من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وحسن الاشارة ، وملاحة الزى ، حتى قال بعض المهالبة لولده تزيوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة . وقال ابراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة أن يكون الكاتب نقى الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض اللحية متفاوت الاجزاء ،

طويل اللحية ، عظيم الهامة ، فانهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة . وأنشد سعيد بن حميد فى ابراهيم بن العباس :

رأيت لهازم الكتاب خفت * ولهزمتاك شأنهما الفدامه
وكتاب الملوك لهم بيان * كمثل الدر قد رصفوا نظامه
وأنت اذا نطقت كان عيرا * يلوك بما يفوه به لجامه

وقال آخر : عليك بكاتب لبق رشيق * زكى فى شمائله حذاره
تناجيه بطرفك من بعيد * فيفهم رجع لحظك بالاشاره

ونظر أحمد بن خصيب الى رجل من الكتاب فدم المنظر مضطرب الخلق طويل العثنون . فقال لان يكون هذا فنطاس مركب أشبه من أن يكون كاتبا . فاذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والاديب النحرير ، وان قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الادوات ، فهو منقوص الجمال ، منكسف الحس منحوس النصيب ﴿ ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه ﴾ قال ابراهيم الشيبانى أول ذلك حسن الخط الذى هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحى الفكرة وسلاح المعرفة وأنس الاخوان عند الفرقة ومحادثتهم على بعد المسافة ومستودع السر وديوان الامور ولست أجد لحسن الخط حدا أقف عليه أكثر من قول على النصراباذى فى الكاتب فانى سألته واستوصفته الخط . فقال أعلمك الخط فى كلمة واحدة فقلت له تفضل بذلك . فقال لا تكتب حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف وتجعل فى نفسك انك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه الى ما بعده واياك والنقط والشكل فى كتابك الا ان تمر بالحرف المعضل الذى تعلم ان المكتوب اليه يعجز عن استخراجه فانى سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول لان يشكل الحرف على القارىء أحب الى من أن يعاب الكتاب بالشكل . وكان المامون يقول اياكم والشونيز فى كتبكم يعنى النقط والاعجام ومن ذلك ان يصلح الكاتب آلته التى لا بد منها وأداته التى لا تتم صناعته الا بها مثل دواته فليتعمر بها اصلاحها وليتخير من انابيب القصب أقله عقدا وأكثره لحما وأصلبه قشرا وأعدله استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا لتكون عونا له على برى أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصبة . واعلم أن محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس قال العتابى : سألنى الاصمعى فى دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها اصبر فقلت له

ما نشف بالهجير ماؤه وستره عن تلويحه غشاؤه من الشيزية القشور الدرية الظهور القصبية الكسور . قال فاى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت البرية المستوية القطة التى عن يمين سنها برية يامن معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها فتيق والريح فى حرفها حريق والمداد فى خرطومها دقيق . قال العتابى : فبقى الاصمعى باهتا الى ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته كما أن افضل الابيات مادل أول البيت على قافيته فلا تطيلن صدر كتابك اطالة تخرجه عن حده ولا تقصر به دون حده فانهم قد كرهوا فى الجملة ان تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك . وقيل للشعبى : أى شىء تعرف به عقل الرجل قال اذا كتب فاجاد . وقال الحسن بن وهب الكاتب : نفس واحدة تجزأت فى أبدان متفرقة . فاما الكاتب المستحق اسم الكتابة والبليغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب . بلغنى أن صديقا لكلثوم العتابى اتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم . فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الا شاردة عنك . فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فاحببت ان أترك كل معنى حتى يرجع الى موضعه ثم اجتنى لك احسنها . قال احمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان وهو يملى على كاتب له فاعجل الكاتب وداركه فى الاملاء عليه فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد املائه فقال له اكتب يا حمار . فقال له الكاتب أصلح الله الامير انه لما هطلت شآبيب الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم كل القلم عن ادراك ماوجب عليه تقييده فكان حضور جواب الكاتب ابلغ من بلاغة يزيد . وقال له يوما وقد نط حرفا فى غير موضعه ماهذا قال طغيان فى القلم . فان كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتاخرين ما يرجع اليه ومن نوادر الكلام ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك وانظر فى كتب المقامات والخطب ومجاوبة العرب فى حروبهم ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والامانات لتكون ماهرا انتزع آى القرآن فى مواضعها واختلاف الامثال فى

أما كنهاوقرض الشعر الجيدوعلم العروض فان تضمين المثل السائر والبيت الغابرالبارع مما يزين كتابك مالم تخاطب خليفة أوملكا جليل القدرفان اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء عيب الاان يكون الكاتب هوالقارض للشعر والصائغ له فان ذلك يزيد فى أبهته

٤ — خبر حائك الكلام — أبوجعفر البغدادى قال : حدثنا عثمان بن سعيد . قال لما رجع المعتصم من الثغروصار بناحية الرقة قال لعمرو بن مسعدة مازلت تسالنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا يا كلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك . فقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد بدأ من طاعة امير المؤمنين . فقلت اخرج اليه يا امير المؤمنين . فقال احلف لى انك لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فامرت ففرش لى زلالى بالطبرى وحشى بالثلج وطرح عليه الكر ثم خرجت . فلما صرت بين ديرهرقل ودير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع . فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى هذا شحاذ فان قعد معك آذاك فلم ألتفت الى قوله وأمرت الغلمان فادخلوه فقعد فى كوثل الزورق . فلما حضر وقت الغداء عزمت ان ادعوه الى طعامى فدعوته فجعل يأكل أكل جائع بنهامة الا انه نظيف الاكل . فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخواص ان يقوم فيغسل يده فى ناحية . فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت ياهذا ماصناعتك . قال حائك الكلام فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى . فقال لى جعلت فداك قد سالتنى عن صناعتى فاخبرتك فما صناعتك أنت . قال فقلت فى نفسى هذه أعظم من الاولى وكرهت ان أذكر له الوزارة . فقلت اقتصر له على الكتابة . فقلت كاتب قال جعلت فداك الكتاب على خمسة أصناف . فكاتب رسائل يحتاج الى ان يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب والمقصور والممدود وجملا من العربية . وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة والاشول والدسوق والتقسيط والحساب . وكاتب جند يحتاج ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس وكاتب قاض يحتاج ان يكون عالما بالشروط والاحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث . وكاتب شرطة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات فايهم أنت أعزك الله . قال قلت كاتب رسائل . قال فاخبرنى اذا كان لك صديق

تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت أمه فكيف تكتب له أتهنيه أم تعزيه . قلت والله ما أقف على ما تقول قال فلست بكاتب رسائل فايهم أنت . قلت كاتب خراج . قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت ان تنظر فى أمورهم وتنصفهم اذ كنت تحب العدل والسير وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم قراح قاتل فئيا كيف كنت تمسحه . قال كنت أضرب العطوف فى العمود وانظر كم مقدار ذلك . قال اذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة . قال اذا تظلم السلطان قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند . قال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما احمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تكتب حليتهما . قال كنت أكتب احمد الاعلم وأحمد الاعلم قال كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا الف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا . فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب جند فايهم انت قلت كاتب قاض . فقال فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وكان للزوجة بنت وللسرية ابن . فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعافيه . فقالت هذه هذا ابنى . وقالت هذه هذا ابنى كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى . قلت والله لست أدرى . قال فلست بكاتب قاض فايهم أنت . قلت كاتب شرطة . قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة . قلت ما أعلم . ثم قلت أصلحك الله فسر لى ماذكرت . قال أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه . أما بعد فان أحكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما القراح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف فمن ثم بابه . وأما احمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم . وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان أخف فهى صاحبة البنت . وأما الشجة فان فى الموضحة خمسا من الابل وفى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا . قلت أصلحك الله فما نزع بك الى هنا . قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية . فخرجت اليه فالفيته معزولا فقطع بى فانا خارج اضطرب فى المعاش . قلت ألست ذكرت انك حائك . قال أنا احوك

الكلام ولست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام فطرحت عليه شيئا من ثيابي . فلما صرت الى الاهواز كلمت الرجحي فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي . فلما صرت الى امير المؤمنين قال ما كان من خبرك في طريقك فاخبرته خبري حتى حدثته حديث الرجل . فقال لي هذا لا يستغني عنه فلاي شيء يصلح . قلت هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال فولاه امير المؤمنين البناء والمرمة فكنت والله القاه في الموكب النبيل فينحط عن دابته فاحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك افدتها . فضائل الكتابة : قال أبو عثمان الجاحظ ما رأيت قوما انفذ طريقة في الادب من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا . وقال بعض المهالبة لبنيه تزيوا بزي الكتاب فانهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة . وعتب ابو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فامر بحبسهم فرفعوا اليه رقعة ليس فيها الا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا ❋ فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم . وقال المؤيد كتاب الملوك عيونهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة والكتابة اشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهي صناعة جليلة تحتاج الى آلات كثيرة وقال سهل بن هرون اول زينة الدنيا التي اليها تناهي الفضل وعندها تقف الرغبة

٥ — ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها — قال ابراهيم بن محمد الشيباني اذا احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والادباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه واجعل طبقات الكلام على ثمان اقسام منها الطبقات العلية اربع والطبقات الاخر وهي دونها اربع لكل طبقة منها درجة ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ ان يقصر باهلها عنها ويقلب معناها الى غيرها . فالحد الاول الطبقات العليا وغايتها القصوى الخلافة التي أجل الله قدرها وأعلى شأنها عن مساواتها باحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير . والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ويرتقون الفتوق بآرائهم . والطبقة الثالثة امراء ثغورهم وقواد جنودهم فانه يجب مخاطبة كل احد منهم على قدره وموضعه وحظه وغنائه وجزائه واضطلاعه بما حمل من اعباء امورهم وجلائل اعمالهم . والرابعة القضاة فانهم وان كان لهم

تواضع العلماء وحلية الفضلاء فمهم ابهة السلطنة وهيبة الامراء . وأما الطبقات الاربع الاخر فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم فى الكتب اليهم وافضالهم تفضيلهم فيها والثانية وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين تقرع ابوابهم وبعنايتهم تستباح اموالهم . والثالثة هم العلماء يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم وعلو درجة اهله . والطبقة الرابعة لاهل القدر والجلالة والحلاوة والطلاوة والظرف والادب فانهم يضطرونك بحسدة أذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم وادبهم وتصفحهم الى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار باستغنائهم بمهانتهم من هذه الآلات واشتغالهم بمهانتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها فى مراسلتك اياهم فى كتبك فتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم ويجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك فى غير مسلكه فلا تعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا لائقا بمن كاتبته وملبسا بمن راسلته فان الباسك المعنى وان صح وصرف لنظاما متخلفا على قدر المكتوب اليه لم تجر به عاداتهم تهجين للمعنى واخلال بقدره وظلم بحق المكتوب اليه ونقص ما يجب له كما ان فى اتباع تعارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم قطعا لعذرهم وخروجا من حقوقهم وبلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . فمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها فى كتب السادات والملوك والامراء على اتفاق المعانى مثل أبقاك الله طويلا وعمرك مليا وان كنا نعلم انه لا فرق بين قولهم أطال الله بقاك وبين قولهم أبقاك الله طويلا . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا وأنبه قدرا فى المخاطبة كما انهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلا فى كتب الفضلاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداه من الخير كما يحتمل أن يكون فداه من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد ابن أبى وقاص ارم فداك أبى وأمى لكرهنا أن يكتب بها أحد على ان كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كل من حل سر من رأى من النا * س ومن قد يداخل الاملاكا
لو رأى الكلب مائلا بطريق * قال للكلب يا جعلت فداكا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل أبقاك الله وامتع بك الا فى الابن والخادم المنقطع اليك واما فى كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر الى محمد ابن عبد الملك الزيات :

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك
أم قد ترى ان فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك
أكان حقا كتاب ذى مقة * يكون فى صدره وأمتع بك
أتعبت كفيك فى مكاتبتى * حسبك مما لقيت فى تعبك

فكتب اليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف اخون الاخاء ياأملى * وكل شىء أنال من سببك
أنكرت شيأ فلست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك
ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله :

وأراك تفعل ما تقول و بعضهم * مزق الحديث يقول مالا يفعل

وهذا معنى صحيح فى المدح ولكنهم أجلوا اقدار الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان من المدح فهو واجب على العامة والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة انما يحسن مدحهم بالنوافل لان المادح لو قال لبعض الملوك انك لا تزنى بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك لتصدق فى وعدك وتفى بعهدك فكانه قد أثنى بما يجب ولو قصد بثنائه الى مقصده كان أشبه فى الملوك ونحن نعلم ان كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيأ فهو أمير المؤمنين غير انهم لم يطلقوا هذه اللفظة الا فى الخلفاء خاصة . ونحن نعلم ان الكيس هو العقل ولكن لو وصفت رجلا فقلت انه لعاقل كنت مدحته عند الناس وان قلت انه لكيس كنت قد قصرت به عن وصفه وصغرت من قدره الا عند أهل العلم باللغة لان العامة لا تلتفت الى معنى الكلمة ولكن الى ما جرت به العادة من استعمالها فى الظاهر اذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة

مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصغر السن . وقد رويناعن على كرم الله وجهه انه تسمى بالكيس حين بنى سجن الكوفة فقال فى ذلك :

أما ترانى كيسا مكيسا * بنيت بعدنافع مخيسا * حصنا حصينا وأميرا كيسا

وقال الشاعر : ما يصنع الاحمق المرزوق بالكيس

وكذلك تعلم ان الصلاة رحمة غير انهم كرهوا الصلاة الا على الانبياء كذلك روينا عن ابن عباس . وسمع سعد بن أبى وقاص ابن أخ له يلبى و يقول فى تلبيته لبيك ياذا المعارج . فقال نحن نعلم انه ذو المعارج ولكن ليس كذا كنا نلبى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول لبيك اللهم لبيك . وكان ابراهيم المزنى يقول فى بعض ما خاطب به داود بن خلف الاصبهانى فان قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله فنقض ذلك عليه داود . وقال فيما رد عليه تحمد الله على أن تخرج امرأ مسلما من الاسلام وهذا موضع استرجاع وللحمد مكان يليق به وانما يقال فى المصيبة انا لله وانا اليه راجعون . فامتثل هذه المذاهب واجر على هذه القوام وتحفظ فى صدور كتبك وفصولها وخواتمها وضع كل معنى فى موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها وليكن ما تختم به فصولك فى موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله دفع المحذور وصرف المكروه وأشباه هذا وفى موضع ذكر المصيبة انا لله وانا اليه راجعون . وفى موضع ذكر النعمة الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فان هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها و يحتفظ بها فان الكاتب انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى فى موضعه فيعلق كل لفظة على طبقها من المعنى . واعلم انه لا يجوز فى الرسائل استعمال ما أتت به آى القرآن من الاقتصار والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها أقوام دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغى للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس فانه ان ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » وكقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » احتاج الكاتب أن يبين معناه بل مكركم بالليل والنهار ومثل هذا كثير لا يتسع الكاتب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضا فى الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز فى الاشعار الموزونة لان الشاعر مضطر والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافى . فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الاسماء وحذف ما لا يحذف منها واغتفر فيه سوء النظم وأجازوا فيه التقديم والتأخير



والاضمار في موضع الاظهار . وذلك كله غير منساغ في الرسائل ولا جائز في البلاغات . فما في الشعر من الحذف قول الشاعر :

قواطنا مكة مـن ورق الحمى * يعنى الحمام

وقول الآخر: صفر الوشاحين صموت الخلخل * بريد الخلخال

وكقول الآخر : دار لسلمى اذه من هوا كا * بريد اذهى

وكقول الحطيئة : فيها الرماح وفيها كل سابغة * جدلاء مسرودة من صنع سلام

بريد سليمان

وقول الآخر: من نسج داود أبى سلام * والشيخ عثمان أبى عفان

أراد عثمان بن عفان

وكما قال الآخر : وسائلة بثعلبة بن سير * وقد علقت بثعلبة العلوق

أراد ثعلبة بن سيار

وقال الآخر : ولست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

أراد ولكن وكذلك لا ينبغى في الرسائل أن يصغر الاسم في موضع التعظيم وان كان ذلك جائزا مثل قولهم دويهية تصغير داهية وجذيل تصغير جذل وعذيق تصغير عذق . وقال الشاعر وهو لبيد: وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بنى ساعدة انا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك . وقال سرحة أبو عبيدة ومما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضا مثل قولهم كلمت اياك وأعنى اياك وهو جائز في الشعر . وقال الشاعر :

وأحسن وأجمل في أسيرك انه * ضعيف ولم يأسر كاياك آسر

وقال الراجز : اياك حتى بلغت اياك فتخير من الالفاظ أرجحها لفظا واجزلها واشرفها جوهرا واكرمها حسبا واليقها في مكانها واشكلها في موضعها فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا اسنحت فانه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام اذا كتبت انا فاعل أحسن من ان تكتب انا أفعل وموضع آخر يكون فيه استفعلت احلى من فعلت فادر الكلام على اماكنه وقلبه على جميع وجوهه . فاى لفظة رأيتها في المكان الذى ندبتها اليه فانزعها الى المكان الذى أوردتها عليه وأوقعها فيه ولا

تجعل اللفظة قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فانك متى فعلت هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه وأفسدت المكان الذى أردت اصلاحه فان وضع الالفاظ فى غير اماكنها وقصدك بها الى غير مصابها انما هو كترقيع الثوب الذى لم تتشابه رقاعه ولم تتقارب اجزاؤه وخرج من حد الجدة وتغير حسنه كما قال الشاعر :

ان الجديد اذا ما زيد فى خلق * يبين للناس ان الثوب مرقوع

كذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل وأرجى فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه لاسيما ان كان المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف ومعايرا بكلام عذب لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه وكتب عيسى بن لهيعة الى أخيه أبى الحسن وصدر كلامه وجاوز المقدار فى التنطع فوقع فى أسفل كتابه انى يكون بليغا من اسمه كان عيا وثالث الحرف منه اذا كتب شيأ . قال و بلغنى ان بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة فخرج عنه ومر بباب الطاق فاذا بطير يدعى السفانين فاشتراه و بعث به اليه وكتب كتابا يتنطع فى بلاغته وذكر انه يقال له شفانين ارجوان يكون شفاء من أنين فوقع فى أسفل الكتاب والله لو عطست ضبا ما كنت عندنا الا نبطيا فاقصر عن بعضك وسهل كلامك قوله لو عطست ضبا يريد ان الضباب من طعام الاعراب وفى بلدهم يقال لو عطست فنثرت ضبا من عطاسك لم تلحق بالاعراب ولم تكن الا نبطيا وقد جاء فى بعض الحديث ان القط من نثرة عطسة الاسد وان الفار من نثرة عطسة الخنزير . فقال هذا لو أن الضب من نثرتك لم تكن الا نبطيا . وفى هذا المعنى قال مخلد الموصلى يهجوا حبيبا :

أنت عندى عربى * ليس فى ذاك كلام   شعر ساقيك وفخذيك خزامى وثمام
وقذى عينيك صمغ * ونواصيك شعام   وضلوع الصدر من شوك نبع و بشام
لو تحركت كذا لانجفلت منك نعام   وظباء راتعات * ويرابيع عظام
وحمام يتغنى * حبذا ذاك الحمام   انا ماذنبى لان كذ * بنى فيك الانام
وقفا يحلف ما ان * عرفت فيك الكرام   ثم قالوا هاشمى *من بنى الانباط حام
كذبوا ما أنت الا * عربى والسلام

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر . واذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا وتضاءل

المعنى الحسن تحت المعنى القبيح كتضائل الحسناء فى الاطمار الرثة وانما يدل على المعنى أربعة أصناف لفظ واشارة وعقد وخط . وقد ذكر له ارسطاليس صنفا خامسا فى كتاب المنطق وهو الذى يسمى النصبة والنصبة الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة وهى الناطقة بغير لفظ ومشيرة اليك بغير يد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وكل صامت وناطق وجميع هذه الاصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعانى وسافرة عن وجوهها وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الاصناف صنفان هما القلم واللسان وكلاهما للقلب ترجمان فاما اللسان فهو الآلة التى يخرج الانسان بها عن حد الاستبهام الى حد الانسانية بالكلام ولذلك قال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق . وقال هشام بن عبد الملك : ان الله رفع درجة اللسان فانطقه بين الجوارح . وقال على : بن عبيدة انما يبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان . وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . وقالوا : المرء باصغريه قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور

فان ترها راقتك يوما فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

وللخط صورة معروفة وحلية موصوفة وفضيلة بارعة ليست هذه الاوصاف الا لانه يقوم مقامها فى الايضاح عند المشهد ويفضلها عند المغيب لان الكتب تقرأ فى الاماكن المتباينة والبلدان المتفرقة وتدرس فى كل عصر وزمان وبكل لسان واللسان وان كان زلقا فصيحا لا يعدو سامعه ولا يجاوزه الى غيره

٦ — البلاغة — قال سهل بن هرون سياسة البلاغة أشد من البلاغة . وقيل لجعفر ابن خالد ما البلاغة قال التقرب من المعنى البعيد والدلالة بالقليل على الكثير . وقيل لابن المقفع ما البلاغة قال قلة الحصر والجراءة على البشر . قيل له فما العى قال الاطراق من غير فكرة والتنحنح من غير علة . وقيل لآخر ما البلاغة قال تطويل القصير وتقصير الطويل . وقيل لاعرابى ما البلاغة فقال حذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لارسطاليس ما البلاغة فقال حسن الاستعارة . وقيل لجالينوس ما البلاغة فقال ايضاح المعضل وفك المشكل . وقيل للخليل بن أحمد ما البلاغة فقال ما قرب طرفاه وبعد منتهاه وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعنى والقصد للحجة . وقيل لآخر ما البلاغة قال تصوير الحق فى صورة الباطل وتصوير الباطل

فى صورة الحق . وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة فقال الجزالة والاصابة ﴿تضمين الاسرار فى الكتب﴾ واما تضمين الاسرار فى الكتب لا يقرؤها غير المكتوب اليه ففيه أدب يجب معرفته وقد تعلقت العامة بكتاب المعمى . الاصبهانى وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وضع لى منه أشياء جليلة من تبديل الحروف . وذلك ممكن لكل انسان غير ان اللطيف من ذلك ان تأخذ لبنا حليبا فتكتب به فى القرطاس فيذر المكتوب له عليه رمادا سخنا من رماد القراطيس فيظهر ما كتبت به ان شاء الله وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض . فاذا وصل الى المكتوب اليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج وان أحببت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار و يقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة ﴿قولهم فى الاقلام﴾ قالوا القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معان معقولة بحروف معلولة متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر و نتاجها التدبير تخرس منفردات وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة ولا ألسن محدودة ولا حركات ظاهرة خلا قلم حرف بار بقطته ليتعلق المداد به وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه وشق رأسه ليحتبس المداد عليه فهنالك استمد القلم بشقه ونثر فى القرطاس بخطه حروفا أحكمها التفكر وأولى الاستماع بها الكلام الذى سداه العقل والحمه اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الاسنان ولفظته الشفاه ووعته الاسماع عن انحاء شتى من صفات واسماء. وقال الشاعر: وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى:

وأسمر طاوى الكشح اخرس ناطق * له دملان فى بطون المهارق
اذا استعجلته الكف امطرو بله * بلا صوت ارعاد ولا ضوء بارق
اذا ماحداغر القوافى رأيتها * مجللة تمضى امام السوابق
كأن عليه من دجى الليل حلة * اذا ما استهلت مزنه بالصواعق
كأن اللآلى والزبرجد نطقه * ونوم الخزامى فى عيون الحدائق

وقال العلوى فى صفة القلم:

وعريان من خلعة مكتس * يميس من الوشى فى يلمق
يحدر من رأسه ريقه * يسيل على ذروة المفرق
فكم من أسير له مطلق * وكم من طليق له موثق
يقيم و يوطن غرب البلاد * و ينهى و يأمر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطوط * وأخرس مستمع المنطق

يسير بركب تلال عجال * اذا ماحدا الفكر فى مهرق

وقال آخر فى القلم :

لك القلم المطيعك غيرانا * وجدناوسمه غير المطاع

له ذوقان من أرى هنى * ومن شرى وبى ذى امتناع

احد اللفظ ينطق عن سواه * فيسمع وهوليس بذى استماع

اذا استسقى بلاغتك استهلت * عليه سماء فكرك باندفاع

وقال : وبيت بعلياء الفلاة بنيته * باسمر مشقوق الخياشيم يرعف

كان عليه ملبسا جلد حية * مقيم فما يمضى ولا يتخلف

جليل شؤن الخطب ما كان راكبا * يسير وان أرجلته فضعف

وقال حبيب بن أوس وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلم الاعلى الذى بسنانه * يصاب من الامر الكلى والمفاصل

لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وارى الجنى اشتارته أيد عواسل

له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل

فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل

اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل

أطاعته اطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل

اذا استغزر الذهن الجلى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل

وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل

رأيت جليلا شانه وهو مرهف * ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمى . فقال لابن الزيات ما خطبة القلم التى ابتنيتها وردت عليك لشاعر مجدود . وأنشد البحترى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

واذا تألق فى العيون كلامه الـمجدود خلت لسانه من عضبه

واذا دجت أقلامه ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه

باللفظ يقرب فهمه عن بعده * منا ويبعد نيله فى قربه

حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها فى قلبه

وكأنها والسمع معقود بها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

وأنشد احمد بن أبي طاهر فى بعض الكتاب ويصف القلم :

قلم الكتابة فى يمينك آمن * مما يعود عليه فيما يكتب

قلم به ظفر العدو مقلم * وهو الامان لما يخاف ويرهب

يبدى السرائر وهو عنها محتجب * ولسان حجته بصمت يعرب

ومن قولنا فى القلم :

بكفه ساحر البيان اذا * أداره فى صحيفة سحرا

ينطق فى عجمة بلفظته * يصم عنه ويسمع البصرا

نوادر تقرع القلوب بها * ان تستبنها وجدتها صورا

نظام در الكلام ضمنه * سلكا لخط الكتاب مستطرا

اذا امتطى الخنصران اذكرمن * سحبان فيما أطال واختصرا

يخاطب الغائب البعيد بما * يخاطب الشاهد الذى حضرا

يرى المقادير تستدق له * وتنفذ الحادثات ما أمرا

شخت ضئيل لفعله خطر * أعظم به فى ملمة خطرا

تمج فكاه ريقة صغرت * وخطبها فى القلوب قد كبرا

يواقع النفس منه ما حذرت * وربما جنبت به الحذرا

مهفهف تزدهى به صحف * كانما جليت به دررا

كانها ترفع العيون بها * خلال روض مكلل زهرا

ان قربت فرطت طوابعها * مافض طين لها ولا كسرا

يكاد عنوانها لروعته * ينبيك عن سرها الذى استترا

ومن أحسن ماشبهت به الاقلام وشبه بها قول ذى الرمة :

كان أنوف الطير فى عرصاتها * خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومثله قول عدى بن الرقاع:

يخرجن من فرجات النقع دامية * كان آذانها أطراف أقلام

ومن قولنا فى ولد البقرة :

ترجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

ومنه قول المامون :

كانما قابل القرطاس اذ مشقت * منها ثلاثة أقلام على قلم

ومنه قولنا فيه :

اذا أدارت بنانه قلما * لم تدر للشبه ايها القلم

ومن قولنا فى الاقلام :

ومعشر تنطق أقلامهم * بحكمة تلقنها الاعين

تلفظها فى الصك أقلامهم * كانما أقلامهن ألسن

ومن قولنا فى الاقلام :

يا كاتبا نقشت أنامل كفه * سحر البيان بلا لسان ينطق

الاصقيل المتن ملموم القوى * حدت لهازمه وشق المفرق

فاذا تكلم رغبة أو رهبة * فى مغرب أصغى اليه المشرق

يدلى بريقة اربه أو شربه * يبكى ويضحك من سداه المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة يسكت واقفا وينطق سا كنا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضىء . وقال سليمان بن وهب : وزير المهدى كل قلم تطيل جلفته فان الخط يخرج به أوقص . وكتب جعفر بن يحيى : الى محمد بن الليث يستوصفه الخط فكتب اليه أما بعد فليكن قلمك بحريا لا متينا ولا رقيقا ما بين الرقة والغلظ ضيق النقب فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة اعطف بطنه ورقق شفتيه وليكن مدادك فارسيا خفيفا اذا وزنته فانقعه ليلة ثم صفه فى الدواة وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين الى آخره فليست تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر تمطيطك فى طرف القرطاس الذى فى يسارك وأقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ولا تترك الاخرى بغير مط فانك اذا قرنت القليل كان قبيحا واذا جمعت الكثير كان سمجا ثم ابتدئ الالف برأس القلم كله واخططه بعرضه واختمه بأسفله

وا كتب اليا والتاء والسين والشين والمطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ورأس كل مرسل برأس القلم واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم والمط نصف الخط ولا يقوى عليه الا العاقل ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا الا بالنظر الى اليد فى استعمالها الحركة والسلام . وقال ابن طاهر : لكاتبه ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف . وقال ابراهيم بن جبلة : مر بى عبد الحميد وأنا أخط خطا رديئا فقال لى أتحب أن يجود خطك قلت بلى . قال أطل جلفة القلم وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها ففعلت فجاد خطى . وقال العتابى ببكاء القلم تبتسم الكتب . وقال بعض الحكماء أمر الدين والدنيا تحت شيئين السيف والقلم . وقال حبيب الطائى :

لولا مناشدة القربى لغادركم * حصائد المرهفين السيف والقلم

وقال ارسطاطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف فمر بى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال أجلل قلمك فقصمت من قلمى قصمة فقال هكذا نوره كما نوره الله . وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقا وقال أجود الخط أبينه وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم باسبال ذوائبها . وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة لها معان جليلة وربما ضاق عن العيون وقد ملأ أقطار الفنون . وذكر على بن عبيد القلم فقال أصم يسمع النجوى أعيى من باقل وأبلغ من سحبان وائل يجهل الشاهد ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة وأعينا لاحظة وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف : الكاتب ماعبرات الغوانى فى خدودهن باحسن من عبرات الاقلام فى خدود الكتب . وقال العتابى : الاقلام مطايا الفطن وتخاير غلامان فى بعض الدواوين فقاما الى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما . فكره أن يفضل أحدهما على الآخر . فقال لاحدهما اما خطك أنت فوشى محوك . وقال للآخر وأما خطك أنت فذهب مسبوك تكافيتما فى غاية وتوافيتما فى نهاية . وقال آخر : دخلت الديوان فنظرت الى غلام بيده قلم كانه قضيب عقيان وعليه مكتوب :

وابابى وابابى * من كفه تكتب بى

وقال أبو هفان يصف القلم :

واذا أمر على المهارق كفه * بانامل يحملن شختنا مرهفا
ومقصرا ومطولا ومقطعا * وموصلا ومشتتا ومؤلفا
كالحيـة الرقشاء الا أنه * يستنزل الاروى اليه تلطفا
يهفو به قـلم يمج لعابه * فيعود سيفا صارما ومثقفا

وقال آخر فى وصف الدواة :

ومسودة الارجاء قد خضت حالها * ورويت من قعرها غير منبط
خميص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الامين المسلط

وقال بعض الكتاب :

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو بأسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

وقال آخر فى وصف محبرة :

ولجة بحر اجم العبا * ب بادو أمواجه تزخر
اذا غاص فيه أخو غوصة * سريع السباحة ما يفتر
فانفس بذلك من غائص * بديع الكلام له جوهر
وأكرم ببحر له لجة * جواهرها حكم تنثر

وقال ثمامة بن أشرس ما أثرته الاقلام لم تطمع فى دراسته الايام . ونظر المامون الى جارية من جواريه تخط خطا حسنا فقال فيها :

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفى أصبعها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات المنى وهو أعجف

وقال بعض الكتاب :

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها

وقال بشر بن المعتمر : القلب معدن والحلم جوهر واللسان مستنبط والقلم صانع والخط صنعة

وقال سهل بن هرون: القلم لسان الضمير اذا رعف أغلق اسراره وأبان آثاره . وقالوا : حسن الخط يناضل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكن له درك البغية . وقال آخر : الخط الردىء زمانة الاديب . وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب الى خلال منها جودة برى القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأنى لامطاء الانامل وارسال المدة بقدر اتساع الحروف والتحرز عند فراغها من الكسوف وترك الشكل على الخط والاعجام على التصحيف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع . وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب ان يؤخذ قلمه فى أحسن أجزائه وأبعد ما يتمكن المداد فيه ويعطيه من القرطاس حقه . وقال عبدالله بن عباس : كل كتاب غير مختوم فهو أغلف . وفى تفسير قول الله تعالى « انى القى الى كتاب كريم » قال مختوم . ورفع الى عبدالله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها اعجامها فقال ما أحسن ما كتبت الا انك أكثرت شونيزها . وقال أبو عبدالله : لا يقال كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهى زجاجة ولا مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ولا قلم الا اذا برى والا فهى قصبة . وقال آخر : جلوس الادباء عند الوراقين وجلوس المخمنين عند النخاسين وجلوس الطفيليين عند الطباخين . وكتب على بن الازهر: الى صديق له يسأله أقلاما يبعث بها اليه أما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ولزمت لزوم الوسم فحلت محل الانساب وجرت مجرى الالقاب وجدنا الاقلام الصحرية أسرع فى الكواغد وأمر فى الجلود كما ان البحرية منها أسلس فى القراطيس وأسرع فى المعاطف وأشد لتصريف الخط فيها . ونحن فى بلد قليل القصب رديئه . وقد أحببت ان تتقدم فى اختيار أقلام صحرية وتتأنق فى انتقائها قبلك وتطلبها فى مظانها ومنابتها من شطوط الانهار وأرجاء الكروم وان تتيمم فى اختيارك منها السديد المحض الصلبة المعض النقية الجدود القليلة الشحوم المكتنزة اللحوم الضيقة الاجواف الرزينة الحمل . فانها أبقى فى الكتابة وأبعد من الحفاء وان تقصد بانتقائك الرقاق القصبات المتقومات المتون الملس المعاقد الصافية القشور الطويلة الانابيب البعيدة ما بين الكعوب الكريمة الجواهر المعتدلة القوام المستحكمة يبسا وهى قائمة على أصولها لم تعجل عن ابان ينعها ولم تؤخر الى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء وعفن الانداء فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رقيقا ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الاوعية ووجهتها مع من يؤدى الامانة فى حراستها وحفظها وايصالها وكتبت معه رقعة بعددها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ان شاء الله تعالى

﴿ قولهم في الحبر ﴾ قال بعض الكتاب عطر وادفاتر آدابكم بجيد الحبر فان الادب غوان والحبر غوال . ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له :

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

وأتى وكيع بن الجراح رجل يمت اليه بحرمة . فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب من محبرتي عند الاعمش فوثب وكيع ودخل منزله ثم أخرج له نفقة دنانير وقال له اعذر فما أملك غيرها

﴿ وفي الاقلام ﴾ أهدى ابن الحروري الى رجل من اخوانه من الكتاب أقلاما . فكتب اليه انه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الامور وقوام الخلافة وعمود المملكة خصصتك من آلتها بما يخف محمله وتثقل قيمته ويعظم نفعه ويجل خطره وهي أقلام من القصب النابت في الصخر الذي نشف في حر الهيجر ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه فهي كاللآلئ المكنونة في الصدف والانوار المحجوبة في السدف تبرية القشور درية الظهور رفضية الكسور قد كستها الطبيعة جواهر كالوشي المحبر وفرند الديباج المنير ﴿ قولهم في المصحف ﴾

نعم الانيس اذا خلوت كتاب * تلهو به ان ملك الاحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته * وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر : ولكل صاحب لذة نزه * أبدا ونزهة عالم كتبه

وقال حبيب :

مداد مثل خافية الغراب * وقرطاس كرقراق السراب
وألفاظ كألفاظ المثاني * وخط مثل وشم يد الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا * اليك لكنت سطرا في الكتاب

وقال في صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

لقد جلى كتابك كل بث * جوى واصاب شاكلة الرمي
فضضت ختامه فتبلجت لي * غرائبه عن الحبر الجلي
وكان أغض في عيني وأندى * على كبدي من الزهر الجني
واحسن موقعا عندي ومني * من البشرى أتت بعد النعي
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلي

وكائن فيـه من معنى خطير * وكائن فيـه من لفظ بهى
فياثلج الفؤاد وكان رضـفا * ويا شبعى برونقـه وربى
فـكم كشفت عن برجليـل * به وأتيت من رأى سـنى
كتبت له بلا لفظ كريه * عـلى أذنى ولا خط قمى
رسـالة من تمتع منذ حـين * ومتعنـا من الادب الرضى
لئن غـربتها فى أرض بكر * لقـد زفت الى قلب وفى
وان يك من هـداياك الصفايا * فرب هدية لك كالهـدى

وقال ابن أبى طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدور الـكتب صادرة * من رأيه وندى كفيه عن مثـل
من خط أقلامه خط القضاء على الا * عداء والموت بين البيض والاسل
لعابها طـل فى الصـدر يبعثه * وربما كان فيـه النفع للعلـل
كان أسـطارها فى بطن مهرقها * نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال البحترى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت فى الـكتابة حتى * عطـل الناس فن عبد الحميـد
فى نظـام من البـلاغة ماشـك امرؤ أنه نظام فـريد
وبديع كأنه الزهر الضـا * حك فى رونق الربيع الجديد
مااغتدت منه فى بطون القراطيـس وما حملت ظهور البريد
حجج تخـرس الالد بألفا * ظ فرادى كالجوهر المعدود
حزن مستعمل الـكلام اختيارا * وتجنـبن ظلمـة التعقيـد
كالعذارى غدون فى حلل صفـر اذا رحن فى الخطوب السود

وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية :

مارقعـة جاءتك مثنية * كأنها خد على خـد
نثر سواد فى بيـاض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمـة الاسـطر مصروفة * عن جهـة الهـزل الى الجـد
ياكاتبا اسـلمنى عتبـه * اليك حسـبى منك ما عندى

وقال محمد بن ابراهيم بن محمد الشيبانى رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقى الى الفضل بن يحيى بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته وكثافة لحيته وحلاوة شمائله وبراعة أدبه وبلاغة قلمه فقال :

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو رباح
كاتب حاسب أديب لبيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريشة لما تكون تحت الجناح
لى فى النحو فطنة ونفاذ * أنا فيه قلادة لوشاح
لورمى بى الامير أصلحه الله رماحا صدمت حد الرماح
ثم أورى عن ابن سيرين فى الفقه بقول منور الافصاح
لست بالضخم فى روائى ولا القد * م ولا بالمجدد الدحداح
لحية كثة وانف طويل * واتقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد خبأت عندى حديثا * هو عند الامير كالتفاح
أيمن الناس طائرا يوم صيد * فى غدو او بكرة أو رواح
اعلم الناس بالجوارح والصيد وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله على اننى ظريف المزاح
لست بالناسك المشمر ثوبيه ولا الفاتك الخليع الوقاح
لودعانى الامير عاين منى * شمريا كالجلجل الصياح

قال فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية فرمى به اليه . وقال له أجب فاجاب بما فى غرضه واحسن فامر له بالف الف درهم وكنا نراه أول داخل وآخر خارج وكان اذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال :

أنا أولى بقلة الحظ منى * للمسمى بالجلجل الصياح
قبلوا منه حين عز لديهم * اخرس القول غير ذى افصاح
ثم بالريش شبه النقش فى الخفة اما يكون تحت الجناح
فاذا الشم من شماريخ رضوى * خفة عنده سوى المصباح
لم يكن فيك غير شيئين مما * قلت فى نعت خلقك الدحداح

لحية جعدة وانف طويل * وسوى ذاك ذاهب فى الرياح

فيك مايحمل الملوك على السخف ويزرى بالماجد الجحجاح

بارد الطرف مظلم الكذب تيا * ه معيد الحديث سمج المزاح

قال فبعث اليه أبان بان لا تذيعها وخذ الالف ألف درهم فبعث اليه أبو نواس لو أعطيتنى مائة ألف ألف درهم لم أجد بدا من اذاعتها . فيقال ان الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبى نواس قال لا حاجة لى فى ابان لقد رمى بخمس فى بيت لا يقبل على واحدة منهن الا جاهل فقيل له كذب عليه . فقال قد قيل ذاك فاقصاه وانما أغرى ابا نواس بهذا الكاتب أبان بن عبد الحميد اللاحقى ان الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه فى الشعراء ويعطى كل واحد على قدره فبعث الى أبى نواس بدرهم زائف ناقص . وقال انى أعطيت كل شاعر على مقدار شعره وكان هذا أوفر نصيبك عندى فهجاه لذلك ﴿توقيعات الخلفاء . عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ كتب اليه سعد بن أبى وقاص فى بنيان يبنيه فوقع فى أسفل كتابه ابن مايكنك من الهواجر وأذى المطر . ووقع الى عمرو بن العاصى كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك أميرك ﴿عثمان بن عفان رضى الله عنه﴾ وقع فى قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بوجء أعناقهم فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون . ووقع فى قصة رجل شكا عيلة عليه قد أمرنا لك بما يقيمك وليس فى مال الله فضل للمسرف ﴿على بن أبى طالب كرم الله وجهه﴾ وقع الى طلحة بن عبيد الله فى بيته يؤتى الحكم . ووقع فى كتاب جاءه من الحسن بن على رضى الله عنه رأى الشيخ خير من جلد الغلام . ووقع فى كتاب سلمان الفارسى وساله كيف يحاسب الناس يوم القيامة يحاسبون كما يرزقون . ووقع فى كتاب الحصين بن المنذر اليه يذكر أن السيف قد أكثر فى ربيعة بقية السيف أنمى عددا . وفى كتاب جاءه من الاشتر النخعى فيه بعض ما يكره من لك باخيك كله . وفى كتاب صعصعة بن صوحان يساله فى شئ قيمة كل امرئ مايحسن ﴿معاوية بن أبى سفيان﴾ كتب اليه عبد الله بن عامر فى أمر عاتبه فيه فوقع فى أسفل كتابه بيت أمية فى الجاهلية أشرف من بيت حبيب فى الاسلام فانت تراه . وفى كتاب عبد الله بن عامر يساله أن يقطع مالا بالطائف عش رجبا ترى عجبا . وفى كتاب زياد : يخبره بطعن عبد الله بن عباس فى خلافته ان أباسفيان وأباالفضل كانا فى الجاهلية فى مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحله سوء رأيك . وكتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعى يساله ان يعينه فى بناء

داره بالبصرة باثنى عشر الف جذع ادارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ﴿ يزيد بن معاوية ﴾ وقع فى كتاب عبد الله بن جعفر اليه يستمنحه من خاصته احكم لهم با ٓ مالهم الى منتهى آجالهم فحكم بتسعمائة الف فاجازها . وكتب اليه مسلم بن عقبة المرى بالذى صنع أهل الحرة فوقع فى أسفل كتابه فلا تاس على القوم الفاسقين . وفى كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطاه فى الخراج قليل العتاب يحكم مرائر الاسباب وكثيره يقطع أواخى الانتساب . ووقع الى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان القرابة واشجة والافعال متباينه فخذ لرحمك من فعالك والى عبد الله بن زياد أنت أحد اعضاء ابن عمك فاحرص ان تكون كلها ﴿ عبد الملك بن مروان ﴾ وقع فى كتاب أتاه من الحجاج جنبنى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء من الطلب . وكتب اليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم و يستاذنه فى قتل اشرافهم فوقع له ان من يمن السائس ان يتالف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الاشعث بضعفك قوى و بخوفك خلع . ووقع فى كتاب ابن الاشعث :

فمابال من أسعى لاجبر عظمه * حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

ووقع ايضا فى كتاب

كيف يرجون سقاطى بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبد الملك كتب اليه الحجاج لما بلغه انه خرق فيما خلف له عبد الملك ينكر ذلك عليه يعرفه انه غير صواب فوقع فى كتابه لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولافرقنه تفريق من يموت غدا . ووقع الى عمر بن عبد العزيز قد رأب الله بك الداء وأوذم بك السقاء ﴿ سليمان بن عبد الملك ﴾ كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان يتهدده بالخلع فوقع فى كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * ابشر بطول سلامة يامربع

ووقع فى كتابه أيضا العاقبة للمتقين والى قتيبة أيضا جواب وعيده وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا . عمر بن عبد العزيز : كتب بعض العمال اليه يستاذنه فى مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم . والى بعض عماله فى مثل ذلك حصنها ونفسك بتقوى الله . والى رجل ولاه الصدقات وكان دميما فعدل وأحسن ولا أقول للذين تزدرى

أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا . وكتب اليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها : فوقع له ارض لهم ما ترضى لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك . والى عدى بن أرطاة فى أمر عاتبه عليه ان آخر آية أنزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله . والى عامله على الكوفة وكتب اليه انه فعل فى أمر كما فعل عمر بن الخطاب أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . والى الوليد بن عبد الملك وعمر عامله على المدينة فوقع فى كتابه الله أعلم انك أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة فوقع فى كتابه لا تطلب طاعة من خذل عليا وكان اماما مرضيا . والى عامله بالمدينة وساله أن يعطيه موضعا يبنيه فوقع كن من الموت على حذر . وفى قصة متظلم العدل امامك . وفى رقعة محبوس تب تطلق . وفى رقعة رجل قتل كتاب الله بينى و بينك . وفى رقعة متنصح لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك . وفى رقعة رجل شكا أهل بيته أنتما فى الحق سيان . وفى رقعة امرأة حبس زوجها الحق حبسه . وفى رقعة رجل تظلم من ابنه ان لم أنصفك منه فانا ظلمتك . يزيد بن عبد الملك : وقع الى صاحب خراسان لا تترك حسن رأى فانما تفسده عثرة . والى صاحب المدينة عثرت فاستقل . وفى قصة متظلم «سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» . وفى قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفحت عنه واستوصلتنى . هشام بن عبد الملك : فى قصة متظلم اتاك الغوث ان كنت صادقا وحل بك النكال ان كنت كاذبا فتقدم أو تاخر . وفى قصة قوم شكوا أميرهم ان صح ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه . والى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك احذر ليالى البيات والى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب ابناء الانصار احفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له . و وقع فى رقعة محبوس لزمه الحد نزل بحدك الكتاب . ووقع فى قصة رجل شكا اليه الحاجة وكثرة العيال وذكر ان له حرمة لعيالك فى بيت مال المسلمين سهم ولك بحرمتك منا مثلاه . والى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضع سيفك فى كلاب النار وتقرب الى الله بقتل الكفار . والى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم لنقوضنكم فانى خصم دونكم . وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الامطار فى بلده مرهم بالاستغفار . والى سهل بن سيار خف الله وامامك فانه يأخذك عند أول زلة . يزيد بن الوليد : بن عبد الملك بن مروان وقع الى مروان أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت . والى صاحب خراسان فى المسودة نجم أمر انت عنه نائم وما أراك منه أومنى بسالم . مروان بن

محمد كتب الى نصر بن سيار فى أمر أبى مسلم نجوم الظاهر تدل على ضعف الباطن والله المستعان . و وقع الى ابن هبيرة أمير خراسان الامر مضطرب وأنت نائم وانا ساهر . والى الحويرة بن سهل حين وجهه الى قحطبة كن من بيات المارقة على حذر . و وقع حين أتاه غز و قحطبة وانهزام ابن هبيرة هذا والله الادبار والافن رأى ميتاهزم حيا . وفى جواب: أبيات نصر بن سيار اذ كتب اليه :

أرى خلل الرماد وميض جمر * و يوشك ان يكون له ضرام

الحاضر يرى مالا يرى الغائب فاحسم الثؤلول فكتب نصر الثؤلول قد اشتدت اعضاؤه وعظمت نكايته فوقع اليه بداك أوكتا وفوك نفخ

٧ — توقيعات بنى العباس — السفاح . كتب اليه جماعة من أهل الانبار يذكرون ان منازلهم أخذت منهم وأدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يعطوا اثمانها فوقع هذا بناء أسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم اليهم . و وقع فى كتاب أبى جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط ان حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر فى طاعتك فخذلى منك ولك من نفسك و وقع اليه فى ابن هبيرة بعد ان راجعه فى غير مرة لست منك ولست منى ان لم تقتله . وجاءه كتاب من أبى مسلم يستاذنه فى الحج و فى زيارته فوقع اليه لا أحول بينك و بين زيارة بيت الله الحرام أوخليفته واذنك لك . و وقع فى كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم من صبر فى الشدة شورك فى النعمة ثم أمر بار زاقهم . والى عامل تظلم منه وما كنت متخذ المضلين عضدا . و فى قوم شكوا احرق ضياعهم فى ناحية الكوفة وقيل بعدا للقوم الظالمين . أبوجعفر وقع فى كتابه الى عبدالله بن على عمه لا تجعل للايام فى وفيك نصيبا من حوادثها . و وقع اليه أيضا ادفع بالتى هى أحسن السيئة الى قوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فاجعل الحظ لك دونى يكن لك كله . و وقع الى عبدالحميد صاحب خراسان شكوت فاشكيناك وعتبت فاعتبناك ثم خرجت عن العامة فتاهب لفراق السلامة . والى أهل الكوفة وشكوا عاملهم كما تكونوا يؤمر عليكم . والى قوم تظلموا من عاملهم لا ينال عهدى الظالمين . و فى قصة رجل شكا عيلة سل الله من رزقه . و فى قصة رجل ساله أن يبنى بقرية مسجدا فان مصلاه على بعد ذلك اعظم لثوابك . و فى قصة رجل قطعت عنه أرزاقه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية . و فى قصة رجل شكا الدين ان كان دينك فى مرضاة الله قضاه . والى صرورة ساله ان يحج ولله

على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . والى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل طهر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد . والى عامله على حمص وجاءه منه كتاب فيه خطا استبدل بكاتبك والا استبدل بك . والى صاحب ارمينية ان لى فى قفاك عينا و بين عينيك عينا وهما أربع آذان . والى رجل استوصله لا مانع لما أعطاه الله . و فى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا اشغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فاخذوا أرزاقهم منه لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينتهبوا . المهدى : وقع فى قصة متظلمين شكوا بعض عماله لو كان عيسى عاملكم قدناه الى الحق كما يقاد الجمل المخشوس يريد عيسى ولده . و وقع الى صاحب ارمينية وكتب اليه يشكو سوء طاعة رعاياه خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والى صاحب خراسان فى أمر جاءه أنا ساهر وأنت نائم . و فى قصة قوم أصابهم قحط يقدر لهم قوت سنة القحط والسنة التى تليها . والى شاعر أظنه مروان بن أبى حفصة أسرفت فى مديحك فقصرنا فى حبائك . و فى قصة رجل من الغارمين خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك وتقر به عينك . و فى قصة رجل شكا الحاجة أتاك الغوث . والى رجل من بطانته استوصل ليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك . و فى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا اشخاصه الى بابه قد أنصف القارة من راماها . و فى قصة رجل حبس فى دم ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب . والى صاحب خراسان وكتب اليه يخبره بغلاء الاسعار خذهم بالعدل فى المكيال والميزان . والى يوسف الرومى حين ظفر بخراسان لك امانى ومؤكد ايمانى . موسى الهادى : كتب الى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه قد أنكرناك منذ لزمت أبا حنيفة كفاناه الله . والى صاحب افريقية فى أمر فرط منه يا ابن اللخناء أنى تمرس . هرون الرشيد : وقع الى صاحب خراسان داو جرحك لا يتسع . والى عامل على مصر احذر أن تخرب خزانتى وخزانة أخى يوسف فياتيك منه مالا قبل لك به ومن الله أكثر منه . و وقع فى قصة البرامكة انبتته الطاعة وحصدته المعصية . والى عامله على فارس كن منى على مثل ليلة البيات . والى عامل خراسان ان الملوك يؤثرهما الحظ . والى خزيمة بن حازم اذ كتب اليه أنه وضع السيف حين دخل أرض ارمينية لا أم لك تقتل بالذنب من لا ذنب له . و فى قصة محبوس من لجأ الى الله نجا و فى قصة متظلم لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف . والى صاحب السند اذ ظهرت المعصية كل من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية . والى عامله على خراسان كل من رفع

رأسه فازله عن بدنه . وفى رقعة متظلم من عامله على الاهواز وكان بالمتظلم عارفا قدولينالك موضعه فتنكب سيرته . وفى كتاب بكار الزبيرى اليه يخبره بسر من أسرار الطالبيين جزى الله الفضل خيرا الجزاء فى اختياره اياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك . والى محفوظ صاحب خراج مصر يامحفوظ اجعل فرح مصر فرحا واحدا وانت أنت . والى صاحب المدينة ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فانهم قد أطالوا ليلى بالسهاد ونفوا عن عينى لذيذ الرقاد . ووقع الى السندى بن شاهد خف الله وامامك فهما نجاتك . والى سليمان بن أبى جعفر فى كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحييت لشيخ ولده المنصور ان يهرب عمن ولده كندة وطيء فهلا قابلتهم بوجهك وأبديت لهم صفحتك وبذلت لهم منحتك وكنت كمروان ابن عمك اذ خرج مصلتا سيفه متمثلا ببيت الجحاف بن حكيم :

متقلدين صفائحا هندية * يتركن من ضربوا كمن لم يولد

فجالد به حتى قتل ابابدعة واماخلة أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا ان يقال لقلت رحمه الله أم تنديه واب انهضه . وكتب متملك الروم الى هرون الرشيد انى متوجه نحوك بكل صليب فى مملكتى وكل بطل فى جندى فوقع فى كتابه سيعلم الكافر لمن عقبى الدار . وكتب اليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت بالاثر والله الحكم العدل وستقدم فتعلم فوقع فيه الرشيد الحكم الذى رضيته فى الآخرة لك هو أعدى الخصم عليك وهو من لا يرد حكمه ولا يصرف قضاؤه . المأمون: وقع الى ابن هشام فى أمر تظلم فيه من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأى الرجلين أنت . والى هشام لا أدنيك ولك بباب خصم . والى الرستمى فى قصة من تظلم منه ليس من المروأة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاو وجارك طاو . وفى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة ياعمرو عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها . وفى قصة متظلم من أبى عباد ياثابت ليس بين الحق والباطل قرابة وفى قصة متظلم من أبى عيسى أخيه فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى قصة متظلم من حميد الطوسى ياأباغنم لا تغتر بموضعك من امامك فانك وأخس عبيده فى الحق سيان . والى طاهر صاحب خراسان أحمد أباالطيب اذا أحلك خليفة محل نفسه من نفسه فالك موضع تسمو اليه نفسك الا وأنت فوقه عنده . وفى كتاب بشر بن داود هذا أمان

عاقدت الله فى مناجاتى اياه . وفى كتاب ابراهيم بن جعفر فى فدك حين أمره بردها قد أرضيت خليفة الله فى فدك كما أرضى الله خليفته فيها . وفى قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسى قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك فاما ظلمك للرعية فانا لا نحتمله . و وقع الى بعض عماله طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها . وكتب اليه ابراهيم بن المهدى فى كلام له ان غفرت فبفضلك وان أخذت فبحقك فوقع فى كتابه القدرة تذهب الحفيظة والندم جزء من التوبة و بينهما عفو الله . ووقع فى رقعة مولى طلب كسوة لو أردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك آثرت الرقاد فحظك الرؤيا . ووقع فى يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الاموال يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته . ولثمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه مالا يعنيه ولابى محمد اليزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره وللمعلى بخمسمائة ألف لصحيح سنه ولاسحق بن ابراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ولاحمد بن أبى خالد بألف ألف لمخالفة شهوته ولابراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته وللمريسى بثلثمائة ألف لاسباغ وضوئه ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه

٨ — توقيعات الامراء والكبراء — زياد وقع الى بعض عماله قد كنت على الدعار وأخالك ذاعرا . وكتبت اليه عائشة فى وصاة برجل فوقع فى كتابها هو بين أبويه والى صاحب خراسان فى أمر خالفه فيه استر بعض دينك ببعض والا ذهب كله . والى عامله بالكوفة امط الحدود عن ذوى المروآت . وفى قصة متظلم أنا معك . وفى قصة قوم رفعوا على عامل من أماله الباطل قومه الحق . وفى قصة مستمنح لك المواساة . والى عامله فى خوارج خرجوا بالبصرة النساء تحار بهم دونك . وفى قصة سارق القطع جزاؤك . وفى قصة امرأة حبس زوجها حكمه الى الله . وفى قصة قوم نقبوا تنقب ظهورهم . وفى قصة نباش يدفن حيا فى قبره . وفى قصة متظلم الحق يسعك . وفى قصة متنصح مهلا فقد أبلغت اسماعى . وفى قصة متظلم كفيت . وفى قصة رجل شكا اليه عقوق ابنه ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد . وفى قصة رجل شكا الحاجة لك فى مال الله نصيب أنت آخذه . وفى قصة رجل جارح الجروح قصاص . وفى قصة محبوس التائب من الذنب كمن لاذنب له . وفى قصة قوم شكوا غرق ضياعهم لا تعرض فيما تفرد الله به . وفى قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم

لاحكم فيما استأثر الله به . الحجاج بن يوسف : وقع فى كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذهاب الغلال وما حل بالناس من القحط اذا أزف خراجك فانظر لرعيتك فى مصالحها فبيت المال أشد اطلاعا لذلك من الارملة واليتيم وذى العيلة . وفى كتاب قتيبة اليه انه على عبور النهر ومحاربة الترك لاتخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهامك وفى كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم ماظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه . وفى قصة محبوس ذكروا انه تاب ماعلى المحسنين من سبيل . والى قتيبة خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن فانه أمنع من حصونك . وفى كتابه الى بعض عماله اياك والملاهى حتى تستنظف خراجك . وفى كتاب الى ابن أخيه ماركب يهودى قبلك منبرا . وفى كتابه الى يزيد بن أبى مسلم أنت أبو عبيدة هذا القرن . أبو مسلم : وقع فى كتاب سليمان بن كثير الخزاعى لكل نبا مستقر وسوف تعلمون . والى أبى العباس فى يزيد بن عمر بن هبيرة قل طريق سهل تلقى فيه الحجارة الاعادوعرا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا . والى ابن قحطبة لاتنس نصيبك من الدنيا . واليه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . واليه لاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . والى محمد بن صول وكتب اليه بسلامة أطرافه وأما بنعمة ربك فحدث . وكتب اليه قحطبة ان بعض قواده خرج الى عسكر ابن صبارة راغبا فوقع فى كتابه : ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية . والى عامله ببلخ لاتؤخر عمل يوم لغد والى أبى سلمة الخلال حين أنكر نيته واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم . جعفر بن يحيى : وقع فى قصة محبوس لكل أجل كتاب . وفى مثله العدل أوقعه والتوبة تطلقه . وفى قصة متنصح بعض الصدق قبيح . وفى رجل شكا بعض عماله قد كثرشاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت . وفى قصة رجل شكا بعض خدمه خذ باذنه ورأسه فهو مالك . والى عامل فارس فى رجل كتب اليه بالوصاة كن له كابيه ولو كان مكانك . والى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه انه رغب الى شعبك فارغب فى اصطناعه . وفى قصة متظلم من بعض عماله انى ظلمتك دونه . وفى قصة محبوس الجناية حبسته والتوبة تطلقه . والى قوم عين الخليفة تكلؤكم ونظره يعمكم . وفى رقعة صرورة استأذنه فى الحج من سافر الى الله أنجح . وفى قصة رجل شكا عزبة الصوم لك وجاء . وفى رقعة رجل سأل ولاية لا أولى بعض الظالمين بعضا . وفى قصة رجل سأل أن يقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه

غيبة يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول . وفى قصة رجل تظلم من عماله أما لمثله حتى ينصفك . وفى قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته يرحل عنكم . وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا دع الضرع يدر لغيرك كما در لك . والى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتاب غمه وأكربه كثرة ملاحاة الدمار بما أراقت الدماء . والى منصور بن زياد فى أمر عاتبه فيه لم نزرعك لنحصدك . والى بعض عماله اجعل وسيلتك الينا ما يزيدك عندنا . والى بعض ندمائه لا تبعد من ضمك . ووقع الى متنصل من ذنب حكم الفلتات خلاف حكم الاصرار . الفضل بن سهل : كتب الى أخيه الحسن أحمد الله يا أخى فما يبيت خليفة الله الا على ذكرك والى طاهر تخير ما اصطنعت . واليه لشر ما سموت . والى هرثمة وأشار عليه برأى لا يحل ما عقدت . وفى قصة متظلم كفى بالله للمظلوم ناصرا . وفى قصة نقب بيت المال بدر أعنه الجدان كان له فيه سهم . ووقع الى حاجبه تمهل وتسهل . والى صاحب الشرطة ترفق توفق . والى رجل شكا غلبة الدين قد أمرنا لك بثلاثين ألفا وسنشفعها بمثلها اليرغب المتنصحون . وفى قصة متظلم طب نفسا فان الله مع المظلوم . والى رجل شكا اليه الدين الدين سوء يهيض الاعناق وقد أمرنا بقضائه . وفى قصة قوم قطعوا الطريق انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية . وفى امرئ قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه كتاب الله أحق ان يتبع . وفى قصة رجل شهد عليه انه شتم أبا بكر وعمر يضرب دون الحد ويشهر ضربه . الحسن بن سهل ذو الرياستين : وقع فى قصة متظلم ينظر فيما رفع فان الحق متبع والانفسا أن السليم دواء السقيم . وفى قصة قوم تظلموا من واليهم الحق أولى بنا والعدل بغيتنا وان صح ما ادعيتم عليه صرفناه وعاقبناه . وفى قصة امرأة حبس زوجها الحق يحبسه والانصاف يطلقه . وفى رقعة رائد قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك فى الاستحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصاد . وكتب اليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيت فى النوم انى راكب فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم فهم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * فى الحلم درا وفى النوم التباشير

فوقع فى أسفل كتابه أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وألحق له ما التمسه . ودخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فانشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها

فرأيت انك رعتني بوليدة * رعبوبة حسن على قيامها

وببدرة حملت الى وبغلة * دهماء مشرقة يصل لجامها

فدعوت ربى ان يثيبك جنة * عوضا يصيبك درها وسلامها

بيت المنابر ياابن مروان الندى * أضحت وأنت خطيبها وامامها

فقال له ابشر فى كل شىء أصبت الا البغلة فانى لا أملك الا الشهباء فقال له امرأتى طالق ان كنت رأيتها الا الشهباء الا انى غلطت . طاهر بن الحسين : وقع فى كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر ابن شبيب طلبت الحق فى دار الباطل . وفى قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله القبالة مفتاح الفساد ولو كانت صلاحا كنت لها موضعا . والى السدى بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه عش مالم أرك . والى خزيمة بن حازم الاعمال بخواتيمها والصنيعة باستدامتها والى الغاية ماجرى الجواد فحمد السابق وذم الساقط . والى العباس بن موسى الهادى واستبطأه فى خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات من بات نائما * ولكن أخوها من يبيت على وجل

وفى رقعة متنصح سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . وفى قصة محبوس يطلق ويعتق وفى رقعة مستوصل يقام أوده . وكتب أبو جعفر الى عمرو بن عبيد أباعثمان أعنى باصحابك فانهم أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له فوقع فى كتابه ارفع علم الحق يتبعك أهله

٩ توقيعات العجم وقع ازدشير فى أزمة عمت المملكة من العدل ان لا يفرح الملك ورعيته محزونون ثم أمر ففرق فى الكور جميع مافى بيوت الاموال . ورفع رجل الى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم منهم فلان وفلان فوقع فى أسفل كتابه انما أملك ظاهر الاجسام لا النيات وأحكم بالعدل لا بالهوى وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر . ووقع كسرى فى رقعة مدح طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا . وكتب اليه متنصح ان قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة فعابوه وثلموه فوقع لئن كانوا نطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك أرغب ولسانك أكذب ورفع اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من الى الشكية أحوجكم ثم فرق بينهم ماوسعهم وأغناهم . ووقع أنوشروان الى صاحب خراجه ما استغزر الخراج بمثل

العدل ولا استنزر بمثل الجور . و وقع فى قصة رجل تظلم منه لا ينبغى للملك الظلم ومن عنده يلتمس العدل ولا يبخل ومن عنده يتوقع الجود ثم أمر باحضار الرجل وقعدمعه بين يدى المويذ و وقع فى قصة محبوس من ركب ما نهى عنه حيل ما بينه و بين ما يشتهى . ودفع اليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله وسوء حاله فعرف كذبه فوقع ان الله خفف ظهرك فثقلته وأحسن اليك فكفرته فتب الى الله يتب عليك . و وقع فى قصة رجل سعى اليه بباطل باللسان احفظ رأسك . و وقع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله لا تصلح العامة الا ببعض الحيف على الخاصة فان كنت صادقا أبحتك جميع ما يملكه فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

١٠ — فصول فى المودة — كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرانى الى محمد بن سهل أعزك الله ان كل مجازاة قاصرة عن حق السابق الى افتتاح الود وقد علمت انى استقبلتك من الاقبال عليك بما لم تستدعه واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم توله . وفصل لابى على البصير : قد أكد الله بيننا المودة ما آمن الدهر على حل عقده ونقض مراره وما يستوى منه ثقتنا بانفسنا لك ولا نفسنا بما عندك . وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة و يوجب الانس والثقة و بسط اللسان بالاستزادة وأنا أمت اليك بالحرمة المتقدمة والاسباب المؤكدة حتى تحل صاحبها محل خاصة الاهل والقرابة . وفصل لابراهيم بن العباس : المودة تجمعنا محبتها والصناعة تؤلفنا أسبابها وما بين ذلك من تراخ فى لقاء أو تخلف فى مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه . وفصل لسعيد بن عبد الملك : أناصب اليك سامى الطرف نحوك وذكرك ملصق بلسانى واسمك حلو على لهواتى وشخصك ماثل بين عينى وأنت أقرب الناس من قلبى وآخذهم بمجامع هواى . وفصل له : لنحن أحق بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة الا انك أحق بالفضل الذى سبقت اليه . وفصل لسعيد بن حميد : انى أهديت مودتى رغبة اليك و رضيت بالقبول منك مثوبة فصرت بقبولها قاضيا الحق وما لكالرق وصرت بالتسرع الى الهدية والتخير للمثوبة مرتهن اللسان بالرضا واليدين بالوفاء . وفصل له : انى صادقت منك جوهر نفسى فانا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام لان النفس يقود بعضها بعضا . وقال أبو العتاهية :

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وللناس من الناس * مقاييس وأشباه

وفصل له : لسانى رطب بذكرك وقلبى معمور بمحبتك حضرت أوغبت سرت أوأقمت كقول معقل أخى أبى دلف :

لعمرى لئن قرت بقربك أعين * لقد سخنت بالبين منك عيون
فسر أوقف وقف عليك مودتى * مكانك من قلبى عليك مصون

وفصل لابراهيم بن المهدى : كتابى اليك كتاب مخبر وسائل فاما الاخبار فعن تصرف الخطوب على مايوجب العذر عند صديقى العزيز على فى ابطائى بالتعهد له وأما السؤال فعن امساك هذا الاخ الودود المودود وعن مثل ذلك فان البذل كاشف ماسلف مصلح لما استأنف ﴿ فصول فى الزيارة ﴾ كتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق له نحن فى مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسنا قد باتت السماء تعلها فهى مشرقة بمائها حالية بنوارها فرأيك فينا النكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض . فكتب اليه : هذه صفة لو كانت فى أقاصى الاطراف لوجب انتجاعها وحث المطى فى ابتغائها فكيف فى موضع أنت تسكنه وتجمع الى انيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وأنا الجواب . وفصل : كتب اسحق بن ابراهيم الموصلى الى أحمد ابن يوسف فى المصير اليه وعند أحمد بن يوسف ابراهيم بن المهدى فكتب عندى من أنا عنده وحجتنا اليك اعلامنا اياك . وفصل انه من ظمأ شوقه من رؤيتك استوجب الرى من زيارتك ثم كتب تحت هذا :

سر الينا تفديك نفسى من السو * ء فقد طال عهدنا بالتلاقى
واجعلن ذاك ان رأيت جوابى * فلقد خفت سطوة الاشتياق

وفصل : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها * وعند غروب الشمس يعرف فقدها

وفصل : الشوق اليك والى عهد أيامنا التى حسنت كانها أعياد وقصرت كانها ساعات يفوت الصفاء وممايجدده ويكثر دواعيه تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجدده فيك بالنظر الى الغرة المباركة التى لا وحشة معها ولا أنس بعدها . وفصل مثلنا أعزك الله فى قرب تجاورنا وبعد تزاورنا ماقيل فى أهل القبور :

هم جيرة الاحياء أما مزارهم * فدان وأما الملتقى فبعيد

وكل علة معك محتملة وكل جفوة مغفورة للشغف بك والثقة بحسن نيتك وسنأخذ بقول أبي قيس بن الاسلت :

ويكر منها جاراتها فيزرنها * وتغفل عن اتيانهن فتعذر

وفصل : كتب حكيم الى حكيم يا أخي ان أيام العمر اقل من أن تحتمل الهجر والسلام . كتب أحمد بن يوسف لا تجوز قطيعة لانها لا تخلو من أحد وجهين اما ضعف فى نفس الاختيار واما ملل وكلاهما حجة فيه . وفصل طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء وقد جعلك الله للسرور نظاما وللانس تماما وجعل المشاهدة موحشة اذا خلت منك . وكتب الحسن ابن وهب : الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ماتوالى من هذه الانواء

فسلام الاله اهديه منى * كل يوم لسيد الوزراء

لست أدرى ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء

غير انى ادعو على تلك بالثكل وادعو لهذه بالبقاء

وقال آخر :

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر فى الصدور

فارجع لم ألمه ولم يلمنى * وقد رضى الضمير عن الضمير

فصل فى وصاة : كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق فى أبى الشيص كتابى اليك خططته بيمينى وفرغت له ذهنى فما ظنك بحاجة هذا موقعها منى أ ترانى أقبل العذر فيها واقصر فى الشكر عليها وابن ابى الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ماعدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا . وفصل : كتابى اليك كتاب معنى بمن كتب له واثق بمن كتب اليه ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله . وفصل : كتب العتابى فكاد ان يخل بالمعنى من شدة الاختصار فكتب حامل : كتابى اليك أنا فكن له أنا والسلام . وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك اياه عن تحريكى اياك فى أمره فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليه ووسيلة الى مصطنعه فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من أهلها ووصل بك أسبابها . وفصل له : موصل كتابى اليك أنا فكن له أنا وتأمله بعين مشاهدتى وخلقى فلسانه اشكر ما آتيت اليه وأذم ما قصرت فيه فصول فى عتاب كتب احمد بن يوسف لولا حسن الظن بك اعزك الله لكان

فى اغضائك عنى ما يقبضنى عن الطلبة اليك ولكن امسك برمق من الرجاء علمى برأيك فى رعاية الحق و بسط يدك الى الذى لو قبضتها عنه لم يكن له الا كرمك مذكرا وسوددك شافعا . فصل : ما ابعد البرء من مريض داؤه فى دوائه وعلته فى حميته أنا منك كالغاص بالماء لا مساغ له . وكما قال الشاعر :

كنت من كربتى افر اليهم * وهم كربتى فاين الفرار

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين عتبى تكون منك أو عتبى تغنى عنك . فصل : أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا نرضى الا بالكل لنا منك . فصل : أنا أبقى على ودك من عارض بغيره أو كتاب يقدح فيه وآمل عائدا من حسن رأيك يغنى عن اقتضائك . فصل : الهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو أن كل من نازع الى الصرم قلدناه عنان الهجر لكنا أولى بالذنب منه ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لها منك . فصل لعبد الله بن معاوية : ابن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين . أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب فاطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك فاقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف . فصل : اذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد ان جعلته حكما يحيف فى حكومته . فاين الموئل من جورك ولست أسلك طريقا من العتب عليك الا شدة ما انطوى عليه من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الا اليك ولا استعانة الا بك وما أحق من جعلك على أمر عونا ان تكون له الى النجاح سببا . وقال الشاعر :

عجبت لقلبك كيف انقلب * ومن طول ودك انى ذهب

واعجب من ذا وذا اننى * أراك بعين الرضا فى الغضب

وفصل : ان مسئلتى اليك حوائجى مع عتبك على من اللؤم وان امساكى عنها فى حال ضرورة اليها مع علمى بكرمك فى السخط والرضا لعجز غير انى اعلم ان اقرب الوسائل فى طلب رضاك مساءلتك ما سنح من الحاجة اذ كنت لا تجعل عتبك سببا لمنع معروفك . وفصل : لو كانت الشكوك تختلجنى فى صحة مودتك وكريم اخائك ودوام عهدك لطال عتبى عليك فى تواتر كتبى واحتباس جواباتها عنى ولكن الثقة بما تقدم عندى تعذرك وتحسن ما يقبحه جفاؤك والله يديم نعمته لك ولنا بك . وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل والتقريع

اللطيف فلولا ما غلب على من السرور بسلامتك لتقطعت غما بعتابك الذى لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة وغلظ حتى كاد يفهمه أهـل الجهل والبله فلا أعدمنى الله رضاك مجازيا به على ما استحقه عتبك فانت ظالم فيه وعتابك ولى المخرج منه . وقال أبو الدرداء أعتاب الاخ خير من فقده . وقال الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبـقى الود مابقى العتاب

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

اذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب فى كل يوم عليا

طلبت رضاك فان عزنى * عددتك ميتا وان كنت حيا

ولا تعجـبن بما فى يديك * فاكثر منه الذى فى يديا

وفصـل فى عتاب : العتاب قبـل العقاب فليكن ايقاعك بعـد وعيدك ووعيدك بعـد وعدك . وفصل : قد حميت جانب الامل فيك وقطعت أسباب الرجاء منك وقد اسلمنى اليأس منك الى العزاء عنك فان ترغب من الآن فصفح لا تثريب معـه وان تماديت فهجر لا وصل بعده ﴿ فصل فى التنصل ﴾ كتب ابن مكرم لا ق عظم أملى فيك ماأتيت فيما بينى وبينك ذنبا مخطئا ولا متعمدا ولعـل فلتة لم الق لها بالا فاوطئ لها اعتـذارا وان تكن فبغية حاسـد زخرفها على لسان واش نبذها اليك فى بعض غراتك أصابت منى مقتـلا وشفت منك غليلا . وفصل : ليس يزيلنى عن حسن الظن بك فعـل حملك الاعداء عليه ولا يقطعنى عن رجائك عتب حدث على منك بل أرجو ان يتقاضى كرمك انجاز وعدك اذ كان أبلغ الشفعاء اليك وأوجب الوسائل لديك . وفصـل أنت أعزك الله أعلم بالعفو والعقوبة من ان تجازينى بالسوء على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان بل جناه على لسان واش فاما قولك انك لا تسهل سبيل العـذر فانت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأقعـد بالشرف وأحفظ لذماماته من ان ترديد مؤملك صفرا من عفوك اذا التمسه ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعا فيه وذريعة له . وفصل لابراهيم بن العباس : الكريم أوسع ماتـكون مغفرته اذا ضاقت بالمذنب معذرته . وفصل : ياأخى اشكو الى الله واليك تحامل الايام على وسـوء شر الدهر عنـدى وانى معلق فى حبائل من لا يعرف موضعى ولا يحلو عنده موقعى اطلب منه الخـلاص فيزيدنى كلفا وأرتجى منـه الحق فيزداد به ضنا فالثواء ثواء مقيم والنيـة نية ظاعن وبزمام الرأى مرتحل ماذهب الى ناحيـة من

الحيلة الا وجدت من دونها ما نعامن العوائق واحمل الذنب على الدهر فارجع الى الله بالشكر وأساله جميل العقبى وحسن الصبر

١١ — فصول في حسن التواصل — للمفضل ان يخص بفضله من شاء ولله الحمد ثم له فيما أعطى ولا حجة عليه فيما منع كن كيف شئت فانى واجد أمرى خالصة سريرتى أرى ببقائك بقاء سرورى وبدوام النعمة عندك دوامها عندى . وفصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة اليك والاستعانة عليك لان حسن الظن بالله فيك وتاويل نجح الرغبة دون الشفعاء عندك . وفصل : قد أفردتك برجائى بعد الله وتعجلت راحة الناس ممن يجود بالوعد ويضن بالانجاز والحسد ان يفضل ويزهد فى أن يفضل ويعيب الكذب ولا يصدق وفصل : ضعنى أكرمك الله من نفسك حيث وضعت نفسى من رجائك أصاب الله بمعروفك مواضعه وبسط بكل خير يدك . وفصل : لا أزال أبقاك الله أسأل الكتاب اليك فرة أتوقف توقف المخفف عنك من المؤنة ومرة أكتب كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقيل لا أعدمنا الله دوام عزك ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلانا من الصنع لله فانا لا نعرف الا نعمتك ولا نجد للحياة طعما الا فى ظلك ولئن كانت الرغبة الى بشر من الناس خساسة وذلا لقد جعل الله الرغبة اليك كرامة وعزا لانك لا تعرف حرا قعد به دهره الا سبقت مسئلته بالمطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة . وفصل : لى عليك حق التاميل والشكر بما ابتدأت من المعروف ولك على حق الاصطناع والفضل والتنويه بالاسم والزيادة فى القدر وليس يمنعنى علمك زيادة حقك على ما أبلغه من شكرك من مساءلتك المزيد اذ كنت قد انتهيت الى ما بلغه المجهود وخرجت من منزلة الاضاعة والتقصير واذ كنت تسمح بالحق عليك وتطيب نفسا عن حقك على ما أبلغه من شكرك وشكر اليسير ولا تكلف أحدا شكرك على الكثير . فصل لك أصلحك الله عندى اياد تشفع لى الى محبتك ومعروف يوجب عليك الود والاتمام . فصل : انا أسال الله ان ينجز لى ما لم تزل الفراسة تعد نيه فيك . فصل : قد أجل الله قدرك عن الاعتذار وأغنانى فى القول وأوجب عليك ان تقنع بما فعلت وترضى بما أنعمت وصلت او قطعت

١٢ — فصول الشكر — كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتابا عن المعتصم الى عبد الله بن طاهر الخراسانى فكان فى فصل منه لو لم يكن من فضل الشكر الا انك لا تراه الا بين

نعمة مقصورة عليك أو زيادة منتظرة له ثم قال لمحمد بن ابراهيم بن زياد كيف ترى قال كأنهما قرطان بينهما وجه حسن . وفصل للحسن بن وهب : من شكرك على درجة رفعته اليها أو ثروة أقدرته اياها فان شكرى لك على مهجة أحييتها وحشاشة أبقيتها و رمق امسكت به وقمت بين التلف و بينه فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره وانت من وراء كل غاية رددت كيد العدو وأرغمت انف الحسود فنحن نلجا اليه منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر وأين يبلغ جهد المجتهد . وقال ابراهيم بن المهدى يشكر المامون :

رددت مالى ولم تمنن على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فابن منك وقد جللتنى نعما * هى الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى ابغى رضاك به * والمال حتى اسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لولم تعرها كنت لم تلم
البر بى منك وطى العذر عندك لى * فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم
وقام علمك بى يحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

فصول فى البلاغة : كتب الحسن بن وهب الى ابراهيم بن العباس وصل كتابك فما رأيت كتابا اسهل فنونا ولا املس متونا ولا اكثر عيونا ولا احسن مقاطع ومطالع منه انجزت فيه عدة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن يقينا والامل مبلوغا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات فصل : الكلام كثيرة فنونه قليلة عيونه فمنه ما يفكه الاسماع و يؤنس القلوب ومنه مايحمل الآذان ثقلا و يملأ الاذهان وحشا . فصول من المدح : وكتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر ان جميعا كفائك ونظرائك يتنازعون الفضل فاذا انتهوا اليك اقروا لك و يتنافسون المنازل فاذا بلغوك وقفوا دونك فزادك الله و زادنا بك وفيك وجعلنا ممن يقبله رأيك و يقدمه اختيارك و يقع من الامور بموقع موافقتك و يجرى فيها على سبيل طاعتك . وفصل له : ان من النعمة على المثنى عليك أن لا يخاف الافراط ولا يامن التقصير و يامن ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية الا وجد فضلك تجاوزها ومن سعادة جدك ان الداعى لا يقدم كثرة

المتابعين له والمؤمنين معه . وفصل : ان مما يطمعني في بقاء النعمة عندك و يزدني بصيرة في العلم بدوامها لديك انك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ومن شان الاجناس ان تتالف وشان الاشكال ان تتقاوم وكل شيء يتقلقل الى معدنه و يحن الى عنصره فاذا صادف منبته ونزل في مغرسه ضرب بعرقه وسبق بفرعه وتمكن تمكن الاقامة وتفتك تفتك الطبيعة وفصل : انى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر الذى لا يخفى على كل ناظر وأيقنت انى حيث أنتهى بى القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك . وفصل لمحمد بن الجهم: انك لزمت من الوفاء طريقة محمودة وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها فتنافس الاخوان فيك يبتدرون ودك و يتمسكون بحبلك فمن أثبت الله له عندك ودا فقد وضع حلته موضع حرزها وفصل لابن مكرم : السيف العتيق اذا أصابه الصدا استغنى بالقليل من الجلاء حتى تعود جدته و يظهر فرنده للين طبيعته وكرم جوهره ولم أصف نفسى لك عجبا بك بل شكرا . وفصل له :زاد معروفك عندى عظما انه عندك مستور حقير وعند الناس مشهور كبير . أخذه الشاعر فقال:

زاد معروفك عندى عظما * أنه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تاته * وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتابى : أنت أيها الامير وارث سلفك و بقية أعلام اهل بيتك المسدود بهم ثلمهم المجدد به قديم شرفهم والمحيا به أيام سعيهم وانه لم يخمل من كنت وارثه ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا امحت اعلام من خلفته في رتبته . فصول في الذم : كتب أحمد بن يوسف أما بعد فانى لا اعرف للمعروف طريقا أوعر من طريقة اليك فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور وانما غايتك في المعروف ان تحقره و في وليه ان تكفره . وكتب أبو العتاهية الى الفضل ابن معن بن زائدة أما بعد فانى توسلت اليك في طلب انائلك باسباب الامل وذرائع الحمد فرارا من الفقر و رجاء للغنى وازددت بهما بعدا مما فيه تقربت وقربا مما فيه تبعدت وقد قسمت اللائمة بينى و بينك لانى أخطأت في سؤالك وأخطات في منعى أمرت باليأس من أهل البخل فسالتهم ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم و في ذلك أقول :

فررت من الفقر الذى هو مدركى * الى بخل محظور النوال منوع

فاعقبنى الحرمان غب مطامعى * كذلك من يلقاه غير قنوع

وغير بديع منع ذى البخل ماله * كما بذل أهل الفضل غير بديع
اذا أنت كشفت الرجال وجدتهم * لاعراضهم من حافظ ومذيع

وفصل لابراهيم بن المهدى: أما بعد فانك لو شرفت فضل الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنا كما قال زهير بن أبى سلمى :

وذى خطل فى القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

فصل : ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصغار تميل معهما وتصرف فى آثارهما وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفيس وأنزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك أقوى أسباب عذرى فى قطيعتك عند من يتصفح أمرى وامرك بعين عدل لا تميل الى هوى ولا ترى القبيح حسنا فصل للعتابى : تاتينا افاقتك من سكرتك وترقبنا انتباهك من رقدتك وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك وكشف لنا الصبر عن وجه الغلط فيك فها أنا قد عرفتك حق معرفتك فى تعديك لطورك واطراحك حق من غلط فى اختيارك . فصل فى الادب : كتب سعيد بن حميد ان من أمارات الحزم صحة الرأى فى الرجل يترك التماس ما لا سبيل اليه اذا كان ذلك داعية لغنى لا عزة له وشفاء لا درك فيه وقد سمحت فى أمر تخبرك أوائله عن أواخره وينبيك بدؤه عن عواقبه ولو كان هذا الخبر الصادق مستمع حازم ورأيت رائد الهوى ما مال بك الى هذا الامر ميلا أياس من رغب فيك ودل عدوك على معايبك وكشف له عن مقاتلك ولولا علمى بان غلط الناصح يؤدى الى نفع فى اعتقاد صواب الرأى لكان غير هذا القول أولى بك والله يوفقك لما يحب ويوفق لك ما تحب . وفصل : انت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق عزمك فقدم على نفسك من قدمك على نفسه . وفصل : من أخطا فى ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أحرى ان يخطىء فى أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل . وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشقاء وطلبك من لا ينام دون الظفر فاشدد حيازيمك وكن على حذر . وفصل : قد آن ان تدع ما تسمع بما تعلم ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه . وفصل : لست بحال يرضى بها حر ولا يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا الا من لا يبتغى لك ان ترضى به . وفصل : أنت طالب مقيم وأنا دافع مغرم فان كنت شاكرا فيما مضى فاعذر فيما بقى . وفصل للعتابى : أما

بعد فان قريبك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وعشيرك من أحسن عشرتك وأهدى الناس الى مودتك من اهدى بره اليك . فصول الى عليل : ليست حالى أكرمك الله فى الاغتمام بعلتك حال المشارك فيها بان ينالنى نصيب منها وأسلم من أكثرها بل اجتمع على منها انى مخصوص بها دونك مؤلم منها بما يؤلمك فانا عليل مصروف العناية الى عليل كانى سليم فانا أسأل الله الذى جعل عافيتى فى عافيتك ان يخصنى بما فيك فانها شاملة لى ولك . وفصل : ان الذى يعلم حاجتى الى بقائك قادر على المدافعة عن حوبائك فلو قلت ان الحق قد سقط عنى فى عيادتك لانى عليل بعلتك لقام بذلك شاهد عدل فى ضميرك واثر باد فى حالى لغيبتك واصدق الخبر ما حققه الاثر وافضل القول ما كان عليه دليل من العقل . وفصل : لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبى ذكرك ولا لسانى فحصا عن خبرك يحب ان تنقسم جوارحه وصبك وان زاد فى ألمها ألمك وان تتصل به احوالك فى السراء والضراء ولما بلغتنى افاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب الا بخبر السلامة ان شاء الله . ولاحمد بن يوسف : قد اذهب الله وصب العلة ونصبها ووفر أجرها وثوابها وجعل فيها من ارغام العدو بعقباها اضعاف ما كان عنده من السرور بفتح أولاها . فصول الى خليفة وأمير : منها كتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان كل من عنت به فكرتك فما هو الا سعيد يؤثر أو شقى يوتر . كتب الحسن بن سهل : يصف عقل المامون وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة موفيا بما أخذ الله عليه مطلعا بما حمله منه مؤديا الى الله حقه مقرا له بنعمته شاكرا لآلائه لا يأتمر الا عدلا ولا ينطق الا فصلا عيا لدينه واماناته كافا ليده ولسانه . وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان حق الاولياء على السلطان تنفيذ أمورهم وتقويم أودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء فى احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم . وفصل له : ان من أعظم الحق حق الدين وأوجب الحرمة حرمة المسلمين فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ان يراعى له حسب ما رعاه الله ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه . وفصل له : ان الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة واحياء السنن الصالحة فاذا أدى كل الى كل حقه كان ذلك سببا لتمام المعونة واتصال الزيادة واتساق الكلمة ودوام الالفة . وفصل : ليس من نعمة يجددها الله لامير المؤمنين فى نفسه خاصة الا

اتصلت برعيته عامة وشملت المسلمين كافة وعظم بلاء الله عندهم فيها ووجب عليهم شكره عليها الا ان الله جعل بنعمته تمام نعمتهم وبتدبيره وذبه عن دينه حفظ حريمهم وبحياطته حقن دمائهم وأمن سبيلهم فاطال الله بقاء أمير المؤمنين منطوى القلب على مناصحته مؤيدا بالنصر معززا بالتمكين موصول البقاء بالنعيم المقيم . فصل : الحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته منطوى القلب على مناصحته مستحوذ السيف على عدوه ثم وهب له الظفر ودوخ له البلاد وشرد به العدو وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا وبرا وبحرا . وفصل : أفعال الامير عندنا معسولة كالامانى متصلة كالايام ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ونواصل الدعاء له مواصلة بره انه الناهض بكلنا والحامل لاعبائنا والقائم بما ناب من حقوقنا . وفصل : أما بعد فقد انتهى الى أمير المؤمنين كذا فانكره ولا يخلو من احدى منزلتين ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة اما تقصير فى عملك دعاك للاخلال بالحزم والتفريط فى الواجب واما مظاهرة لاهل الفساد ومداهنة لاهل الريب وأية هاتين كانت منك محلة النكر بك وموجبة العقوبة عليك لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الاناة والنظرة والاخذ بالحجة والتقدم فى الاعذار والانذار على حسب ما اقلت من عظيم العثرة ما يجب اجتهادك فى تلافى التقصير والاضاعة والسلام . وكتب طاهر بن الحسين : حين أخذ بغداد الى ابراهيم ابن المهدى . أما بعد فانه عزيز على ان أكتب الى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الامرة وسلامها غير انه بلغنى عنك انك مائل الهوى والرأى للناكس المخلوع فان كان كما بلغنى فقليل ما كتبت به كثير لك وان يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وقد كتبت فى أسفل كتابى أبياتا فتدبرها :

ركوبك الهول ما لم تلق فرصته * جهل رمى بك بالاقحام تغرير
اهون بدنيا يصيب المخطؤن بها * حظ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صوابا وخذ بالحزم حيطته * فلن يذم لاهل الحزم تدبير
فان ظفرت مصيبا أو هلكت به * فانت عند ذوى الالباب معذور
وان ظفرت على جهل ففزت به * قالوا جهول أعانته المقادير

فصل للحسن بن وهب : اما بعد فالحمد لله متمم النعم برحمته الهادى الى شكره بفضله وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى جمع له من الفضائل ما فرقه فى الرسل قبله وجعل تراثه راجعا

الى من خصه بخلافته وسلم تسليما . فصول لعمرو بن بحر الجاحظ فى الادب : منها فصول فى عتاب . أما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة والتفضل على ذوى الاحسان نافلة : أما بعد فلها السكوت على لسانك ان كانت العافية من شانك . أما بعد فلا تزهد فيما رغب اليك فتكون لحظك معانداو للنعمة جاحدا . أما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبايهما ظفرت كانت فى حزبه . أما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . اما بعد فان القلوب اوعية والعقول معادن فما فى الوعاء ينفد اذا لم يمده المعدن . اما بعد فكفى بالتجارب تاديبا و بتقلب الايام عظة و باخلاق من عاشرت معرفة و بذكرك الموت زاجرا . أما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب اهون من اطفائه بالشتم والقدع . اما بعد فان أهل النظر فى العواقب أولوا الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرئ الا استغرقت الدنيا همته ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الايام مطايا عمله والآخرة مقيل مرتحله . اما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد فى الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير . اما بعد فانه ليس كل من علم امسك وقد يستجهل الحليم حين يستحق الهجران . أما بعد فان احببت ان تتم لك الثقة فى قلوب اخوانك فاستقل كثير ما تولهم . أما بعد فان أنظر الناس فى العاقبة من لطف حين كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز واستل حقده بالرفق والتحبب . وكتب الى أبى حاتم السجستانى : و بلغه عنه انه نال منه . أما بعد فلو كففت عنا من غربك لكنا أهلا لذلك منك والسلام فلم يعد أبو حاتم الى ذكره بقبيح . وله فصول فى وصاة : اما بعد فان احق من أسعفته فى حاجته واجبته الى طلبته من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء . أما بعد فأقبح الاحدوثة من مستمنح حرمته وطالب حاجة رددته ومثابر حجبته ومنبسط اليك قبضته ومقبل اليك بمنانه لويت عنه فتثبت فى ذلك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم . أما بعد فان فلانا أسبابه متصلة بنا يلزمنا ذمامه و بلوغ موافقته من أياديك عندنا وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته فاولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقه علينا . اما بعد فقد أتانا كتابك فى فلان وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته ورعاية حقه ونحن من المعتبة بامره على ما كان فى حرمته و يؤدى شكره . وله فصول فى استنجاز وعد أما بعد فقد رسفنا فى قيود مواعيدك وطال مقامنا فى سجون مطلك فاطلقنا ابقاك الله من ضيقها وشديد غمها بنعم منك مثمرة أو مريحة . أما بعد فان شجر مواعيدك قد أورقت فليكن

ثمرها سالما من جوائح المطل . أما بعد فان سحاب وعدك قد برقت فليكن وبلها سالما من صواعق المطل والاعتلال . وله فصول فى الاعتذار: اما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار وبئس العوض من التوبة الاصرار . اما بعد فان أحق ماعطفت عليه بحلمك من لم يتشفع اليك بغيرك . اما بعد فانه لا عوض من اخائك ولا خلف من حسن رأيك وقد انتقمت منى فى زلتى بجفائك فاطلق أسير تشوقى الى لقائك . اما بعد فانى بمعرفتى ببلوغ حلمك وغاية عفوك ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك . اما بعد فان من جحد احسانك بسوء مقالته فيك مكذب نفسه بما يبدو للناس منه . اما بعد فقد مسنى من الالم مالم يشفه غير مواصلتك مع حبسك الاعتذار من هفوتك ولكن ذنبك تغتفره مودتك فامنن علينا بصلتك تكن بدلا من مساءتك وعوضا من هفوتك . اما بعد فلا خير فمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات الاخوان . اما بعد فان أولى الناس عندى بالصفح من أسلمه الى ملكك الناس رضاك من غير مقدرة منك عليه . اما بعد فان كنت ذممتنى على الاساءة فلم رضيت لنفسك المكافأة . وله فصول فى التعازى : اما بعد فان الماضى قبلك الباقى لك والباقى بعدك المأجور فيك وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . أما بعد فان فى الله العزاء من كل هالك والخلف من كل مصاب وانه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة . اما بعد فان الصبر يعقبه الاجر والجزع يعقبه الهلع فتمسك بحظك من الصبر تنل به الذى تطلب وندرك به الذى تأمل . اما بعد فقد كفى بكتاب الله واعظا ولذوى الالباب زاجرا فعليك بالتلاوة تنج مما أوعد الله أهل المعصية . صدور الى خليفة وفق الله امير المؤمنين بالظفر فيما قلده وأيده واصلح به وعلى يديه اكرم الله أمير المؤمنين بالظفر وأيده بالنصر فى دوام نعمته وحاط الرعية بطول مدته . صدور الى ولى عهد: متع الله أمير المؤمنين بطول مدة الامير واجرى على يديه فعل الجميل وآنس بولايته المؤمنين مد الله للامير النعمة واسعد بطول عمره الامة وجعله غياثا ورحمة أكمل الله له الكرامة وحاطه بالنعمة والسلامة ومتع به الخاصة والعامة متع الله بسلامتك أهل الحرمة وجمع لك شمل الامة واستعملك بالرأفة والرحمة . صدور الى والى شرطة: انصف الله بك المظلوم واغاث بك الملهوف وأيدك بالتثبت ووفقك للصواب ارشدك الله بالتوفيق وانطقك بالصواب وجعلك عصمة للدين وحصنا للمسلمين اعانك الله على ماقلدك وحفظ لك مااستعملك بما يرضى من فعلك سددك الله وأرشدك وأدام لك فضل ماعودك زادك الله شرفا فى المنزلة وقدرا فى قلوب الامة وزلفة عند الخليفة نصر الله بعدلك المظلوم وكشف بك كربة

الملهوف واعانك على اداء الحقوق . صدور الى قاض : الهمك الله الحجة وأيدك بالتثبت ورد بك الحقوق ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم والتثبت فى الحكم ألهمك الله الحكمة وفصل الخطاب وجعلك اماما لذوى الالباب زين الله بفضلك الزمان وأنطق بشكرك اللسان و بسط يدك فى اصطناع المعروف وأدام الله لك الافضال وحقق فيك الآمال . صدور الى عالم : جعل الله لك العلم نورا فى الطاعة وسببا الى النجاة وزلفة عند الله نفع الله بعلمك المستفيدين وقضى بك حوائج المتحرمين واوضح بك سنن الدين وشرائع المسلمين أدام الله لك التطول باسعاف الراغب وأنجح بك حاجة الطالب وأمنك مكروه العواقب . صدور الى اخوان : متع الله أبصارنا برؤيتك وقلوبنا بدوام الفتك ولا أخلانا من جميل عشرتك ووهب لك من كريم نفسك بحسب ماتنطوى عليه مودتك وأبهج الله اخوانك بقربك وجمع القتهم بالانس بك وصرف الله عن الفتنا عواقب القدر واعاذ صفوا خائنا من الكدر وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشكر من الله علينا بطول مدتك وآنس أيامنا بمواصلتك وهنانا النعمة بسلامتك قرب الله منا ما كنا نامل منك وجمع شمل السرور بك نزه الله بقربك القلوب و برؤيتك الابصار و بحديثك الاسماع اقبل الله بك على اودائك ولا ابتلاهم بطول جفائك ازال الله حرصنا من فتورك عنا ورغبتنا عنك من تقصيرك فى أمورنا حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده وردالينا ما كنا نالفه ونعهده رحم الله فاقة الحنين اليك ومابى من تباريح الحزن عليك وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك يسر الله لنا من صفحك مايسع تقصيرنا ومن حلمك مايردسخطك عنا زين الله الفتنا بمعاودة صلتك واجتماعنا بزيارتك أعاد الله علينا من اخائك و جميل رأيك مايكون معهودا منك بالوفاء لك . صدور فى عتاب : انصف الله شوقنا اليك من جفائك لنا وأخذ لبرنا بك من تقصيرك عنا . وكتب معاوية : الى عمرو بن العاصى و بلغه عنه أمر وفقك الله لرشدك بلغنى كلامك فاذا أوله بطر وآخره خور ومن أبطره الغنى أذله الفقر وهما ضدان تخادعان المرء عن عقله وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء والسلام . فاجابه : طاولتك النعم وطاولت بك علوا نصافك يؤمن سطوة جورك ذكرت انى نطقت بما تكره وأنا مخدوع وقد علمت انى ملت الى محبتك ولم أخدع ومثلك شكر مسعى معتذر وعفا زلة معترف اه الكتاب

١٤

فن من كتاب العسجدة الثانية

﴿ فى الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى التوقيعات والفصول والصدور والكتابة وهذا كتاب ألفناه فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وأسماء كتابهم وحجابهم

١ — أخبار الخلفاء — نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم روى أبو الحسن على بن محمد ابن عبد الله بن أبى يوسف عن أشياخه هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب

﴿ مولد النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ قالوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول . وقال بعضهم لليلين خلتا منه . وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين يوما فهذا جمع ما اختلفوا فى مولده وأوحى الله اليه وهو ابن أربعين عاما واقام بمكة عشرا و بالمدينة عشرا . وقال ابن عباس : اقام بمكة خمس عشرة و بالمدينة عشرا والمجمع عليه انه اقام بمكة ثلاث عشرة و بالمدينة عشرا . هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول . مات يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم وجعلنا ممن يرد حوضه و ينال مرافقته فى أعلى عليين من درجات الفردوس واسأل الله الذى جعلنا من أمته ولم نره أن يتوفانا على ملته ولا يحرمنا رؤيته فى الدنيا والآخرة ﴿ صفة النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشربا بحمرة ضخم الرأس أزج الحاجبين عظيم العينين أدعج أهدب شثن الكفين والقدمين اذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صبب و يمشى فى صعد كأنما يتقلع من صخر اذا

التفت التفت جميعا ليس بالجعد القطط ولا السبط ذا وفرة الى شحمة أذنيه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتطامن عرفه اطيب من المسك الاذفر لم تلد النساء قبله ولا بعده مثله بين كتفيه خاتم النبوة كبيض الحمامة لا يضحك الا تبسما فى عنفقته شعرات بيض لا تكاد تبين . وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيب الذى كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة وقيل له يارسول الله عجل عليك الشيب قال شيبتنى هود وأخواتها ﴿ هيئة النبي وقعدته صلى الله عليه وسلم ﴾ كان صلى الله عليه وسلم يا كل على الارض ويجلس على الارض ويمشى فى الاسواق ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسد يده ويلعق أصابعه ويقضى من نفسه ولا يا كل متكئا ولم يرقط ضاحكا مل ءفيه وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يا كل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدى الى كراع لقبلت ﴿ شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد البشر ولا فخر وأنا أفصح العرب وانا أول من يقرع باب الجنة وانا أول من ينشق عنه التراب دعا لى ابراهيم وبشر بى عيسى ورأت أمى حين وضعتنى نورا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه وجعلهم افراقا فجعلنى فى خيرهم فرقة وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خير بيت فانا خيركم بيتا وخيركم نسبا . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم واسترضعت فى بنى سعد بن بكر . وقال : نزل القرآن بأعرب اللغات فلكل العرب فيه لغة ولبنى سعد بن بكر سبع لغات وبنو سعد بن بكر بن هوازن أفصح العرب فهم من الاعجاز وهى قبائل من مضر متفرقة . وكان ظئر النبي صلى الله عليه وسلم التى أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب من بنى ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . واخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث . وجذامة بنت الحرث وهى التى أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فى أسرى حنين فبسط لها رداءه ووهب لها أسرى قومها . والعواتك من سليم ثلاث عاتكة بنت هلال ولدت هاشما وعبد شمس ونوفلا وعاتكة بنت الاوقص بن هلال ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة وعاتكة بنت فالج . وقال على : للاشعث اذ خطب اليه أغرك ابن أبى قحافة اذ زوجك أم وفرة وانها لم تكن من الفواطم من قريش ولا العواتك من سليم ﴿ أبو النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ عبد الله بن عبد المطلب ولم يكن له ولد غيره صلى الله عليه وسلم . وتوفى وهو فى بطن أمه فلما ولد كفله جده عبد المطلب الى أن توفى فكفله عمه أبو طالب . وكان أخا عبد الله لامه

وأبيه فمن ذلك كان أشفق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وأولاهم به . واما أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته فان عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه عشرة من الذكور وستة من الاناث وأسماء بنيه عبد الله والد النبي عليه الصلاة والسلام . والزبير . وأبو طالب واسمه عبد مناف . والعباس . وضرار . وحمزة . والمقوم . وأبو لهب واسمه عبد العزى . والحرث والغيداق واسمه حجل . ويقال نوفل . وأسماء بناته عمات النبي صلى الله عليه وسلم عاتكة والبيضاء وهى أم حكيم . وبرة . وأميمة . وأروى . وصفية . ولد النبي صلى الله عليه وسلم : ولد له من خديجة القاسم والطيب وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وولد له من مارية القبطية ابراهيم فجميع ولده من خديجة غير ابراهيم . وأزواجه صلى الله عليه وسلم : أولهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ولم يتزوج عليها حتى ماتت ثم تزوج سودة بنت زمعة . وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجرة الحبشة فمات ولم يعقب فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها وهى ابنة ست وابتنى عليها ابنة تسع وتوفى عنها وهى ابنة ثمان عشرة سنة وعاشت بعده الى أيام معاوية . وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين . ودفنت ليلا بالبقيع . وأوصت الى عبد الله بن الزبير . وتزوج حفصة ابنة عمر بن الخطاب . وكانت تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله الى كسرى ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة . وكانت تحت عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب أول شهيد كان ببدر . ثم تزوج زينب بنت جحش الاسدية وهى بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم . وهى أول من مات من أزواجه فى خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة ابنة أبي سفيان وهى أخت معاوية وكانت تحت عبيد الله بن جحش الاسدى فتنصر ومات بارض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي وكانت تحت أبي سلمة فتوفى عنها وله منها أولاد وبقيت الى سنة تسع وخمسين . وتزوج ميمونة بنت الحرث من بني عامر بن صعصعة وكانت تحت أبي سبرة بن أبي رهم العامري . وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية وكانت تحت رجل من يهود خيبر يقال له كنانة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه وسبي أهله . وتزوج جويرية بنت الحرث وكانت من سبي بني المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم وهى التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . وتزوج امرأة يقال لها عمرة فطلقها ولم يبن بها وذلك ان اباها قال له وأزيدك انها لم

عرض قط فقال ماهذه عند الله من خير فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها أميمة بنت النعمان فطلقها قبل ان يطأها وخطب امرأة من بنى مرة بن عوف فردها أبوها وقال ان بها برصا . فلما رجع اليها وجدها برصاء ﴿ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخدامه ﴾ كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت . ومعاوية بن أبى سفيان . وحنظلة بن ربيعة الاسدى . وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ارتد ولحق بمكة مشركا . وحاجبه أبو أنيسة مولاه . وخادمه أنس بن مالك الانصارى ويكنى أباحمزة . وخازنه على خاتمه معقيب بن أبى فاطمة . ومؤذناه بلال . وابن أم مكتوم . وحراسه سعد بن زيد الانصارى . والزبير بن العوام . وسعد بن ابى وقاص وخاتمه فضة وفصه حبشى مكتوب عليه محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر الله سطر . وفى حديث أنس بن مالك : خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبه تختم أبو بكر وعمر وتختم به عثمان ستة أشهر ثم سقط منه فى بئر ذى اروان فطلب فلم يوجد ﴿ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وسنه ﴾ توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وحفر له تحت فراشه فى بيت عائشة . وصلى عليه المسلمون جميعا بلا امام الرجال ثم النساء ثم الصبيان . ودفن ليلة الاربعاء فى جوف الليل . ودخل القبر على والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه . ويقال اسامة بن زيد وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله . وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . واختلف فى سنه فقال عبد الله بن عباس وعائشة وجرير بن عبد الله ومعاوية توفى وهو ابن ستين سنة . وقال عروة بن الزبير وقتادة اثنتين وستين سنة

٢ — نسب أبى بكر الصديق وصفته رضى الله عنه — هو عبد الله بن أبى قحافة واسم أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأمه أم الخير ابنة صخر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكاتبه عثمان بن عفان . وحاجبه رشيد مولاه . وقيل كتب له زيد بن ثابت أيضا . وعلى أمره كله وعلى القضاء عمر بن الخطاب . وعلى بيت المال ابوعبيدة بن الجراح ثم وجهه الى الشام . ومؤذنه سعد القرظ مولى عمار بن ياسر قيل لعائشة صفى لنا أباك قالت كان أبيض نحيف الجسم خفيف العارضين أحنى لا يستمسك ازاره معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عارى الاشاجع اقرع وكان عمر بن الخطاب أصلع وكان ابو بكر يخضب بالحناء والكتم . وقال أبو جعفر الانصارى رأيت أبا بكر كأن لحيته ورأسه جمر الغضى . وقال أنس بن مالك قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فى

أصحابه أشمط غير أبي بكر فغلفها بالحناء والكتم • وتوفي مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال • وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله • خلافة ابى بكر رضى الله عنه : شعبة عن سعد بن ابراهيم عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت يارسول الله ان أبا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فامر عمر فليصل بالناس قال مروا أبا بكر فليصل بالناس • قالت عائشة فقلت لحفصة قولى له ان أبا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فامر عمر ففعلت حفصة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس • أبو جعدة : عن الزبير قال قالت حفصة يارسول الله انك مرضت فقدمت ابا بكر قال لست الذى قدمته ولكن الله قدمه • أبو سلمة : عن اسماعيل بن مسلم عن أنس قال صلى أبو بكر بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم مريض ستة أيام • النضر بن اسحق : عن الحسن قال قيل لعلى علام بايعت أبا بكر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت فجاة كان يأتيه بلال فى كل يوم فى مرضه يؤذنه بالصلاة فيأمر ابا بكر فيصلى بالناس وقد تركنى وهو يرى مكانى فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم فبايعوه وبايعته • ومن حديث الشعبي : قال أول من قدم مكة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابى بكر عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومى • فقال له أبو قحافة فمن ولى الامر بعده قال ابو بكر ابنك قال فرضى بذلك بنو عبد مناف قال نعم قال لا مانع لما اعطى الله ولا معطى لما منع الله • جعفر بن سليمان : عن مالك ابن دينار قال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان غائب فى مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم • فلما انصرف لقى رجلا فى بعض طريقه مقبلا من المدينة فقال له مات محمد قال نعم • قال فمن قام مقامه قال ابو بكر • قال ابو سفيان فما فعل المستضعفان على والعباس • قال جالسين قال اما والله لئن بقيت لهما لارفعن من اعقابهما ثم قال انى أرى غبرة لا يطفئها الا الدم • فلما قدم المدينة جعل يطوف فى ازقتها ويقول

بنى هاشم لا تطمع الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة او عدى
فما الامر الا فيكم واليكم * وليس لها الا أبو حسن على

فقال عمر لابى بكر ان هذا قد قدم وهو فاعل شرا • وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفه على

الاسلام فدع له ما بيده من الصدقة ففعل فرضي أبو سفيان و بايعه

— سقيفة بن ساعدة — أحمد بن الحرث عن أبي الحسن عن أبي معشر عن المقبري ان المهاجرين بينما هم في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قبضه الله اليه اذ جاء معن بن عدي وعويم بن ساعدة . فقالا لابي بكر باب فتنة ان يغلقه الله بك هذا سعد بن عبادة والانصار يريدون ان يبايعوه فمضى ابو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى جاؤا سقيفة بني ساعدة وسعد على طنفسة متكئا على وسادة وبه الحمى . فقال له أبو بكر ماذا ترى اباثابت قال أنا رجل منكم فقال حباب ابن المنذر منا أمير ومنكم أمير فان عمل المهاجري في الانصاري شيا رد عليه وان عمل الانصاري في المهاجري شيا رد عليه وان لم تفعلوا فانا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب لنعيدنها جذعة . قال عمر فاردت ان أتكلم وكنت زورت كلاما في نفسي . فقال أبو بكر على رسلك ياعمر فما ترك كلمة كنت زورتها في نفسي الا تكلم بها . وقال نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأكرمهم احسابا واوسطهم دارا واحسنهم وجوها وأمسهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحما وأنتم اخواننا في الاسلام وشركاؤنا في الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الامراء وأنتم الوزراء لاتدين العرب الالهذا الحي من قريش فلاتنفسوا على اخوانكم المهاجرين مافضلهم الله به . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب واباعبيدة بن الجراح . فقال عمر يكون هذا وانت حي ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك لذى اقامك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ضرب على يده فبايعه وبايعه الناس وازدحموا على أبي بكر . فقالت الانصار قتلتم سعدا . فقال عمر اقتلوه قتله الله فانه صاحب فتنة فبايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعلي التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال علي ماهذا قال العباس ماريء مثل هذا قط ماقلت لك . ومن حديث النعمان بن بشير الانصاري : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم الناس من يقوم بالامر بعده . فقال قوم أبو بكر وقال قوم أبي بن كعب قال النعمان بن بشير فاتيت أبيا قلت ياأبي ان الناس قد ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر واياك فانطلق حتى تنظر في هذا الامر . فقال ان عندي في هذا الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شياما أنا بذاكره حتى يقبضه الله اليه . ثم انطلق وخرجت معه حتى دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصبح

وهو يحسو حسوا فى قصعة مشعوبة . فلما فرغ أقبل على أبى فقال هذا ما قلت لك قال. قوص بنا نخرج يخط برجليه حتى صار على المنبر . ثم قال يامعشر المهاجرين انكم اصبحتم تزيدون واصبحت الانصار كما هى لا تزيد ألا وان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى من أمرهم شيئاً فليقبل من محسنهم ويعف عن مسيئهم ثم دخل فلما توفى قيل لى هاتيك الانصار مع سعد بن عبادة يقولون نحن أولى بالامر والمهاجرون يقولون لنا الامر دونكم فاتيت أبيا فقرعت بابه فخرج الى ملتحفا . فقلت ألا أراك قاعدا ببيتك مغلقا عليك بابك وهؤلاء قومك فى بنى ساعدة ينازعون المهاجرين فاخرج الى قومك فخرج . فقال انكم والله ما أنتم من هذا الامر فى شىء وانه لهم دونكم يليها من المهاجرين رجلان ثم يقتل الثالث وينزع الامر فيكون ههنا وأشار الى الشام وان هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغلق بابه ودخل . ومن حديث حذيفة : قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى وأشار الى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه ﴿الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر﴾ على والعباس والزبير وسعد بن عبادة فاما على والعباس والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة حتى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة . وقال له ان أبوا فقاتلهم فاقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة . فقالت يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الامة فخرج على حتى دخل على أبى بكر فبايعه . فقال له أبو بكر أكرهت امارتى فقال لا ولكننى آليت ان لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن فعليه حبست نفسى . ومن حديث الزهرى : عن عروة عن عائشة قالت لم يبايع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم فارسل على الى أبى بكر فاتاه فى منزله فبايعه . وقال والله ما نفسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير ولكنا كنا نرى ان لنا فى هذا الامر شيئاً فاستبديت به دوننا وما ننكر فضلك . واما سعد بن عبادة فانه رحل الى الشام . أبو محمد : عن الكلبى قال بعث عمر رجلا الى الشام فقال ادعه الى البيعة واحمل له بكل ماقدرت عليه فان أبى فاستعن الله عليه . فقدم الرجل الشام فلقيه بحوران فى حائط فدعاه الى البيعة فقال لا أبايع قرشيا أبدا قال فانى أقاتلك قال وان قاتلتنى قال أفخارج أنت مما دخلت فيه الامة قال اما من البيعة فانا خارج فرماه بسهم فقتله . ميمون بن مهران : عن ابيه قال رمى سعد بن

عبادة في حمام بالشام فقتل . سعيد بن أبي عروة : عن ابن سيرين قال رمى سعد بن عبادة بسهم فوجد دفينا في جسده فمات فبكته الجن فقالت :

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عباده

رميناه بسهم * فلم يخط فؤاده

﴿ فضائل أبي بكر رضي الله عنه ﴾ محمد بن المنكدر قال نازع عمر أبا بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركوني وصاحبي ان الله بعثني بالهدى ودين الحق الى الناس كافة فقالوا جميعا كذبت وقال أبو بكر صدقت وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليسه في الغار وأول من صلى معه وآمن به واتبعه . وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يريد بلالا وكان بلال عبدا لامية بن خلف فاشتراه أبو بكر وأعتقه وكان من مولدي مكة أبوه رباح وأمه حمامة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم من أول من قام معك في هذا الامر قال حر وعبد يريد بالحر أبا بكر وبالعبد بلالا وقال بعضهم علي وخباب . أبو الحسن المدايني قال : دخل هرون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى مالك بن أنس فقيه المدينة فاتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة . قال يا مالك صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا . فقال مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره فقال شفيتني يا مالك . أبو سلمة : عن الشعبي ان عليا سئل عن أبي بكر وعمر فقال على الخبير سقطت كانا والله امامين صالحين مصلحين خرجا من الدنيا خميصين . وقال علي بن أبي طالب : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثنى أبو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا فتنة عمياء كما شاء الله . وقالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بابي لهدها اشرأب النفاق وارتدت العرب فوالله ما طار وافي نقطة الا طار أبي لحظها وعنائها في الاسلام . عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة أنه بلغها أن اناسا يتناولون من أبيها فارسلت اليهم . فلما حضروا قالت ان أبي والله لا تعطوه الى الابد طود منيف وظل ممدود ونجح اذ كذبتم وسبق اذ ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامد فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا يفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعبها فما برحت شكيمته في ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيي فيه ما أمات المبطلون . وكان وقيذ الجوانح غزير الدمعة شجي النشيج وتصفقت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزؤن به والله

يستهزىء بهم و يمدهم فى طغيانهم يعمهون وأ كثرت ذلك رجالات قريش فما فلوا له صفاة ولا قصموا قناة حتى ضرب الحق بجرانه والقى بركه و رست أوتاده . فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وأجلب بخيله و رجله . فقام الصديق حاسرا مشمرا فرد الاسلام على غربه واقام أود ثقافه فانذعر النفاق بوطنه وانتاش الناس بعدله حتى أزاح الحق على أهله وحقن الدماء فى أهبها . ثم أتته منيته فسد ثلمته نظيره فى المرحمة وشقيقه فى المعدلة ذلك ابن الخطاب لله در أم حفلت له ودرت عليه ففتح الفتوح وشرد الشرك و بعج الارض فقاءت أ كلها ولفظت جناها ترأمه و يأباها وتريده و يصرف عنها . ثم تركها كما صحبها فار ونى ماذا ترون وأى يومى ابى تنقمون أيوم اقامته اذ عدل فيكم أم يوم طلعته اذ نظر لكم أقول هذا واستغفر الله لى ولكم ﴿ وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ الليث بن سعد عن الزهرى قال أهدى لابى بكر طعام وعنده الحرث بن كلدة فا كلا منه . فقال الحرث أ كلنا سم سنة وانى واياك لميتان عند رأس الحول فماتا جميعا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وانما سمته يهود كما سمت النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فى ذراع الشاة . فلما حضرت النبى صلى الله عليه وسلم الوفاة قال مازالت أ كلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى وهذا امثل ما قال الله تعالى «ثم لقطعنا منه الوتين» والابهرى والوتين عرقان فى الصلب اذا انقطع أحدهما مات صاحبه . الزهرى : عن عروة عن عائشة قالت اغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لايخرج الى صلاة وكان يامر عمر يصلى بالناس وتوفى ليلة الثلثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وغسلته امرأته أسماء بنت عميس وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر والمنبر وكبر أربعا . الزهرى : عن سعيد بن المسيب قال لما توفى أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح فبلغ ذلك عمر فنهاهن فابين . فقال لهشام بن الوليد اخرج الى بنت أبى قحافة فأخرج اليه أم فروة فعلاها بالدرة ضربا فتفرق النوائح وقالت عائشة وأبوها يغمض رضى الله عنه :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

قالت عائشة فنظر الى وقال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغمى عليه فقالت :

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر الى كالغضبان وقال قولى «وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد» ثم قال انظروا ملاءتى خلق فاغسلوهما وكفنونى فيهما فان الحى أحوج الى الجديد من الميت . عروة بن الزبير

والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى حفر له وجعل رأسه بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند حقوى أبى بكر وبقى فى البيت موضع قبر . فلما حضرت الوفاة الحسن بن على أوصى بان يدفن مع جده فى ذلك الموضع فلما أراد بنو هاشم ان يحفروا له منعهم مروان وهو والى المدينة فى أيام معاوية . فقال أبو هريرة علام تمنعه ان يدفن مع جده فاشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة قال له مروان لقد ضيع الله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يروه غيرك قال أنا والله لقد قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من احب ومن ابغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه قال وسطح قبر أبى بكر كما سطح قبر النبى صلى الله عليه وسلم ورش بالماء . هشام بن عروة عن أبيه : ان أبا بكر صلى عليه ليلا ودفن ليلا ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ولها مات النبى صلى الله عليه وسلم وعاش أبو قحافة بعد أبى بكر أشهرا وأياما ووهب نصيبه فى ميراثه لولد أبى بكر . وكان نقش خاتم أبى بكر نعم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سجى بثوب فارتجت المدينة من البكاء ودهش القوم كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غنى واحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الاسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله فى كتابه صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به يريد محمدا ويريدك كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكيا لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى دينك متواضعا فى نفسك عظيما عند الله جليلا فى الارض كبيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوى فالضعيف عندك قوى والقوى عندك ضعيف حتى تاخذ الحق من القوى وتاخذه للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك . القاسم بن محمد : عن عائشة أم المؤمنين انها دخلت على أبيها فى مرضه الذى توفى فيه فقالت يا أبت اعهد الى خاصتك وانفذ رأيك فى عامتك وانقل من دار جهازك الى دار مقامك انك محضور ومتصل بى لوعتك وأرى

تخاذل أطرافك وانتقاع لونك فالى الله تعزيتي عليك ولديه ثواب حزني عليك ارقو فلا ارقى واشكو فلا اشكى . قال فرفع رأسه وقال ياأمه هذا يوم يخلى لى عن غطائى وأشاهد جزائى ان فرحا فدائم وان ترحا فقيم انى أطعت امانة هؤلاء القوم حين كان النكوس اضاعة والخذل تفريطا فشهيدى الله ما كان يقيلنى اياه فتعلقت بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم فاقمت صلاتى معهم لا مختالا أشرا ولا مكاثرا بطرا لم أعد سد الجوعة وورى العورة وقرابة القوم من طوى عفص تهفو منه الاحشاء وتجف له الامعاء فاضطررت الى ذلك اضطرار المريض الى المعيف الآجن فاذا أنامت فردى اليهم صفحتهم وعبدهم ولقحتهم ورحاهم ووثارة مافوقى اتقيت بها البرد ووثارة ماتحتى اتقيت بها أذى الارض كان حشوها قطع السعف . قال ودخل عليه عمر فقال ياخليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعبا وليتهم نصبا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك

٤ — استخلاف أبى بكر لعمر — عبدالله بن محمد التيمى عن محمد بن عبد العزيز ان أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الانصار ليقرأه على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا هذا عهد أبى بكر فان تقروا به نقرؤه وان تنكروه نرجعه فقال بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد أبى بكر بن أبى قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويتقى الفاجر ويصدق الكاذب انى أمرت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل واتقى فذاك ظنى به ورجائى فيه وان بدّل وغير فالخير اردت ولا يعلم الغيب الا الله . قال أبو صالح : أخبرنا محمد بن وضاح قال حدثنى محمد بن زمج بن مهاجر التجيبى قال حدثنى الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه انه دخل على أبى بكر رضى الله عنه فى مرضه الذى توفى فيه فاصابه مفيقا . فقال أصبحت بحمد الله بارئا قال أبو بكر أبرأه الله . قال نعم قال اما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعى انى وليت أمركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم من ذلك انفه يريد ان يكون له الامر ورأيتم الدنيا مقبلة . ولما تقبل وهى مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الازدى كما يألم أحدكم الاضطجاع على شوك السعدان والله لان يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من ان يخوض فى غمرة الدنيا الا وانكم اول ضال بالناس غدا فتصدوهم عن الطريق يمينا وشمالا

ياهادى الطريق انما هو الفجر أو النحر قال فقلت له خفض عليك يرحمك الله فان هـذا يهيضك على ما بك انما الناس فى امرك بين رجلين اما رجل رأى ما رأيت فهو معك واما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت الا الخير ولم تزل صالحا مصلحا مع انك لا تأسى على شىء من الدنيـا . فقال أجـل انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت انى تركتهن وثلاث تركتهن و وددت انى فعلتهن وثلاث وددت انى سالت رسول الله صلى الله عليه وسـلم عنهن . فاما الثـلاث التى فعلتهن و وددت انى تركتهن فوددت انى لم أكشف بيت فاطمة عن شىء وان كانوا أغلقوه على الحرب و وددت انى لم أكن حرقت النجام السلمى وانى قتلته شديخا أو خليته نجيحا و وددت انى يوم سـقيفة بنى ساعدة قدمت الامر فى عنق احـد الرجلين فكان أحدهما أميرا وكنت له وزيرا يعـنى بالرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيـدة بن الجـراح . وأما الثـلاث التى تركتهن و وددت انى فعلتهن فوددت انى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه يخيل الى انه لا يرى شرا الا أعان عليه و وددت انى يوم سيرت خالد بن الوليد الى اهل الردة اقمت بذى القصة فان ظفر المسلمون ظفروا وان انهزموا كنت بصـدر لقاء أو مددو وددت انى وجهت خالد بن الوليـد الى الشام ووجهت عمر بن الخطاب الى العراق فاكون قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله . وأما الثلاث التى وددت انى أسال رسول الله صلى الله عليه وسـلم عنهن فانى وددت انى سألته لمن هذا الامر من بعـده فلا ينازعه احدوانى سألته هل للانصار فى هذا الامر نصيب فلا يظلموا نصيبهم منه و وددت انى سالته عن بنت الاخ والعمة فان فى نفسى منهما شيئاً

٥ — نسب عمر بن الخطاب وصفته — أبو الحسن على بن محمد قال هو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك . وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبـد الله بن عمرو بن مخزوم وهاشم هو ذو الرمحين . قال أبو الحسن : كان عمر رجلا آدم مشربا بحمرة طويلا اصلع له حفافان حسن الخدين والانف والعينين غليظ القدمين والكفين مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس اعسر ايسر اذا مشى كانه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سـنة ثلاث عشرة من التاريخ وطعن لثلاث بقين من ذى الحجة سـنة ثلاث وعشرين من التاريخ

فعاش ثلاثة أيام و يقال سبعة ايام . معدان بن أبي صفحة قال : قتل عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة في رواية الشعبي ولهامات أبو بكر ولهامات النبي صلى الله عليه وسلم . فضائل عمر بن الخطاب : أبو الاشهب عن الحسن قال عاتب عيينة عثمان فقال له كان عمر خيرا لنا منك اعطانا فاغنانا وأخشانا فاتقانا . وقيل لعثمان مالك لا تكون مثل عمر قال لا استطيع ان أكون مثل لقمان الحكيم . القاسم بن عمر قال كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة . وقيل ان عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة فزوجوها المغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا زوجتم عمر فانه خير قريش أولها آخرها الا ما جعل الله لرسوله . الحسن بن دينار : عن الحسن قال ما فضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اطولهم صلاة وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم في الدنيا وأشدهم في أمر الله . وتظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى انه ضربه وتعدى عليه فقال اللهم اني لا أحل لهم اشعارهم ولا أبشارهم كل من ظلمه أميره فلا أمير عليه دوني ثم اقاده منه . عوانة عن الشعبي قال كان عمر يطوف في الاسواق و يقرأ القرآن و يقضي بين الناس حيث ادركه الخصوم . وقال المغيرة بن شعبة : وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه ان يخدع وعقل يمنعه ان ينخدع فقال عمر لست بخب ولا الخب يخدعني . عكرمة عن ابن عباس : قال بينما أنا أمشي مع عمر بن الخطاب في خلافته وهو عامد لحاجة له وفي يده الدرة فانا أمشي خلفه وهو يحدث نفسه و يضرب وحشي قدميه بدرته اذا التفت الي . فقال يا ابن عباس أتدري ما حملني على مقالتي التي قلت يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا . قال الذي حملني على ذلك اني كنت أقرأ هذه الآية « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا » فوالله اني كنت لاظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد علينا باخنف أعمالنا فهو الذي دعاني الى ما قلت . ابن داب قال : قال ابن عباس خرجت أريد عمر في خلافته فالفيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل أسود وفي رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قصير قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت اجبذ الازار عليه فجعل يضحك و يقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فدعوه اليه وكان عمر صائما فجعل ينبذ الى الطعام و يقول كل لي ولك . ومن حديث ابن وهب : عن الليث ان أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيا ولا يجرى عليه من الفيء درهما الا انه استلف منه مالا . فلما

حضرته الوفاة أمر عائشة برده . واما عمر بن الخطاب كان يجرى على نفسه درهمين كل يوم فلما ولى عمر بن عبد العزيز قيل له لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب . قال كان عمر لا مال له وأنا مالى يغنينى فلم يأخذ منه شيا . أبو حاتم : عن الاصمعى قال قال عمر وقام على الردم أين حقك يا أبا سفيان مما هنا . قال ما تحت قدميك الى قال طالما كنت قديم الظلم ليس لاحد فيما وراء قدمى حق انما هى منازل الحاج . قال الاصمعى وكان رجل من قريش قد تقدم صدر من داره عن قدمى عمر فهدمه واراد ان يغور البئر فقيل له فى البئر للناس منفعة فتركها . قال الاصمعى اذا ودع الحاج ثم بات خلف قدمى عمر لم أر عليه أن يرجع يقول قد خرج من مكة ﴿مقتل عمر﴾ أبو الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصرانى يقال له فيروز أبو لؤلؤة وكان نجار الطيفا وكان خراجه ثقيلا فشكا الى عمر ثقل الخراج وساله أن يكلم مولاه ان يخفف عنه من خراجه . فقال له وكم خراجك قال ثلاثة دراهم فى كل شهر . قال وما صناعتك قال نجار . قال ما أرى هذا ثقيلا فى مثل صناعتك فخرج مغضبا فاستعمل خنجرا محدود الطرفين وكان عمر قد رأى فى المنام ديكا احمر ينقره ثلاث نقرات فتاوله رجلا من العجم يطعنه ثلاث طعنات فطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ذلك فى صلاة الصبح ثلاث طعنات احداها بين سرته وعانته فخرقت الصفاق وهى التى قتلته وطعن فى المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة . فاقبل رجل من بنى تميم يقال له حطان فالقى كساء عليه ثم احتضنه . فلما علم العلج انه مأخوذ طعن نفسه وقدم عمر صهيبا يصلى بالناس فقرأ بهم فى صلاة الصبح . قل هو الله أحد فى الركعة الاولى وقل يا أيها الكافرون فى الركعة الثانية واحتمل عمر الى بيته . فعاش ثلاثة أيام ثم مات وقد كان استاذن عائشة ان ندفن فى بيتها مع صاحبيه فاجابته وقالت والله لقد كنت أردت ذلك المضطجع لنفسى ولاوثرنه اليوم على نفسى . فكانت ولاية عمر عشر سنين صلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ودفن عند غروب الشمس . كاتبه زيد بن ثابت وكتب له معيقيب أيضا . وحاجبه يرفا مولاه وخازنه يسار وعلى بيت ماله عبد الله بن ارقم . وقال الليث بن سعد كان عمر أول من جند الاجناد ودون الدواوين . وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين وأوصى ان يحضر عبد الله بن عمر معهم وليس له من أمر الشورى شىء

٦ ــ أمر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان ــ صالح بن كيسان قال قال ابن عباس دخلت على عمر فى أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل ليس عليك باس قال لئن لم يكن على اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت أحب ان أنجى نفسى وأنجومنكم وما كنت من أمركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها فهو يركض بيديه ورجليه واشد من الغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هى ما لبستها فاخلقتها وثمرتكم يانعة فى اكمامها ما اكلتها وما جنيت ما جنيت الا لكم وما تركت ورائى درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت ياأمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك قال المغرور والله من غررتموه اما والله لوان لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع . داود بن أبى هند : عن قتادة قال لما ثقل عمر قال لولده عبد الله ضع خدى على الارض فكره ان يفعل ذلك فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولام عمر ان لم يعف الله عنه . أبو أمية ابن يعلى عن نافع قال قيل لعبد الله بن عمر تغسل الشهداء قال كان عمر افضل الشهداء فغسل وكفن وصلى عليه يونس بن الحسن: وهشام بن عروة عن أبيه قال: لما طعن عمر بن الخطاب قيل له ياأمير المؤمنين لواستخلفت . قال ان تركتكم فقد ترككم من هو خير منى وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير منى . ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سالنى ربى قلت سمعت نبيك يقول انه أمين هذه الامة . ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته فان سالنى ربى قلت سمعت نبيك يقول ان سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه قيل له فلو انك عهدت الى عبد الله فانه له أهل فى دينه وفضله وقديم اسلامه قال بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت أنى نجوت من هذا الامر كفافا لا لى ولا على ثم راحوا فقالوا ياامير المؤمنين لوعهدت فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أولى رجلا امركم ارجو أن يحملكم على الحق وأشار الى على . ثم رايت أن لا أتحملها حيا ولا ميتا فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

ولست مدخله فيهم ولكن الستة علي وعثمان ابنا عبد مناف وسعد وعبد الرحمن ابن عوف خال رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فاحسنوا موازرته • فقال العباس لعلي لا تدخل معهم قال أكره الخلاف قال اذا ترى ما تكره فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا والزبير وعبد الرحمن ثم قال اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم واني لا أخاف الناس عليكم ولكني أخافكم على الناس وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض فاجتمعوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلا وليصل بالناس صهيب ثلاثة أيام ولا يأتي اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ويحضركم عبد الله مشيرا ولا شيء له من الامر وطلحة شريككم في الامر فان قدم في الثلاثة أيام فاحضروه أمركم وان مضت الثلاثة أيام قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لي بطلحة فقال سعد انا لك به ان شاء الله ثم قال لابي طلحة الانصاري يا أبا طلحة ان الله قد أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود الكندي اذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم • وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن وطلحة ان حضر وأحضر عبد الله بن عمر وليس له في الامر شيء وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة على رأي واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة فرضوا وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما فان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا فقال علي لقوم معه من بني هاشم ان أطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبدا وتلقاه العباس • فقال له عدلت عنا قال له وما أعلمك قال قرن بي عثمان • ثم قال ان رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فلو كان الآخران معي ما نفعاني فقال العباس لم أدفعك في شيء الا رجعت الى متأخرا بما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الامر فابيت وأشرت عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعاجل الامر فابيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فابيت فاحفظ عني واحدة كلما عرض عليك القوم فامسك الى ان يولوك واحذر هذا الرهط فانهم لا يبرحون

يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا فيه غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى علي وعثمان أيهما يصلي عليه . فقال عبد الرحمن كلا كلاهما يحب الامر لستما من هذا في شيء هذا صهيب استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام فصلى عليه صهيب . فلما دفن عمر جمع المقداد بن الاسود أهل الشورى في بيت عائشة باذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا فروة فحجبهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحضهما سعد وأقامهما . وقال تريدان تقولا حضرنا وكنا في الشورى فتنافس القوم في الامر وكثر بينهما الكلام كل يرى انه أحق بالامر . فقال أبو طلحة لا تتدافعوا فاني أخاف ان تناقضوها لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمر بها عمر أو أجلس في بيتي . فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد . قال فانا أنخلع منها قال عثمان أنا أول من رضي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عبد الرحمن أمين في السماء أمين في الارض فقال القوم رضينا وعلي ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال ان أعطيتني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا . قال اعطوني مواثيقكم على ان تكونوا معي على من نكل وان ترضوا بما أخذت لكم فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها الى عبد الرحمن فخلا بعلي فقال انك أحق بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك ولم تبعد فمن أحق بها بعدك من هؤلاء . قال عثمان ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال علي ثم خلا بسعد فقال علي ثم خلا بالزبير فقال عثمان فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن ان أردت ان لا يختلف عليك اثنان فول عليا . وقال ابن أبي سرح ان أردت ان لا يختلف عليك قرشي فول عثمان . وقال عبد الرحمن والله ما خلعت نفسي وأنا أرى فيه خيرا لاني علمت انه لا يلي بعد أبي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره . فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الاحداث من أهل بيته وتقديم قرابته قيل لعبد الرحمن هذا كله فعلك قال لم أظن هذا به ولكن لله علي ان لا أكلمه أبدا فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ودخل عليه عثمان عائدا فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ذكروا ان زيادا أوفد ابن حصين على معاوية فاقام عنده ما أقام ثم ان معاوية بعث اليه ليلا فخلا به . فقال له يا ابن حصين قد بلغني ان عندك ذهنا وعقلا فاخبرني عن شيء أسألك عنه . قال سلني عما بدا لك قال اخبرني ما الذي شتت أمر المسلمين وملأهم وخالف بينهم قال نعم قتل الناس عثمان قال ما صنعت شيأ قال فمسير علي اليك وقتاله اياك . قال ما صنعت شيأ قال فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال

على اياهم قال ماصنعت شيئاً قال ماعندى غيرهذا يا أمــير المؤمنين . قال فانا أخبرك انه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعمل بما أمره الله به ثم قبضه الله اليه وقدم أبا بكر للصلاة فرضوه لامر دنياهم اذ رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر دينهم فعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيره حتى قبضه الله واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ثم جعلها شورى بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم الا رجاها لنفســه و رجاها له قومه و تطلعت الى ذلك نفسه ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختــلاف . وقال المغيرة بن شعبة : انى لعند عمر بن الخطاب ليس عنده أحد غيرى اذ اتاه آت فقال هــل لك يا أمير المؤمنين فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون ان الذى فعل أبو بكر فى نفسه وفيك لم يكن له وانه كان بغير مشورة ولا مؤامرة . وقالوا تعالوا نتعاهد ان لا نعود الى مثلها قال عمر واين هم قال فى دار طلحة فخرج نحوهم وخرجت معه وما أعلمه يبصرنى من شــدة الغضب . فلما رأوه كرهوه وظنوا الذى جاء له فوقف عليهــم . وقال أنتم القائلون ماقلتم والله لا تتحابوا حــتى يتحاب الاربعة الانسان والشــيطان يغويه وهو يلعنه والنار والماء يطفئها وهى تحرقه ولم يأن لكم بعد وقد آن ميعادكم ميعاد المسيح متى هو خارج قال فتفرقوا فسلك كل واحد منهم طريقا قال المغيرة قال لى ادرك ابن أبى طالب فاحبســه على . فقلت لا يفــعل أمير المؤمنين فوالله ماغددت أبغضهم فقال ادركه والا قلت لك يا ابن الدباغة قال فادركته فقلت له قف مكانك لامامك واحلم فانه سلطان وسيندم وتندم . قال فاقبل عمر فقال والله ماخرج هذا الامر الامن تحت يدك . قال على اتق ان لا تــكون الذى نطيعك فنفتنك . قال وتحب ان تــكون هو قال لا ولــكننا نذكرك الذى نسيت فالتفت الىّ عمر فقال انصرف فقد سمعت مناعنــد الغضب ما كفاك فتنحيت قريبا وما وقفت الا خشية ان يكون بينهــما شيء فأكون قريبا فتكلما كلاما غير غضبانين ولا راضيين . ثم رأيتهما يضحكان وتفرقا وجاءنى عمر فمشيت معــه وقلت يغفر الله لك أغضبت قال فاشار الى على وقال أما والله لولا دعابة فيه ماشــككت فى ولايته وان نزلت على رغم أنف قريش العتبى عن أبيــه : ان عتبــة بن أبى سفيان قال كنت مع معاوية فى دار كندة اذ أقبــل الحسن والحسين ومحمــد بنو على بن أبى طالب . فقلت يا أمــير المؤمنين ان لهؤلاء القوم اشعارا وابشارا وليس مثلهم كذب وهم يزعمون ان أباهم كان يعلم فقال اليك من صوتك فقــد قرب القوم فاذا اقاموا

فذكرنى بالحديث . فلما قاموا قلت يا أمير المؤمنين ما سألتك عنه من الحديث قال كل القوم كان يعلم وكان أبوهم من أعلمهم ثم قال قدمت على عمر بن الخطاب فانى عنده اذ جاءه على وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاستأذنوا فاذن لهم فدخلوا وهم يتدافعون و يضحكون فلما رآهم عمر نكس فعلموا انه على حاجة فقاموا كما دخلوا فلما قاموا أتبعهم بصره فقال فتية أعوذ بالله من شرهم وقد كفانى الله شرهم قال ولم يكن عمر بالوجل يسأل عما لا يفسر . فلما خرجت جعلت طريقى على عثمان فحدثته الحديث وسألته الستر . قال نعم على شريطة قلت هى لك قال تسمع ما أخبرك به وتسكت اذا سكت قال نعم قال ستة يقدح بينهم زناد الفتنة يجرى الدم منهم على أربعة قال ثم سكت وخرجت الى الشام . فلما قدمت على عمر فحدث من أمره ما حدث فلما مضت الشورى ذكرت الحديث فاتيت بيت عثمان وهو جالس و بيده قضيب فقلت يا أبا عبد الله تذكر الحديث الذى حدثتنى قال فازم على القضيب عضا ثم أقلع عنه وقد أثر فيه فقال و يحك معاوية أى شىء ذكرتنى لولا ان يقول الناس خاف ان يؤخذ عليه لخرجت الى الناس منها قال فابى قضاء الله الا ما ترى . أبو الحسن قال : لما خاف على بن أبى طالب عبد الرحمن بن عوف والزبير وسعدا ان يكونوا مع عثمان لقى سعدا ومعه الحسن والحسين . فقال له «اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» أسالك برحم ابنى هذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم و برحم عمى حمزة منك ان لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على لعثمان فانى أدلى بما لا يدلى به عثمان ثم دار عبد الرحمن لياليه تلك على مشايخ قريش يشاورهم فكلهم يشير بعثمان حتى اذا كان فى الليلة التى استكمل فى صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعد هجعة من الليل فايقظه . فقال ألا أراك نائما ولم أذق فى هذه الليالى نوما انطلق فادع لى الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فى مؤخر المسجد . فقال خل بنى عبد مناف لهذا الامر فقال نصيبى لعلى . فقال لسعد انا وانت كالالة فاجعل نصيبك لى فاختار قال اما ان اخترت نفسك فنعم واما ان اخترت عثمان فعلى احب الى منه . قال يا أبا اسحق انى قد خلعت نفسى منها على ان اختار ولو لم افعل وجعل الى الخيار ما اردتها انى رأيت كانى فى روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل لم ار مثله فحلا اكرم منه فركانه سهم لا يلتفت الى شىء مما فى الروضة حتى قطعها ودخل بعير تناوه فاتبع اثره حتى خرج اليه من الروضة . ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه يلتفت يمينا وشمالا و يمضى قصد الاولين ثم خرج من الروضة . ثم دخل بعير رابع فرتع

فى الروضة ولا والله لا اكون البعير الرابع ولا يقوم بعد ابى بكر وعمر احد فيرضى الناس عنه . ثم ارسل المسور الى على فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم ارسل المسور الى عثمان فناجاه طويلا حتى فرق بينهما اذان الصبح . فلما صلوا الصبح جمع اليه الرهط و بعث الى من حضره من المهاجرين والانصار والى امراء الاجناد حتى ارتج المسجد باهله . فقال ايها الناس ان الناس قد احبوا أن تلحق اهل الامصار بامصارهم وقد علموا من اميرهم . فقال عمار ابن ياسر ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا واطعنا . قال ابن ابى سرح ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان ان بايعت عثمان سمعنا واطعنا فشتم عمار ابن ابى سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنوهاشم و بنوامية . فقال عمار ايها الناس ان الله أكرمنا بنبينا وأعزنا بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن بيت نبيكم فقال له رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك ياابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها . فقال سعد بن أبى وقاص افزع قبل أن يفتتن الناس فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . قال اعمل بمبلغ علمى وطاقتى ثم دعا عثمان . فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال نعم فبايعه فقال على حبوته محاباة ليس ذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا أما والله ماوليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو فى شأن فقال عبد الرحمن ياعلى لا تجعل على نفسك سبيلا فانى قد نظرت وشاورت الناس فاذاهم لا يعدلون بعثمان أحدا فخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله . قال المقداد اما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق و به يعدلون . فقال يامقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال لئن كنت أردت بذلك الله فاثابك الله ثواب المحسنين . ثم قال المقداد ما رأيت مثل ما أوتى أهل هذا البيت بعد نبيهم ولا أقضى منهم بالعدل ولا اعرف بالحق أما والله لو أجد أعوانا . قال له عبد الرحمن يامقداد اتق الله فانى أخشى عليك الفتنة . قال وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أ كل قريش رضوا به قالوا نعم وأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك . قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أ كل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه و بايعه . وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن ياأبامحمد قد أصبت

اذبايعت عثمان ولو بايعت غيره مارضيناه . قال كذبت ياأعور لو بايعت غيره لبايعته وقلت هذه المقالة . وقال عبدالله بن عباس : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لى ياابن عباس ما يمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة قلت لا أدرى . قال لكننى أدرى انكم فضلتموهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيأ وان أفضل النصيبين بأيديكم بل ما أخالها الا مجتمعة لكم وان نزلت على رغم أنف قريش . فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الاحداث من أهل بيته على الجلة من أصحاب محمد قيل لعبد الرحمن هذا عملك قال ماظننت هذا ثم مضى ودخل عليه وعاتبه وقال انما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال ان عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله . قال عبد الرحمن لله على ان لا اكلمك أبدا فلم يكلمه أبدا حتى مات ودخل له عثمان عائدا له فى مرضه فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ومما نقم الناس على عثمان انه آوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبى العاص ولم يؤوه ابو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف وسير أباذر الى الربذة وسير عامر بن عبد قيس من البصرة الى الشام وطلب منه عبيد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف وتصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهزون موضع سوق المدينة على المسلمين فاقطعها الحرث بن الحكم أخا مروان واقطع فدك مروان وهى صدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافتتح افريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان . فقال عبد الرحمن بن جعل الجمحى:

فاحلف بالله رب الانا * م ماترك الله شيا سدى

ولكن خلقت لنا فتنة * لكى نبتلى بك أو تبتلى

فان الامينين قد بينا * منار الحق عليه الهدى

فما أخذا درهما غيلة * وماتركا درهما فى هوى

وأعطيت مروان خمس العبا * د هيهات شأوك ممن تشا

٧ — نسب عثمان وصفته — هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف . أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء ابنة عبد المطلب بن هاشم عمة النبى صلى الله عليه وسلم وكان عثمان أبيض مشربا بصفرة كانها فضة وذهب حسن القامة حسن الساعدين سبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس اذا اعتم

مشرف الانف عظيم الارنبة كثير شعر الساقين والذراعين ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين . ولما أسن شد اسنانه بالذهب وسلس بوله فكان يتوضأ لكل صلاة ولى الخلافة منسلخ ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين . وفى ذلك يقول حسان :

ضحوا باشمط عنون السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا

فكانت ولايته اثنتى عشرة سنة وستة عشر يوما وهو ابن أربع وثمانين سنة . وكان على شرطته وهو أول من اتخذ صاحب شرطة عبيد الله بن قنفذ وعلى بيت المال عبيد الله بن ارقم ثم استعفاه وكاتبه مروان وحاجبه حمران مولاه ﴿ فضائل عثمان ﴾ سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر قال اصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى عثمان طعاما على مايصلح العسكر وجهز به عيرا فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى سواد مقبل فقال هذا جمل اشقر قد جاءكم بعيرة فانيخت الركائب فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه وكان عثمان حليما سخيا محببا الى قريش حتى كان يقال أحبك والرحمن حب قريش لعثمان و زوجه النبى صلى الله عليه وسلم رقية ابنته فماتت عنده فزوجه أم كلثوم ابنته أيضا . الزهرى : عن سعيد بن المسيب قال لما ماتت رقية جزع عثمان عليها وقال يارسول الله انقطع صهرى منك قال ان صهرك منى لا ينقطع وقد أمرنى جبريل ان أزوجك أختها بامر الله . عبد الله بن عباس قال : سمعت عثمان ابن عفان يقول دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت فرآنى ضجاعا لام كلثوم فاستغفر فقلت والذى بعثك بالحق ما أضجعت على أنثى بعدها . فقال ليس لهذا استغفرت فان الثياب للحى وللميت الحجر ولو كن ياعثمان عشرا لزوجتكهن واحدة بعد واحدة وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فابى منها فشكاه عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان ويزوج عثمان خيرا من ابنتك فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وزوج ابنته من عثمان بن عفان . ودخل عليه عثمان فسوى ثوبه عليه وقال كيف لا أستحى ممن تستحى منه الملائكة ﴿ مقتل عثمان بن عفان ﴾ الرياشى

عن الاصمعي قال : كان القواد الذين ساروا الى المدينة في أمر عثمان أربعة عبد الرحمن بن عديس التنوخي وحكيم بن جبلة العبدي والاشتر النخعي وعبد الله بن فديك الخزاعي . فقدموا المدينة فحاصروه وحاصره معهم قوم من المهاجرين والانصار حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف بين يديه . ثم تقدم وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر وأرادوا ان يقطعوا رأسه ويذهبوا به فرمت نفسه عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة وابنة شيبة بن علية فتركوه وخرجوا فلما كان ليلة السبت انتدب لدفنه رجال منهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير فوضعوه على باب صغير وخرجوا به الى البقيع ومعهم نائلة بنت الفرافصة بيدها السراج فلما بلغوا به البقيع منعهم من دفنه فيه رجال من بني ساعدة فردوه الى حش كوكب فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم ويقال حكيم بن حزام ودخلت القبر نائلة بنت الفرافصة وأم البنين بنت عتبة زوجتاه وهما دلتاه في القبر والحش البستان . وكان حش كوكب اشتراه عثمان فجعله أولاده مقبرة للمسلمين . يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسى الدمشقي عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزهري قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ما كان شان الناس وشانه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا . قلت وكيف ذاك قال ان عثمان لما ولى كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عثمان كان يحب قومه فولى الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجيء من أمرائه ما يكره اصحاب محمد فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم . فلما كان في الحجج الآخرة استأثر بني عمه فخرجوا فولاهم وأمرهم بتقوى الله وولى عبد الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ومن قبل ذلك كانت من عثمان هناة الى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود . وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فابى ابن أبي سرح أن يقبل مانهاه عثمان عنه وضرب رجلا ممن أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل الى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح . فقام طلحة

ابن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت اليه عائشة قد تقدمت اليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فابيت ان تعزله فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم . فقال انما سألوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم وان وجب عليه حق فانصفهم منه . فقال لهم اختاروا رجلا أوله عليكم مكانه فاشار الناس عليهم بمحمد بن أبى بكر . فقالوا استعمل علينا محمد بن أبى بكر فكتب عهده وولاه وأخرج معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبى سرح فخرج محمد ومن معه . فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذاهم بغلام اسود على بعير يخبط الارض خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له اصحاب محمد ماقصتك وماشانك كانك هارب او طالب . فقال أنا غلام امير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر فقالوا هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد واخبر بامره محمد بن أبى بكر فبعث فى طلبه فاتى به . فقال له غلام من انت قال فاقبل مرة يقول غلام امير المؤمنين ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم انه لعثمان . فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يوجد معه شئ الا اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبى سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم . ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيى واحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيك فى ذلك رأيى ان شاء الله . فلما قرؤا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام واقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد فى المدينة الا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضبا لابن مسعود وأبى ذر وعمار بن ياسر غضبا وحنقا وقام أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلهم مامنهم أحد الا وهو مغتم بما قرؤا فى الكتاب وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبى بكر بنى تميم وغيرهم واعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك . وكانت عائشة تقرضه كثيراً . فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير. وقال له على هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم والخاتم خاتمك. قال نعم قال فانت كتبت الكتاب. قال لا وحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام الى مصر قط. وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا فى أمر عثمان وسألوه ان يدفع اليهم مروان فابى. وكان مروان عنده فى الدار فخرج أصحاب محمد من عنده غضابا وشكوا فى أمر عثمان وعلموا انه لا يحلف بباطل الا ان قوما قالوا لا نبرئى عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب وكيف يامر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه وان يك مروان كتبه على لسانه نظرنا فى أمره. ولزموا بيوتهم وأبى عثمان ان يخرج اليهم مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فاشرف عليهم. فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت. ثم قال الا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح من سببها عدة من موالى بنى هاشم و بنى أمية حتى وصل اليه الماء فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله. فقال انما أردنا منه مروان. فاما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه. و بعث الزبير ولده و بعث طلحة ولده على كره منه. و بعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان وسألوه اخراج مروان ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم فى الدار وخضب محمد ابن طلحة وشج قنبر مولى على وخشى محمد بن أبى بكر ان تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فأخذ بيدى رجلين فقال لهما اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان و بطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير ان يعلم أحد. فتسور محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الانصار و يقال من دار محمد ابن حزم الانصارى ومما يدل على ذلك قول الاحوص :

لا ترثين لحزمى ظفرت به * طرا ولو طرح الحزمى فى النار

الناخسين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

فدخلوا عليه وليس معه الا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف فى حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا على البيوت فتقدم اليه محمد وأخذ بلحيته. فقال له عثمان ارسل لحيتى يا ابن أخى

فلو رآك أبوك اساءه مكانك فتراخت يده من لحيته وغمز الرجلين فوجآه بمشاقص معهما حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته . فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا فاكبوا عليه يبكون و بلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا . وقال علي لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وانتما على الباب ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن وشتم محمد بن ابي طلحة ولعن عبد الله بن الزبير ثم خرج علي وهو غضبان يرى ان طلحة أعان عليه . فلقيه طلحة فقال مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال عليك وعليهما لعنة الله يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدري ولم تقم بينة ولا حجة . فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال لو دفع مروان قتل قبل ان تثبت عليه حجة وخرج علي فاتى منزله وجاءه القوم كلهم يهرعون اليه أصحاب محمد وغيرهما يقولون امير المؤمنين علي بن أبي طالب . فقال ليس ذلك الا الا هل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا . فقالوا ما نرى أحدا أولى بها منك فمد يدك نبايعك . فقال أين طلحة والزبير فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده . فلما رأى ذلك علي خرج الى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده وكانت أصبعه شلاء فتطير منها علي وقال ما أخلقه ان ينكث . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعا . ثم نزل ودعا الناس وطلب مروان فهرب منه وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان مظلوما . فقال لها عمار انت بالامس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه وجاء علي الى امرأة عثمان . فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل رجلان لا أعرفهما الا ان أرى وجوههما وكان معهما محمد بن أبي بكر وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر فدعا علي بمحمد فساله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد لم تكذب وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرلي أبي فقمت وأنا تائب والله ما قتلته ولا امسكته . فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه ادخلهما . المعتمر عن أبيه : عن الحسن ان محمد بن أبي بكر أخذ بلحية عثمان . فقال له يا ابن أخي لقد قعدت مني مقعدا ما كان أبوك ليقعده . وفي حديث آخر انه قال يا ابن أخي لو رآك أبوك لساءه مكانك فاسترخت يده . وخرج محمد فدخل عليه رجل والمصحف في حجره . فقال له بيني و بينك كتاب الله فخرج وتركه ثم دخل عليه آخر . فقال بيني و بينك كتاب الله فاهوى اليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول يد خطت المفصل

﴿القواد الذين اقبلوا الى عثمان﴾ الاصمعى عن ابى عوانة قال: كان القواد الذين اقبلوا الى عثمان علقمة بن عثمان وكنانة بن بشر وحكيم بن جبلة والاشتر النخعى وعبد الله بن بديل . وقال أبو الحسن : لما قدم القواد قالوا لعلى قم معنا الى هذا الرجل قال لا والله لا اقوم معكم . قالوا فلم كتبت الينا قال والله ما كتبت اليكم كتابا قط . قال فنظر القوم بعضهم الى بعض وخرج على من المدينة. الاعمش : عن عيينه عن مسروق قال قالت عائشة مصتموه موص الاناء حتى تركتموه كالثوب الرحض نقيا من الدنس ثم عدوتم فقتلتموه . فقال مروان فقلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم بسواد فى بياض حتى جلست فى مجلسى هذا فكانوا يرون انه كتب على لسان على وعلى لسانها كما كتب أيضا على لسان عثمان مع الاسود الى عامل مصر فكان اختلاق هذه الكتب كلها سببا للفتنة . وقال أبو الحسن : اقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدى وأهل الكوفة عليهم الاشتر واسمه مالك بن الحرث النخعى فى أمر عثمان حتى قدموا المدينة . قال أبو الحسن لما قدم وفد أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا كتبت فينا كذا وكذا . قال انما هما اثنتان ان تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذى لا اله الا هو ما كتبت ولا امليت ولا علمت وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا قد أحل الله دمك وحصروه فى الدار فارسل عثمان الى الاشتر . فقال ما يريد الناس منى قال واحدة من ثلاث ليس عنها بد . قال ماهى قال يخيرونك بين ان تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فقلدوه من شئتم واما ان تقتص من نفسك فان ابيت فالقوم قاتلوك . قال اما ان اخلع لهم أمرهم ما كنت لاخلع سربالا سربلنيه الله فتكون سنة من بعدى كلما كره القوم امامهم خلعوه واما ان اقتص من نفسى فوالله لقد علمت ان صاحبى بين يدى قد كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص واما ان تقتلونى فلئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون بعدى جميعا أبدا . قال أبو الحسن فوالله لن يزالوا على النواء جميعا وان قلوبهم مختلفة . وقال أبو الحسن : اشرف عليهم عثمان قال انه لا يحل سفك دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس فهل أنا فى واحدة منهن فما وجد القوم له جوابا ثم قال انشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم فتزلزل الجبل حتى همت احجاره ان تتساقط فقال اسكن حراء فما عليك الا نبى

أوصديق أوشهيد قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى و رب الكعبة • قال أبو الحسن : اشرف عليهم عثمان فقال السلام عليكم فما رد أحد عليه السلام • فقال أيها الناس ان وجدتم فى الحق ان تضعوا رجلى فى القيد فضعوها فما وجد القوم له جوابا • ثم قال استغفر الله ان كنت ظلمت وقد غفرت ان كنت ظلمت • يحيى بن سعيد : عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان فى الدار فقال اعزم على كل من رأى ان لى عليه سمعا وطاعة ان يكف يده و يلقى سلاحه فالقى القوم اسلحتهم • ابن أبى عروبة : عن قتادة ان زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار فقال ان هذه الانصار بالباب وتقول ان شئت كنا انصار الله مرتين قال لا حاجة لى فى ذلك كفوا • ابن أبى عروبة : عن يعلى بن حكيم عن نافع ان عبد الله بن عمر لبس درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم عليه عثمان ان يخرج و يضع سلاحه و يكف يده ففعل • محمد بن سيرين • قال : قال سليط نهانا عثمان عنهم ولو أذن لنا عثمان فيهم لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارنا

﴿ ماقالوا فى قتلة عثمان ﴾ العتبى قال : رجل من بنى ليث لقيت الزبير قادما فقلت أبا عبد الله ما بالك قال مطلوب مغلوب يغلبنى ابنى و يطلبنى ذنبى قال فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبى وقاص فقلت أبا اسحق من قتل عثمان قال قتله سيف سلته : عائشة وشحذه طلحة وسمه على قلت فما حال الزبير قال اشار بيده وصمت بلسانه • وقالت عائشة : قتل الله مذمما بسعيه على عثمان تريد محمدا أخاها وأهرق دم ابن بديل على ضلالته • وساق الى أعين بن تميم هوانا فى بيته و رمى الاشتر بسهم من سهامه لا يشرى • قال فما منهم أحد الا ادركته دعوة عائشة • سفيان الثورى قال : لقى الاشتر مسروقا فقال له أبا عائشة مالى أراك غضبان على ربك من يوم قتل عثمان بن عفان لو رأيتنا يوم الدار ونحن كأصحاب عجل بنى اسرائيل • وقال سعد بن أبى وقاص لعمار بن ياسر لقد كنت عندنا من أفاضل أصحاب محمد حتى لم يبق من عمرك الا ظمء الحمار فعلت وفعلت يعرض له بقتل عثمان قال عمار أى شىء أحب اليك مودة على دخل أو هجر جميل قال هجر جميل قال فلله على ان لا أكلمك أبدا • دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت يا أبا عبد الله لو رأيتنى يوم الجمل • قد أنفذت النصل هودجى حتى وصل بعضها الى جلدى قال لها المغيرة وددت والله ان بعضها كان قتلك • قالت يرحمك الله ولم تقول هذا • قال لعلها تكون كفارة فى سعيك على عثمان • قالت أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله انى أردت قتله ولكن علم الله انى أردت ان يقاتل فقوتلت وأردت ان يرمى فرميت وأردت ان يعصى فعصيت ولو علم منى

أنى أردت قتله لقتلت . وقال حسان بن ثابت لعلى انك تقول ما قتلت عثمان ولكن خذلته ولم آمر به ولكن لم انه عنه فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك القائل . أخذ هذا المعنى كعب ابن جعل الثعلبي وكان مع معاوية يوم صفين . فقال فى على بن أبى طالب :

وما فى علي لمستحدث * مقال سوى عصمة المحدثينا
وايثاره لاهالى الذنوب * ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه زوى وجهه * وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط * ولا فى النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساه ولا سره * ولا آمن بعض ذا ان يكونا

وقال رجل من أهل الشام فى قتلة عثمان رضى الله تعالى عنه :

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ثقاته الانصار
ضربوا بالبلاء فيه مع النا * س وفى ذاك للبرية عار
حرمة بالبلاء من حرمة الله * ووال من الولاة وجار
أين أهل الحياء اذ منع الما * ء فدته الاسماع والابصار
من عذيرى من الزبير ومن طل * حة هاجا أمرا له اعصار
تركوا الناس دونهم عبرة العج * ل فشبت وسط المدينة نار
هكذا زاغت اليهود عن الحـ * ق حسبما زخرفت لها الاحبار
ثم وافى محمد بن أبى بك * ر جهارا وخلفه عمار
وعلى فى بيته يسأل النا * س ابتداء وعنده الاخبار
باسطا للتى يريد يديه * وعليه سكينة ووقار
يرقب الامر أن يزف اليه * بالذى سببت له الاقدار
قد أرى كثرة الكلام قبيحا * كل قول يشينه اكثار

وقال حسان يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه :

من سره الموت صرفا لامزاج له * فليأت ماسدة فى دار عثمانا
صبرا فدا لكم أمى وما ولدت * قد ينفع الصبر فى المكر واحيانا
لعلكم ان تروا يوما بمغيظة * خليفة الله فيكم كالذى كانا

انى لهم وان غابوا وان شهدوا * مادمت حيا وماسميت حسانا
ياليت شعرى وليت الطير تخبرنى * ما كان شان على وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

﴿ فى مقتل عثمان بن عفان ﴾ أبو الحسن عن مسلمة عن ابن عوف قال كان ممن نصر عثمان سبعمائة فيهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ولو تركهم عثمان لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها . أبو الحسن : عن جبير بن سيرين قال دخل ابن بديل على عثمان وبيده سيف وكانت بينهما شحناء فضربه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول كف خطت المفصل أبو الحسن قال : يوم قتل عثمان يقال له يوم الدار وأغلق على ثلاث من القتلى غلام اسود كان لعثمان وكنانة بن بشر وعثمان . أبو الحسن قال : قال سلامة بن روح الخزاعى لعمرو بن العاصى كان بينكم و بين الفتنة باب فكسرتموه فما حملكم على ذلك . قال أردنا ان نخرج الحق من حفيرة الباطل وان يكون الناس فى الحق سواء . مجالد عن الشعبي قال : كتب عثمان الى معاوية ان امددنى فامده باربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز العجلى . فتلقاه الناس بقتل عثمان فانصرف . فقال لو دخلت المدينة وعثمان حى ما تركت بها محتلما الا قتلته لان الخاذل والقاتل سواء . قيس بن رافع قال : قال زيد بن ثابت رأيت عليا مضطجعا فى المسجد . فقلت أبا الحسن ان الناس يرون انك لو شئت رددت الناس عن عثمان فجلس . ثم قال والله ما أمرتهم بشىء ولا دخلت فى شىء من شانهم قال فاتيت عثمان فاخبرته فقال :

وحرق قيس على البلا * دحتى اذا اضطرمت أجذما

الفضل عن كثير : عن سعيد المقبرى قال لما حصروا عثمان ومنعوه الماء قال الزبير «وحيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل» ومن حديث الزهرى قال : لما قتل مسلم بن عقبة أهل المدينة يوم الحرة قال عبد الله بن عمر بفعلهم فى عثمان ورب الكعبة . ابن سيرين : عن ابن عباس قال لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له . أبو سعيد : مولى أبي حذيفة قال بعث عثمان الى أهل الكوفة من كان يطالبنى بدينار او درهم أو لطمة فليأت يأخذ حقه أو يتصدق فان الله يجزى المتصدقين . قال فبكى بعض القوم وقالوا تصدقنا . ابن عوف : عن ابن سيرين قال لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشد على عثمان من طلحة . أبو الحسن قال : كان

عبـد الله بن عباس يقول ليغلبن معاوية وأصحابه عليا وأصحابه لان الله تعالى يقول «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا» أبو الحسن قال: كان ثمامة الانصاري عاملا لعثمان فلما أتاه قتله بكى وقال اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف فمن غلب على شيء أكله . أبو الحسن: عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي ان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت الى معاوية كتابا مع النعمان بن بشير و بعثت اليـه بقميص عثمان مخضوبا بالدماء . وكان فى كتابها من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبي سـفيان . أما بعد: فانى أدعوكم الى الله الذى أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الـكفر ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة وأنشدكم الله واذكركم حقـه وحق خليفته ان تنصروه بعزم الله عليكم فانه قال «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهـما فان بغت احـداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله» فان أمير المؤمنين بغى عليه ولو لم يكن لعثمان عليكم الا حق الولاية لحق على كل مسلم يرجو امامته ان ينصره فكيف وقد علمتم قدمه فى الاسـلام وحسن بلائه وانه أجاب الله وصـدق كتابه واتبع رسوله والله اعـلم به اذ انتخبه فاعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة وانى أقص عليكم خبره انى شاهـدة أمره كله ان أهـل المدينة حصروه فى داره وحرسوه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بالسلاح يمنعونه من كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى على ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير فامروهم بقتـله . وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينة ومزينة وانباط يثرب . فهؤلاء كانوا أشـد الناس عليه ثم انه حصر فرشق بالنبل والحجارة فجرح ممن كان فى الدار ثلاثة نفر معه فاتاه الناس يصرخون اليه ليأذن لهم فى القتال فنهاهم وأمرهم ان يردوا اليهـم نبلهم فردوها عليهم فـما زادهم ذلك فى القتـل الا جرأة و فى الامر الا اغراقا فحرقوا باب الدار . ثم جاء نفر من أصحابه فقالوا ان ناسا يريدون ان يأخـذوا من الناس بالعدل فاخرج الى المسجد يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية فقال ما أرى اليوم أحدا يعدل فدخل الدار وكان معهم نفر ليس على عامتهم سـلاح فلبس درعه وقال لاصحابه لولا أنتم ما لبست اليوم درعى فوثب عليه القوم . فكلمهم ابن الزبير وأخـذ عليهم ميثاقا فى صحيفة بعث بها الى عثمان عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تقربوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا

فوضع السلاح فلم يكن الا وضعه ودخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبي بكر فاخذ بلحيته ودعوه باللقب . فقال أنا عبد الله وخليفته عثمان فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم العين فوق الانف ضربة أسرعت فى العظم فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون ان يقطعوا رأسه فيذهبوا به فاتتنى ابنة شيبة بن ربيعة فالقت بنفسها معى فوطئنا وطأ شديداً وعرينا من حلينا وحرمة أمير المؤمنين أعظم فقتلوا أمير المؤمنين فى بيته مقهوراً على فراشه وقد أرسلت اليكم بثوبه عليه دمه فانه والله ان كان اثم من قتله فما سلم من خذله فانظروا أين أنتم من الله وأنا أشتكى كل ما مسنا الى الله عز وجل واستصرخ بصالحى عباده فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم فى الدنيا مصارع الخزى والمذلة وشفى منهم الصدور فحلف رجال من أهل الشام ان لا يمسوا غسلا حتى يقتلوا عليا أو تفنى أرواحهم . وقال الفرزدق فى قتل عثمان : ان الخلافة لما أظعنت ظعنت * عن أهل يثرب اذ غير الهدى سلكوا

صارت الى أهلها منهم ووارثها * لما رأى الله فى عثمان ما انتهكوا

السافكى دمه ظلما ومعصية * اى دم لا هدوا من غيهم سفكوا

وقال حسان :

ان تمس دار بنى عثمان خاوية * باب صريع وبيت محرق خرب

فقد يصادف باغى الخير حاجته * فيها ويأوى اليها المجد والحسب

يا معشر الناس ابدوا ذات أنفسكم * لا يستوى الحق عند الله والكذب

﴿ تبرء على من دم عثمان ﴾ قال على بن أبى طالب على المنبر والله لئن لم يدخل الجنة الا من قتل عثمان لا دخلتها أبدا ولئن لم يدخل النار الا من قتل عثمان لا دخلتها أبدا . وأشرف على من قصر له بالكوفة فنظر الى سفينة فى دجلة فقال والذى أرسلها فى بحره مسخرة بأمره ما بدأت فى أمر عثمان بشىء ولئن شاءت بنو أمية لاباهلنهم عند الكعبة خمسين يوما ما بدأت فى حق عثمان بشىء فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال انى لا أحسبه صادقا وقال معبد الخزاعى : لقيت عليا بعد الجمل فقلت له انى سائلك عن مسئلة كانت منك ومن عثمان فان نجوت اليوم نجوت غدا ان شاء الله قال سل عما بدا لك . قلت اخبرنى أى منزلة وسعتك اذ قتل عثمان ولم تنصره . قال ان عثمان كان اماما وانه نهى عن القتال . وقال من سل سيفه فليس منى فلو قاتلنا دونه عصينا . قال فاى منزلة وسعت عثمان اذ استسلم حتى قتل . قال المنزلة التى وسعت ابن آدم اذ قال لاخيه لئن

بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين . قلت فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل قال انا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا . قال الله « ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان وذلك من عزم الامور . ومن حديث بكر بن حماد: ان عبد الله بن الكواء سال على بن أبى طالب يوم صفين . فقال له اخبرني عن مخرجك هذا تضرب الناس بعضهم ببعض أعهد اليك عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى أرتأيته . قال على اللهم انى كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه لم يكن عندى فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندى فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تركت أخا تيم وعدى على منابرها . ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبي رحمة مرض أياما وليالى فقدم أبا بكر على الصلاة وهو يرانى و يرى مكانى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضينا ه لامر دنيانا اذ رضيه رسول الله لامر ديننا فسلمت عليه و بايعت وسمعت وأطعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغز و اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأى ان عمر أطوق لهذا الامر من غيره و والله ما أراد به المحاباة ولو أرادها لجعلها فى أحد ولديه فسلمت له و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغز و اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأى انه من استخلف رجلا فعمل بغير طاعة الله عذبه الله به فى قبره فجعلها شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أحدهم فاخذ عبد الرحمن مواثيقنا وعهودنا على ان يخلع نفسه و ينظر لعامة المسلمين . فبسط يده الى عثمان فبايعه اللهم ان قلت انى لم أجد فى نفسى فقد كذبت ولكنني نظرت فى أمرى فوجدت طاعتى قد تقدمت معصيتى و وجدت الامر الذى كان بيدى قد صار بيد غيرى فسلمت و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغز و اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه ثم نقم الناس عليه أمورا فقتلوه . ثم بقيت اليوم أنا ومعاوية فارى نفسى أحق بها من معاوية لانى مهاجرى وهو اعرابى وانا ابن عم رسول الله وصهره وهو طليق ابن طليق . قال له عبد الله بن الكواء صدقت ولكن طلحة والزبير أما كان لهما فى هذا الامر مثل الذى لك قال ان طلحة والزبير بايعانى فى المدينة ونكثا بيعتى بالعراق فقاتلتهما على نكثهما ولو نكثا بيعة أبى بكر وعمر لقاتلاهما على نكثهما كما قاتلتهما قال صدقت و رجع اليه

واستعمل عبد الملك بن مروان : نافع بن علقمة بن صفوان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان قاعد عند أصل المنبر فنال من طلحة والزبير . فلما نزل قال لابان أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين قال لا ولكنك سؤتنى حسبى أن يكونا بريئين من أمره وعلى هذا المعنى . قال اسحق بن عيسى أعيذ عليا بالله ان يكون قتل عثمان وأعيذ عثمان ان يكون قتله على وهذا الكلام على مذهب قول النبى صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبى . سعيد بن جبير : عن أبى الصهباء ان رجالا ذكروا عثمان فقال رجل من القوم انى أعرف لكم رأى على فيه فدخل الرجل على على فنال من عثمان فقال على دع عنك عثمان فوالله ما كان باشرنا ولكنه ولى فاستاثر فجدعنا فاساءنا الجدع . وقال عثمان بن حبيب : انى شهدت مشهدا اجتمع فيه على وعمار ومالك والاشتر وصعصعة فذكروا عثمان فوقع فيه عمار . ثم أخذ مالك فحذا حذوه ووجه على يتمعر ثم تكلم صعصعة . فقال ما على رجل يقول كان والله أول من ولى فاستاثر وأول من تفرقت عنه هذه الامة فقال على الى أبا اليقظان لقد سبقت لعثمان سوابق لا يعذبه الله بها أبدا . محمد بن حاطب : قال قال لى على يوم الجمل انطلق الى قومك فابلغهم كتبى وقولى فقلت ان قومى اذا أتيتهم يقولون ماقول صاحبك فى عثمان . فقال أخبرهم ان قولى فى عثمان احسن القول ان عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين . جرير بن حازم : عن محمد بن سيرين قال ما علمت ان عليا اتهم فى دم عثمان حتى بويع فلما بويع اتهمه الناس . محمد بن الحنفية : انى عن يمين على يوم الجمل وابن عباس عن يساره اذ سمع صوتا فقال ما هذا قالوا عائشة تلعن قتلة عثمان فقال على لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل والبحر والبر ﴿ ما نقم الناس على عثمان ﴾ ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا من تأمير الاحداث من أهل بيته على الجلة الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لعبد الرحمن بن عوف هذا عملك واختيارك لامة محمد . قال لم أظن هذا به ودخل على عثمان فقال له انى انما قدمتك على ان تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر وقد خالفتهما فقال عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله . فقال له لله على ان لا أكلمك أبدا فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم عثمان . ولما رد عثمان الحكم بن أبى العاصى طريد النبى صلى الله عليه وسلم وطريد أبى بكر وعمر الى المدينة تكلم الناس فى ذلك فقال عثمان ما ينقم الناس منى انى وصلت رحما وقريت عينا . حصين بن زيد بن وهب قال : مررنا بابى ذر بالربذة فسالناه عن منزله

فقال كنت بالشام فقرأت هذه الآية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فقال معاوية انما هي في أهل الكتاب فقلت انها فينا وفيهم فكتب الى عثمان اقبل . فلما قدمت ركبتني الناس كأنهم لم يروني قط فشكوت ذلك الى عثمان . فقال لو اعتزلت فكنت قريبا فنزلت هذا المنزل فلا أدع قولي ولو أمروا على عبدا حبشيا لاطعت الحسن ابن أبي الحسن : عن الزبير بن العوام في هذه الآية « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » قال لقد نزلت وما ندري من يختلف لها . فقال بعضهم يا أبا عبد الله فلم جئت الى البصرة قال ويحك اننا ننظر ولا نبصر . ابو نصرة : عن أبي سعيد الخدري قال ان أناسا كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمر بنا عثمان فما بقي أحد من القوم الا لعنه غيري فكان فيهم رجل من أهل الكوفة فكان عثمان على الكوفي اجرأ منه على غيره . فقال يا كوفي أتشتمني فلما قدم المدينة كان يتهدده . قال فقيل له عليك بطلحة . قال فانطلق معه حتى دخل على عثمان فقال عثمان والله لأجلدنه مائة سوط . قال طلحة والله لا تجلده مائة الا ان يكون زانيا قال والله لاحرمنه عطاءه قال الله يرزقه . ومن حديث ابن أبي قتيبة عن الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة والكوفة الوليد بن عقبة ابن أبي معيط . فقال يا أهل الكوفة فقدت من بيت مالكم الليلة مائة الف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة . قال فكتب الوليد بن عقبة الى عثمان في ذلك فنزعه عن بيت المال . ومن حديث الاعمش يرويه أبو بكر بن أبي شيبة قال : كتب أصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة فقالوا من يذهب بها اليه . قال عمار أنا فذهب بها اليه فلما قرأها قال ارغم الله انفك . قال وبانف أبي بكر وعمر قال فقام اليه فوطئه حتى غشي عليه ثم ندم عثمان وبعث اليه طلحة والزبير يقولان له اختر احدى ثلاث اما ان تعفو واما ان تاخذ الارش واما ان تقتص . فقال والله لا قبلت واحدة منها حتى القى الله قال أبو بكر فذكرت هذا الحديث لحسن ابن صالح . فقال ما كان على عثمان اكثر مما صنع . ومن حديث الليث بن سعد قال : مر عبد الله بن عمر بحذيفة فقال لقد اختلف الناس بعد نبيهم فما منهم أحد الا اعطى من دينه ما عدا هذا الرجل . وسئل سعد بن أبي وقاص : عن عثمان فقال اما والله لقد كان احسننا وضوأ واطولنا صلاة وأتلانا لكتاب الله واعظمنا نفقة في سبيل الله . ثم ولي فانكروا عليه شيا فاتوا اليه اعظم مما انكروا . وكتب عثمان : الى أهل الكوفة حين ولاهم سعيد بن العاص اما بعد

فانى كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاما حين ذهب شرهه وثاب حلمه وأوصيته بكم ولم أوصكم به فلما اعيتكم علانيته طعنتم فى سريرته قد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته وأوصيكم به خيرا فاستوصوا به خيرا . وكان الوليد بن عقبة : أخا عثمان لامه وكان عامله على الكوفة فصلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت اليهم . فقال وان شئتم زدتكم فقامت عليه البينة بذلك عند عثمان . فقال لطلحة قم فاجلده قال لم أكن من الجالدين فقام اليه على فجلده وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر

لنزيدهم خيرا ولو قبلوا * لجمعت بين الشفع والوتر

مسكوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا واجتمعوا الى على وسالوه ان يلقى لهم عثمان فاقبل حتى دخل عليه . فقال ان الناس ورائى قد كلمونى ان اكلمك والله ما أدرى ما أقول لك ما اعرف شيا تنكره ولا أعلمك شيا تجهله وما ابن الخطاب أولى بشىء من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وان الطريق لبين واضح تعلم ياعثمان ان أفضل الناس عند الله امام عدل هدى وهدى فاحيا سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان شر الناس عند الله امام ضلالة ضل واضل فاحيا بدعة مجهولة وامات سنة معلومة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالامام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر فيلقى فى جهنم فيدور دور الرحى يرتطم بجمرة النار الى آخر الابد » وأنا احذرك أن تكون امام هذه الامة المقتول يفتح به باب القتل والقتال الى يوم القيامة يمرج بهم أمرهم ويمرجون فخرج عثمان . ثم خطب خطبته التى اظهر فيها التوبة . وكان على كلما اشتكى الناس اليه أمر عثمان ارسل ابنه الحسن اليه . فلما اكثر عليه قال له ان أباك يرى ان أحدا لا يعلم ما يعلم ونحن أعلم بما نفعل فكف عنا فلم يبعث على ابنه فى شىء بعد ذلك . وذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج الى على يعوده فى مرضه ومروان معه فرآه ثقيلا . فقال اما والله لولا ما أرى منك ما كنت اتكلم بما أريد ان اتكلم به والله ما أدرى أى يوميك أحب الى أو ابغض أيوم حياتك أو يوم موتك أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتا يعدك كهفا ويتخذك عضدا ولئن مت لا فجعن بك فحظى منك حظ الوالد المشفق من الولد العاق ان عاش عقه وان مات فجعه فليتك جعلت لنا من أمرك علما نقف عليه ونعرفه اما صديق مسالم واما عدو

معانى ولم تجعلنى كالمختنق بين السماء والارض لا يرق بيدولا يهبط برجل اما والله لئن قتلتك لا اصيب منك خلفا ولئن قتلتنى لا تصيب منى خلفا وما أحب أن أبقى بعدك . قال مروان أى والله واخرى انه لا ينال ماوراء ظهورنا حتى تكسر رماحنا وتقطع سيوفنا فما خير العيش بعد هذا . فضرب عثمان فى صدره وقال ما يدخلك فى كلامنا فقال على انى والله فى شغل عن جوابكما ولكنى أقول كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . وقال عبدالله بن عباس : أرسل الى عثمان فقال لى أكفنى ابن عمك فقلت ان ابن عمى ليس بالرجل يرى له ولكنه يرى لنفسه فارسلنى اليه بما أحببت قال قل له فليخرج الى ماله بالينبع فلا أغتم به ولا يغتم بى فاتيت عليا فاخبرته . فقال ما اتخذنى عثمان الا ناصحا ثم أنشد يقول :

فكيف به انى أداوى جراحه * فيدوى فلا مل الدواء ولا الداء

أما والله انه ليختبر القوم فاتيت عثمان فحدثته الحديث كله الا البيت الذى أنشده وقوله انه ليختبر القوم . فانشد عثمان :

فكيف به انى أداوى جراحه * فيدوى فلا مل الدواء ولا الداء

وجعل يقول يارحيم انصرنى يارحيم انصرنى يارحيم انصرنى . قال فخرج على الى ينبع . فكتب اليه عثمان حين اشتد الامر . أما بعد فقد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين وطمع فى من كان يضعف عن نفسه :

وانك لم يعجز عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فاقبل الى على أى أمريك احببت وكن لى أم على صديقا كنت أم عدوا :

فان كنت ماكولا فكن خيرآكل * والا فادركنى ولما أمزق

٨ — خلافة على بن أبى طالب رضي الله عنه — قال لما قتل عثمان بن عفان أقبل الناس يهرعون الى على بن أبى طالب فتراكمت عليه الجماعة فى البيعة . فقال ليس ذلك اليكم انما ذلك لاهل بدر ليبايعوا . فقال أين طلحة والزبير وسعد فاقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والانصار . ثم بايعه الناس وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكان أول من بايعه طلحة فكانت اصبعه شلاء فتطير منها على وقال ما أخلقه ان ينكث فكان كما قال على رضى الله عنه ﴿ نسب على بن أبى طالب وصفته ﴾ هو على بن أبى طالب بن

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته كان اصلع بطينا حمش الساقين . صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي . ومالك بن حبيب اليربوعي وكاتبه سعد بن مهران وحاجبه قنبر مولاه . وقتل يوم الجمعة بالكوفة وهو خارج الى المسجد لصلاة الصبح لسبع بقين من شهر رمضان فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر صلى عليه ولده الحسن . ودفن برحبة الكوفة و يقال في لحف الحيرة وغير قبره واختلف في سنه . فقال الشعبي قتل على رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة وولد على بمكة في شعب بني هاشم ﴿ فضائل على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ أبو الحسن قال اسلم على وهو ابن خمس عشرة سنة وهو أول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وقال النبي عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبي بعدى . و بهذا الحديث سمت الشيعة على بن أبي طالب الوصي و تاولوا فيه انه استخلفه على أمته اذ جعله منه بمنزلة هرون من موسى لان هرون كان خليفة موسى على قومه اذا غاب عنهم . وقال السيد الحميري رحمه الله تعالى :

انى أدين بما دان الوصي به * وشاركت كفه كفى بصفينا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فالقى عليهم كساءه وضمهم الى نفسه ثم تلى هذه الآية «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» فتاولت الشيعة الرجس ههنا بالخوض في عشرة الدنيا وكدورتها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله و رسوله لا يعسى حتى يفتح الله له . فدعا عليا وكان أرمد فتفل في عينيه . وقال اللهم قه داء الحر والبرد فكان يلبس كسوة الصيف في الشتاء وكسوة الشتاء في الصيف ولا يضره . أبو الحسن قال : ذكر على عند عائشة فقالت ما رأيت رجلا أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ولا رأيت امرأة كانت أحب اليه من امرأته . وقال على بن أبي طالب : أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه لا يقولها بعدى الا كذاب . الشعبي قال : كان على بن أبي طالب في هذه الامة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل احبه قوم فكفروا في حبه وابغضه قوم فكفروا في بغضه وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما .

أبوالحسن قال : كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقسم بيت المال فى كل جمعة حتى لا يبقى منه شيأ ثم يرش له و يقيل فيه . و يتمثل بهذا البيت :

هذا جنائى وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

كان على بن أبى طالب اذا دخل بيت المال ونظر الى ما فيه من الذهب والفضة قال :

ابيض واصفرى وغرى غرى * انى من الله بكل خير

ودخل رجل على الحسن بن أبى الحسن البصرى فقال : يا أباسعيد انهم يزعمون انك تبغض عليا قال فبكى الحسن حتى اخضلت لحيته . ثم قال كان على بن أبى طالب سهما صائبا من مرامى الله على عدوه و ربانى هذه الامة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنؤمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الملومة فى ذات الله ولا السروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة بينة ذلك على بن أبى طالب يالكع

٩ — يوم الجمل — أبواليقظان قال قدم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتلقاهم الناس باعلى المربد حتى لو رموا بحجر ما وقع الا على رأس انسان فتكلم طلحة وتكلمت عائشة وكثر اللغط فجعل طلحة يقول أيها الناس انصتوا وجعلوا يركبون ولا ينصتون فقال اف اف فراش نار وذباب طمع . وكان عثمان بن حنيف الانصارى عامل على ابن أبى طالب على البصرة . فخرج اليهم فى رجاله ومن معه فتواقفوا حتى زالت الشمس ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا ان يكفوا عن القتال حتى يقدم على بن أبى طالب . ولعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد الجامع و بيت المال فكفوا . ووجه على بن أبى طالب الحسن ابنه وعمار بن ياسر الى أهل الكوفة يستنفرانهم فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال عمار أما والله انى لأعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعوها . وخرج على فى أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم ثمانمائة من الانصار . وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبى صلى الله عليه وسلم . وراية على مع ابنه محمد بن الحنفية . وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين . وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر وعلى المقدمة عبدالله بن عباس وأبو طلحة والزبير مع عبدالله بن حكيم بن حزام وعلى الخيل طلحة بن عبدالله . وعلى الرجالة عبدالله ابن الزبير فالتقوا بموضع قصر عبيدالله بن زياد فى النصف من

جمادى الآخرة يوم الخميس وكانت الوقعة يوم الجمعة . وقالوا : لما قدم على بن أبى طالب البصرة قال لابن عباس ائت الزبير ولا تات طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا بقرنه يركب الصعوبة ويقول هى أسهل فاقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق فما عدا مما بدا . قال ابن عباس : فاتيته فابلغته فقال قل له بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف تحل ما أحلت وتحرم ما حرمت . وقال على ابن أبى طالب : مازال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته عنا . وقال طلحة : لاهل البصرة وسالوه عن بيعة على فقال ادخلونى فى حش ثم وضعوا اللج على قفى فقالوا بايع والا قتلناك * قوله اللج يريد السيف وقوله قفى لغة طى وكانت أمه طائية . وخطبت عائشة : أهل البصرة يوم الجمل فقالت أيها الناس صه صه كانما قطعت الالسن فى الافواه . ثم قالت ان لى عليكم حق الامومة وحرمة الموعظة لا يتهمنى الا من عصى ربه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وانا احدى نسائه فى الجنة ادخرنى ربى وسلمنى من كل بضاعة وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبى أرخص لكم فى صعيد الابواء . ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين وثانى اثنين فى الغار وأول من سمى صديقا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وطوقه طوق الامامة . ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبى بطرفيه وزين له افياءه فوقم النفاق وغاض نبع الردة وأطفأ ما حش يهود وانتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأب الثاى وأوذم العطلة وانتاش من المهواة واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله . ثم ولى امركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عروكة للاذن بجنسه يقظان الليل فى نصرة الاسلام فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع اعضادها جمع القران وانا نصب المسئلة عن مسيرى هذا لم التمس اثما ولم أدلس فتنة اوطئكموها أقول قولى هذا صدقا وعدلا واعذارا وتعذيرا واسال الله ان يصلى على محمد وان يخلفه فيكم بافضل خلافة المرسلين . وكتبت أم سلمة : زوج النبى صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين اذ عزمت على الخروج الى الجمل من أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين فانى احمد

!الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فقد هتكت سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته حجاب مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيولك فلا تسحبيها وسكر خفارتك فلا تبتذليها فالله من وراء هذه الامه لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النساء يحتملن الجهاد عهد اليك أما علمت انه قد نهاك عن الفراطة فى الدين فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع جهاد النساء غض الاطراف وضم الذيول وقصر الموادة ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا من منهل الى منهل وغدا تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقسم لو قيل لى يا أم سلمة ادخلى الجنة لاستحييت ان القى رسوا الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه على فاجعليه سترك وقاعة البيت حصنك فانك انصح ما تكونين لهذه الامة ما قعدت عن نصرتهم ولو انى حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام . فاجابتها عائشة : من عائشة أم المؤمنين الى أم سلمة سلام عليك فانى احمد الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فما اقبلنى لوعظك واعرفنى لحق نصيحتك وما أنا بمعتمرة بعد تعريج ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين فان اقعد فعن غير حرج وان امض فالى مالا غنى بى عن الازدياد منه والسلام . وكتبت عائشة : الى زيد بن صوحان اذ قدمت البصرة من عائشة أم المؤمنين الى ابنها الخالص زيد بن صوحان سلام عليك . اما بعد فان أباك كان رأسا فى الجاهلية وسيدا فى الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد او لحق وقد بلغك الذى كان فى الاسلام من مصاب عثمان بن عفان ونحن قادمون عليك والعيان اشفى لك من الخبر فاذا أتاك كتابى هذا فثبط الناس عن على بن أبى طالب وكن مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام فكتب اليها : من زيد بن صوحان الى عائشة أم المؤمنين سلام عليك اما بعد فانك أمرت بامر وامرنا بغيره أمرت ان تقرى فى بيتك وامرنا ان نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة فتركت ما أمرت به وكتبت تنهينا عما أمرنا به والسلام . وخطب على رضى الله عنه : باهل الكوفة يوم الجمل اذ اقبلوا اليه مع الحسن بن على فقام فيهم خطيبا . فقال الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، اما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين . كافة ، والناس فى اختلاف ، والعرب بشر المنازل ، مستضعفون لما بهم فرأب الله به الثاى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة للصدور ، ثم قبضه الله

تعالى مشكورا سعيه ، مرضيا عمله ، مغفورا ذنبه ، كريما عند الله نزلة فيا لها من مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الاقربين ، وولى أبو بكر فسار فينا بسيرة رضا رضى بها المسلمون ثم ولى عمر فسار بسيرة أبى بكر رضى الله عنهما . ثم ولى عثمان فنال منكم ونلتم منه . ثم كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ثم اتيتمونى فقلتم لو بايعتنا . فقلت لا افعل وقبضت يدى فبسطتموها ونازعتكم كفى فجذبتموها وقلتم لا نرضى الا بك ولا نجتمع الا عليك وتراكمتم على تراكم الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت انكم قاتلى وان بعضكم قاتل بعضا فبايعتمونى وبايعنى طلحة والزبير . ثم مالبسا ان استاذنانى الى العمرة فسارا الى البصرة فقاتلا بها المسلمين وفعلا بها الافاعيل وهما يعلمان والله انى لست بدون من مضى ولو اشاء ان أقول لقلت اللهم انهما قطعا قرابتى ونكثا بيعتى وألبا على عدوى . اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما وارهما المساءة فيما عملا . وأملى على ابن محمد عن سلمة بن محارب عن داود بن أبى هند عن ابى حرب عن ابى الاسود عن أبيه قال خرجت مع عمران بن حصين وعثمان بن حنيف الى عائشة فقلنا يا أم المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا اعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيتيه . قالت بل رأى رأيته حين قتل عثمان بن عفان أنا نقمنا عليه ضربه بالسوط وموقع المسحاة المحماة وامرة سعيد والوليد فعدوتم عليه فاستحللتم منه الثلاث حرم حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام بعد ان مصتموه كما يماص الاناه فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم قلنا ما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ان تقرى فى بيتك فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض . قالت وهل أحد يقاتلنى أو يقول غير هذا قلنا نعم . قالت ومن يفعل ذلك هل أنت مبلغ عنى يا عمران قال لست مبلغا عنك حرفا واحدا قلت لكننى مبلغ عنك فهات ماشئت . قالت اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمان وارم الاشتر بسهم من سهامك لا يشوى وادرك عمارا بحيرته على عثمان . أبو بكر بن ابى شيبة قال : حدثنا عبد الله بن ادريس عن حصين عن الاحنف ابن قيس قال قدمنا المدينة ونحن نريد الحج فانطلقت فاتيت طلحة والزبير فقلت انى لا أرى هذا الا مقتولا فمن تامرانى به كما ترضيانه لى قالا نامرك بعلى قلت فتامرانى به وترضيانه لى قالا نعم . قال ثم انطلقت حتى أتيت مكة فبينما نحن بها اذا أتانا قتل عثمان وبها عائشة أم المؤمنين فانطلقت اليها فقلت من تامرينى ان أبايع قالت على بن ابى طالب . قلت أتامرينى به وترضيه لى قالت نعم . قال فمررت على على بالمدينة فبايعته ثم رجعت الى البصرة وأنا أرى ان الامر

قداستقام فما راعنا الاقدوم عائشة ام المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الحريبة . قال فقلت ماجاء بهم قد ارسلوا اليك يستنصرونك على دم عثمان انه قتل مظلوما قال فاتانى افظع أمر لم ياتنى قط قلت ان خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أمرونى ببيعته لشديد . قال فلما أتيتهم قالوا جئناك نستصرخك على دم عثمان قتل مظلوما . قال فقلت ياام المؤمنين انشدك الله اقلت لك من تامرينى به وترضيه لى فقلت على قالت بلى ولكنه بدل قلت يازبير ياحوارى رسول الله وياطلحة نشدتكما بالله اقلت لكما من تامرانى به وترضيانه لى فقلتما على قالا بلى ولكنه بدل قال والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ولا أقاتل عليا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اختاروا منى احدى ثلاث خصال . اما ان تفتحوا الى باب الجسر فالحق بارض الاعاجم حتى يقضى الله من أمره ماقضى واما ان ألحق بمكة فاكون بها أو أتحول فاكون قريبا . قالوا نأتمر ثم نرسل اليك قال فائتمروا وقالوا نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والخاذل أو يلحق بمكة فيفحشكم فى قريش ويخبرهم باخباركم اجعلوه ههنا قريبا حيث تنظرون اليه فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بنى تميم ﴿ مقتل طلحة ﴾ أبو الحسن قال كانت وقعة الجمل يوم الجمعة فى النصف من جمادى الآخرة التقوا فكان أول مصروع فينا طلحة بن عبيد الله أتاه سهم غرب فاصاب ركبته فكان اذا امسكوه فتر الدم واذا تركوه انفجر فقال لهم اتركوه فانما هو سهم أرسله الله . حماد بن زيد : عن يحيى بن سعيد قال قال طلحة يوم الجمل :

ندمت ندامة الكسعى لما * شربت رضا بنى حزم برغم

اللهم خذ منى لعثمان حتى يرضى . ومن حديث ابى بكر بن ابى شيبة قال : لما رأى مروان بن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيد الله قال لا انتظر بعد اليوم بثارى فى عثمان فانتزعه بسهم فقتله ومن حديث سفيان الثورى قال : لما انقضى يوم الجمل خرج على بن أبى طالب فى ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى حتى وقف على طلحة بن عبيد الله فى بطن واد متعفرا فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول اعزز على يا أبا محمد ان أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الاودية انالله وانا اليه راجعون شفيت نفسى وقتلت معشرى الى الله أشكو عجرى وبجرى ثم قال والله انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا



مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واذا لم نكن نحن فمن هم . أبوادريس : عن ليث ابن طلحة عن مطرف ان على بن أبى طالب اجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه . ومن حديث سفيان : ان عائشة ابنة طلحة كانت ترى فى نومها طلحة وذلك بعد موته بعشرين سنة فكان يقول لها يابنية اخرجينى من هذا الماء الذى يؤذينى فلما انتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشته فوجدته صحيحا كما دفن لم تنحسر له شعرة وقد اخضر جنبه كالسلق من الماء الذى كان يسيل عليه فلفته فى الملاحف واشترت له عرصة بالبصرة فدفنته فيها وبنت حوله مسجدا . قال فلقد رأيت المرأة من اهل البصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكا أذفر . ومن حديث الخشنى قال : لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل وجدوا فى تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة والبهار مزود من جلد عجل . وقع قوم فى طلحة عند على بن أبى طالب فقال أما والله لئن قلتم فيه انه لكما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ＊ اذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه ＊ وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

١٠ — مقتل الزبير بن العوام — شريك عن الاسود بن قيس قال حدثنى من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصا فنوه به على أبا عبد الله أتذكر يوما أتانا النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال أتناجيه والله ليقاتلنك وهو ظالم لك قال فصرف الزبير وجه دابته وانصرف . قال أبو الحسين : لما انحاز الزبير يوم الجمل مر بماء لبنى تميم . فقيل للاحنف بن قيس هذا الزبير قد أقبل قال وما أصنع به ان جمع بين هذين الفاذين وترك الناس وأقبل يريد بالفاذين المعسكرين وفى مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعى فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادى السباع نائما فقتله واقبل برأسه الى على بن أبى طالب . فقال على ابشر بالنار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشروا قاتل الزبير بالنار فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول : أتيت عليا برأس الزبير ＊ وقد كنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار قبل العيان ＊ فبئس بشارة ذى التحفه

ومن حديث ابن أبى شيبة قال : اقبل رجل بسيف الزبير الى الحسن بن على قال لا حاجة لى به فأدخله الى امير المؤمنين فدخل به الى على فناوله اياه وقال هذا سيف الزبير فاخذه على . فنظر

اليه مليا ثم قال رحم الله الزبير لطالما فرج الله به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت امرأة الزبير ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم الهياج وكان غير معدد
ياعمرو ولو نبهته لوجدته * لاطائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك امك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

وقال جرير ينعى على بن مجاشع قتل الزبير رضى الله تعالى عنه :

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لو كنت حرا يا ابن قيس مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أوميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجو العيون مع الرسول سبيلا

هشام بن عروة عن أبيه : عن عبد الله بن الزبير قال دعانى أبى يوم الجمل فقمت عن يمينه . فقال انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم وما أرانى الا ساقتل مظلوما وان أكبر همى دينى فبع مالى ثم أقض دينى فان فضل شىء فثلثه لولدك وان عجزت عن شىء بابنى فاستعن مولاى . قلت ومن مولاك يا أبت قال الله قال عبد الله بن الزبير فوالله ما بقيت بعد ذلك فى كربة من دينه أو عسرة الا قلت يامولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه قال فقتل الزبير ونظرت فى دينه فاذا هو ألف ألف ومائة ألف قال فبعت ضيعة له بالغابة بالف الف وستمائة الف ثم ناديت من كان له قبل الزبير شىء فليأتنا نقضه فلما قضيت دينه اتانى اخوتى فقالوا اقسم بيننا ميراثنا قلت والله لاأقسم حتى انادى أربع سنين بالموسم من كان له على الزبير شىء فليأتنا نقضه قال فلما مضت الاربع سنين اخذت الثلث لولدى ثم قسمت الباقى فصار لكل امرأة من نسائه وكان له أربع نسوة فى ربع الثمن ألف ألف ومائة ألف فجميع ماترك مائة ألف الف وسبعمائة ألف الف . ومن حديث ابن أبى شيبة قال : كان على يخرج مناديه يوم الجمل يقول لا يسلبن قتيل ولا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح قال وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف فى عنقه فجعل ينشره بين الصفين ويناشد الناس فى دمائهم اذا أتاه سهم فقتله وهو فى تلك الحال لا يدرى من قتله . وقال على بن أبى طالب : يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن حرث وكان على الميمنة أحمل فحمل فكشف

من بازائه وقال لهاشم بن عتبة أحد بني زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فكشف من بازائه فقال على لاصحابه كيف رأيتم ميسرتي وميمنتي . ومن حديث الجميلي الخشني : عن أبي حاتم السجستاني قال أنشدني الاصمعي عن رجل شهد الجمل يقول :

شهدت الحروب وشيبنني * فلم تر عيني كيوم الجمل

أشير على مؤمن فتنة * وأفتك منه لخرق بطل

فليت الظعينة في بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

ابن منبه وهبه لعائشة وجعل له هودجا من حديد وجهز من ماله خمسمائة فارس باسلحتهم وأزودتهم وكان أكثر اهل البصرة مالا وكان على بن أبي طالب يقول بليت باقضى الناس وانطق الناس وأطوع الناس في الناس بريد باقضى الناس يعلى بن منبه وكان اكثر الناس ناضا وبريد بانطق الناس طلحة بن عبيد الله وأطوع الناس في الناس عائشة أم المؤمنين . أبو بكر بن أبي شيبة : عن مخلد بن عبيد عن التميمي قال كانت على راية يوم الجمل سوداء وراية أهل البصرة كالجمل الاعمش : عن رجل سماه قال كنت أرى عليا يوم الجمل يحمل فيضرب بسيفه حتى ينثني ثم يرجع فيقول لا تلوموني ولوموا هذا ثم يعود يقومه . ومن حديث : أبي بكر بن أبي شيبة قال قال عبد الله بن الزبير التقيت مع الاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة أو ستة ثم جر برجلي فالقاني في الخندق وقال والله لولا قربك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع فيك عضو الى آخر . أبو بكر بن أبي شيبة قال : اعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير اذ التقى مع الاشتر يوم الجمل أربعة آلاف . سعيد عن قتادة قال : قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفا منهم ثمانمائة من بني ضبة . وقالت عائشة ما أنكر رأس جمل حتى فقدت أصوات بني عدي وقتل من أصحاب علي خمسمائة رجل لم يعرف منهم الا عمار بن الحرث السدوسي وهند الجملي قتلهما ابن اليثربي وأنشأ يقول :

اني لمن يجهلني بن اليثربي * قتلت عمارا وهندا الجملي

عبد الله بن عون عن أبي رجاء قال : لقد رأيت الجمل حينئذ وهو كظهر القنفذ من النبل ورجل من بني ضبة آخذ بخطامه وهو يقول :

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل * الموت أحلى عندنا من العسل * ننعى ابن عفان باطراف الاسل

غندر قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة وكان مع على بن أبى طالب يوم الجمل والحرث بن سويد وكان مع طلحة والزبير وتذاكرا وقعة الجمل . فقال الحرث ابن سويد والله مارأيت مثل يوم الجمل لقد اشرعوا رماحهم فى صدورنا وأشرعنا رماحنا فى صدورهم ولوشاءت الرجال ان تمشى عليها لمشت يقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر ويقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر فوالله لوددت انى لم أشهد ذلك اليوم وانى أعمى مقطوع اليدين والرجلين . قال عبد الله بن سلمة والله ما يسرنى انى غبت عن ذلك اليوم ولا عن مشهد شهده على بن أبى طالب بحمر النعم . على بن عاصم : عن حصين قال حدثنى أبو جميلة البكاء قال انى لفى الصف مع على بن أبى طالب اذا عقر بام المؤمنين جملها فرأيت محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين الصفين أيهما يسبق اليها فقطعا عارضة الرحل واحتملاها فى هودجها . ومن حديث الشعبى قال . من زعم انه شهد الجمل من أهل بدر الا اربعة فكذبه كان على وعمار فى ناحية وطلحة والزبير فى ناحية . أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثنى خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن ابزى قال انتهى عبد الله بن بديل الى عائشة وهى فى الهودج فقال ياأم المؤمنين انشدك بالله تعلمين انى اتيتك يوم قتل عثمان . فقلت لك ان عثمان قد قتل فما تامرينى فقلت لى الزم عليا فوالله ماغير ولا بدل فسكتت ثم اعاد عليها فسكتت ثلاث مرات . فقال اعقروا الجمل فعقروه فنزلت انا وأخوها محمد بن أبى بكر فاحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدى على فسر به فادخل فى منزل عبد الله بن بديل . وقالوا : لما كان يوم الجمل ما كان وظفر على ابن أبى طالب حتى دنا من هودج عائشة فكلمها بكلام فاجابته ملكت فاسجح فجهزها على باحسن الجهاز وبعث معها اربعين امرأة وقال بعضهم سبعين امرأة حتى قدمت المدينة . عكرمة عن ابن عباس قال لما انقضى امر الجمل دعا على بن ابى طالب بآجرتين فعلاهما فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : ياانصار المرأة ، واصحاب البهيمة رغا فجئتم ، وعقر فهزمتم ، نزلتم شر بلادا ، أبعدها من السماء ، بها مغيض كل ماء ، ولها شر اسماء هى البصرة والبضيرة والمؤتفكة وتدمر ، اين ابن عباس قال فدعيت له من كل ناحية ، فاقبلت اليه فقال ائت هذه المرأة فلترجع الى بيتها التى أمرها الله ان تقر فيه . قال فجئت فاستاذنت عليها فلم تأذن لى فدخلت بلا اذن ومدت يدى الى وسادة فى البيت فجلست عليها . فقالت تالله ياابن عباس مارايت مثلك تدخل بيتا بلا اذننا وتجلس على وسادتنا بغير امرنا . فقلت والله ماهو بيتك ولا بيتك الا الذى امرك الله ان

تقرى فيه فلم تفعلى ان امير المؤمنين يامرك ان ترجعى الى بلدك الذى خرجت منه . قالت رحم الله امير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قلت نعم وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب . قالت أبيت أبيت قلت ما كان اباؤك الا فواق ناقة بكية ثم صرت ما تحلين ولا تمرين ولا تامرين ولا تنهين . قال فبكت حتى علا نشيجها ثم قالت نعم ارجع فانا أبغض البلدان الى بلد أنتم فيه . قلت اما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك اذ جعلناك للمؤمنين اما وجعلنا أباك لهم صديقا قالت أتمن على برسول الله يا ابن عباس . قلت: نعم نمن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا . قال ابن عباس فاتيت عليا فأخبرته فقبل بين عينى وقال بابى ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ومن حديث ابن أبى شيبة عن ابن فضيل عن عطاء بن السائب ان قاضيا من قضاة أهل الشام أتى عمر بن الخطاب . فقال يا أمير المؤمنين رأيت رؤيا افظعتنى . قال وما رأيت قال رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين . قال فمع أيهما كنت قال مع القمر على الشمس قال عمر بن الخطاب وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فانطلق فوالله لا تعمل لى عملا أبدا . قال فبلغنى انه قتل مع معاوية بصفين . أبو بكر بن أبى شيبة قال : اقبل سليمان بن صرد وكانت له صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم الى على بن أبى طالب بعد وقعة الجمل فقال له تنأنأت وتزحزحت وتربصت فكيف رأيت الله صنع قال يا أمير المؤمنين ان الشوط بطين وقد بقى من الامور ما تعرف به عدوك من صديقك . وكتب على بن أبى طالب : الى الاشعث بن قيس بعد الجمل وكان واليا لعثمان على اذربيجان سلام عليك اما بعد فلولا هنات كن منك لكنت أنت المقدم فى هذا الامر قبل الناس ولعل أمرك يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياى ما قد بلغك وقد كان طلحة والزبير أول من بايعنى ثم نكثا بيعتى من غير حدث ولا سبب وأخرجا أم المؤمنين فساروا الى البصرة وسرت اليهم فيمن بايعنى من المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فأبوا فابلغت فى الدعاء وأحسنت فى البقيا وأمرت ان لا يزفف على جريح ولا يتبع منهزم ولا يسلب قتيل ومن القى سلاحه وأغلق بابه فهو آمن واعلم ان عملك ليس لك بطعمة انما هو امانة فى عنقك وهو مال من مال الله وانت من خزانى عليه حتى تؤديه الى ان شاء الله ولا قوة الا بالله فلما بلغ الاشعث كتاب على قام فقال أيها الناس ان عثمان بن عفان ولانى أذربيجان فهلك

وقد بقيت فى يدى وقد بايع الناس عليا وطاعتناله واجبة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان وهو المأمون على من غاب من ذلك المجلس ثم جلس ﴿ قولهم فى أصحاب الجمل ﴾ أبو بكر بن أبى شيبة قال سئل على عن أصحاب الجمل امشركون هم قال من الشرك فروا قال فمنافقون هم قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قال فما هم قال اخواننا بغوا علينا . ومر على : بقتلى الجمل فقال اللهم اغفر لنا ولهم ومعه محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر فقال احدهما لصاحبه اما تسمع ما يقول قال اسكت لا يزيدك . وكيع : عن مسعدة بن عبدالله بن رباح عن عمار قال لا تقولوا كفر اهل الشام ولكن قولوا فسقوا وظلموا . وسئل عمار بن ياسر : عن عائشة يوم الجمل . فقال اما والله انا لنعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اتتبعونها وقال على بن أبى طالب : يوم الجمل ان قوما زعموا ان البغى كان منا عليهم وزعمنا انه منهم علينا وانما اقتتلنا على البغى ولم نقتتل على التكفير . أبو بكر بن أبى شيبة قال : أول ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا اما أحل لنا دماءهم وحرم علينا أموالهم فقال على هى السنة فى أهل القبلة قالوا ما ندرى ما هذا قال فهذه عائشة رأس القوم اتساهمون عيها قالوا سبحان الله آمنا قال فهى حرام قالوا نعم قال فانه يحرم من ابنائها ما يحرم منها . قال : ودخلت ام أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها يا أم المؤمنين ما تقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا قالت وجبت لها النار قالت فما تقولين فى امرأة قتلت من أولادها الاكابر عشرين الفا فى صعيد واحد قالت خذوا بيد عدوة الله . وماتت عائشة : فى أيام معاوية وقد قاربت السبعين وقيل لها تدفنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت لا انى أحدثت بعده حدثا فادفنونى مع اخوتى بالبقيع وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يا حميراء كانى بك ينبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليا وأنت له ظالمة والحوأب قرية فى طريق المدينة الى البصرة و بعض الناس يسمونها الحوب بضم الحاء وتثقيل الواو وقد زعموا ان الحوأب ماء فى طريق البصرة . قال فى ذلك بعض الشيعة :

انى أدين بحب آل محمد * و بنى الوصى شهودهم والغيب
وانا البرى من الزبير وطلحة * ومن التى نبحت كلاب الحوأب

١١ — اخبار على ومعاوية — كتب على بن أبى طالب الى جرير بن عبدالله

وكان وجهه الى معاوية فى اخذ بيعته فاقام عنده ثلاثة أشهر يماطله بالبيعة . فكتب اليه على سلام عليك فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل معاوية على الفصل وخيره بين حرب معضلة أو سلم محربة فان اختار الحرب فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته وأقبل الى . وكتب على الى معاوية : بعد وقعة الجمل سلام عليك أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما كان ذلك لله رضا وان خرج عن أمرهم خارج ردوه الى ما خرج عنه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب الامور الى قبولك العافية وقد أكثرت فى قتلة عثمان فان انت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم الى حملتك واياهم على كتاب الله وأما تلك التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايعه ولا قوة الا بالله . فكتب اليه معاوية : سلام عليك اما بعد فلعمرى لو بايعك الذين ذكرت وانت برىء من دم عثمان لكنت كابى بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بدم عثمان وخذلت الانصار فاطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ولعمرى ما حجتك على اهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير كانا بايعاك فلم أبايعك أنا فاما فضلك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست أرفعه . فكتب اليه على : أما بعد فقد أتانا كتابك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاتبعه زعمت انك انما أفسد عليك بيعتى خفرى لعثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا

من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فلزمتني خطيئة الامر ولا قتلت فاخاف على نفسي قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم حكام أهل الحجاز فهات رجلا من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار ونحن نأتيك به من قريش الحجاز . وأما قولك ادفع الى قتلة عثمان فما أنت وذاك وههنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك فان زعمت انك أقوى على طلب دم عثمان منهم فارجع الى البيعة التي لزمتك وحاكم القوم الى وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري فما الامر هناك الا واحد لانها بيعة عامة لا يتأنى فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمي في الاسلام فلو استطعت دفعه لدفعته . وكتب معاوية : الى على أما بعد فانك قتلت ناصرك واستنصرت واترك فايم الله لارمينك بشهاب تزكيه الريح ولا يطفئه الماء فاذا وقع وقب واذا مس ثقب فلا تحسبني كسحيم أو عبد القيس أو حلوان الكاهن . فاجابه على : أما بعد فوالله ما قتل ابن عمك غيرك واني أرجو أن الحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته وان السيف الذي ضربت به أباك وأهلك لمعي دائم والله ما استحدثت ذنبا ولا استبدلت نبيا واني على المنهاج الذي تركتموه طائعين وأدخلتم فيه كارهين . وكتب معاوية : الى علي بن أبي طالب أما بعد فان الله اصطفى محمدا وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان أفضلهم في الاسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة والخليفة الثالث فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وتنفسك الصعداء وابطائك على الخلفاء وأنت في كل ذلك تقاد كما يقاد البعير المخشوش حتى تبايع وأنت كاره ولم تكن لاحد منهم أشد حسدا منك لابن عمك عثمان وكان أحقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه الناس حتى ضربت اليه آباط الابل وشهر عليه السلاح في حرم الرسول فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة لا تؤدي عن نفسك في أمره بقول ولا فعل برا قسما صادقا لو قمت في أمره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحد ولمحى ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ضنين ايواءك قتلة عثمان فهم بطانتك وعضدك وأنصارك فقد بلغني انك تنتفي من دمه فان

كنت صادقا فادفع الينا قتلته نقتلهم به ثم نحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا لاصحابك عندنا الا السيف والذى نفس معاوية بيده لاطلبن قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله . فاجابه على : أما بعد فان أخا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحى فالحمد لله الذى صدقه الوعد وتمم له النصر ومكنه فى البلاد وأظهره على الاعادى من قومه الذين أظهروا له التكذيب ونابذوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه واخراج أصحابه وألبوا عليه العرب وحزبوا الاحزاب حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون وذكرت ان الله اختار من المسلمين أعوانا أيده بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الاسلام فكان أفضلهم ابن عمك فى الاسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده ولعمرى ان كان مكانهم فى الاسلام لعظيما وان كان المصاب بهم لجرح فى الاسلام شديد فرحمهما الله وغفر لهما وذكرت ان عثمان كان فى الفضل ثالثا فان كان محسنا فسيلقى ربا شكورا يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم وان يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمرى انى لا أرجوا اذا الله أعطى الاسلام ان يكون سهمنا أهل البيت أوفر نصيب وأيم الله ما رأيت ولا سمعت باحد كان أنصح لله فى طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله فى طاعة الله ولا أصبر على البلاء والاذى فى مواطن الخوف من هؤلاء النفر من أهل بيته الذين قتلوا فى طاعة الله عبيدة بن الحرث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد وجعفر وزيد يوم موتة وفى المهاجرين خير كثير جزاهم الله بأحسن أعمالهم وذكرت ابطائى عن الخلفاء وحسدى اياهم والبغى عليهم فاما البغى فمعاذ الله أن يكون وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك وذكرت بغيى على عثمان وقطعى رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت وعمل به الناس ما قد بلغك فقد علمت انى كنت من أمره فى عزلة الا أن تجنى فتجن ما شئت وأما ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم اليك فان نظرت فى هذا الامر وضربت أنفه وعينه فلم يسعنى دفعهم اليك ولا الى غيرك وان لم تنزع عن غيك لنعرفنك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم فى سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر وقد كان أبوك ابو سفيان أتانى حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابسط يدك أبايعك فانت أحق الناس بهذا الامر فكنت أنا الذى أبيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين لقرب عهد الناس بالكفر فابوك كان أعلم بحقى منك وان تعرف من حقى ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك والا فنتعين الله عليك . وكتب عبد

الرحمن بن الحكم الى معاوية :

الا بلغ معاوية بن حرب * كتابا من أخى ثقة يلوم
فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

١٢ — يوم صفين — ابو بكر بن ابى شيبة قال خرج على بن ابى طالب من الكوفة الى معاوية فى خمسة وتسعين ألفا وخرج معاوية من الشام فى بضع وثمانين ألفا فالتقوا بصفين وكان عسكر على يسمى الزحزحة لشدة حركته وعسكر معاوية يسمى الخضرية لاسوداده بالسلاح والدروع أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة بين الفريقين الا على حامية ثم يكرون . أبو الحسن قال : كان منادى على يخرج كل يوم وينادى أيها الناس لاتجهزن على جريح ولا تتبعن موليا ولا تسلبن قتيلا ومن ألقى سلاحه فهو آمن . أبو الحسن قال : خرج معاوية الى على يوم صفين ولم يبايعه اهل الشام بالخلافة وانما بايعوه على نصرة عثمان والطلب بدمه فلما كان من أمر الحكمين ما كان بايعوه بالخلافة فكتب معاوية الى سعد بن أبى وقاص يدعوه الى القيام معه فى دم عثمان سلام عليك أما بعد فان احق الناس بنصرة عثمان اهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ونصرة طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكره مارضوا ولا ترد ماقبلوا وانما نريدان نردها شورى بين المسلمين والسلام . فاجابه سعد : أما بعد فان عمر رضى الله عنه لم يدخل فى الشورى الا من تحل له الخلافة فلم يكن أحد اولى بها من صاحبه الا باجتماعنا عليه غيران عليا كان فيه مافينا ولم يكن فينا مافيه ولولم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو باقصى اليمن وهذا الامر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما والله يغفر لام المؤمنين ما أتت . وكتب معاوية : الى قيس بن سعد بن عبادة أما بعد فانما أنت يهودى ابن يهودى ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر ابغض الفريقين اليك قتلك ونكل بك وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطا المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريدا بحوران . فاجابه قيس : أما بعد فانما أنت وثنى ابن وثنى دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم أيمانك ولم

بحذر نفاقك ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذى دخلت فيه والسلام
وخطب على بن ابى طالب اصحابه يوم صفين فقال أيها الناس ان الموت طالب لا يعجزه هارب
ولا يفوته مقيم اقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص والذى نفس ابن أبى طالب بيده ان
ضربة سيف أهون من موت الفراش أيها الناس اتقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم
وموعدى واياكم الراية الحمراء فقال رجل من أهل العراق ما رأيت كاليوم خطيبا يخطبنا يأمرنا ان
نتقى السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا ويعدنا راية بيننا وبينها مائة ألف سيف . قال أبو
عبيدة فى التاج جمع على بن أبى طالب رياسة بكر كلها يوم صفين لحصين بن المنذر بن الحرث بن
وعلة وجعل الويتها تحت لوائه وكانت له راية سوداء يخفق ظلها اذا اقبل فلم يغن أحد فى صفين
غناءه . فقال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه :

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
يقدمها فى الصف حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عنى والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

وكان من همدان فى صفين حسن فقال فيهم على بن أبى طالب رضى الله عنه :

لهمدان أخلاق ودين يزينهم * وبأس اذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

أبو الحسن قال : كان على بن ابى طالب يخرج كل غداة لصفين فى سرعان الخيل فيقف بين الصفين
ثم ينادى يامعاوية علام يقتتل الناس ابرز الى وأبرز اليك فيكون الامر لمن غلب . فقال له عمرو
ابن العاص أنصفك الرجل فقال له معاوية أردتها ياعمرو والله لا رضيت عنك حتى تبارز عليا فبرز
اليه متنكرا فلما اغشيه على بالسيف رمى بنفسه الى الارض وأبدى له سوأته فضرب على وجه
فرسه وانصرف عنه فجلس معه معاوية يوما فنظر اليه فضحك فقال عمر وأضحك الله سنك
ما الذى أضحكك قال من حضور ذهنك يوم بارزت عليا اذ اتقيته بعورتك أما والله لقد صادفت
منانا كريما ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرمح قال عمرو بن العاصى أما والله انى عن يمينك اذ دعاك
الى البراز فاحولت عيناك وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك . وذكر عمرو بن العاصى :
عند على بن أبى طالب فقال فيه على عجبا لابن الباغية يزعم انى بلقائه أعافس وامارس انى وشر
القول أكذبه انه يسأل فيلحف ويسئل فيبخل فاذا احمر الباس وحمى الوطيس واخذت

السيوف ماخذها من هام الرجال لم يكن له هم الا غرقة ثيابه و ينح الناس استه فضه الله وترحه

مقتل عمار بن ياسر العنبي قال لما التقى الناس بصفين نظر معاوية الى هشام بن عتبة الذى يقال له المرقال لقول النبي صلى الله عليه وسلم ارقل ليمون وكان أعور والراية بيده وهو يقول :

أعور يبغى نفسه محلا * قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد ان يفل او يفلا

فقال معاوية لعمرو بن العاصي يا عمرو هذا المرقال والله لئن زحف بالراية زحفا انه ليوم اهل الشام الاطول ولكني ارى ابن السوداء الى جنبه يعني عمارا وفيه عجلة في الحرب وأرجو ان تقدمه الى الهلكة وجعل عمار يقول اباعتبة تقدم فيقول يا أبا اليقظان انا اعلم بالحرب منك دعني ازحف بالراية زحفا فلما اضجره وتقدم ارسل معاوية خيلا فاختطفوا عمارا فكان يسمى اهل الشام قتل عمار فتح الفتوح . ابو بكر بن ابى شيبة : عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن اسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد قال انى لجالس عند معاوية اذ اتاه رجلان يختصمان فى رأس عمار كل واحد منهما يقول انا قتلته فقال لهما عبد الله ابن عمرو بن العاص ليطب به احدكما نفسا لصاحبه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقتلك الفئة الباغية . ابو بكر بن ابى شيبة : عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن ام سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية . ابو بكر قال حدثنا على بن حفص عن أبي معشر عن محمد بن عبادة قال مازال جدى خزيمة بن ثابت كافا سلاحه يوم صفين حتى قتل عمار فلما قتل سل سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فمازال يقاتل حتى قتل . أبو بكر عن غندر عن عمرو بن شعبة عن عمرو بن مرة عن عند الله بن سلمة قال رأيت عمار يوم صفين شيخ آدم طوال أخذ الحربة بيده ويده ترعد وهو يقول والذى نفسى بيده لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة والذى نفسى بيده لوضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت انا على حق وانهم على باطل ثم جعل يقول صبرا عباد الله الجنة تحت ظلال السيوف . أبو بكر بن ابى شيبة : عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن ابى البختري قال لما كان يوم صفين واشتدت الحرب دعا عمار بشربة لبن وشربها وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ان آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن . أبو ذرعن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن جدته أم

سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج اليه ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والانصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا العمل مضلل

قالت وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متنظفا فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه فاذا وضعه نفض كفيه ونظر الى ثوبه فاذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي رضي الله عنه فانشد :

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها راكعا وساجدا

وقائما طورا وطورا قاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعني فسمعه عثمان . فقال يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض ومعه جريدة . فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل حائط . فقال عمار جلدة ما بين عيني وأنفي فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني واشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا قرآن . فقال أنا أرضيه كما غضب فاقبل عليه فقال يارسول الله مالي ولاصحابك قال ومالك ولهم . قال يريدون قتلي يحملون لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول يا ابن سمية لا يقتلك اصحابي ولكن تقتلك الفئة الباغية . فلما قتل بصفين وروى هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال معاوية هم قتلوه لانهم أخرجوه الى القتل فلما بلغ ذلك عليا قال ونحن قتلنا أيضاً حمزة لانا أخرجناه ﴿ من حرب صفين ﴾ أبو الحسن قال كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين الا على حامية ثم يكرون . أبو بكر بن ابي شيبة قال : انقضت وقعة صفين عن سبعين الف قتيل خمسين الفا من أهل الشام وعشرين الفا من أهل العراق ولما انصرف الناس من صفين قال عمرو بن العاص :

شبت الحرب فاعددت لها * مشرف الحارك محبوك الثبج

يصل الشر بشر فاذا * وثب الخيل من الشر معج

جرشع اعظمه حفزية * فاذا ابتل من الماء حرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فان شهدت جمل مقامى ومشهدى * بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جاأهل العراق كأنهم * سحاب ربيع رفّعته الجنائب
وجئناهم تـرى كان صفوفنا * من البحر مدّ موجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهمُ * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنا انا نرى ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

وقال السيد الحميرى وهو رأس الشيعة وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقى له وسادا بمسجد الكوفة:

انى ادين بما دان الوصى به * وشاركت كفه كفى بصفينا
فى سفك ماسفكت منها اذا احتضروا * وأبرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء معاً يارب فى عنقى * ثم اسقنى مثلها آمين آمينا
آمين من مثلهم فى مثل حالهم * فى فتية هاجروا فى الله شارينا
ليسوا يريدون غير الله ربهم * نعم المراد توخاه المريدونا

وقال النجاشى يوم صفين وكتب بها الى معاوية :

ياأيها الملك المبدى عداوته * أنظر لنفسك أى الأمر تأتمر
فان نفست على الاقوام مجدهم * فابسط يديك فان الخير مبتدر
واعلم بان علىّ الخير من فهر * شم العرانين لا يعلوهم بشر
نعم الفتى هو الا ان بينكما * كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
وما أخالك الا لست منتهيا * حتى ينالك من أظفاره ظفر

١٣ ـ خبر عمرو بن العاص مع معاوية ـ سفيان بن عيينة . قال اخبرنى أبو موسى الاشعرى قال اخبرنى الحسن قال: علم معاوية والله ان لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر . فقال له ياعمرو اتبعنى قال لماذا للآخرة فوالله مامعك آخرة أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها قال فانت شريكى فيها قال فاكتب لى مصر وكورها فكتب له مصر وكورها وكتب فى آخر الكتاب وعلى عمرو السمع والطاعة قال عمرو واكتب ان السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً . قال معاوية لا ينظر الناس الى هذا قال عمرو حتى تكتب قال فكتب والله مايجد بدا من كتابتها . ودخل عتبة

ابن ابى سفيان على معاوية وهو يكلم عمرا فى مصر وعمرو يقول له انما أبايعك بها دينى فقال عتبة ائتمن الرجل بدينه فانه صاحب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وكتب عمرو الى معاوية :

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء واننى * لآخذ ماتعطى ورأسى مقنع
فان تعطنى مصرا فاربح صفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

وقالوا : لما قدم عمرو بن العاص على معاوية وقام معه فى شان على بعد ان جعل له مصر طعمة قال له ان بارضك رجلا له شرف واسم والله ان قام معك استهويت به قلوب الرجال وهو عبادة بن الصامت فارسل اليه معاوية فلما أتاه وسع له بينه و بين عمرو بن العاص فجلس بينهما فحمد الله معاوية وأثنى عليه وذكر فضل عبادة وسابقته وذكر فضل عثمان وماناله وحضه على القيام معه فقال عبادة قد سمعت ماقلت أتدريان لم جلست بينكما فى مكانكما قالا نعم لفضلك وسابقتك وشرفك قال لا والله ماجلست بينكما لذلك وما كنت لاجلس بينكما فى مكانكما ولكن بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة تبوك اذ نظر اليكما تسيران وأنتما تتحدثان فالتفت الينا فقال اذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما فانهما لا يجتمعان على خير أبدا وأنا أنهاكما عن اجتماعكما فاما مادعوتمانى اليه من القيام معكما فان لكما عدوا هو أغلظ اعدائكما عليكما وأنا كامن من ورائكم فى ذلك العدو ان اجتمعتم على شىء دخلت فيه

١٤ ــ امر الحكمين ــ أبو الحسن قال: لما كان يوم الهدير وهو أعظم يوم بصفين زحف أهل العراق على أهل الشام فازالوهم عن مراكزهم حتى انتهوا الى سرادق معاوية فدعا بالفرس وهم بالهزيمة ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال له ماعندك قال تامر بالمصاحف فترفع فى اطراف الرماح ويقال هذا كتاب الله يحكم بيننا و بينكم فلما نظر أهل العراق الى المصاحف ارتدعوا واختلفوا وقال بعضهم نحاكمهم الى كتاب الله وقال بعضهم لا نحاكمهم لانا على يقين من أمرنا ولسنا على شك ثم اجمع رأيهم على التحكيم فهم على ان يقدم أبا الاسود الدؤلى فابى الناس عليه فقال له ابن عباس اجعلنى أحد الحكمين فوالله لافتلن لك حبلا لا ينقطع وسطه ولا ينشر طرفاه فقال له على لست من كيدك ولا من كيد معاوية فى شىء لا أعطيه الا السيف حتى يغلبه الحق قال وهو والله لا يعطيك الا السيف حتى يغلبك الباطل قال وكيف

ذلك قال لانك تطاع اليوم وتعصى غدا وانه يطاع ولا يعصى . فلما انتشر عن على أصحابه قال لله بلاد ابن عباس انه لينظر الى الغيب بستر رقيق . قال ثم اجتمع اصحاب البرانس وهم وجوه أصحاب على على ان يقدموا أباموسى الاشعرى وكان مبرنسا وقالوا لا نرضى بغيره فقدمه على وقدم معاوية عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو انك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأى فلا ترمه بعقلك كله فاخلى لهما مكان يجتمعان فيه فامهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام ثم اقبل اليه بانواع من الطعام يشهيه بها حتى اذا استبطن أبوموسى ناجاه عمرو . فقال له ياأباموسى انك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها وقد ترى ما وقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التى لا بقاء معها فهل لك ان تكون ميمون هذه الامة فيحقن الله بك دماءها فانه يقول فى نفس واحدة ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعا فكيف بمن أحيا نفس هذا الخلق كله . قال له وكيف ذلك قال تخلع انت على بن أبى طالب واخلع انا معاوية بن أبى سفيان ونختار لهذه الامة رجلا لم يحضر فى شيء من الفتنة ولم يغمس يده فيها قال له ومن يكون ذلك وكان عمرو بن العاص قد فهم رأى أبى موسى فى عبدالله بن عمر فقال له عبدالله بن عمر . فقال انه لكما ذكرت ولكن كيف لى بالوثيقة منك فقال له ياأباموسى الا بذكر الله تطمئن القلوب خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى ثم لم يبق عمرو بن العاص عهدا ولا موثقا ولا يمينا مؤكدة حتى حلف بها حتى بقى الشيخ مبهوتا وقال له قد أجبت فنودى فى الناس بالاجتماع اليهما فاجتمعوا فقال له عمرو قم فاخطب الناس ياأباموسى فقال قم انت اخطبهم فقال سبحان الله أنا اتقدمك وانت شيخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا فعلت ابدا قال اوعسى فى نفسك أمر فزاده ايمانا وتوكيدا حتى قام الشيخ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى قد اجتمعت أنا وصاحبى على أن اخلع أنا على بن أبى طالب ويعزل هو معاوية بن ابى سفيان ونجعل هذا الامر لعبدالله بن عمر فانه لم يحضر فى فتنة ولم يغمس يده فى دم امرىء مسلم ألا وانى قد خلعت على بن ابى طالب كما اخلع سيفى هذا ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس وقال لعمرو قم فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه قد كان من رأى صاحبى ما قد سمعتم وانه قد أشهدكم انه خلع على بن ابى طالب كما يخلع سيفه وأنا أشهدكم انى قد اثبت معاوية بن ابى سفيان كما اثبت سيفى هذا وكان قد خلع سيفه قبل ان يقوم الى الخطبة فاعاده

على نفسه فاضطرب الناس وخرجت الخوارج . وقال ابوموسى لعمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث . قال عمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا وخرج ابوموسى من فوره ذلك الى مكة مستعيذا بها من علي وحلف ان لا يكلمه أبدا . فاقام بمكة حينا حتى كتب اليه معاوية سلام عليك أما بعد فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد واعذر الطالب والحق لمن نصب له فأصابه وليس لمن عرض له فأخطأ . وقد كان الحكمان اذا حكما على علي لم يكن له الخيار عليهما وقد اختاره القوم عليك فاكره منهم ما كرهوا منك وأقبل الى الشام فانى خير لك من علي ولا قوة الا بالله . فكتب اليه أبوموسى سلام عليك أما بعد فانى لم يكن مني في علي الا ما كان من عمرو فيك غير انى أردت بما صنعت ما عند الله وأراد به عمرو ما عندك وقد كان بيني وبينه شروط وشورى عن تراض فلما رجع عمرو رجعت أما قولك ان الحكمين اذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما فانما ذلك في الشاة والبعير والدينار والدرهم فاما أمر هذه الامة فليس لاحد فيما يكره حكم ولن يذهب الحق عجز عاجز ولا خدعة فاجر واما دعاؤك اياى الى الشام فليس لى رغبة عن حرم ابراهيم فبلغ عليا كتاب معاوية الى أبي موسى الاشعرى فكتب اليه سلام عليك أما بعد فانك امرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور وحقق بك حسن الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فاستقل الله يقلك فان الله يغفر ولا يغفل وأحب عباده اليه التوابون وكتبه سماك بن حرب فكتب اليه أبوموسى سلام عليك فانه والله لولا انى خشيت ان يرفعك مني منع الجواب الى أعظم مما في نفسك لم أجبك لانه ليس لى عندك عذر ينفعني ولا قوة تمنعني وأما قولك ولزومى بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فانى اسلمت أهل الشام واقطعت عن أهل العراق واصبت أقواما صغروا من ذنبي ما عظمتم وعظموا من حقي ما صغرتم اذ لم يكن لى منكم ولى ولا نصير . وكان علي بن أبي طالب اذ وجه الحكمين قال لهما انما حكمنا كما بكتاب الله فتحييا ما أحيا القرآن وتميتا ما أمات فلما كاد عمرو بن العاص على أبي موسى اضطرب الناس على علي واختلفوا وخرجت الخوارج وقالوا لا حكم الا لله فجعل علي يتمثل بهذه الابيات :

لى زلة اليكم فأعتذر * سوف أكيس بعدها وانشمر * واجمع الامر الشتيت المنتشر

أبو الحسن قال : لما قدم أبو الاسود الدؤلى على معاوية عام الجماعة قال له معاوية بلغنى يا أبا

الاسودان على بن أبى طالب اراد ان يجعلك أحد الحكمين فما كنت تحكم به قال لو جعلنى أحدهما لجمعت الفا من المهاجرين وابناء المهاجرين وألفا من الانصار وأبناء الانصار ثم ناشدتهم الله المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الامر ام الطلقاء قال له معاوية لله أبوك أى حكم كنت تكون لو حكمت

١٥ ــ احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين ــ ابوالحسن قال : لما انقضى امر الحكمين واختلف اصحاب على قال بعض الناس مامنع امير المؤمنين ان يأمر بعض أهل بيته فيتكلم فانه لم يبق احد من رؤساء العرب الا وقد تكلم . قال فبينما على يوما على المنبر اذ التفت الى الحسن ابنه فقال قم يا حسن فقل فى هذين الرجلين عبدالله بن قيس وعمرو ابن العاص فقام الحسن . فقال أيها الناس انكم قد أكثرتم فى هذين الرجلين وانما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى فحكما بالهوى على الكتاب ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه وقد أخطأ عبدالله بن قيس اذ جعلها لعبدالله بن عمر فاخطأ فى ثلاث خصال واحدة انه خالف اباه اذ لم يرضه لها ولا جعله من اهل الشورى واخرى انه لم يستأمره فى نفسه وثالثة انه لم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة فقد حكم النبى عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ فى بنى قريظة فحكم بما يرضى الله به ولا شك ولو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس . فقال لعبدالله بن عباس : قم فقال عبدالله بن عباس بعد ان حمد الله واثنى عليه أيها الناس ان للحق اهلا أصابوه بالتوفيق فالناس بين راض به وراغب عنه فانه بعث عبدالله بن قيس بهدى الى ضلالة وبعث عمرو بضلالة الى الهدى فلما التقيا رجع عبدالله بن قيس عن هداه وثبت عمرو على ضلاله وايم الله لئن كانا حكما بما سارا به لقد سار عبدالله وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه فما بعد هذا من غيب ينتظر . فقال على لعبدالله بن جعفر بن أبى طالب : قم فقام فحمد الله واثنى عليه . وقال : ايها الناس ان هذا الامر كان النظر فيه الى على والرضا الى غيره فجئتم الى عبدالله بن قيس مبرنسا فقلتم لا نرضى الا به وايم الله مااستفدنا به علما ولا انتظرنا منه غائبا وما نعرفه صاحبا وما افسدا بما فعلا اهل العراق وما اصلحا اهل الشام ولا وضعا حق على ولا وضعا باطل معاوية ولا يذهب الحق رقية راق ولا نفحة شيطان ونحن اليوم على ما كنا عليه امس

١٦ — احتجاج عليّ على أهل النهروان — قالوا: ان عليا لما اختلف عليه اهل النهروان والقرى واصحاب البرانس ونزلوا قرية يقال لها حروراء وذلك بعد وقعة الجمل فرجع اليهم علي بن ابي طالب فقال لهم: ياهؤلاء من زعيمكم قالوا ابن الكواء قال فليبرز الى فخرج اليه ابن الكواء فقال له علي يا ابن الكواء مااخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ومقامكم بالكوفة قال قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده فزعمت ان قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار فبينما نحن كذلك اذ ارسلت منافقا وحكمت كافرا وكان من شكك في امر الله ان قلت للقوم حين دعوتهم كتاب الله بيني و بينكم فان قضى علي بايعتكم وان قضى عليكم بايعتموني فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك فقال علي يا ابن الكواء انما الجواب بعد الفراغ افرغت فاجيبك. قال نعم: قال علي اما قتالك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ولو شككت فيهم لم اقاتلهم واما قتلانا وقتلاهم فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي واما ارسالي المنافق وتحكيمي الكافر فانت أرسلت أباموسى مبرنسا ومعاوية حكم عمرا أتيت بابي موسى مبرنسا فقلت لا نرضى الا أباموسى فهلا قام الي رجل منكم. فقال يا علي لا تعطى هذه الدنية فانها ضلالة. واما قولي لمعاوية ان جرني اليك كتاب الله تبعتك وان جرك الي تبعتني زعمت اني لم أعط ذلك الا من شك فقد علمت ان أوثق ما في يديك هذا الامر. فحدثني و يحك عن اليهودي والنصراني ومشركي العرب أهم اقرب الى كتاب الله أم معاوية واهل الشام. قال بل معاوية واهل الشام اقرب قال علي افرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو انا قال بل رسول الله قال افرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين » اما كان رسول الله يعلم انه لا يؤتى بكتاب هو اهدى مما في يديه قال بلى. قال فلم اعطى رسول الله القوم ما اعطاهم قال انصافا وحجة. قال فاني اعطيت القوم ما اعطاهم رسول الله. قال ابن الكواء فاني اخطأت هذه واحدة زدني. قال علي فما اعظم ما نقمتم علي. قال تحكيم الحكمين نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيرا. قال علي فمتى سمي أبوموسى حكما حين أرسل أو حين حكم. قال حين ارسل قال أليس قد سار وهو مسلم وانت ترجوان يحكم بما انزل الله قال نعم. قال علي فلا أرى الضلال في ارساله فقال ابن الكواء سمي حكما حين حكم. قال نعم اذا فارساله كان عدلا ارأيت يا ابن الكواء لوان رسول الله بعث مؤمنا الى قوم مشركين يدعوهم الى كتاب الله فارتد على عقبه كافرا أكان يضر نبي الله شيئا قال لا

قال علي فما كان ذنبي ان كان أبوموسى ضل هل رضيت حكومته حين حكم أوقوله اذ قال . قال ابن الكواء لا ولكنك جعلت مسلما وكافرا يحكمان في كتاب الله . قال علي ويلك يا ابن الكواء هل بعث عمرا غير معاوية وكيف احكمه وحكمه على ضرب عنقي انما رضي به صاحبه كما رضيت انت بصاحبك . وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في امر الله أرأيت لوان رجلا مؤمنا تزوج يهودية أو نصرانية فخافا شقاق بينهما ففزع الناس الى كتاب الله وفي كتابه « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين اللذين يجوز لهما ان يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء وهذه أيضا أمهلنا حتى ننظر فانصرف عنهم علي . فقال له صعصعة بن صوحان يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام القوم . قال نعم مالم تبسط يدا . قال فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج اليه فقال أنشدكم بالله يامعشر الخارجين ان لا تكونوا عارا على من يغزو لغيره وان لا تخرجوا بارض تسموا بها بعد اليوم ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل . فقال له ابن الكواء ان صاحبك لقينا بامر قولك فيه صغير فامسك . قالوا ان عليا خرج بعد ذلك اليهم فخرج اليه ابن الكواء . فقال له علي يا ابن الكواء انه من اذنب في هذا الدين ذنبا يكون في الاسلام حدثا استتبناه من ذلك الذنب بعينه وان توبتك ان تعرف هدى ما خرجت منه وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء انا لا ننكر انا قد فتنا . فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز ادركنا والله هذه الآية « ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وكان عبد الله من قراء أهل حروراء فرجعوا فصلوا خلف علي الظهر وانصرفوا معه الى الكوفة ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضا . فقال زيد بن عبد الله الراسبي وكان من أهل حروراء يشككهم :

شككتم ومن أرسى ثبيرا مكانه * ولولم تشكوا ما اثنيتم عن الحرب
وتحكيمكم عمرا على غير توبة * وكان لعبد الله خطب من الخطب
فانكصه للعقب لما خلا به * فاصبح يهوي من ذرى حالق صعب

وقال الرياحي :

ألم تران الله أنزل حكمه * وعمرو وعبد الله مختلفان

وقال مسلم بن يزيد الثقفي وكان من عباد حروراء :

وان كان ما عبناه عيبا فحسبنا * خطايا باخذ النصح من غير ناصح

وان كان عيبا فاعظم بتركنا * عليا على أمر من الحق واضح
ونحـــن اناس بين بين وعلنا * سررنا بامر غبــه غــير صالح

ثم خرجوا على علي فقتلهم بالنهروان

١٧ — خروج عبد الله بن عباس على علي — قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب . وكان يقدمه على الا كابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط . فقال له يوما كدت أستعملك ولـكن أخشى ان تستحل الفيء على التأويل . فلما صار الامر الى علي استعمله على البصرة فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى » واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيـد قال مر ابن عباس على أبي الاسود الدؤلي . فقال له لو كنت من البهائم لـكنت جملا ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى له فـكتب أبو الاسود الى علي . أما بعد فان الله جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مسؤلا . وقد بلوناك رحمك الله فوجـدناك عظيم الامانة ناصحا للامة توفر لهم فيئهم وتـكف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي بشيء في أحكامهم . وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غـير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمـك الله فيما هنالك . وا كتب الي برأيك فيما أحببت أتبعـه ان شاء الله والسـلام . فـكتب اليه علي : أما بعد فمثلك نصح الامام والامة و والى على الحق وفارق الجور . وقد كتبت لصاحبك بما كتبت الي فيه ولم أعلمه بكتابك الي فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح فانك بذلك جـدير وهو حق واجب لله عليك والسلام . وكتب علي الى ابن عباس : أما بعـد فانه قد بلغني عنك أمر ان كنت فعلته . فقـد أسخطت الله وأخربت أمانتك وعصيت امامك وخنت المسـلمين بلغني أنك خربت الارض وأكلت ما تحت يدك . فارفع الي حسابك واعـلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام . وكتب اليـه ابن عباس : أما بعد فان كل الذي بلغك باطـل وأنا لما تحت يدي ضابط وعليه حافظ فلا تصدق على الضنين والسلام . فـكتب اليه علي : أما بعد فانه لا يسـعني تركك حتى تعلمني ما أخـذت من الجزية من أين أخـذته وما وضعت منها أين وضـعته فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسـترعيتك اياه فان المتاع بما أنت رازمه قليـل وتباعته

و بيلة لا تبيد والسـلام . فلما رأى ان عليا غير مقلع عنـه كتب اليه . أما بعـد : فانه بلغني تعظيمك على مرزأة مال بلغك انى رزأته أهـل هذه البلاد وايم الله لان ألقى الله بما فى بطن هـذه الارض من عقيانها ومخبئها وبما على ظهرها من طلاعها ذهبا أحب الىّ من أن ألقى الله وقـد سفكت دماء هذه الامـة لانال بذلك الملك والامرة ابعث الى عملك من أحببت فانه ظاعن والسلام . فلما أراد عبد الله المسـير من البصرة دعا أخواله بنى هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالى فاجاره ومعه رجل منهم يقال له رزين بن عبد الله بن رزين وكان شجاعا بئيسا . فقالت بنو هلال لا غنى بنا عن هوازن . فقالت هوازن لا غنى بنا عن بنى سليم . ثم اتتهم قيس . فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان فى بيت مال البصرة وكان فيما زعموا ستة آلاف الف فجعله فى الغرائر قال فحدثنى الازرق اليشكرى . قال سمعت أشياخنا من أهل البصرة قالوا لما وضع المال فى الغرائر . ثم مضى به تبعته الاخماس كلها بالطف على أربع فراسخ من البصرة فوافقوه فقالت لهم قيس والله لا تصلوا اليه ومنا عين تطرف . فقال ضمرة وكان رأس الازد والله ان قيسا لاخوتنا فى الاسلام وجيراننا فى الدار وأعواننا على العدو وان الذى تذهبون به من المال لو رد عليكم لكان نصيبكم منه الاقل وهم خير لكم من المـال . قالوا فمـا ترى قال انصرفوا عنهم . فقال بكر بن وائل وعبد القيس نعم الرأى رأى ضمرة واعتزلوهم . فقالت بنو تميم والله لا نفارقهم حتى نقاتلهم عليه . فقال الاحنف بن قيس أنتم والله أحق ان لا تقاتلوهم عليه وقد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحما . قالوا والله لنقاتلنهم فقال والله لا نشايعكم على قتالهم وانصرف عنهم فقدم عليهم ابن مجدبة فقاتلهم فحمل عليه الضحاك بن عبد الله فطعنه فى كتفه فصرعه فسقط الى الارض بغير قتل . وحمل سلمة بن ذؤيب السعدى على الضحاك فصرعه أيضا وكثرت بينهم الجراح من غير قتل . فقال الاخماس الذين اعتزلوا والله ما صنعتم شيئا اعتزلتم قتالهم وتركتموهم يتشاجرون فجاؤا حتى صرفوا وجوه بعضهـم عن بعض وقالوا لبنى تميم والله ان هـذا اللؤم قبيح لنحن أسخى انفسا منكم حين تركنا أموالنا لبنى عمكم وانتم تقاتلونهـم عليها خلوا عنهم وأرواحهم فان القوم فدحوا . فانصرفوا عنهـم ومضى معه ناس من قيس فيهم الضحاك بن عبد الله وعبـد الله بن رزين حتى قدموا الحجاز فنزل مكة . فجعل راجز لعبد الله بن عباس يسوق له فى الطريق ويقول :

صبحت من كاظمة القصر الخرب * مع ابن عباس بن عبد المطلب

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

آوى الى أهلك يا رباب * آوى فقد حان لك الاياب

وجعل أيضا يرتجز و يقول:

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقال له يا أبا العباس أمثلك يرفث فى هذا الموضع . قال انما الرفث ما يقال عند النساء قال أبو محمد فلما نزل مكة اشترى من عطاء بن جبير مولى بنى كعب من جواريه ثلاث مولدات حجازيات يقال لهن شادن وحوراء وفتون بثلاثة آلاف دينار . وقال سليمان بن أبى راشد عن عبد الله ابن عبيد عن أبى الكنود قال كنت من أعوان عبد الله بالبصرة . فلما كان من أمره ما كان أتيت عليا فاخبرته فقال « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ثم كتب معه اليه : اما بعد فانى كنت أشركتك فى امانتى ولم يكن من أهل بيتى رجل اوثق عندى منك بمواساتى وموازرتى باداء الامانة . فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرد وأمانة الناس قد خربت وهذه الامة قد فتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوأ خذلان وخنته مع من خان فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اليه أديت كانك لم تكن على بينة من ربك وانما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم . فلما امكنتك الفرصة فى خيانة الامة اسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ما قدرت عليه من أموالهم وانقلبت بها الى الحجاز كانك انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأمك سبحان الله أما تؤمن بالمعاد أما تخاف الحساب اما تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتشترى الاماء وتنكحهم باموال اليتامى والارامل والمجاهدين فى سبيل الله التى أفاء الله عليهم فاتق الله وأد الى القوم أموالهم فانك والله لئن لم تفعل وامكننى الله منك لاعذرن الى الله فيك فوالله لوان الحسن والحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندى هوادة ولما تركتهما حتى آخذ الحق منهما والسلام . فكتب اليه ابن عباس : اما بعد فقد بلغنى كتابك تعظم على امانة المال الذى أصبت من بيت مال البصرة ولعمرى ان حقى فى بيت مال الله اكثر من الذى أخذت والسلام . فكتب اليه على : اما بعد فان العجب كل العجب منك اذ ترى لنفسك فى بيت مال الله اكثر مما لرجل من المسلمين قد افلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاءك مالا يكون ينجيك من الاثم ويحل لك ما حرم الله عليك عمرك الله انك لانت البعيد البعيد قد بلغنى انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشترى المولدات من المدينة والطائف وتختارهن على عينك وتعطى بها مال غيرك . وانى

أقسم بالله ربي ورب ربك رب العزة ما أحب ان ما أخذت من أموالهم لي حلالا ادعه ميراثا لعقبي فما بال اغتباطك به تأكله حراما اصبح رويدا فكأنك قد بلغت المدى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي فيه المغتر بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة . فكتب اليه ابن عباس والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنه الى معاوية يقاتلك به فكف عنه عليّ

١٨ — مقتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه — سفيان بن عيينة قال: كان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يخرج بالليل الى المسجد . فقال أناس من أصحابه نخشى ان يصيبه بعض عدوه ولكن تعالوا نحرسه فخرج ذات ليلة فاذا هو بنا . فقال ماشأنكم فكتمناه فعزم علينا فاخبرناه . فقال تحرسوني من أهل السماء أو من أهل الارض قلنا من أهل الارض . قال انه ليس يقضى في الارض حتى يقضى في السماء . التميمي باسناد له قال : لما تواعد ابن ملجم وصاحباه بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص دخل ابن ملجم المسجد في فروغ الفجر الاول فدخل في الصلاة تطوعا ثم افتتح في القراءة وجعل يكرر هذه الآية ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فاقبل ابن أبي طالب بيده مخفقة وهو يوقظ الناس للصلاة و يقول أيها الناس الصلاة الصلاة . فمر بابن ملجم وهو يردد هذه الآية فظن علي انه ينسى فيها ففتح عليه . فقال والله رؤف بالعباد . ثم انصرف علي وهو يريد ان يدخل الدار فاتبعه فضربه على قرنه ووقع السيف في الجدار فاطار فدرة من آخره فابتدره الناس فاخذوه ووقع السيف منه فجعل يقول أيها الناس احذروا السيف فانه مسموم . قال فاتي به علي فقال احبسوه ثلاثا واطعموه واسقوه فان أعش أرى فيه رأيي . وان أمت فاقتلوه ولا تمثلوا به فمات من تلك الضربة فاخذه عبد الله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع . فقيل له لم لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزعت لقطع لسانك . قال اني أكره ان تمر بي ساعة لا أذكر الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه . وتوجه الخارجي الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلا . ووجه الثالث الى عمرو فوجده قد اغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقدم مكانه رجلا يقال له خارجة فضربه الخارجي بالسيف وهو يظنه عمرو بن العاص فقتله . فاخذه الناس فقالوا اقتلت خارجة قال أوليس عمرا قالوا والله لا قال أردت عمرا واراد الله خارجة . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ألا أخبرك باشد الناس عذابا يوم القيامة . قال أخبرني يا رسول الله قال فان أشد الناس عذابا يوم القيامة عاقر ناقة ثمود وخاضب لحيتك بدم رأسك . وقال كثير عزة :

ألا ان الأئمة من قريش * ولاة العهد أربعة سواء
علىّ والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى * يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

قال الحسن بن على : صبيحة الليلة التى قتل فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه حدثنى أبى البارحة فى هذا المسجد . فقال يابنى انى صليت البارحة مارزق الله . ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابى وقلة رغبتهم فى الجهاد فقال لى ادع الله ان يريحك منهم فدعوت الله . وقال الحسن : صبيحة تلك الليلة أيها الناس انه قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا ينثنى حتى يفتح الله له ماترك الا ثلثمائة درهم

١٩ — خلافة الحسن بن على — ثم بويع للحسن بن على وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ . فكتب اليه ابن عباس ان الناس قد ولوك أمرهم بعد على فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك واستر من الضنين ذنبه بما لا يثلم دينك واستعمل أهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم . ثم اجتمع الحسن بن على ومعاوية بمسكن من أرض السواد من ناحية الانبار . واصطلحا وسلم الحسن الأمر الى معاوية وذلك فى شهر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين ويسمى عام الجماعة فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ومات الحسن فى المدينة سنة تسع وأربعين وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سعيد بن العاص وهو والى المدينة وأوصى ان يدفن مع جده فى بيت عائشة فمنعه مروان بن الحكم فردوه الى البقيع . وقال أبو هريرة : لمروان علام تمنع ان يدفن مع جده فلقد أشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . فقال له مروان لقد ضيع حديث نبيه اذ لم يروه غيرك . قال أما انك اذ قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من أحب ومن أبغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه . ولما بلغ معاوية موت الحسن بن على خرّ ساجدا لله . ثم أرسل الى ابن عباس وكان معه فى الشام فعزاه وهو مستبشر وقال له ابن كم سنة

مات أبو محمد . فقال له سنه كان يسمع فى قريش فالعجب من ان يجهله مثلك . قال بلغنى انه ترك أطفالا صغارا . قال : كل ما كان صغيرا يكبر وان طفلنا لكهل وان صغيرنا لكبير . ثم قال مالى أراك يامعاوية مستبشرا بموت الحسن بن على . فوالله لا ينسأ فى أجلك ولا يسد حفرتك وما أقل بقاءك و بقاءنا بعده . ثم خرج ابن عباس فبعث اليه معاوية ابنه يزيد فقعد بين يديه فعزاه واستعبر لموت الحسن . فلما ذهب اتبعه ابن عباس بصره . وقال اذا ذهب آل حرب ذهب الحلم من الناس

٢٠ — خلافة معاوية — ثم اجتمع الناس على معاوية سنة احدى وأربعين وهو عام الجماعة . فبايعه أهل الامصار كلها وكتب بينه و بين الحسن كتابا وشروطا ووصله بأربعين ألفا وفى رواية أبى بكر بن أبى شيبة انه قال له والله لا جيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك ولا أجيز بها أحدا بعدك فأمر له بأربعمائة ألف . هو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكنيته أبو عبد الرحمن . وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف . ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . وصلى عليه الضحاك بن قيس وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . و يقال ابن ثمانين سنة كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوما . صاحب شرطته يزيد بن الحرث العبسى وعلى حرسه وهو أول من اتخذ حرسا رجل من الموالى يقال له المختار . وحاجبه سعد مولاه وعلى القضاء أبو ادريس الخولانى . و ولد له عبد الرحمن وعبد الله من فاختة ابنة قرطة . أما عبد الرحمن فمات صغيرا . وأما عبد الله فمات كبيرا وكان ضعيفا ولا عقب له من الذكور . وكان له بنت يقال لها عاتكة تزوجها يزيد بن عبد الملك وفيها يقول الشاعر :

يا بيت عاتكة التى اتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

و يزيد بن معاوية وأمه ابنة بجدل كلبية

٢١ — فضائل معاوية — ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احذروا آدم قريش وابن كريمها من يضحك عند الغضب ولا ينام الا على الرضا و يتناول ما فوقه من تحته . سئل عبد الله بن عباس : عن معاوية فقال سما بشىء أسره واستظهر عليه بشىء أعلنه فحاول ما انمر بما أعلن فناله وكان حلمه قاهر الغضبه وجوده غالبا على منعه يصل ولا يقطع

ويجمع ولا يفرق فاستقام له أمره وجرى الى أمده . قيل: فاخبرنا عن ابنه . قال كان فى خير سبيله وكان أبوه قد أحكم أمره ونهاه فتعلق بذلك وسلك طريقا مذللا له . وقال معاوية : لم يكن فى الشباب شىء الا كان منى فيه مستمتع غير انى لم أكن صرعة ولا نكحة ولا سبابا . قال الاصمعى : السب كثير السباب . ميمون بن مهران قال: كان أول من جلس بين الخطبتين معاوية . وأول من وضع شرف العطاء الفين معاوية . وقال معاوية: لا زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فاحسن . العتبى عن أبيه قال : قال معاوية لقريش ألا أخبركم عنى وعنكم قالوا بلى قال فانا أطير اذا وقعتم واقع اذا طرتم ولو وافق طيرانى طيرانكم سقطنا جميعا . وقال معاوية : لو ان بينى و بين الناس شعرة ما انقطعت أبدا قيل له: وكيف ذلك . قال: كنت اذا مدوها أرخيتها واذا ارخوها مددتها . وقال زياد: ماغلبنى أمير المؤمنين معاوية قط الا فى أمر واحد طلبت رجلا من عمالى كسر على الخراج فلجأ اليه فكتبت اليه ان هذا افساد عملى وعملك . فكتب الى انه لا ينبغى لنا ان نسوس الناس سياسة واحدة لا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك . ولكن تكون أنت للشدة والفظاظة والغلظة وأكون انا للرأفة والرحمة

٢٢ — أخبار معاوية — قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة . فدخل دار عثمان ابن عفان فصاحت عائشة ابنة عثمان و بكت ونادت أباها : فقال معاوية يا ابنة أخى ان الناس اعطونا طاعة واعطيناهم أمانا واظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا ذلا تحته حقد ومع كل انسان سيفه و يرى موضع أصحابه فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ولان تكونى ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكونى امرأة من عرض الناس . القحذمى قال : لما قدم معاوية المدينة قال أيها الناس ان أبا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده . وأما عمر فارادته الدنيا ولم يردها . وأما عثمان فنال منها ونالت منه . وأما انا فمالت بى وملت بها . وأنا ابنها فهى أمى فان لم تجدونى خيركم فانا خير لكم . ثم نزل . قال جويرية بن أسماء : نال بشر بن ارطاة من على بن أبى طالب عند معاوية و زيد بن عمر بن الخطاب جالس فعلا بشرا ضربا حتى شجه . فقال معاوية: يازيد عمدت الى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته وأقبل على بشر . وقال تشتم عليا وهو جده وأبوه الفاروق على رؤس الناس أفكنت تراه يصبر على

شتم علي . وكانت ام زيد ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ولما قدم معاوية مكة : وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أمه هند . فقالت له يابني انه قلما ولدت حرة مثلك . وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه ابي سفيان فقال له يابني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخيرنا فصرنا اتباعا وصاروا قادة . وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن رأيهم فانك تجري الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ . العتبي : عن ابيه ان عمر بن الخطاب : قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار . فتلقاهما معاوية في موكب نبيل فجاوز عمر حتى اخبر فرجع اليه . فلما قرب منه نزل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل . فاقبل عليه عمر فقال يامعاوية انت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات بيابك . قال نعم ياأمير المؤمنين . قال ولم ذلك قال لانا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو فلابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك قمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت . قال لئن كان الذي قلت حقا فانه رأي أريب ولئن كان باطلا فانها خدعة اديب ولا آمرك به ولا انهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردته فيه . قال لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه . وقال معاوية لابن الكواء : ياابن الكواء انشدك الله ما علمك في قال انشدتني الله ما أعلمك الا واسع الدنيا ضيق الآخرة . ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة وأراد ان يلعن عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث اليه وخذ رأيه فأرسل اليه وذكر له ذلك . فقال ان فعلت لاخرجن من المسجد . ثم لا اعود اليه فامسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد . فلما مات لعنه على المنبر وكتب الى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا . فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى معاوية انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن احبه وأنا اشهد ان الله احبه ورسوله فلم يلتفت الى كلامها وقال بعض العلماء لولده : يابني ان الدنيا لم تبن شيا الا هدمه الدين وان الدين لم يبن شيا فهدمته الدنيا الا ترى ان قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه فكأنما أخذوا بناصيته جرا الى السماء . ودخل صعصعة بن صوحان

على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره . فقال وسع له على ترابية فيه : فقال صعصعة انى والله لترابى منه خلقت واليه أعود ومنه أبعث وانك لمارج من مارج من نار . العتبى عن أبيه قال : قال معاوية يوما لعمرو بن العاص ما أعجب الاشياء قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه قال معاوية أعجب من ذلك ان يعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة . وقال معاوية : أعنت على علىّ بأربعة كنت أكتم سرى وكان رجلا يظهره وكنت فى أصلح جند وأطوعه وكان فى أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منه وان ظفر بهم اغتر بها فى دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الىّ ومفرق عنه . العتبى قال : أراد معاوية ان يقدم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد فابى معاوية الا أن يفعل . فكتب اليه يزيد يقول :

تجنىّ لا يزال يعد ذنبا * لتقطع وصل حبلك من حبالى
فيوشك أن يريحك من اذائى * نزولى فى المهالك وارتحالى

وتجهز للخروج فلم يختلف عنه احد حتى كان فيمن خرج أبو أيوب الانصارى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم . قال العتبى : وحدثنى أبو ابراهيم قال أرسل معاوية الى ابن عباس قال يا أبا العباس ان أحببت أن تخرج مع ابن أخيك فيانس بك ويقربك وتشير عليه برأيك ولا يدخل الناس بينك وبينه فيشغلوا كل واحد منكما عن صاحبه . وأقل من ذكر حقك فانه ان كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منا حبا وان لم يكن لك فلا حاجة بك الى ذكره مع انه صائر اليك وكل آت قريب . ولتجدنا اذا كان ذلك خيرا لكم منا . فقال ابن عباس والله لئن عظمت عليك النعمة فى نفسك لقد عظمت عليك فى يزيد . وأما ماسألتنى عن الكف عن ذكر حقى فانى لم أغمد سيفى وأنا أريد أن انتصر بلسانى ولئن صار هذا الامر الينا ثم وليكم من قومى مثلى كما وليناه من قومك مثلك لا يرى أهلك الا ما يحبون . قال فخرج يزيد . فلما صار على الخليج ثقل أبو أيوب الانصارى فأتاه يزيد عائدا . فقال ما حاجتك أبا أيوب . فقال أما دنياكم فلا حاجة لى فيها ولكن قدمنى ما استطعت فى بلاد العدو فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدفن عند سور القسطنطينية رجل صالح أرجو أن أكون هو . فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحمل على سريره . ثم اخرج الكتائب فجعل قيصر يرى سريرا يحمل والناس يقتتلون فارسل الى يزيد ماهذا الذى أرى . قال صاحب نبينا وقد سألنا أن نقدمه فى بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله . فارسل اليه

العجب كل العجب كيف يدهى الناس أباك وهو يرسلك فتعمد الى صاحب نبيك فتدفنه فى بلادنا فاذا وليت أخرجناه الى الكلاب . فقال يزيد : انى والله ما أردت ان أودعه بلادكم حتى أودع كلامى آذانكم فانى كافر بالذى اكرمت هذا الله لئن بلغنى انه نبش من قبره أومثل به لاتركت بارض العرب نصرانيا الاقتلته ولا كنيسة الاهدمتها . فبعث اليه قيصر أبوك كان أعلم بك فوحق المسيح لاحفظنه بيدى سنة . فلقد بلغنى انه بنى على قبره قبة يسرج فيها الى اليوم

٢٣ — طلب معاوية البيعة ليزيد — أبو الحسن المدائنى قال : لما مات زياد وذلك سنة ثلاث وخمسين اظهر معاوية عهدا مفتعلا . فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده وانما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد . فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطى الاقارب ويدانى الأباعد حتى استوثق له من اكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير : ما ترى فى بيعة يزيد . قال يا أمير المؤمنين انى أناديك ولا اناجيك ان اخاك من صدقك . فانظر قبل أن تتقدم وتفكر قبل أن تندم . فان النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية وقال ثعلب رواغ تعلمت الشجاعة عند الكبر فى دون ما تشجعت به على ابن أخيك ما يكفيك . ثم التفت الى الاحنف فقال : ما ترى فى بيعة يزيد . قال نخافكم ان صدقناكم ونخاف الله ان كذبنا . فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية الى سائر الامصار أن يفدوا عليه فوفد عليه من كل مصر قوم وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به معاوية وقال له ما ترى فى بيعة يزيد . فقال يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الارض أحد هو أحب الى رشدا من نفسك سوى نفسى وان يزيد أصبح غنيا فى المال واسطا فى الحسب وان الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر من تولى أمر أمة محمد . فاخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء وذلك فى يوم شات . ثم قال يا محمد انك امرؤ ناصح قلت برأيك ولم يكن عليك الا ذاك . قال معاوية : انه لم يبق الا ابنى وأبناؤهم فابنى أحب الى من أبنائهم اخرج عنى . ثم جلس معاوية فى أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه وقد تقدم الى أصحابه أن يقولوا فى يزيد . فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين انه لابد للناس من وال بعدك والانفس يغدى عليها ويراح وان الله قال : « كل يوم هو فى شأن » ولا ندرى ما يختلف به العصران . ويزيد ابن أمير المؤمنين فى حسن معدنه وقصد سيرته من أفضلنا حلما واحكمنا علما فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك فانا قد بلونا الجماعة والالفة . فوجدناه احقن

للنساء وآمن للسبل وخيراً في العاقبة والآجلة . ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال: أيها الناس ان يزيد أمل تأملونه وأجل تأمنونه طويل الباع رحب الذراع اذا صرتم الى عدله وسعكم وان طلبتم رفده أغنا كم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فجد وقورع فقرع خلفا من أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال: اجلس أبا أمية فلقد أوسعت واحسنت . ثم قام يزيد بن المقفع فقال: أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية فان هلك فهذا . وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه . فقال: معاوية اجلس فانك سيد الخطباء ثم تكلم الاحنف بن قيس . فقال: ياأمير المؤمنين انت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه . فان كنت تعلمه لله رضا ولهذه الامة فلا تشاور الناس فيه . وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة . قال فتفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف . قال ثم بايع الناس ليزيد بن معاوية . فقال رجل وقد دعى الى البيعة اللهم انى أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية تعوذ من شر نفسك فانه أشد عليك و بايع . قال انى أبايع وانا كاره للبيعة . فقال له معاوية بايع أيها الرجل فان الله يقول « فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ثم كتب الى مروان بن الحكم عامله على المدينة ان ادع أهل المدينة الى بيعة يزيد . فان أهل الشام والعراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فحضهم على الطاعة وحذرهم الفتنة ودعاهم الى بيعة يزيد . وقال سنة أبى بكر الهادية المهدية . فقال له عبد الرحمن بن ابى بكر كذبت ان أبا بكر ترك الاهل والعشيرة و بايع لرجل من بنى عدى رضى دينه وامانته واختاره لامة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال مروان: ايها الناس ان هذا المتكلم هو الذى انزل الله فيه « والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن اخرج وقد خلت القرون من قبلى » فقال له عبد الرحمن: ياابن الزرقاء أفينا تتأول القرآن . وتكلم الحسين بن على . وعبد الله بن الزبير . وعبد الله بن عمر وانكروا بيعة يزيد وتفرق الناس فكتب مروان الى معاوية بذلك . فخرج معاوية الى المدينة فى ألف . فلما قرب منها تلقاه الناس . فلما نظر الى الحسين قال مرحبا بسيد شباب المسلمين قربوا دابة لابى عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن ابى بكر مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق . وقال لابن عمر مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق . وقال لابن الزبير مرحباً بابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته . ودعا لهم بدواب فحملهم عليها وخرج حتى أتى مكة فقضى حجه . ولما أراد الشخوص امر باثقاله فقدمت وامر بالمنبر فقرب من الكعبة وارسل الى الحسين وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عمر وابن الزبير فاجتمعوا . وقالوا لابن الزبير اكفنا كلامه . فقال:

على ان لا تخالفونى . قالوا الك ذلك ثم أتوا معاوية فرحب بهم وقال لهم قد علمتم نظرى لكم وتعطفى عليكم وصلتى أرحامكم . و يزيد أخوكم وابن عمكم . وانما أردت ان أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون فسكتوا وتكلم ابن الزبير . فقال: نخيرك بين احدى ثلاث أيها أخذت فهى لك رغبة وفيها خيار ان شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ولم يستخلف فدع هذا الامر حتى يختار الناس لانفسهم . وان شئت فاصنع أبو بكر عهد الى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الادنين من كان لها أهلا . وان شئت فاصنع عمر صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا . قال معاوية: هل غير هذا قال لا . ثم قال للآخرين ما عندكم: قالوا نحن على ما قال ابن الزبير . فقال معاوية انى اتقدم اليكم وقد أعذر من أنذر انى قائل مقالة فاقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع اليه كلمته حتى يضرب رأسه فلا ينظر امرؤ منكم الا الى نفسه ولا يبقى الا عليها . وأمر ان يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفهما فان تكلم بكلمة يردها عليه قوله قتلاه . وخرج وأخرجهم معه حتى رقى المنبر وحف به أهل الشام . واجتمع الناس . فقال: بعد حمد الله والثناء عليه انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار . قالوا ان حسينا وابن أبى بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد . وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نبرم أمرا دونهم . ولا نقضى أمرا الا عن مشورتهم . وانى دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين فبايعوا وسلموا وأطاعوا . فقال: أهل الشام وما يعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب أعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية . فقال: معاوية سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم انصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ودعا الناس الى البيعة فبايعوا . ثم قربت رواحله فركب ومضى . فقال الناس للحسين وأصحابه قلتم لا نبايع فلما دعتم وأرضيتم بايعتم . قالوا لم نفعل قالوا: بلى قد فعلتم و بايعتم . أفلا أنكرتم . قالوا: خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم

٢٤ — وفاة معاوية — عن الهيثم بن عدى قال : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا الضحاك بن قيس الفهرى ومسلم بن عقبة المرى فقال أبلغا عنى يزيد وقولا له انظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعاهده . وانظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل فى كل يوم فاعزله فان عزل عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف لا ندرى على من

تكون الدائرة. ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم. ثم أردد أهل الشام الى بلدهم ولا يقيموا في غيره فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك الا ثلاثة الحسين بن علي وعبد الله الزبير وعبد الله بن عمر. فاما الحسين بن علي فارجو ان يكفيكه الله فانه قتل أباه وخذل أخاه. وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان ظفرت به فقطعه أربا أربا. وأما ابن عمر فانه رجل قد قرقره الورع فخل بينه وبين آخرته يخل بينك وبين دنياك. ثم أخرج الى يزيد بريدا بكتاب يستقدمه ويستحثه فخرج مسرعا فتلقاه يزيد فاخبره بموت معاوية. فقال يزيد:

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم * قالوا الخليفة أمسى مثبتا وجعا
فمادت الارض أو كادت تميد بنا * كأن أغبر من أركانها انقلعا
ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمي العجاج بها ما نأتلي سرعا
فما نبالي اذا بلغن أرحلنا * ما مات منهن بالموماة أوظلعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه * كذاك كنا جميعا قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن أخلاقهم قرعا
لا يرقع الناس ما أوهى ولو جهدوا * ان يرقعوه ولا يوهون ما رقعا

قال محمد بن عبد الحكم: قال الشافعي سرق هذين البيتين من الاعشى. ابن داب قال: لما هلك معاوية خرج الضحاك بن قيس الفهري وعلى عاتقه ثياب حتى وقف الى جانب المنبر. ثم قال: أيها الناس ان معاوية كان إلف العرب وملكها اطفأ الله به الفتنة وأحيا به السنة وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه. فمن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهري. ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن هلال السلولي فقال:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذي بالملك حاباكا
لا رزء أعظم في الاقوام قد علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الارض كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام. ثم دخل يزيد فاقام ثلاثة ايام لا يخرج للناس. ثم خرج وعليه أثر الحزن فصعد المنبر واقبل الضحاك فجلس الى جانب المنبر وخاف عليه الحصر. فقال له يزيد: يا ضحاك

أجئت تعلم بنى عبد شمس الكلام . ثم قام خطيبا فقال : الحمد لله الذى ماشاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان معاوية بن ابى سفيان كان حبلا من حبال الله مده ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء ان يقطعه فكان دون من قبله وخيرا ممن ياتى بعده ولا أزكيه وقد صار الى ربه فان يعف عنه فبرحمته وان يعذبه فبذنبه وقد وليت بعده الامر ولست اعتذر من جهل ولا أنى عن طلب وعلى رسلكم اذا كره الله شيئا غيّره واذا أراد شيئا يسره

٢٥ — خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته — هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون ابنة بحدل بن قياسة احد بنى حارثة بن خباب . وكنيته أبو خالد . وكان آدم جعدا مهضوما أحور العين بوجهه آثار جدرى حسن اللحية خفيفها . ولى الخلافة فى رجب سنه ستين ومات فى النصف من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ودفن بحوارين خارجا من المدينة وكانت ولايته أربع سنين وأياما وكان على شرطته حميد ابن حريث بن بحدل . وكاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور . وعلى القضاء أبو ادريس الخولانى . وعلى الخراج مسلمة بن حديدة الازدى . أولاد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان امهم فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة . وعبد الله وعمر وأمهما أم كلثوم ابنة عبد الله بن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكا وولده خالد عالما لم يكن فى بنى أمية ازهد من هذا ولا أعلم من هذا . الاصمعى عن أبى عمرو قال : اعرق الناس فى الخلافة عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن سفيان أبوها خليفة وجدها معاوية خليفة وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة وار باؤها الوليد وسليمان وهشام خلفاء

٢٦ — مقتل الحسين بن على — على بن عبد العزيز قال : قرأ علىّ أبو القاسم عبد الله بن سلام وأنا اسمع فسألته نروى عنك كما قرئ عليك قال نعم . قال أبو عبيد : لما مات معاوية بن سفيان وجاءت وفاته الى المدينة وعليها يومئذ الوليد بن عتبة فارسل الى الحسين بن على وعبد الله بن الزبير فدعاهما الى البيعة ليزيد . فقالا بالغد ان شاء الله على رؤس الناس وخرجا من عنده فدعا الحسين برواحله فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الاكبر . وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ طريق العرج حتى قدم مكة . ومر حسين حتى أتى على عبد الله بن مطيع وهو على بئر له فنزل عليه . فقال للحسين يا أبا عبد الله لا سقانا الله بعدك ماء طيبا أين تريد . قال العراق قا ل

سبحان الله . قال : مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صحف . قال لا تفعل أبا عبد الله فوالله ماحفظوا أباك وكان خيرا منك فكيف يحفظونك . ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلا استحلت . فخرج حسين حتى قدم مكة فاقام بها هو وابن الزبير . قال فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميرا على المدينة والموسم وعزل الوليد بن عتبة . فلما استوى على المنبر رعف . فقال اعرابي مه جاءنا والله بالدم . قال : فتلقاه رجل بعمامته فقال مه عم الناس والله . ثم قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان . فقال تشعب الناس والله . ثم خرج الى مكة فقدمها قبل التروية بيوم ووفدت الناس للحسين يقولون يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانزلتهم بدارك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عمرو بن سعيد فكبر . فقيل للحسين اخرج أبا عبد الله اذا بيت ان تتقدم . فقال الصلاة في الجماعة افضل . قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه ان حسينا قد خرج . فقال اطلبوه اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فعجب الناس من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه وأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عونا ومحمدا ليردا حسينا فابى حسين ان يرجع . وخرج بابني عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد الى المدينة وأرسل الى ابن الزبير ليأتيه فابى ان يأتيه وامتنع ابن الزبير برجال من قريش وغيرهم من اهل مكة . قال : فارسل عمرو بن سعيد لهم جيشا من المدينة وأمر عليهم عمرو بن الزبير اخا عبد الله بن الزبير وضرب على أهل الديوان البعث الى أهل مكة وهم كارهون للخروج . فقال اما ان تأتوني بدلاء واما ان تخرجوا . قال فبعثهم الى مكة فقاتلوا ابن الزبير فانهزم عمرو بن الزبير وأسره أخوه عبد الله فحبسه في السجن . وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب الى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم . وكان على الكوفة حين مات معاوية فقال يا أهل الكوفة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بنت بحدل . قال فبلغ ذلك يزيد فقال يا أهل الشام أشيروا على من استعمل على الكوفة . فقالوا : ترضى من رضي به معاوية قال نعم قيل له فان الصك بامارة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتب في الديوان فاستعمله على الكوفة فقدمها قبل ان يقدم حسين . وبايع مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد فجعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسل منهم ناس حتى بقي في شرذمة قليلة . قال فجعل الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادي وكان له شرف ورأي فقال له هانئ ان لي من ابن زياد مكانا واني سوف

أي أرض . فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه . قال فبلغ ابن زياد ان هانئ بن عروة مريض يقيء الدم وكان شرب المغرة فجعل يقيؤها فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت لكم اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه يقولها لمسلم بن عقيل . فلما دخل ابن زياد وجلس . قال هانئ اسقوني فتثبطوا عليه . فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه نفسي . قال فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر شيئاً قال وكان اشجع الناس ولكن أخذ بقلبه . وقيل لابن زياد ما أراده ابن هانئ فارسل اليه فقال انى شاك لا أستطيع . فقال ائتوني به وان كان شاكيا فاسرجت له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا قليلا . ثم يقف ويقول ما اذهب الى ابن زياد حتى دخل على ابن زياد . فقال له يا هانئ اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال ويدي قال بلى . فقال له هانئ قد كانت لك عندي ولابيك وقد أمنتك في نفسك ومالك . قال اخرج فخرج فتناول العصا من يده وضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه . وارسل الى مسلم بن عقيل فخرج اليهم بسيفه . فما زال يقاتلهم حتى اثخنوه بالجراح فاسروه وأتى به ابن زياد فقدمه ليضرب عنقه . فقال له دعني حتى أوصى . فقال أوص فنظر في وجوه الناس . فقال لعمرو بن سعيد ما أرى قرشيا هنا غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه . فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان حسينا ومن معه وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب لهم ما اصابني . ثم ضرب عنقه فقال عمر ولابن زياد أتدري ما قال لي قال اكتم على ابن عمك . قال هو اعظم من ذلك قال وما هو قال قال لي ان حسينا اقبل وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة فارددهم واكتب اليه بما اصابني . فقال له ابن زياد أما والله اذ دللت عليه لا يقاتله أحد غيرك . قال فبعث معه جيشا وقد جاء حسينا الخبر وهم بشراف فهم بان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل . فقالوا ترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به . فقال الحسين لبعض أصحابه والله مالي على هؤلاء من صبر قال فلقيه الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكربلاء . فقال حسين أي أرض هذه قالوا كربلاء . قال أرض كرب وبلاء واحاطت بهم الخيل . فقال الحسين لعمرو بن سعيد : ياعمر واخترمني احدى ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت . واما ان تسيرني الى يزيد فاضع يدي في يده . واما ان تسيرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد . فقال له شمر بن ذي الجوشن امكنك الله من عدوك فتسيره

لا الا ان ينزل فى حكمك فارسل اليه بذلك فقال الحسين أنا انزل على حكم ابن مرجانة والله لا افعل ذلك أبدا. قال وأبطأ عمرو عن قتاله فارسل ابن زياد الى شمر بن ذى الجوشن . وقال له ان تقدم عمرو وقاتل والا فاتركه وكن مكانه. قال وكان مع عمرو بن سعيد ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيا فتحولوا مع الحسين فقاتلوا ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن على وكان من أجمل الناس فقال لاقتلن هذا الفتى . فقال له رجل ويحك ما تصنع به دعه فأبى وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله فلما أصابته الضربة . قال ياعماه قال: لبيك صوتا قل ناصره وكثر واتره وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا . على بن عبد العزيز: قال حدثنى الزبير قال حدثنى محمد بن الحسين . قال لما نزل عمرو بن سعيد بالحسين وأيقن انهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال: قد نزل بى ما ترون من الأمر وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واشمأزت فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الا خنس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا ينهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ذلا وندما . وقتل الحسين رضى الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة احدى وستين بالطف من شاطئ الفرات بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليال من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقتل وهو ابن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتله سنان بن أبى أنس . وأجهز عليه خولة بن يزيد الاصبحى من حمير . وحز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وهو يقول :

أوقر ركابى فضة وذهبا * أنا قتلت الملك المحجبا * خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله بن زياد اذا كان خير الناس أما وأبا وخير عباد الله فلم قتلته قدموه فاضربوا عنقه فضربت عنقه . روح بن زنباع عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الحرشى . قال : انى لعند يزيد ابن معاوية اذ اقبل زحر بن قيس الجعفى حتى وقف بين يدى يزيد . فقال: ما وراءك يازحر فقال ابشرك ياأمير المؤمنين بفتح الله ونصره قدم علينا الحسين فى سبعة عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فبرزنا اليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الامير أو القتال فابوا الا القتال . فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف ماخذها من هام الرجال . فجعلوا يلوذون منا بالآكام والحفر كما يلوذ الحمام من الصقر فلم يكن

الا نحر جزوراو نوم نائم حتى أتينا على آخرهم . فها تيك أجسامهم مجزرة وهامهم مزملة . وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح بقاع سبسب زوارهم العقبان والرخم . قال فدمعت عينا يزيد . وقال : لقد كنت أقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو كنت صاحبه لتركته رحم الله أبا عبد الله وغفر له . على بن عبد العزيز عن محمد بن الضحاك ابن عثمان الخزاعى عن أبيه . قال : خرج الحسين الى الكوفة ساخطا لولاية يزيد بن معاوية فكتب يزيد الى عبيد الله بن زياد وهو واليه بالعراق انه بلغنى ان حسينا سار الى الكوفة وقد ابتلى به زمانك بين الازمان وبلدك بين البلدان . وابتليت به من بين العمال وعنده تعتق أو تعود عبدا فقتله عبيد الله وبعث برأسه وثقله الى يزيد . فلما وضع الرأس بين يديه تمثل بقول حصين بن الحمام المزنى :

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له على بن الحسين . وكان فى السبى كتاب الله أولى بك من الشعر يقول الله : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته . ثم قال غير هذا من كتاب الله أولى بك وبأبيك . قال الله : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » ماترون يا أهل الشام فى هؤلاء . فقال له رجل منهم لا تتخذ من كلب سوء جروا . قال النعمان بن بشير الانصارى : انظر ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم لو رآهم فى هذه الحالة فاصنعه بهم . قال : صدقت خلوا عنهم واضربوا عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم واخرج اليهم جوائز كثيرة . وقال لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة . الرياشى قال أخبرنى محمد بن أبى رجاء قال . أخبرنى أبو معشر عن يزيد بن زياد عن محمد بن الحسين بن على بن أبى طالب . قال : أتى بنا يزيد بن معاوية بعد ما قتل الحسين ونحن اثنا عشر غلاما . وكان أكبرنا يومئذ على بن الحسين فادخلنا عليه . وكان كل واحد منا مغلولة يده الى عنقه . فقال لنا أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبى عبد الله ولا بقتله . أبو الحسن المداينى عن اسحق عن اسمعيل عن سفيان عن أبى موسى عن الحسن البصرى . قال : قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الارض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله

عليه وسلم سبايا على أحقاب الابل . فلما أدخلن على يزيد قالت فاطمة ابنة الحسين يا يزيد أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا . قال بل حرائر كرام ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت . قالت فاطمة : فدخلت اليهن فما وجدت فيهن سفيانية الا متلدمة تبكي .
وقالت بنت عقيل بن ابي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه :

عيني أبكي بعبرة وعويل * واندبي ان ندبت آل الرسول

ستة كلهم لصلب علي * قد أصيبوا وخمسة لعقيل

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين قد نام النبي صلى الله عليه وسلم فاخذته فبكى فتركته فد نامنه . فاخذته فبكى فتركته فقال له جبريل أتحبه يا محمد . قال نعم قال : اما ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها فبسط جناحه فاراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن خالد قال قال ابراهيم النخعي : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لا ستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن لهيعة عن أبي الاسود قال : لقيت رأس الجالوت فقال ان بيني وبين داود سبعين أبا وان اليهود اذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي وانه ليس بينكم وبين نبيكم الا أب واحد قتلتم ابنه . ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة الا برصت . جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغير الا هم . علي بن عبد العزيز عن الزبير عن مصعب بن عبد الله قال : حج الحسين خمسة وعشرين حجة ملبيا ماشيا . وقيل لعلي بن الحسين : ما كان أقل ولد أبيك قال : العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . يحيى ابن اسمعيل عن سالم ان الشعبي . قال : قيل لابن عمر ان الحسين توجه الى العراق فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة وكان غائبا عند خروجه . فقال أين تريد فقال اريد العراق واخرج اليه كتب القوم . ثم قال هذه بيعتهم وكتبهم فناشده الله ان يرجع فأبى . فقال احدثك بحديث ما حدثت به احدا قبلك ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة اختار الآخرة وانكم بضعة منه . فوالله لا يليها أحد من اهل بيته أبدا وما صرفها عنكم الا لما هو خير لكم فارجع فأنت تعرف غدر اهل العراق وما كان يلقى ابوك منهم فأبى فاعتنقه . وقال

استودعتك الله من قتيل . وقال الفرزدق: خرجت أريد مكة فاذا بقباب مضروبة وفساطيط فقلت لمن هذه قالوا للحسين . فعدلت إليه فسلمت عليه . فقال من أين اقبلت قلت من العراق قال كيف تركت الناس قلت القلوب معك والسيوف عليك والنصر من السماء .

٢٧ — تسمية من قتل مع الحسين بن على رضى الله عنهما — من اهل بيته ومن أسرمنهم . قال أبو عبيد حدثنا حجاج عن أبى معشر قال : قتل الحسين بن على وقتل معه عثمان بن على . وأبو بكر بن على . وجعفر بن علىّ . وعلى والعباس وكانت أمهم ام البنين بنت حرام الكلابية . وابراهيم بن على لام ولده . وعبد الله بن حسن . وخمسة من بنى عقيل ابن أبى طالب . وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . وثلاثة من بنى هاشم فجميعهم سبعة عشر رجلا . وأسر اثنا عشر غلاما من بنى هاشم فيهم محمد بن الحسين . وعلى ابن الحسين . وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبنى حرب قائمة حتى سلبهم الله ملكهم . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف : جنبنى دماء اهل هذا البيت فانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين

٢٧ — حديث الزهرى فى قتل الحسين رضى الله عنه — حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال حدثنا محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا حماد بن عيسى الجهنى عن عمر بن قيس . قال : سمعت ابن شهاب الزهرى يحدث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال حماد بن عيسى وحدثنى به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : لا يلسع المؤمن من جحر مرتين . وقالا : قال الزهرى خرجت مع قتيبة أريد المصيصة فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان واذا هو قاعد فى ايوان له واذا سماطان من الناس على باب الايوان . فاذا أراد حاجة قالها للذى يليه حتى تبلغ المسئلة باب الايوان ولا يمشى أحد بين السماطين . قال الزهرى فجئنا فقمنا على باب الايوان . فقال عبد الملك للذى عن يمينه هل بلغكم أى شىء اصبح فى بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن على . قال فسأل كل واحد منهما صاحبه حتى بلغت المسئلة الباب فلم يرد أحد فيها شيأ . قال الزهرى فقلت: عندى فى هذا علم

قال فرجعت المسئلة رجلا عن رجل حتى انتهت الى عبد الملك . قال فدعيت فمشيت بين السماطين . فلما انتهيت الى عبد الملك سلمت عليه . فقال لى: من انت قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى . قال فعرفنى بالنسب وكان عبد الملك طلابة للحديث . فقال ماأصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن على بن أبى طالب . و فى رواية على بن عبد العزيز عن ابراهيم بن عبد الله عن أبى معشر عن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن العاص عن الزهرى . انه قال : الليلة التى قتل فى صبيحتها الحسين بن على . قال الزهرى نعم فقلت حدثنى فلان لم يسمه لنا انه لم يرفع تلك الليلة التى صبيحتها قتل على بن أبى طالب والحسين بن على حجر فى بيت المقدس الا وجد تحته دم عبيط . قال عبد الملك صدقت حدثنى الذى حدثك وانى واياك فى هذا الحديث لغريبان . ثم قال لى ماجاء بك قلت مرابطا . قال الزم الباب فاقمت عنده فاعطانى مالا كثيرا قال فاستأذنته فى الخروج الى المدينة فاذن لى ومعى غلام لى ومعى مال كثير فى عيبة . ففقدت العيبة فاتهمت الغلام فوعدته وتواعدته فلم يقر لى بشئ . قال فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مرفقى على صدره وغمزته غمزة وأنا لا أريد قتله . فمات تحتى وسقط فى يدى وقدمت المدينة فسألت سعيد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . فكلهم قال: لا نعلم لك توبة فبلغ ذلك على بن الحسين . فقال على به فاتيته فقصصت عليه القصة . فقال ان لذنبك توبة صم شهرين متتابعين واعتق رقبة مؤمنة واطعم ستين مسكينا ففعلت ثم خرجت أريد عبد الملك وقد بلغه انى أتلفت المال . فاقمت ببابه أياما لا يؤذن لى بالدخول فجلست الى معلم لولده . وقد حذق ابن لعبد الملك عنده وهو يعلمه مايتكلم به بين يدى أمير المؤمنين اذا دخل عليه . فقلت لمؤدبه: كم تؤمل من أمير المؤمنين ان يصلك به فلك عندى ذلك على ان تكلم الصبى اذا دخل على أمير المؤمنين . فقال له سل حاجتك يقول له حاجتى ان ترضى عن الزهرى . ففعل فضحك عبد الملك وقال أين هو قال بالباب . فاذن لى فدخلت حتى اذا صرت بين يديه . قلت ياأمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

٢٩ — وقعة الحرة — أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد . فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فاذا فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته

فلما كان سنة ثلاث وستين قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملا عليها ليزيد بن معاوية . واوفد على يزيد وفدا من رجال المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة معه ثمانية بنين له فاعطاه مائة ألف . واعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم فلما قدم عبد الله بن حنظلة المدينة أتاه الناس . فقالوا : ما وراءك قال أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بنى هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا فانه قد بلغنا انه أكرمك واجازك وأعطاك قال قد فعل وما قبلت ذلك منه الا ان أتقوى به عليه أي على قتال يزيد . وحض الناس على يزيد فأجابوه . فكتب عثمان بن محمد الى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف فكتب اليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد « فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » واني قد لبستكم فأخلقتكم ورفعتكم على رأسي ، ثم على عيني . ثم على فمي . ثم على بطني . والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . فلما أتاهم كتابه حمي القوم فقدمت الانصار عبد الله بن حنظلة على أنفسهم وقدمت قريش عبد الله بن مطيع ثم اخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة . ومروان بن الحكم وكل من كان بها من بنى أمية . وكان عبد الله بن عباس بالطائف فسأل عنهم فقيل له استعملوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة على الانصار . فقال أميران هلك القوم . ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر بقبة فضربت له خارجا عن قصره وقطع البعوث على اهل الشام فلم تمض ثالثة حتى توافت الحشود فقدم عليهم مسلم بن عقبة المري فتوجه اليهم وقد عمد أهل المدينة فاخرجوا الى كل ماء لهم بينهم و بين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوروه . فارسل الله عليهم المطر فلم يستقوا شيئا حتى وردوا المدينة قال أبو اليقظان وغيره : ان يزيد بن معاوية ولى مسلم بن عقبة وهو قد اشتكى . فقال له ان حدث بك حدث فاستعمل حصين بن نمير فخرج حتى قدم المدينة فخرج اليه أهلها في عدة وهيئة وجموع كثيرة لم ير مثلها . فلما رآهم اهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم . فامر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصفين وهو عليه مريض وأمر مناديا ينادي قاتلوا عن أميركم أو دعوه . فجد الناس في القتال فسمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة فاذا قد اقتحم عليهم بنو حارثة اهل الشام وهم على الجدر . فانهزم الناس وعبد الله بن حنظلة متساند الى بعض بنيه يغط نوما . فلما

فتح عينيه فرأى ما صنعوا امرأ كبر بنيه فتقدم حتى قتل . ثم لم يزل يقدم واحدا واحدا حتى أتى على آخرهم . ثم كسرت سيفه وقاتل حتى قتل . ودخل مسلم بن عقبة المدينة . وتغلب على اهلها ثم دعاهم الى البيعة على انهم خول ليزيد بن معاوية يحكم فى دمائهم واموالهم واهليهم فبايعوا حتى أتى بعبد الله بن زمعة . فقال له بايع على انك خول لامير المؤمنين يحكم فى مالك ودمك واهلك قال : لن أبايع الا على انى ابن عم امير المؤمنين يحكم فى دمى ومالى واهلى . فقال مسلم بن عقبة اضربوا عنقه . فوثب مروان بن الحكم فضمه اليه . وقال نبايعك على ما أحببت فقال لا والله لا أقبلها اياه أبدا ان تنحى والا فاقتلوهما جميعا . فتركه مروان وضرب عنقه وهرب عبد الله بن مطيع حتى لحق بمكة . فكان بها حتى قتل مع عبد الله بن الزبير فى ايام عبد الملك بن مروان وجعل يقاتل اهل الشام وهو يقول :

أنا الذى فررت يوم الحره * والشيخ لا يفر الا مره
فاليوم أجزى كرة بفره * لا بأس بالكرة بعد الفره

أبو عقيل الزرقى قال : سمعت أبا نضرة يحدث . قال دخل أبو سعيد الخدرى يوم الحرة فى غار فدخل عليه رجل من اهل الشام وفى عنق أبى سعيد السيف . فوضع أبو سعيد السيف وقال بؤ بإثمى وإثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقال أبو سعيد الخدرى أنت قال نعم قال فاستغفر لى . قال غفر الله لك . وأمر مسلم بن عقبة بقتل معقل بن سنان الاشجعى صبرا . ومحمد بن أبى حذيفة صبرا . ومحمد بن الجهم صبرا . وكان جميع من قتل يوم الحرة من قريش والانصار ثلثمائة رجل وستة رجال . ومن الموالى وغيرهم أضعاف هؤلاء . وبعث مسلم بن عقبة برؤس اهل المدينة الى يزيد . فلما ألقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أحد :

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحا * ولقالوا ليزيد لا فشل

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتددت عن الاسلام يا أمير المؤمنين قال بلى نستغفر الله قال والله لا ساكنتك أرضا أبدا وخرج عنه . ولما انقضى أمر الحرة توجه مسلم بن عقبة بمن معه من اهل الشام الى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقيل . فلما كان بالابواء حضره أجله فدعا حصين بن نمير . فقال له انى أرسلت اليك فلا أدرى أقدمك على هذا الجيش أم اقدمك فاضرب عنقك . قال أصلحك الله انا سهمك فارم بى حيث شئت . قال انك اعرابى جلف جاف

وان هذا الحى من قريش لم يمكنهم أحد قط من اذنه الا غلبوه على رأيه . فسر بهذا الجيش فاذا لقيت القوم فاياك ان تمكنهم اذنك . لا يكن الا على الوقاف . ثم الثقاف ثم الانصراف . . ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك فلم يزل محاصرا لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله . وذلك خمسون يوما ونصب المجانيق على الكعبة وحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين

٣٠ — وفاة يزيد بن معاوية — مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص . وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر فى شهر ربيع الاول . وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبي . ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما

٣١ — خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية — واستخلف معاوية بن يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وهو ابن احدى وعشرين سنة . ومات بعد أبيه بأربعين يوما ولم يزل مريضا طول ولايته لا يخرج من بيته . فلما حضرته الوفاة قيل له لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفة . قال لم أنتفع بها حيا فلا أقلدها ميتا لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها . ولكن اذا مت فليصل على الوليد بن عقبة وليصل بالناس الضحاك ابن قيس حتى يختار الناس لانفسهم . فلما مات صلى عليه الوليد بن عقبة وصلى بالناس الضحاك ابن قيس بدمشق حتى قامت دولة بنى مروان

٣٢ — فتنة ابن الزبير — قال على بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبى معشر . قال : لما مات مسلم بن عقبة سار حصين بن نمير حتى أتى مكة وابن الزبير بها فدعاهم الى الطاعة فلم يجيبوه فقاتلهم وقاتله ابن الزبير فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من اخوته . ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . والمسور بن مخرمة . وكان حصين بن نمير قد نصب المجانيق على أبى قبيس وعلى قيقعان . فلم يكن أحد يقدر ان يطوف بالبيت فأسند ابن الزبير الواحا من ساج على البيت والقى عليها الفرش والقطايف فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطايف كبروا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا فى ناحية . فكلما جرح رجل من أصحابه ادخله ذلك الفسطاط . فجاء رجل من اهل الشام بنار فى طرف سنانه فأشعلها فى الفسطاط

وكان يوما شديد الحر فتمزق الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض . قال ثم اقتتلوا مع اهل الشام أياما بعد حريق الكعبة . قال أبو عبيد : احترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . فجلس اهل مكة فى جانب الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل والحجارة فوقعت نبلة بين يدى ابن الزبير . فقال فى هذه خبر فاخذها فوجد فيها مكتوبا مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لاربع عشرة خلت من ربيع الاول . فلما قرأ ذلك قال يا أهل الشام يا أعداء الله ومحرقى بيت الله علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم . فقال حصين بن نمير موعدك البطحاء الليلة أبا بكر . فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج حصين باصحابه الى البطحاء . ثم ترك كل واحد منهما اصحابه وانفردا فنزلا . فقال حصين يا أبا بكر أنا سيد اهل الشام لا أدافع وأرى اهل الحجاز قد رضوا بك فتعال أبايعك الساعة ويهدر كل شىء أصبناه يوم الحرة وتخرج معى الى الشام فانى لا أحب ان يكون الملك بالحجاز . فقال لا والله لا أفعل ولا آمن من أخاف الناس وأحرق بيت الله وانتهك حرمته . قال بلى فافعل على ان لا يختلف عليك اثنان فانى ابن الزبير . فقال له حصين لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح أبدا اركبوا يا اهل الشام فركبوا وانصرفوا . أبو عبيد عن الحجاج عن أبى معشر . قال : حدثنا بعض المشيخة الذين حضر واقتال ابن الزبير . قال غلب حصين بن نمير على مكة كلها الا الحجر . قال فوالله انى لجالس عنده ومعه نفر من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن أبى عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير أذهبت روبحة . فقال المختار والله انى لارى فى هذه الروبحة النصر فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة . وقتل المختار رجلا . وقتل ابن مطيع رجلا . ثم جاءنا على أثر ذلك موت يزيد بعد حريق الكعبة باحدى عشرة ليلة . وانصرف حصين بن نمير وأصحابه الى الشام . فوجدوا معاوية بن يزيد قد مات ولم يستخلف . وقال لا أتحملها حيا وميتا فلما مات معاوية بن يزيد بايع اهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن . وبايع اهل مصر أيضا ابن الزبير . واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهرى على اهل الشام . فلما رأى ذلك رجال بنى أمية وناس من أشراف اهل الشام ووجوههم . منهم روح بن زنباع وغيره قال بعضهم لبعض ان الملك كان فينا أهل الشام فانتقل عنا الى الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلا منا فينظر فى هذا الامر . فقال استخيروا الله قال فرأى القوم انه غلام حدث السن

نخرجوا من عنده وقالوا هذا احدث فأتوا عمرو بن سعيد بن العاص . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حديثا . فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حريصا على هذا الامر . فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديث . فأتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذاهم يسمعون صوته بالقرآن فاستاذنوا ودخلوا عليه . فقالوا: يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر . فقال استخيروا الله واسألوه أن يختار لامة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له روح بن زنباع: ان معى أربعمائة من جذام فانا آمرهم ان يتقدموا فى المسجد غدا ومر ابنك عبد العزيز ان يخطب الناس ويدعوهم اليه . فاذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد صدقت صدقت . فيظن الناس ان أمرهم واحد . فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال ما احد أولى بهذا الامر من مروان كبير قريش وسيدها والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر . فقال الجذاميون: صدقت صدقت . فقال خالد بن يزيد أمر دبر بليل فبايعوا مروان بن الحكم ثم كان من أمره مع الضحاك بن قيس بمرج راهط ماسيأتى ذكره بعد هذا فى دولة بنى مروان

٣٣ — دولة بنى مروان ووقعة مرج راهط — أبو الحسن قال: لما مات معاوية ابن يزيد اختلف الناس بالشام . فكان أول من خالف من امراء الاجناد النعمان بن بشير الانصارى . وكان على حمص فدعا لابن الزبير فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابى وهو بقنسرين فدعا الى ابن الزبير أيضا بدمشق سرا ولم يظهر ذلك لمن بها من بنى امية وكلب و بلغ ذلك حسان ابن مالك بن بحدل الكلبى وهو بفلسطين . فقال لروح بن زنباع: انى أرى امراء الاجناد يبايعون لابن الزبير . وابناء قيس بالاردن كثير وهم قومى فانا خارج اليها وأقم انت بفلسطين فان جل اهلها قومك من لخم وجذام . فان خالفك احد فقاتله بهم فاقام روح بفلسطين وخرج حسان الى الاردن . فقام نائل بن قيس الجذامى . فدعا الى ابن الزبير واخرج روح بن زنباع من فلسطين ولحق بحسان بالاردن فقال حسان : يا أهل الاردن قد علمتم ان ابن الزبير فى شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلا من بنى حرب فبايعوه . فقالوا: اختر لنا من شئت من بنى حرب وجنبنا هذين الرجلين الغلامين عبد الله وخالدا ابنى يزيد بن معاوية فانا نكره ان يدعو الناس الى شيخ . ونحن ندعوا الى صبى . وكان هوى حسان فى خالد بن يزيد

وكان ابن أخته فلما رموه بهذا الكلام أمسك . وكتب الى الضحاك بن قيس كتابا يعظم فيه
بني أمية و بلاءهم عنده و يذم ابن الزبير و يذكر خلافه للجماعة . وقال لرسوله اقرأ الكتاب
على الضحاك بحضر بني أمية وجماعة الناس . فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا
فرقتين . فصارت اليمانية مع بني أمية والقيسية زبيرية . ثم اجتلدوا بالنعال ومشى بعضهم الى
بعض بالسيوف حتى حجز بينهم خالد بن يزيد . ودخل الضحاك دار الامارة فلم يخرج ثلاثة أيام
وقدم عبيد الله بن زياد فكان مع بني أمية بدمشق فخرج الضحاك بن قيس الى المرج مرج
راهط فعسكر فيه وأرسل الى أمراء الاجناد فاتوه الا ما كان من كلب . ودعا مروان الى نفسه
فبايعته بنو أمية وكلب وغسان والسكاسك وطي . فعسكر في خمسة آلاف . وأقبل عباد بن يزيد
من حوران في ألفين من مواليه وغيرهم من بني كلب . فلحق بمروان وغلب يزيد بن أبي أنيس
على دمشق فأخرج منها عامل الضحاك وأمد مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك
الى أمراء الاجناد فقدم عليه زفر بن الحرث من قنسرين وأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن
ذي الكلاع في أهل حمص . فتوافوا عند الضحاك بمرج راهط . فكان الضحاك في ستين ألفا
ومروان في ثلاثة عشر ألفا أكثرهم رجالة . وأكثر أصحاب الضحاك ركبان فاقتتلوا بالمرج
عشرين يوما وصبر الفريقان . وكان على ميمنة الضحاك زياد بن الضحاك العقيلي وعلى ميسرته
بكر بن أبي بشير الهلالي . فقال عبيد الله بن زياد لمروان: انك على حق وابن الزبير ومن دعا اليه
على الباطل وهم أكثر منا عددا وعددا ومع الضحاك فرسان قيس . واعلم انك لا تنال منهم
ما تريد الا بمكيدة . وانما الحرب خدعة فادعهم الى الموادعة فاذا أمنوا وكفوا عن القتال فكر
عليهم . فأرسل مروان بشيرا الى الضحاك يدعوه الى الموادعة ووضع الحرب حتى تنظر
فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون ان يبايع مروان لابن الزبير .
وقد أعد مروان أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه الا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس الى
راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل . فنادى الناس أبا أنيس، أعجز بعد كيس . وكنية
الضحاك ــ أبو أنيس ــ فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم فترجل مروان . وقال قبح الله من
ولاهم اليوم ظهره حتى يكون الامر لاحدى الطائفتين . فقتل الضحاك بن قيس وصبرت قيس
عند راياتها يقاتلون فنظر رجل من بني عقيل الى ما تلقى قيس عند راياتها من القتل . فقال اللهم العنها
من رايات واعترضها بسيفه . فجعل يقطعها فاذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزمت الناس

فنادى منادى مروان لا تتبعوا من ولا كم اليوم ظهره فزعموا ان رجالا من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا جزعا على من أصيب من فرسان قيس يومئذ . فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون رجلا وقتل من بنى سليم ستمائة . وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز وشهد مع الضحاك يوم مرج راهط عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان . فلما انهزم الناس قال له عبيد الله بن زياد: ارتدف خلفى فارتدف فأراد عمرو بن سعيد ان يقتله . فقال له عبيد الله بن زياد ألا تكف يا لطيم الشيطان . وقال زفر بن الحرث وقد قتل ابناه يوم المرج :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بيننا متنائيا

فلم يرمنى زلة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا

أيذهب يوم واحد أن أسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا

أنترك كلبا لم تنلها رماحنا * وتذهب قتلى راهط وهى ماهيا

وقد ينبت الخضراء فى دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فلا صلح حتى تدعس الخيل بالقنا * وتثأر من أبناء كلب نسائيا

فلما قتل الضحاك وانهزم الناس . نادى مروان ان لا يتبع أحد . ثم أقبل الى دمشق فدخلها ونزل دار معاوية بن أبى سفيان دار الامارة . ثم جاءته بيعة الاجناد فقال له أصحابه : انا لا نتخوف عليك الا خالد بن يزيد فتزوج أمه فانك تكسره بذلك . وأمه ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة فتزوجها مروان . فلما أراد الخروج الى مصر قال لخالد أعرنى سلاحا ان كان عندك فأعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهلها وسبى بها ناسا كثيرا فافتدوا منه . ثم قدم الشام فقال له خالد بن يزيد ردعلىّ سلاحى فأبى عليه فألح عليه خالد . فقال له مروان وكان فحاشا : يا ابن رطبة الاست . قال فدخل الى أمه فبكى عندها وشكى اليها ماقاله مروان على رؤس أهل الشام . فقالت له: لا عليك فانه لا يعود اليك بمثلها . فلبث مروان بعد ماقال لخالد ماقال أياما ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطرحن عليه الشواذك . ثم غطته حتى قتلته . ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن يا أمير المؤمنين . يا أمير المؤمنين . ثم قام عبد الملك بالامر بعده . فقال لفاتكة أم خالد والله لولا ان يقول الناس انى قتلت بأبى امرأة لقتلتك بأمير المؤمنين . وولد مروان بن الحكم بن العاصى ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان . وكانت ولايته

تسعة أشهر وثمانية عشر يوما . وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيبانى . وكاتبه سرحون بن منصور الرومى . وحاجبه أبو سهل الاسود مولاه

٣٤ ـ ولاية عبد الملك بن مروان ـ هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى أبا الوليد . ويقال له أبو الاملاك وذلك انه ولى الخلافة أربع من ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكان تدمى لثته فيقع عليها الذباب . فكان يلقب أبا الذباب . أمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وله يقول أبو قيس الرقيات :

أنت ابن عائشة التى * فضلت أروم نسائها

لم تلتفت للـداتها * ومشت على غلوائها

ولدت أغـر مباركا * كالشمس وسط سمائها

وبويع عبد الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين . ومات بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين سنة . فصلى عليه الوليد بن عبد الملك وولد عبد الملك بالمدينة سنة ثلاث وعشرين . ويقال سنة ست وعشرين ويقال ولد لسبعة أشهر . وكان على شرطته ابن أبي كبشة السكسكى ثم أبو نائل بن رباح بن عبيدة الغسانى . ثم عبد الله بن يزيد الحكمى . وعلى حرسه الريان . وكاتبه على الخراج والجند سرحون بن منصور الرومى . وكاتبه على الرسائل أبو زرعة مولاه . وعلى الخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حيوة . وحاجبه أبو يوسف مولاه . وكانت ولايته منذ اجتمع عليه ثلاث عشرة سنة وثلاثة شهور . ودفن خارج باب المدينة . وفى أيام عبد الملك حولت الدواوين الى العربية عن الرومية والفارسية حولها من الرومية سليمان بن سعيد مولى حسين . وحولها عن الفارسية صالح بن عبد الرحمن مولى عتبة امرأة من بنى مرة . ويقال حولت فى زمن الوليد ابن وهب عن ابن لهيعة قال: كان معاوية فرض للموالى خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين . ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين . ثم قام هشام فأتم للابناء منهم ثلاثين . وكتب عبد الله بن عمر الى عبد الملك بن مروان ببيعته لما قتل ابن الزبير . وكان كتابه اليه يقول: لعبد الملك بن مروان من عبد الله بن عمر . سلام عليك فانى أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبيعة نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه . وكتب محمد بن الحنفية ببيعته لما قتل ابن

الزبير وكان فى كتابه: انى اعتزلت الامة عند اختلافها فقعدت فى البلد الحرام الذى من دخله كان آمنا لاحرز دينى وأمنع دمى وتركت الناس «قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا» . وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من امتنا لا نفارق الجماعة. وقد بعثت اليك منا رسولا ليأخذ لنا منك ميثاقا . ونحن أحق بذلك منك فان أبيت فأرض الله واسعة والعاقبة للمتقين . فكتب اليه عبد الملك: قد بلغنى كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصابة التى معك فلك عهد الله وميثاقه ان لا تهاج فى سلطاننا غائبا ولا شاهدا ولا أحد من أصحابك ما وفوا ببيعتهم. فان أحببت المقام بالحجاز فأقم فلن ندع صلتك وبرك وان أحببت المقام عندنا فاشخص الينا فلن ندع مواساتك. ولعمرى لئن ألجأناك الى الذهاب فى الارض خائفا لقد ظلمناك وقطعنا رحمك فاخرج الى الحجاج فبايع فانك أنت المحمود عندنا دينا ورأيا وخير من ابن الزبير وأرضى وأتقى . وكتب الى الحجاج بن يوسف: لا تعرض لمحمد ولا لاحد من أصحابه . وكان فى كتابه جنبنى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب . وانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على . فلم يتعرض الحجاج لاحد من الطالبيين فى أيامه . أبو الحسن المداينى قال : كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . وخطب الناس عبد الملك فقال: أيها الناس انى والله ما أنا بالخليفة المستضعف ــ يريد عثمان بن عفان ــ ولا بالخليفة المداهن ــ يريد معاوية بن أبى سفيان ــ ولا بالخليفة المأفون ــ يريد يزيد بن معاوية ــ فمن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا ثم نزل . وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ان الله حد حدودا وفرض فروضا فما زلتم تزدادون فى الذنب نزداد فى العقوبة حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف . أبو الحسن المداينى قال : قدم عمر بن على بن أبى طالب على عبد الملك . فسأله أن يصير اليه صدقة على فقال عبد الملك متمثلا بابيات ابن الحقيق :

انى اذا مالت دواعى الهوى * وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بآرائهم * نقضى بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقا ولا * نرضى بدون الحق للباطل

لا . لعمرى لا نخرجها من ولد الحسين اليك . وأمر له بصلة فخرج وهو يقول :

فلست بقاتل رجلا يصلى * على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى اثمى * معاذ الله عن سفه وطيش

وقال أيمن بن خريم أيضا :

ان للفتنــة هيطا بينا * فرويد الميل منها يعتدل

فاذا كان عطاء فانتهز * واذا كان قتالا فاعتزل

انما يوقدها فرساننا * حطب النار فدعها تشتعل

وقال زفر بن الحرث لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذى نصرك على كره من المؤمنين . فقال أبو زعيزعة: ما كره ذلك الا كافر . فقال زفر: كذبت قال الله لنبيه: « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » . وبعث عبد الملك بن مروان الى المدينة حبيش بن دلجة القيسى فى سبعة آلاف فدخل المدينة . وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بخبز ولحم فأكل . ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر . ثم دعا جابر بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال تبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعهد الله عليك وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه فى الوفاء فان خنتنا فهراق الله دمك على ضلالة . قال: أنت اطوق لذلك منى . ولكن أبايعه على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة . ثم خرج ابن دلجة من يومه ذلك الى الربذة . وقدم على أثره من الشام رجلان مع كل واحد منهما جيش . ثم اجتمعوا جميعا فى الربذة وذلك فى رمضان سنة خمس وستين وأميرهم ابن دلجة . وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدى بالمدينة ان يسير الى حبيش بن دلجة فسار حتى لقيه بالربذة . وبعث الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة . وهو عامل ابن الزبير على البصرة مددا الى عباس بن سهل بن حنيف . ابن السجف فى تسعمائة من أهل البصرة . فساروا حتى انتهوا الى الربذة . فبات أهل البصرة واهل المدينة يقرؤن القرآن ويصلون وبات اهل الشام فى المعازف والخمور . فلما أصبحوا غدوا على القتال فقتل حبيش ابن دلجة ومن معه فتحصن منهم خمسمائة رجل من اهل الشام على عمود الربذة وهو الجبل الذى عليها . وفيهم يوسف أبو الحجاج فاحاط بهم عباس بن سهل فطلبوا الامان . فقال انزلوا على حكمى فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم اجمعين . ثم رجع عباس بن سهل الى المدينة . وبعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عاملا على البصرة فاستضعفه القوم . فبعث أخاه مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال : يا أهل البصرة بلغنى انه لا يقدم عليكم أمير الا لقبتموه وانى ألقب لكم نفسى أنا القصاب

٣٥ — خبر المختار بن أبي عبيد — ثم أرسل عبدالله بن الزبير ابراهيم بن محمد بن طلحة أميرا على الكوفة • ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد وارسل عبد الملك عبيدالله بن زياد الى الكوفة فبلغ المختار اقبال عبيدالله بن زياد فوجه اليهم ابراهيم بن الاشتر في جيش فالتقوا بالجازر • وقتل عبيدالله بن زياد وحصين بن نمير وذو الكلاع وعامة من كان معهم • و بعث برؤسهم الى عبدالله بن الزبير • أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا شريك بن عبدالله عن أبي الجويرية الجرمي • قال: كنت فيمن سار الى أهل الشام يوم الجازر مع ابراهيم بن الاشتر فلقيناهم بالزاب • فهبت الريح لنا عليهم فادبروا فقتلناهم عشيتنا وليلتنا حتى أصبحوا • فقال ابراهيم: انى قتلت البارحة رجلا فوجدت عليه ريح طيب فالتمسوه فما أراه الا ابن مرجانة فانطلقنا فاذا هو والله معكوس في بطن الوادي • ولما التقى عبيدالله بن زياد وابراهيم بن الاشتر بالزاب • قال: من هذا الذي يقاتلني • قيل له ابراهيم بن الاشتر • قال: لقد تركته أمس صبيا يلعب بالحمام • قال ولما قتل ابن زياد بعث المختار برأسه الى علي بن الحسين بالمدينة • قال الرسول فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى • قال فلما رآه قال سبحان الله ما اغتر بالدنيا الا من ليس لله في عنقه نعمة لقد أدخل رأس أبي عبدالله على ابن زياد وهو يتغدى • وقال يزيد بن معن:

ان الذي عاش ختّارا بذمته * ومات عبدا قتيل الله بالزاب

ثم ان المختار كتب كتابا الى ابن الزبير • وقال لرسوله اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى ابن الزبير فائت المهدي يعني محمد بن الحنفية فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك أبو اسحق انى أحبك وأحب اهل بيتك قال فاتاه • فقال له ذلك فقال: كذبت وكذب أبو اسحق وكيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجلس عمرو بن سعيد على وسائده وقد قتل الحسين • فلما قدم عليه رسوله وأخبره قال المختار لابي عمرو صاحب حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعيد ففعل • فلما بكين قال عمرو لابنه حفص: يابني ائت الامير فقل له ما بال النوائح يبكين الحسين على بابي • فاتاه فقال له ذلك • فقال: انه أهل ان يبكى عليه • فقال أصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم • ثم دعا أبا عمرو صاحب حرسه فقال له اذهب الى عمرو بن سعيد فائتني برأسه فاتاه • فقال له قم الى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف بملحفة فجلله بالسيف فقتله وجاء برأسه الى المختار • ثم قال ائتوني بابن مرجانة • فلما حضره قال أتعرف هذا قال نعم رحمه الله • قال: أتحب ان

نلحقك به . قال: لا خير في العيش بعده . فأمر به فضرب عنقه . ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة . وعمرو بن سعيد جعل يتتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم أجمعين . وأمر الحسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في أزقة المدينة بالليل و يقولوا يا ثارات الحسين . فلما أفناهم ودانت له العراق ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب وانما أراد أن يستأصل الناس . فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبيح نيته فادعى ان جبريل ينزل عليه و يأتيه بالوحي من الله . وكتب الى أهل البصرة بلغني انكم تكذبونني وتكذبون رسلي . وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم . فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة الى ابن الزبير وهو بالبصرة فخرج اليه وبرز اليه المختار فأسلمه ابراهيم بن الاشتر ووجوه أهل الكوفة . فقتله مصعب وقتل أصحابه . ابو بكر ابن أبي شيبة قال : قيل لعبدالله بن عمر ان المختار لزعم انه يوحى اليه قال صدق الشياطين يوحون الى أوليائهم . وقتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف . ثم حج في سنة احدى وسبعين فقدم على أخيه عبدالله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق . فقال: ياأمير المؤمنين قد جئتك بوجوه أهل العراق . ولم أدع لهم نظيرا فاعطهم من المال . قال جئتني بعبيد أهل العراق لاعطيهم من مال الله . وددت ان لي بكل عشرة منهم رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق . وقد حرمهم عبدالله بن الزبير ما عنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبد الملك بن مروان حتى خرج الى مصعب فقتله . علي بن عبدالعزيز عن حجاج عن أبي معشر . قال: لما بعث مصعب برأس المختار الى عبدالله بن الزبير فوضع بين يديه . قال ما من شيء حدثنيه كعب الاحبار الا قد رأيته غير هذا فانه قال لي يقتلك شاب من ثقيف فأراني قد قتلته . وقال محمد بن سيرين : لما بلغه هذا الحديث لم يعلم ابن الزبير ان أبا محمد قد خبيء له . ولما قتل مصعب المختار بن أبي عبيد ودانت له العراق كلها الكوفة والبصرة . قال فيه عبدالله بن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما * تشمل الشأم غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي * عن حزام العقيلة العذراء

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

وتزوج مصعب لما ملك العراق عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ولم يكن لهما نظير في

زمانهما. وقتل مصعب امرأة المختار وهي ابنة النعمان بن بشير الانصاري. فقال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ان من أعظم المصائب عندي * قتل حوراء غادة عيطبول

قتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

٣٦ — مقتل عمرو بن سعيد الاشدق — أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر قال قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيأ أبغضوا ابن الزبير . وكاتبوا عبد الملك بن مروان فخرج يريد مصعب بن الزبير . فلما أخذ في جهازه وأراد الخروج أقبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية في جواريها وقد تزينت بالحلى . فقالت يا أمير المؤمنين لو قعدت في ظلال ملكك ووجهت اليه كلبا من كلابك لكفاك أمره . فقال هيهات أما سمعت قول الاول :

قوم اذا ما غزوا اشدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فلما أبى عليها وعزم بكت وبكى معها جواريها . فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي ربيعة كانه ينظر الينا حيث يقول :

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه * بكت فبكى مما دهاها قطينها

ثم خرج يريد مصعب . فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه . قيل له : ما تصنع أتريد العراق وتدع دمشق أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فرجع مكانه فحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده وان له مع كل عامل عاملا ففتح له دمشق وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد . فأرسل اليه عبد الملك ان أخرج للحرس أرزاقهم . فقال اذا كان لك حرس فان لنا حرسا أيضا . فقال عبد الملك : اخرج لحرسك أيضا أرزاقهم . فلما كان يوم من الايام أرسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف النهار ان ائتني أبا أمية حتى أدبر معك أمورا . فقالت له امرأته : يا أبا أمية لا تذهب اليه فانى أتخوف عليك منه . فقال أبو الذباب والله لو كنت نائما ما أيقظني . قالت والله ما آمنه عليك وانى لاجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فخرج وخرج معه أربعة

آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يقدر على مثلهم مسلحين فاحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك . فقالوا: يا أبا أمية ان رابك ريب فأسمعنا صوتك . قال فدخل فجعلوا يصيحون أبا أمية أسمعنا صوتك . وكان معه غلام أسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه باس . فقال له عبد الملك: أمكراً عند الموت أبا أمية خذوه فأخذوه . فقال له عبد الملك انى أقسمت ان أمكنتنى منك يدان اجعل فى عنقك جامعة وهذه جامعة من فضة أريد أن أبر بها قسمى . قال فطرح فى رقبته الجامعة ثم نتره الى الارض بيده فانكسرت ثنيته فجعل عبد الملك ينظر اليه . فقال عمر : ولا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر . قال وجاء المؤذنون فقالوا الصلاة يا أمير المؤمنين لصلاة الظهر . فقال لعبد العزيز بن مروان اقتله حتى أرجع اليك من الصلاة فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه . قال له عمرو نشدتك بالرحم يا عبد العزيز أن لا تقتلنى من بينهم فجاء عبد الملك فرآه جالساً . فقال مالك لم تقتله لعنك الله ولعن أما ولدتك . ثم قال قدموه الى فأخذ الحربة بيده . فقال فعلتها يا ابن الزرقاء . فقال له عبد الملك : انى لو علمت انك تبقى و يصلح لى ملكى لفديتك بدم الناظر . ولكن قلما اجتمع فحلان فى ذود الا عدا أحدهما على الآخر . ثم رفع اليه الحربة فقتله وقعد عبد الملك يرعد ثم أمر به فأدرج فى بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل الى قبيصة بن ذؤيب الخزاعى فدخل عليه . فقال كيف رأيك فى عمرو بن سعيد الاشدق . قال وأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير . فقال اضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال: جزاك الله خيراً ما علمت انك لموفق . قال قبيصة اطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها ففعل وافترق الناس . وهرب يحيى بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة فكان معه . وارسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد الى رجل كان يستشيره و يصدر عن رأيه اذا ضاق عليه الامر . فقال له: ما ترى ما كان من فعلى بعمرو بن سعيد . قال أمر قد فات دركه قال لتقولن قال حزم لو قتلته وحييت أنت . قال أولست بحى . قال: هيهات ليس بحى من أوقف نفسه موقفا لا يوثق منه بعهد ولا عقد . قال: كلام لو تقدم سماعه فعلى لامسكت . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان عبد الملك بن مروان قتل لطيم الشيطان « كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

٣٧ — مقتل مصعب بن الزبير — فلما استقرت البيعة لعبد الملك بن مروان. أراد الخروج الى مصعب بن الزبير فجعل يستنفر أهل الشام فيبطؤن عليه. فقال له الحجاج بن يوسف سلطني عليهم فوالله لاخرجنهم معك. قال له: قد سلطتك عليهم. فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا احرق عليه داره. فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا وسار عبد الملك حتى دنا من العراق. وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة فالتقوا بين الشام والعراق. وقد كان عبد الملك كتب كتبا الى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها الى نفسه ويجعل لهم الاموال. وكتب الى ابراهيم بن الاشتر بمثل ذلك على ان يخذلوا مصعبا اذا التقوا. فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب: ان عبد الملك قد كتب الي هذا الكتاب. وقد كتب الى أصحابي بمثل ذلك فادعهم الساعة فاضرب أعناقهم. قال: ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم. قال فاخرى. قال ما هي قال: أحبسهم حتى يستبين لك ذلك. قال ما كنت لافعل قال فعليك السلام والله لا تراني بعد في مجلسك هذا أبدا. وقد كان قال له دعني ادعو أهل الكوفة بما شرطه الله فقال لا والله قتلتهم امس واستنصر بهم اليوم قال فما هو الا ان التقوا فحولوا وجوههم وصاروا الى عبد الملك وبقي مصعب في شرذمة قليلة. فجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب. فقال أين الناس أيها الامير. فقال قد غدرتم يا أهل العراق. فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعبا فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة فنشب السيف في البيضة. فجاء غلام لعبيد الله ابن ظبيان فضرب مصعبا بالسيف فقتله. ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك بن مروان وهو يقول:

نطيع ملوك الارض ما اقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فلما نظر عبد الملك الى رأس مصعب خر ساجدا. فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب. ماندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن مروان اذ اتيته برأس مصعب فخر ساجدا ان لا أكون ضربت عنقه فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد. وقال في ذلك عبيد الله بن ظبيان:

هممت ولم افعل وكدت وليتني * فعلت فادمنت البكا لاقاربه

فاوردتها في النار بكر بن وائل * والحقت من قد خر شكرا بصاحبه

الرياشي عن الاصمعي قال : لما أتي عبد الملك برأس مصعب بن الزبير نظر اليه مليا . ثم قال متى تلد قريش مثلك . وقال هذا سيد شباب قريش . وقيل لعبد الملك : أكان مصعب يشرب الطلاء . فقال : لو علم مصعب ان الماء يفسد مروأته لما شربه . ولما قتل مصعب دخل الناس على عبد الملك يهنئونه ودخل معهم شاعر فانشده :

الله اعطاك التي لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فامر له بعشرة آلاف درهم . وقالوا : كان مصعب . أجل الناس ، واسخى الناس ، واشجع الناس ، وكان تحته عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . ولما قتل مصعب خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة فاطاف بها أهل العراق . وقالوا احسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله . فقالت : لا جزاكم الله عني خيرا ولا اخلف عليكم بخير من أهل بلد قتلتم أبي وجدي وعمي وزوجي ايتمتموني صغيرة وارملتموني كبيرة . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مصعب صعد المنبر فجلس عليه . ثم سكت فجعل لونه يحمر مرة ويصفر مرة . فقال رجل من قريش لرجل الى جنبه ماله لا يتكلم فوالله انه للخطيب اللبيب . فقال له الرجل لعله يريد ان يذكر مقتل سيد العرب فيشتد ذلك عليه وغير ملوم . ثم تكلم فقال : الحمد لله الذي له الخلق والامر ، والدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء . اما بعد فانه لم يعز من كان الباطل معه ولو كان معه الانام طرا . ولم يذل من كان الحق معه ولو كان فردا . الا وان خبرا من العراق أتانا فاحزننا وافرحنا فأما الذي احزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ثم يرعوي ذوو الالباب الى الصبر وكريم الاجر . واما الذي افرحنا فان قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة اسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين . اما والله لا نموت حتف كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف . فان تقبل الدنيا علي لم آخذها أخذ الاشر البطر . وان تدبر عني لم ابك عليها بكاء الحزن الزائل العقل . ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين اظهر بعض بني هاشم الطعن عليه . وذلك بعد موت الحسن والحسين . فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم الى بيعته . فأبوا عليه فجعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر واسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من

خطبته فعوتب فى ذلك . فقال والله مايمنعنى من ذكره علانية انى لاذكره سرا وأصلى عليه ولكن رأيت هذا الحى من بنى هاشم اذا سمعوا ذكره اشرأبت قلوبهم وابغض الاشياء الى مايسرهم . ثم قال لتبايعن أولاحرقنكم بالنار فأبوا عليه فحبس محمد بن الحنفية فى خمسة عشر من بنى هاشم فى السجن وكان السجن الذى حبسهم فيه يقال له سجن عارم . فقال فى ذلك كثير عزة وكان ابن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت :

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم

سمى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك اغلال وقاضى مغارم

وكان أيضا يدعى المحل لاحلاله القتال فى الحرم . وفى ذلك يقول رجل من الشعراء فى رملة ابنة الزبير :

الا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

ثم ان المختار بن أبى عبيد وجه رجالا يثق بهم من الشيعة يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم . ثم سار وابهم الى مأمنهم . وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين . فقال أيها الناس ان فيكم رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره قاتل أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأفتى بتزويج المتعة وعبد الله بن عباس فى المسجد . فقام وقال لعكرمة أقم وجهى نحوه ياعكرمة ثم قال هذا البيت :

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى فؤادى وعقلى منهما نور

وأما قولك يا ابن الزبير انى قاتلت أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين فكنا لها خير بنين . فتجاوز الله عنها وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان على مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين وان كان كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فانى سمعت على بن أبى طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيت بها ثم سمعته ينهى عنها فنهيت . وأول مجمر سطع فى المتعة مجمر آل الزبير

٣٨ ــ مقتل عبد الله بن الزبير ــ أبو عبيدة عن حجاج عن أبى معشر قال : لما بايع الناس عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير ودخل الكوفة . قال له الحجاج انى رأيت فى المنام كأنى أسلخ الزبير من رأسه الى قدميه . فقال له عبد الملك : أنت له فاخرج اليه : فخرج اليه

الحجاج فى ألف وخمسمائة حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا بعد رسل حتى توافى اليه الناس قدر ما يظن انه يقوى على قتال ابن الزبير . وكن ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى . فحج بالناس وابن الزبير محصور . ثم نصب الحجاج المجانيق على أبى قبيس وعلى قعيقعان ونواحى مكة كلها يرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها ابن الزبير جمع ابن الزبير من كان معه من القرشيين . فقال: ما ترون فقال رجل من بنى مخزوم من آل بنى ربيعة والله لقد قاتلنا معك حتى لا نجد مقيلا ولئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت وانما هى احدى خصلتين أما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا وأما ان تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير لقد كنت عاهدت الله ان لا يبايعنى أحد فاقيله بيعته الا ابن صفوان . فقال له ابن صفوان أما أنا فانى أقاتل معك حتى أموت بموتك وانها لتأخذنى الحفيظة ان أسلمك فى مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر: اكتب الى عبد الملك بن مروان فقال له: كيف أكتب من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الملك بن مروان فوالله لا يقبل هذا أبدا . أم أكتب لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب لى من ذلك . فقال عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير: يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة . قال من هو قال حسن بن على خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير . وقال: يا عروة قلبى اذا مثل قلبك والله لو قبلت ما يقولون ما عشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وان ضربة بسيف فى عز خير من لطمة فى ذل فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه وهى أم هاشم بنت منصور بن زياد الفزارية . فقال لها اصنعى لنا طعاما فصنعت له كبدا وسناما فأخذ منهما لقمة فلاكها ثم لفظها ثم قال اسقونى لبنا فأتى بلبن فشرب منه ثم قال هيؤا الى غسلا فاغتسل ثم تحنط وتطيب . ثم نام نومة وخرج ودخل على أمه اسماء ابنة أبى بكر ذات النطاقين وهى عمياء وقد بلغت مائة سنة . فقال يا أماه ما ترين قد خذلنى الناس وخذلنى أهل بيتى . فقالت لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج فأسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتلهم ويهزمهم وهو يقول ويله ياله فتحا لو كان له رجال . فناداه الحجاج قد كان لك رجال فضيعتهم . وجعل ينظر الى أبواب المسجد والناس يهجمون عليه فيقول من هؤلاء فيقال له أهل مصر . قال قتلة عثمان فحمل عليهم وكان فيهم

رجل من أهل الشام يقال له خلبوب . فقال لاهل الشام أما تستطيعون اذا ولا كم ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم . قالوا ويمكنك أنت ان تأخذه بيدك قال نعم قالوا فشأنك فاقبل وهو يريدان يحتضنه وابن الزبير يرتجز ويقول * لو كان قرني واحدا كفيته * فضربه ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب حس . قال ابن الزبير اصبر خلبوب . قال وجاءه حجر من حجارة المنجنيق فأصاب قفاه فسقط فاقتحم أهل الشام عليه فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تبكي وتقول وا أمير المؤمنيناه فحز وا رأسه وذهبوا به الى الحجاج . وقتل معه عبدالله بن صفوان وعمارة ابن حزم وعبدالله بن مطيع . قال أبو معشر وبعث الحجاج برؤسهم الى المدينة فنصبوها للناس فجعلوا يقربون رأس ابن صفوان الى رأس ابن الزبير كأنه يسار ره ويلعبون بذلك . ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك بن مروان فخرجت أسماء الى الحجاج . فقالت له أتأذن لي ان أدفنه فقد قضيت أربك منه . قال لا ثم قال لها ماظنك برجل قتل عبدالله بن الزبير . قالت: حسيبه الله . فلما منعها ان تدفنه . قالت : أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف رجلان الكذاب والمبير فأما الكذاب فالمختار وأما المبير فأنت . فقال الحجاج : اللهم مبير لا كذاب . ومن غير رواية أبي عبيد قال لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبدالله بن الزبير أظلتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ففزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس لا يهولنكم هذا فاني أنا الحجاج بن يوسف . وقد أصحرت لربي فلو ركبنا عظيما لحال بيننا وبينه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكرسي فطرح له . ثم قال يا أهل الشام قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين فكان أهل الشام اذا رموا الكعبة يرتجزون ويقولون هذا :

خطارة مثل الفنيق المزبد * يرمى بها عواذ أهل المسجد

ويقولون أيضا درى عقاب بلبن واشخاب . فلما رأى ذلك الزبير خرج اليهم بسيفه . فقاتلهم حينا فناداه الحجاج ويلك يا ابن ذات النطاقين اقبل الامان وادخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء . فقال لها سمعت رحمك الله ما يقول القوم وما يدعونني اليه من الامان . قالت سمعتهم لعنهم الله فما أجهلهم وأعجب منهم اذ يعيرونك بذات النطاقين . ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال : وماذاك يا أماه قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره

مع أبي بكر . فهيأت لهما سفرة فطلبا شيئا يربطانها بها فما وجداه فقطعت من مئزرى لذلك ما احتاجا اليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما ان لك به نطاقين في الجنة . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيرا فما تأمريني به فانهم قد أعطوني الامان قالت أرى أن تموت كريما ولا تتبع فاسقا لئيما وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله . فقبل رأسها وودعها وضمته الى نفسها ثم خرج من عندها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ان الموت قد تغشاكم سحابه ، وأحدق بكم ربابه ، واجتمع بعد تفرق ، وأرجحن بعد تمشق ، ورجس نحوكم رعده ، وهو مفرغ عليكم ودقه ، وقاد اليكم البلايا تتبعها المنايا . فاجعلوا السيوف لها غرضا واستعينوا عليها بالصبر وتمثل بابيات ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد جد أصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب لها على ساق

ثم جعل يقاتل وحده ولا يهده شيء كلما اجتمع عليه القوم فرقهم وذادهم حتى أثخن بالجراحات ولم يستطع النهوض . فدخل عليه الحجاج فدعا بالنطع فحز رأسه هو بنفسه في داخل مسجد الكعبة لا رحم الله الحجاج . ثم بعث برأسه الى عبد الملك بن مروان . وقتل من أصحابه من ظفر به ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزيها فاذنت له . فقالت له يا حجاج قتلت عبد الله . قال يا ابنة أبي بكر اني قاتل الملحدين قالت بلى أنت قاتل المؤمنين الموحدين . قال لها كيف رأيت ما صنعت بابنك . قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضير ان أكرمه الله على يديك فقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل . هشام بن عروة عن أبيه قال : كان عثمان استخلف عبد الله بن الزبير على الدار يوم الدار فبذلك ادعى ابن الزبير الخلافة . محمد بن سعيد قال : لما نصب الحجاج راية الامام وتصرم الناس عن ابن الزبير . قال لعبد الله بن صفوان قد أقلتك بيعتي وجعلتك في سعة فخذ لنفسك أمانا . فقال مه والله ما أعطيتك اياها حتى رأيتك أهلا لها وما رأيت أحدا أولى بها منك فلا تضرب هذه الصلعة فتيان بني أمية أبدا وأشار الى رأسه . فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثه . فقال اني كنت لا راه أعرج جبانا . فلما كانت الليلة التي قتل في صباحها ابن الزبير أقبل عبد الله بن صفوان وقد دنا أهل الشام من المسجد فاستأذن . فقالت الجارية هو نائم فقال أو ليلة نوم هذه أيقظيه فلم تفعل فاقام ثم استأذن . فقالت هو نائم فانصرف ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . فخرج اليه

فقال والله ما نمت منذ عقلت الصلاة نومى هذه الليلة وليلة الجمل . ثم دعا بالسواك فاستاك متمكنا ثم توضأ متمكنا ولبس ثيابه . ثم قال : انظرنى حتى أودع أم عبد الله فلم يبق شئ وكان يكره أن يأتيها فتعزم عليه أن يأخذ الامان . فدخل عليها وقد كف بصرها فسلم . فقالت من هذا فقال عبد الله فتشممته . ثم قالت : يا بنى مت كريما فقال لها ان هذا قد أمننى يعنى الحجاج . قالت يا بنى لا ترض الدنية فان الموت لا بد منه قال انى أخاف أن يمثل بى قالت ان الكبش اذا ذبح لم يأمن السلخ . قال فخرج فقاتل قتالا شديدا فجعل يهزمهم . ثم يرجع و يقول ياله فتحا لوكان لك رجال أوكان المصعب أخى حيا فلما حضرت الصلاة صلى صلاته ثم قال أين باب أهل مصر حنقا العثمان . فقاتل حتى قتل وقتل معه عبد الله بن صفوان وأتى برأسه الحجاج وهو فاتح عينيه وفاه . فقال : هذا رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير اليه فلذلك فتح عينيه وفاه . هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن الزبير كان أول مولود ولد فى الاسلام فلما ولد كبر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولما قتل كبر الحجاج بن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر ماهذا . قالوا كبر أهل الشام لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كبروا لمولده خير من الذين كبروا لقتله . أيوب عن أبى قلابة قال : شهدت ابنة أبى بكر غسلت ابنها ابن الزبير بعد شهر وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه وكفنته وصلت عليه . هشام بن عُروة قال قال عبد الله بن عباس : للجائزة جنبنى خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها فقال ماهذا فقال خشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له وقال لئن علتك رجلاك لطالما وقفت عليهما فى صلاتك . ثم قال لأصحابه أما والله ماعرفته الا صواما قواما ولكننى مازلت أخاف عليه منذ رأيته تعجبه بغلات معاوية الشهب . قال وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الارجوان فيها الجوارى عليهن الجلابيب والمعصفرات ففتن الناس

٣٩ — أولاد عبد الملك بن مروان — الوليد وسليمان بن العبسية ويزيد وهشام وأبو بكر ومسلمة وسعد الخير وعبد الله وعنبسة والحجاج والمنذر ومروان الاكبر ومروان الاصغر . ولم يعقب مروان الاكبر ويزيد ومعاوية وداود

٤٠ — وفاة عبد الملك بن مروان — توفى عبد الملك بن مروان بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين . وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . وولد

عبد الملك فى المدينة فى دار مروان سنة ثلاث وعشرين . وكتب عبد الملك الى هشام بن اسمعيل المخزومى . وكان عامله على المدينة : أن يدعو الناس الى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فبايع الناس غير سعيد بن المسيب فانه أبى : وقال لا أبايع وعبد الملك حى . فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح وأرسله الى ثنية بالمدينة يقتلونه عندها ويصلبونه . فلما انتهوا به الى الموضع ردوه . فقال سعيد : لو علمت انهم لا يصلبوننى ما لبست لهم الثياب . و بلغ عبد الملك خبره فقال : قبح الله هشاما مثل سعيد بن المسيب يضرب بالسياط انما كان ينبغى له أن يدعوه الى البيعة فان أبى يضرب عنقه . وقال للوليد : اذا أنا مت فضعنى فى قبرى ولا تعصر على عينيك عصر الامة ولكن شمر واتزر والبس للناس جلد النمر فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا

٤١ — ولاية الوليد بن عبد الملك — ثم بويع للوليد بن عبد الملك فى النصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن حرب بن الحرث بن خزيمة العبسى . وكان على شرطته كعب بن حماد ثم عزله . وولى أبا نائل بن رباح بن عبيدة الغسانى . ومات الوليد يوم السبت فى النصف من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وهو ابن أربع وأربعين وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين غير شهور . ولد الوليد . عبد العزيز ومحمد وعنبسة ولم يعقبوا وأمهم أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان . والعباس وبه كان يكنى . ويقال انه كان أكبرهم وعمرو وبشر وروح وتمام ومبشر وحزم وخالد ويزيد ويحيى وابراهيم وأبو عبيدة ومسرور ومحمد وصدقة لامهات أولاد . وأم أبى عبيدة فزارية . وكان أبو عبيدة ضعيفا وولى الخلافة من ولد الوليد ابراهيم شهرين . ثم خلع وولى يزيد الكامل شهرا ثم مات وكان تمام ضعيفا هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرام فى ارومتهم * نالوا المكارم طرا غير تمام

ومسرور بن الوليد كان ناسكا وكانت عنده بنت الحجاج . وكان بشر من فتيانهم . وروح من غلمانهم والعباس من فرسانهم . وفيه يقول الفرزدق :

ان أبا الحارث العباس نائله * مثل السماك الذى لا يخلف المطرا

وكان تحته بنت قطرى بن الفجاءة سباها وتزوجها وله منها المؤمل والحرث . وكان عمرو من رجالهم كان له تسعون ولدا ستون منهم كانوا يركبون معه اذا ركب . وقال رجل من أهل الشام

ليس من ولد الوليد أحد إلا ومن رآه يحسب أنه من أفضل أهل بيته ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيه يقول جرير :

و بنو الوليد من الوليد بمنزل * كالبدر حف بواضحات الانجم

وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يبايع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان . وحدث الهيثم بن عدى عن سليمان عن ابن عباس قال : لما أراد الوليد ان يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبى ذلك سليمان وشنع عليه . وقال للوليد : لو أمرت الشعراء ان يقولوا فى ذلك لعله كان يسكت فيشهد عليه بذلك فدعا الاقيبل العتبي . فقال له ارتجز بذلك وهو يسمع فدعا سليمان فسايره والاقيبل خلفه فرفع صوته وقال :

ان ولى العهد لابن أمه * ثم ابنه ولى عهد عمه * قد رضى الناس به فسمه

فهو يضم الملك فى مضمه * ياليتها قد خرجت من فمه

فالتفت اليه سليمان . وقال يا ابن الخبيثة من رضى بهذا

٤٢ — أخبار الوليد — أبو الحسن المدائنى قال : كان الوليد أسن ولد عبد الملك وكان يحبه فتراخى فى تأديبه لشدة حبه اياه فكان لحانا . وقال عبد الملك : أضر بنا فى الوليد حبنا له فلم يوجهه الى البادية . وقال الوليد يوما وعنده عمر بن عبد العزيز : ياغلام ادع لى صالح . فقال الغلام ياصالحا . فقال له الوليد انقص الفا : فقال له عمر بن عبد العزيز وأنت ياأمير المؤمنين فزد ألفا . وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحا وأعظمهم نفقة فى سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح . ومر الوليد بمعلم كتاب فوجد عنده صبية : فقال ما تصنع هذه عندك فقال أعلمها الكتابة والقرآن . قال فاجعل الذى يعلمها أصغر منها سنا . وشكا رجل من بنى مخزوم دينا لزمه . فقال نقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقا فقال : ياأمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا فى منزلتى وقرابتى قال قرأت القرآن . قال لا قال : ادن منى فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب فى يده ثم قرعه به قرعة . وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن فقام اليه آخر : فقال : ياأمير المؤمنين اقض دينى فقال له أتقرأ

القرآن . قال نعم فاستقرأه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرأ فقال نعم نقض دينك وأنت أهل لذلك . وركب الوليد بعيرا وحاد يحدو بين يديه والوليد يقول:

يا أيها البكر الذى أراكا * ويحك تعلم الذى علاكا

خليفة الله الذى امتطاكا * لم يحب بكر مثل ما حباكا

٤٣ — ولاية سليمان بن عبد الملك — أبو الحسن المدائنى : ثم بويع سليمان بن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابن ثلاث وأربعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفا . ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة فى بنى جديلة ومات بدابق من أرض قنسرين وكان سليمان فصيحا جميلا وسيما نشا بالبادية عند اخواله بنى عبس . وكانت ولايته يمنا وبركة افتتحها بخير وختمها بخير فأما افتتاحه فيها بخير فرد المظالم وأخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . واما ختمها بخير فاستخلافه عمر بن عبد العزيز * ولبس يوما واعتم بعمامة وكانت عنده جارية حجازية . فقال لها كيف ترين الهيئة : فقالت أنت اجمل العرب لولا . قال: على ذلك لتقولين قالت :

انت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للانسان

أنت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير انك فان

قال فتنغص عليه ما كان فيه فما لبث بعدها الا أياما حتى توفى رحمه الله . وتفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد لسليمان بن عبد الملك فذكر ولد عمر فضل أبيه وخاله . فقال له ولد سليمان ان شئت اقل وان شئت أكثر فما كان أبوك الا حسنة من حسنات أبى . محمد بن سليمان : قال فعل سليمان فى يوم واحد مالم يفعله عمر بن عبد العزيز فى طول عمره أعتق سبعين ألفا ما بين مملوك ومملوكة وبغتهم أى كساهم — والبغت — الكسوة . ولد لسليمان أيوب : وأمه أم أبان بنت الحكم بن العاص وهو أكبر ولد سليمان وولى عهده فمات فى حياة سليمان . وله يقول جرير :

ان الامام الذى ترجى فواضله * بعد الامام ولى العهد أيوب

وعبد الواحد وعبد العزيز أمهما أم عامر بنت عبد الله بن خالد بن عبد الاسد . وفى عبد الواحد يقول القطامى :

أهـل المدينة لا يحزنك حالهم * اذا تخطأ عبد الواحـد الاجل

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولما مات أيوب ولى عهد سليمان بن عبد الملك . قال عبد الأعلى يرثيه وكان من خواصه :

ولقد أقول لذى الشماتة اذ رأى * جزعى ومن يذق الحوادث يجزع

أبشر فقد قرع الحوادث مروتى * وافرح بمروتك التى لم تقـرع

ان عشت تفجع بالاحبة كلهم * أو يفجعوا بك ان بهـم لم تفجع

أيوب من يشمت بموتك لم يطق * عن نفسـه دفعا وهل من مدفع

٤٤ — أخبار سليمان بن عبد الملك — أبو الحسـن المدائنى . قال : لما بلغ قتيبة بن مسـلم ان سليمان بن عبد الملك عزله عن خراسان واسـتعمل يزيد بن المهلب كتب اليـه ثلاث صحف . وقال للرسول : ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد . فادفع اليه هذه . فان شتمنى فادفع هذه فلما سار الرسول اليـه دفع الـكتاب اليه وفيه : ياأمير المؤمنـين ان من بلائى فى طاعة أبيـك وأخيـك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد . فاعطاه الرسول الـكتاب الثانى وفيـه : ياأمير المؤمنـين . كيف تأمن ابن رحمـة على أسرارك وأبوه لم يأمنه على أمهات اولاده . فلما قرأ الـكتاب شتمه وناوله ليزيد . فأعطاه الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فوالله لاوثقن له أخية لا ينزعها المهر الارن مؤاخاة . فلما قرأها قال سليمان : عجلنا على قتيبة ياغـلام جدد له عهدا على خراسان . ودخـل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم ، أم هو يهوى فيها . فقال : ياأمير المؤمنين ان الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه من النـار حيث شئت . قال فأمر به الى الحبس فكان فيه طول ولايته . قال محمد بن يزيد الانصارى : فلمـا ولى عمر بن عبد العزيز بعثنى فاخرجت من السجن من حبس سليمان ماخـلا يزيد بن أبى مسلم فقد رد . فلما مات عمر بن عبد العزيز ولاه يزيد بن عبد الملك افريقية وأنا فيها . فأخذت فأتى بى اليه فى شهر رمضان عند الليل . فقال : محمد بن يزيد . قلت : نعم . قال الحمـد لله الذى مكننى منك بلا عهد ولا عقـد ، فطالما سألت الله أن يمكننى منـك . قلت : وأنا والله طالما استعذت بالله منك . قال فوالله ما أعاذك الله منى ولو ان ملك الموت سابقنى اليك لسبقته . قال

فأقمت صلاة المغرب فصلى ركعة فثارت عليه الجند فقتلوه وقالوا الى خذ الى الطريق أى طريق شئت . وأراد سليمان بن عبد الملك ان يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك انه تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فاصدقها عشرين ألف دينار . واشترى جارية باربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت ان أضرب على يد هذا السفيه ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين . بابني عاتكة يزيد ومروان . وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير وأوحى اليه اغرم ديتك خمسين مرة . فقال موسى : ماعندي ماأغرمه . فقال : والله لتغرمنها مائة مرة فحملها عنه يزيد بن المهلب وشكر ما كان من موسى الى أبيه المهلب أيام بشر بن مروان وذلك ان بشرا اتهم بالمهلب . فكتب اليه موسى يحذره فتمارض المهلب ولم يأته حين أرسل اليه . وكان خالد بن عبد الله القسري واليا على المدينة للوليد ثم أقره سليمان وكان قاضي مكة طلحة بن هرم فاختصم اليه رجل من بني شيبة الذين اليهم مفتاح الكعبة يقال له الاعجم مع ابن أخ له في ارض لهما فقضى للشيخ على ابن أخيه . وكان متصلا بخالد بن عبد الله . فاقبل الى خالد فأخبره . فحال خالد بين الشيخ وبين ماقضى له القاضي . فكتب القاضي كتابا الى سليمان يشكو له خالدا ووجه الكتاب اليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان الى خالد : لا سبيل لك على الاعجم ولا ولده فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال لا سبيل لك علينا هذا كتاب أمير المؤمنين . فامر به خالد فضرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان . فبعث القاضي ابنه المضروب الى سليمان وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمائها . فأمر سليمان بقطع يد خالد فكلمه يزيد بن المهلب : وقال ان كان ضربه ياأمير المؤمنين بعد ماقرأ الكتاب تقطع يده ، وان كان ضربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان الى داود بن طلحة بن هرم : ان كان خالد ضرب الشيخ بعد ماقرأ الكتاب الذى أرسلته اقطع يده . وان كان ضربه قبل ان يقرأ كتابي فأضربه مائة سوط . فأخذ داود بن طلحة لما قرأ الكتاب خالدا فضربه مائة سوط فجزع خالد من الضرب فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم اليك يديك ياابن النصرانية . فقال خالد : ليهنأ الفرزدق وضممت يدى وقال الفرزدق :

لعمرى لقد صبت على متن خالد * شآبيب لم يصببن من صيب القطر

فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الجناح الى الوكر

فردت أم خالد عليه تقول :

لعمرى لقد باع الفرزدق عرضه * بخسف وصلى وجهه حامى الجمر

فكيف يساوى خالدا أو يشينه * خميص من التقوى بطين من الخمر

وقال الفرزدق أيضاً فى خالد القسرى :

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا * متى ملكت قسر قريشا تدينها

أقبل رسول الله أو بعد عهده * فتلك قريش قد أغث سمينها

رجونا هداه لا هدى الله قلبه * وما أمه بالام يهدى جنينها

فلم يزل خالد محبوسا بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه الفضل بن المهلب . فقال سليمان : لا طت بك الرحم أبا عثمان ان خالدا جر على غيظا . قال : ياأمير المؤمنين هبنى ما كان من ذنبه . قال قد فعلت ولا بد أن يمشى الى الشام راجلا فمشى خالد الى الشام راجلا . وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك :

سليمان غيث الممحلين ومن به * عن البائس المسكين حلت سلاسله

وماقام من بعد النبى محمد * وعثمان فوق الارض راع يماثله

جعلت مكان الجور فى الارض مثله * من العدل اذ صارت اليك محامله

وقد علموا ان لن يميل بك الهوى * وماقلت من شئ فانك فاعله

زياد عن مالك . ان سليمان بن عبد الملك قال يوما لعمر بن عبد العزيز : كذبت . قال : والله ما كذبت منذ شددت على ازارى : وان فى غير هذا المجلس لسعة وقام مغضبا . فتجهز يريد مصر فأرسل اليه سليمان فدخل عليه . فقال له : ياابن عمى ان المعاتبة تشق علىّ ولكن والله ما أهمنى أمر قط من دينى ودنياى الا كنت أول من أذكره لك .

٤٥ — وفاة سليمان بن عبد الملك — قال رجاء بن حيوة قال لى سليمان : الى من ترى ان أعهد . فقلت : الى عمر بن عبد العزيز . قال كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابنى عاتكة من كان منهما حيا . قلت : تجعل الامر بعده ليزيد . قال صدقت قال : فكتب عهده لعمر ثم ليزيد بعده . ولما ثقل سليمان قال ائتونى بقمص بنى أنظر اليها فأتى بها فنشرها فرآها قصارا فقال

ان بنى صبية صغار * أفلح من كان له كبار

فقال له عمر : «أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» . وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك ان نصرانيا أتاه وهو بدابق بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا . قال : قشروا فقشر وافجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخا بسكر فأكله فاتخم فمرض فمات * ولما حج سليمان تأذى بحر مكة . فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أتيت الطائف فأتاها فلما كان بسحق لقيه ابن أبي الزهير . فقال : يا أمير المؤمنين اجعل منزلك عليّ . قال كل منزلي فرمى بنفسه على الرمل فقيل له : يساق اليك الوطاء فقال : الرمل أحب الي وأعجبه برده فألزق بالرمل بطنه قال : فأتى اليه بخمس رمانات فأكلها . فقال : أعندكم غير هذه . فجعلوا يأتونه بخمس بعد خمس حتى أكل سبعين رمانة . ثم أتوه بجدي وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزبيب من زبيب الطائف فنثر بين يديه فأكل عامته . ونعس فلما انتبه أتوه بالغداء فأكل كما أكل الناس فأقام يومه ومن غد قال لعمر : أراناقد أضررنا بالقوم . وقال لابن أبي الزهير : اتبعني الى مكة فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيته فقال أقول ماذا ، أعطني ثمن قراى الذي قريتكه . العتبي عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال : لما قدم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستانا لعمرو . وقال فجال في البستان ساعة ثم قال ناهيك بمالكم هذا مالا . ثم ألقى صدره على غصن وقال : ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله عندي جدي كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى . قال : عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله ومادعا عمر ولا ابنه حتى اذا بقي الفخذ قال : هلم أباحفص . قال : أناصائم . فأتى عليه ثم قال : ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله دجاجتان هنديتان كانهما رألا النعام . فأتيته بهما فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقي عظامها نقية حتى أتى عليهما ثم رفع رأسه فقال : ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى عندي حريرة كأنها قراضة ذهب . قال : عجل بها ويلك فأتيته بعس يغيب فيه الرأس فجعل يلقمها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح في جب . ثم قال : ياغلام أفرغت من غدائي . قال نعم قال : وما هو قال ثمانون قدرا . قال ائتني بها قدرا قدرا قال فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت الخوانات وقعد . وأذن للناس فما أنكرت شيأ من أكله

٤٦ — خلافة عمر بن عبد العزيز — المدائنى قال : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وكنيته أبو حفص . وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وولى الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين . ومات يوم الجمعة لست بقين من رجب بدير سمعان من أرض حمص سنة أحدى ومائة وصلى عليه يزيد بن عبد الملك . على بن زيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : تمت حجة الله على ابن الاربعين . ومات لها وكان على شرطته يزيد بن بشير الكنانى . وعلى حرسه عمرو بن المهاجر . ويقال أبو العباس الهلالى . وكان كاتبه على الرسائل ابن أبى رقية وكاتبه أيضا اسمعيل بن أبى حكيم . وعلى خاتم الخلافة نعيم بن أبى سلامة وعلى الخراج والجند صالح بن أبى جبير . وعلى اذنه أبو عبيدة الاسود مولاه يعقوب . ابن داود الثقفى عن أشياخ من ثقيف قال : قرئ عهد عمر بالخلافة وعمر فى ناحية فقام رجل من ثقيف يقال له سالم من أخوال عمر فأخذ بضبعيه فأقامه . فقال عمر . أما والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب بها منى دنيا . أبو بشر الخراسانى قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال : أيها الناس والله ما سألت الله هذا الامر قط فى سر ولا علانية . فمن كان كارها لشئ مما وليته فالآن . فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أسرع فيما نكره أتريد ان نختلف ويضرب بعضنا بعضا . قال رجل : سبحان الله وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ ولم يقولوا هذا ويقوله عمر

٤٧ — أخبار عمر بن عبد العزيز — بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويبكى فنسمع نحيبه بالبكاء . وهو يقول : أبعد الثلاثة الذين بوأتهم بيدى عبد الملك والوليد وسليمان . وقدم رجل من خراسان على عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال : يا أمير المؤمنين انى رأيت فى منامى قائلا يقول اذا ولى الاشج من بنى أمية يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً . فولى الوليد فسألت عنه فقيل لى ليس بالاشج . ثم ولى سليمان فسألت عنه فقيل ليس بالاشج ووليت أنت فكنت الاشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله قال نعم قال فبالذى أنعم به عليك أحق ما أخبرتنى قال نعم فأمره ان يقيم فى دار الضيافة فمكث نحوا من شهرين ثم أرسل اليه عمر فقال هل تدرى لم احتبسناك . قال : لا قال أرسلت الى بلدك لنسأل عنك فاذا ثناء صديقك وعدوك عليك سواء فانصرف راشدا . وكان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيأ ولا يجرى

على نفسه من الفيء درهما . وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كل يوم فقيل لعمر بن عبدالعزيز: لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنيني . ولما ولى عمر بن عبدالعزيز قام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أعدنى على هذا وأشار الى رجل . قال : فيم قال: أخذ مالى وضرب ظهرى . فدعا به عمر فقال مايقول هذا . قال صدق انه كتب الىّ الوليد بن عبدالملك وطاعتكم فريضة. قال كذبت لا طاعة لنا عليكم الا فى طاعة الله وأمر بالارض فردت الى صاحبها . عبدالله بن المبارك عن رجل أخبره قال : كنت مع خالد بن يزيد بن معاوية فى صحن بيت المقدس فلقينا عمر بن عبدالعزيز ولا أعرفه فأخذ بيد خالد . وقال : ياخالد أعلينا عين . قلت عليكما: من الله عين بصيرة وأذن سميعة . قال فاستل يده من يد خالد وأرعد ودمعت عيناه ومضى . فقلت لخالد من هذا قال هذا عمر بن عبدالعزيز وان عاش فيوشك ان يكون اماما عدلا . وقال رياح بن عبيدة اشتريت لعمر قبل الخلافة مطرفا بخمسمائة فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشنا جداً واشتريت له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه وقال لقد اشتريته لينا جدا . ودخل مسلمة بن عبدالملك على عمر وعليه ريطة من رياط مصر . فقال: بكم أخذت هذا يا أباسعيد قال بكذا وكذا قال فلو نقصت من ثمنها ما كان ناقصا من شرفك . قال مسلمة: ان أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة، وأفضل اليد ما كان بعد الولاية . وكان لعمر غلام يقال له درهم يحتطب له . فقال له يوما : ما يقول الناس يادرهم . قال وما يقولون الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر . قال: وكيف ذلك قال انى عهدتك قبل الخلافة عطر اللباس فاره المركب ، طيب الطعام، فلما وليت رجوت ان أستريح وأتخلص . فزاد عملى شدة وصرت أنت فى بلاء. قال فانت حر فاذهب عنى ودعنى وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا . ميمون بن مهران . قال: كنت عند عمر فكثر بكاؤه ومسألته ربه الموت . فقلت لم تسال الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحيا بك سننا وأمات بك بدعا . قال: أفلا أكون مثل العبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له أمره قال : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولبي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قال : ان فدك كانت مما أفاء الله على رسوله فسألتها فاطمة رسول الله

فقال لها مالك ان تسأليني ولا لي ان أعطيك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولى معاوية فاقطعها مروان ووهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز فقسمناها بيننا أثلاثا انا والوليد وسليمان فلما ولى الوليد سألته نصيبه فوهبه لى وما كان لى مال أحب الى منها وانا اشهدكم : انى قد رددتها الى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر : الامور ثلاثة . أمر استبان رشده فاتبعه، وأمر استبان ضره فاجتنبه ، وأمر اشكل أمره عليك فرده الى الله . وكتب عمر الى بعض عماله : الموالى ثلاثة . مولى رحم ، ومولى عتاقه ، ومولى عقد . فمولى الرحم : يرث ويورث ، ومولى العتاقة يورث ولا يرث ، ومولى العقد لا يرث ولا يورث وميراثه لعصبته . وكتب عمر الى عماله : مروا من كان على غير الاسلام ان يضعوا العمائم ، ويلبسوا الاكسية ، ولا يتشبهوا بشئ من الاسلام . ولا تتركوا أحدا من الكفار يستخدم أحدا من المسلمين . وكتب عمر ابن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة عامله على العراق : اذا امكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق القادر عليك . واعلم ان مالك عند الله ، أكثر مما لك عند الناس . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله : مروا من كان قبلكم فلا يبقى أحد من احرارهم ولا مماليكهم صغيرا ولا كبيرا ذكرا ولا أنثى الا أخرج عنه صدقة فطر رمضان . مدين من قمح أو صاعا من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم . فاما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من اعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم . واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الامانة يقبضان ما اجتمع من ذلك ثم يقسمانه فى مسكنة أهل الحاضرة . ولا يقسم على أهل البادية . وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن الى عمر : ان رجلا شتمك فاردت أن اقتله . فكتب اليه : لو قتلته لأقدتك به فانه لا يقتل أحد بشتم أحد الا رجل شتم نبيا . وكتب رجل من عمال عمر الى عمر : انا أتينا بساحرة فالقيناها فى الماء فطفت على الماء . فما ترى فيها فكتب اليه : لسنا من الماء فى شئ ان قامت عليها بينة والا خل سبيلها . وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة فى المظالم فيراده فيها فكتب اليه : انه يخيل لى انى لو كتبت لك ان تعطى رجلا شاة لكتبت الى اذكر أم أنثى . ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى أصغيرة أم كبيرة . ولو كتبت باحدهما لكتبت ضائنة أم معزاء . فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد على والسلام . وخطب عمر فقال : أيها الناس لا تستصغروا

الذنوب ، والتمسوا تمحيص ماسلف منها بالتوبة منها . ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عز وجل: « والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » . وقال عمر لبني مروان: ادوّا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تلجؤني الى ما أكره فاحملكم على ما تكرهون . فلم يجبه أحد منهم . فقال: أجيبوني فقال رجل منهم: والله لا نخرج من أموالنا التي صارت الينا من آبائنا فنفقر ابناءنا ونكفر آباءنا حتى تزايل رؤسنا . فقال عمر: اما والله لولا ان تستعينوا على من طلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم عاجلا ولكنني أخاف الفتنة ولئن ابقاني الله لاردن الى كل ذي حق حقه ان شاء الله . وكان عمر: اذا نظر الى بعض موالي بني أمية قال اني أرى رقابا سترد الى أربابها . ولما مات عمر بن عبد العزيز . قعد سلمة على قبره فقال: اما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر . العتبي قال: لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الامويون . فلما دخل الى منزله قال له الحاجب: الامويون بالباب . قال: ومايريدون قال ماعودتهم الخلفاء قبلك . قال ابنه عبد الملك وهو اذ ذاك ابن أربع عشرة سنة: ائذن لي في ابلاغهم عنك . قال وماتبلغهم قال: أقول أبي يقرئكم السلام ويقول لكم: « اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم » . زياد عن مالك قال قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه: ياأبت مالك لا تنفذ الامور فوالله ما أبالي لو ان القدور غلت بي وبك في الحق . قال له عمر: لا تعجل يابني فان الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة . وأنا أخاف ان أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذلك فتنة . ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت . قال له عمر: كيف تجدك يابني . قال: أجدني في الموت فاحتسبني فثواب الله خير لك مني . فقال: يابني والله لان تكون في ميزاني أحب الي من ان أكون في ميزانك . قال اما والله لأن يكون ماتحب أحب الي من ان يكون ما أحب . ثم مات فلما فرغ من دفنه وقف على قبره . وقال: يرحمك الله يابني فلقد كنت سارا مولودا، وبارا ناشئا، وما أحب اني دعوتك فاجبتني . فرحم الله كل عبد من حر او عبد ذكرا وأنثى دعا لك برحمة . فكان الناس يترحمون على عبد الملك ليدخلوا في دعوة عمر . ثم انصرف فدخل الناس يعزونه . فقال: ان الذي نزل بعبد الملك أمر لم نزل نعرفه فلما وقع لم ننكره . وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز . فلما فرغ من دفنها دنا اليه رجل فعزاه . فلم يرد عليه ثم

آخر فلم يرد عليه . فلما رأى الناس ذلك امسكوا ومشوا معه . فلما دخل الباب اقبل على الناس بوجهه فقال : ادركت الناس وهم لا يعزون فى المرأة الا ان تكون اما .

٤٨ — وفاة عمر بن عبدالعزيز — مرض عمر بن عبدالعزيز بارض حمص . ومات بدير سمعان . فيرى الناس ان يزيد بن عبد الملك سمه . دس الى خادم كان يخدمه فوضع السم على ظفر ابهامه فلما استسقى عمر غمس ابهامه فى الماء ثم سقاه فمرض مرضه الذى مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله ياأمير المؤمنين عنا خيرا فلقد عطفت علينا قلوبا كانت عنا نافرة ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا . زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبدالعزيز فى المرضة التى مات فيها فقال له : ياأمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ولا بد لهم من شىء يصلحهم . فلو أوصيت بهم الى أو الى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم ان شاء الله . فقال عمر : اجلسونى فاجلسوه . فقال : الحمد لله أبالله تخوفنى يامسلمة اما ماذكرت انى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة فانى لم أمنعهم حقا هو لهم . ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . واما ماسألت من الوصاة اليك أو الى نظرائك من أهل بيتى فان وصيتى بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وانما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يحتسب . ورجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه . ادعوا الى بنى فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد بصره فيهم ويصوّبه حتى أغر ورقت عيناه بالدمع . ثم قال : بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم يابنى انى قد تركتكم من الله بخير انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله . يابنى مثلت رأيى بين أن تفتقروا فى الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار . فكان ان تفتقروا الى آخرا لابد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا فى النار . قوموا يابنى عصمكم الله ورزقكم . قال فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر . واشترى عمر بن عبدالعزيز من صاحب دير سمعان موضع قبره بأربعين درهما . ومرض تسعة أيام ومات رضى الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك . وقال جرير بن الخطفى يرثى عمر بن عبدالعزيز :

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له * وسرت فينا بحكم الله ياعمرا

فالشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

وأنشد أبو عبيدة الاعرابى فى عمر بن عبد العزيز :

مقابل الاعراق فى الطيب الطاب * بين أبى العاص وآل الخطاب

قال أبو عبيدة يقال : طيب وطاب كما يقال أديم ودام

٤٩ — خلافة يزيد بن عبد الملك — ثم ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة. ومات ببلاد البلقاء يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة. وهو ابن أربع وثلاثين سنة. صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك. وكانت ولايته أربع سنين وشهرا وفيه يقول جرير :

سربلت سربال ملك غير مغتصب * قبل الثلاثين ان الملك مؤتشب

وكان على شرطته كعب بن مالك العبسى. وعلى الحرس غيلان أبو سعيد مولاه. وعلى خاتم الخلافة مطر مولاه — وكان فاسقا — وعلى الخاتم الصغير بكير أبو الحجاج. وعلى الرسائل والجند والخراج صالح بن جبير الهمدانى ثم عزله واستعمل أسامة بن زيد مولى كلب. وعلى الخزائن وبيوت الاموال هشام بن مصاد. وحاجبه خالد مولاه. وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو ولذات وهو صاحب حبابة وسلامة وفى ولايته خرج يزيد بن المهلب. أسماء ولد يزيد الوليد ويحيى وعبد الله والقهر وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم وداود ولا عقب له. والعوام ولا عقب له. وكتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيز : أما بعد فان عمر كان مغرورا. غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والضريبة. فاذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى. أخصبوا أم أجدبوا، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا والسلام. أبو الحسن المدائنى قال : لما ولى يزيد بن عبد الملك. وجه الجيوش الى يزيد بن المهلب فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وللعباس بن الوليد على أهل دمشق خاصة. فقال له العباس : ياأمير المؤمنين ان أهل العراق أرجاف وقد خرجنا اليهم بحار بين والاحداث تحدث فلو عهدت الى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك. قال : غدا ان شاء الله وبلغ مسلمة الخبر فأتاه فقال له : ياأمير المؤمنين

أولاد عبد الملك أحب اليك أم أولاد الوليد . قال : ولد عبد الملك . قال : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك . قال : بل أخي اذ كان ولدي أحق بها من ابن أخي . قال : ياأمير المؤمنين فان ابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ولابنك الوليد من بعده . قال : غدا ان شاء الله فلما كان من الغد بايع لهشام ولابنه الوليد من بعده والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة . فلما انقضى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندم على استخلاف هشام . فكان اذا نظر الى ابنه الوليد قال : الله بيني و بين من جعل هشاما بيني و بينك . قال ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبد الملك العراق لاخيه مسلمة بن عبد الملك فبعث هلال بن أحوز المازني الى قندابيل في طلب آل المهلب فالتقوا فقتل المفضل بن المهلب وانهزم الناس وقتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلب ولم يفتش على النساء ولم يعرض لهن . و بعث العيال والاسرى الى يزيد بن عبد الملك قال حدثني جابر بن مسلم قال : لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمادة الذي يقال له كثير عزة فقال :

حليم اذا ما نال عاقب مجملا * أشد عقاب أو عفا لم يثرب

فعفوا أمير المؤمنين وحسبة * فما تكتسب من صالح لك يكتب

أساؤا فان تغفر فانك قادر * وأعظم حلم حسبة حلم مغضب

نفتهم قريش عن أباطح مكة * وذو يمن بالمشرفي المشطب

فقال يزيد لاطت بك الرحم . لا سبيل الى ذلك من كان له قبل آل المهلب دم فليقم فدفعهم اليهم حتى قتل نحو ثمانين . قال : و بلغ يزيد بن عبد الملك ان هشاما ينتقصه فكتب اليه : أن مثلي ومثلك كما قال الاول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

لعل الذي يبغي رداي ويرتجي * به قبل موتي أن يكون هو الردى

فكتب اليه هشام : ان مثلي ومثلك كما قال الاول

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

فكتب اليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، مع حفظ وصية أبينا عبد الملك . وما حض عليه من صلاح ذات البين . وانى لاعلم انك كما قال معن بن أوس :

لعمرك ماأدرى وانى لاوجل * على أينا تعدو المنية أول
وانى على أشياء منك تريبنى * قديما ولا صلح على ذاك يجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ماقطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدل
اذا سؤتنى يوما رجعت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مرحل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلا متحول

فلما جاءه الكتاب رحل هشام اليه فلم يزل فى جواره الى أن مات يزيد وهو معه فى عسكره مخافة أهل البغى . محمد المغازى قال حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال حدثنى الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفا شديدا . فلما توفيت اكب عليها يتشممها أياما حتى أنتنت فاخذ فى جهازها وخرج بين يدى نعشها حتى اذا بلغ القبر نزل فيه فلما فرغ من دفنها الصق اليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤسيه فقال : قاتل الله ابن أبى جمعة كانه كان يرى ما نحن فيه حيث يقول :

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارنى فهو قائل * من أجلك هذا ميت اليوم أو غد

قال وطعن فى جنازتها فدفناه الى سبعة عشر يوما

٥٠ — خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان — ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان . يكنى أبا الوليد : وأمه أم هشام بنت اسمعيل بن هشام المخزومى يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومائة . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد وكانت خلافته عشرين سنة . أسماء ولد هشام بن عبد الملك : معاوية وخلف ومسلمة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد وهو الأبكم ومروان وابراهيم ومحمد ومنذر وعبد الملك والوليد وقريش وعبد الرحمن . وكان على شرطته كعب بن عامر العبسى . وعلى الرسائل سالم مولاه . وعلى خاتم الخلافة الربيع مولى لبنى الحريش وهو الربيع بن سابور . وعلى الخاتم الصغير أبو

الزبيرمولاه . وعلى ديوان الخراج والجنـد أسامة بن يزيد ثم عزله وولى الحنحاث . وعلى اذنه غالب بن مسعود مولاه

٥١ — أخبار هشام بن عبدالملك — أبوالحسن المدائنى . قال : كان عبد الملك ابن مروان رأى فى منامه ان عائشة ابنة اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى فلقت رأسه فقطعته عشرين قطعة . فغمه ذلك فارسل الى سعيد بن المسيب فقصها عليه . فقال سعيد تلد غلاما يملك عشرين سـنة وكانت عائشة أم هشام حمقاء فطلقها عبـد الملك لحمقها و ولدت هشاما وهى طالق ولم يكن فى ولد عبدالملك أكمل من هشام . قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام ابن عبدالملك بعد ان سخط على خالد بن عبدالله القسرى وسلط عليه يوسف بن عمر عامله على العراق . فلمـا دخلت عليه استدنانى حتى كنت أقرب الناس اليه فتنفس الصعداء . ثم قال ياخالد رب خالد قعد مقعدك هـذا أشهى الىّ حديثا منك . فعلمت انه يريد خالد بن عبد الله القسرى . قلت : ياأمير المؤمنين أفلا تعيده . قال هيهات ان خالدا دل فأمل ، وارجف فاعجف ، ولم يدع لمرجع مرجعا ، على انه ماسألنى حاجة قط . فقلت : ياأمير المؤمنين فلو أدنيته فتفضلت عليه . قال هيهات وأنشد :

اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكن * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال اصبغ بن الفرج لم يكن فى بنى مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام : خرج حاجا فحمل ثياب ظهره على ستمـائة جمل . ودخل المدينة فقال لرجل انظر من فى المسجد فقال رجل طويل آدم أدهم قال هـذا سالم بن عبدالله ادعه فاتاه . فقال أجب أمير المؤمنين وان شئت أرسل فتؤتى بثيابك فقال : ويحك أتيت الله زائرا فى رداء وقميص ولا أدخل بهما على هشام . فدخل عليه فوصله بعشرة آلاف ثم قدم مكة فقضى حجه . فلما رجع الى المدينة قيـل له : ان سالما شديد الوجع فدخل عليـه وسأله عن حاله ومات سالم فصلى عليـه هشام . وقال ما أدرى باى الامرين أنا أسر بحجتى أم بصلاتى على سالم . قال : ووقف هشام يوما قريبا من حائط فيـه زيتون له فسمع نفض الزيتون . فقال لرجل . انطلق اليهم فقل لهم التقطوه ولا تنفضوه . فتفقؤا عيونه ، وتكسروا غضونه . وخرج هشام هاربا من الطاعون فانتهى الى دير فيه راهب فادخله

الراهب بستانه فجعل ينتقى له اطايب الفا كهة والبالغ منها فقال هشام يا راهب هبنى بستانك هذا فلم يجبه . فقال: مالك لا تتكلم فقال وددت ان الناس كلهم ماتوا غيرك . قال : ولم قال لعلك أن تشبع . فالتفت هشام الى الابرش . فقال أتسمع ما يقول قال الابرش بلى والله أن لقيك حر غيره . العتبي قال : انى لقاعد عند قاضى هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه . فقال الحرسى : ان أمير المؤمنين جرأنى فى خصومة بينه و بين ابراهيم . قال القاضى : شاهديك على الجراءة فقال : أترانى قلت على أمير المؤمنين مالم يقل وليس بينى و بينه الا هذه الستره . قال : لا ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة . قال فقام فلم يلبث حتى قعقعت الابواب وخرج الحرسى . فقال : هذا أمير المؤمنين قال فقام القاضى فاشار اليه فقعد و بسط له مصلى فقعد عليه هو وابراهيم وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض . قال فتكلما وأحضرت البينة فقضى القاضى على هشام . فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق . فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت ان أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله ائن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . قال : له استرها علىّ يا ابراهيم . قلت لا ستر الله على ذنبى اذا يوم القيامة . قال انى معطيك عليها مائة ألف . قال ابراهيم فسترتها عليه طول حياته ثمنا لما أخذت منه وأذعتها عنه بعد موته تزيينا له . وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملا لابيه على حمص . وكان يرمى بالنساء والشراب فقدم حمصى لهشام فلقيه أبو جعد الطائى فى طريق فقال له هل ترى ان أعطيك هذه الفرس فانى لا أعلم بمكان مثلها على ان تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ليس فيه حاجة بمسئلة دينار ولا درهم فاخذها وأخذ الكتاب . فلما قدم على هشام سأله ما قصة هذا الفرس فاخبره فقال : هات الكتاب فاذا فيه :

ابلغ اليك أمير المؤمنين فقد * أمددتنا بامير ليس عنينا
طورا يخالف عمرا فى حليلته * وعند ساحته يسقى الطلا دينا

فلما قرأ الكتاب بعث الى سعيد فاشخصه . فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة . وقال: يا ابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين . و يلك أعجزت ان تفجر فجور قريش . أوتدرى ما فجور قريش لا أم لك قتل هذا . واخذ مال هذا . والله لا تلى لى عملا حتى تموت قال قال فما ولى له عملا حتى مات . أحمد ابن عبيد قال : أخبرنى هشام الكلبى عن أبى محمد بن سفيان القرشى عن أبيه . قال

كنا عند هشام ابن عبد الملك وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم . فحضرت كلامهم حتى محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى وكان أعظم القوم قدرا وأكبرهم سنا . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ان خطباء قريش قد قالت فيك ماقالت وأكثرت وأطنبت والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وان أذنت فى القول قلت . قال: قل وأوجز قال تولاك الله ياأمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والاولى . ان لى حوائج . فأذكرها قال هاتها . قال كبرسنى ، ونال الدهر منى ، فان رأى أمير المؤمنين ان يجبر كسرى ، وينفى فقرى ، فعل . قال قال : وماالذى ينفى فقرك ، ويجبر كسرك . قال الف دينار والف دينار والف دينار . قال فاطرق هشام طويلا ثم قال ياابن أبى الجهم بيت المال لا يحتمل ماذكرت . ثم قال له: هبه قال: ماهيه اما والله أن الامر لواحد ولكن الله آثرك لمجلسك فان تعطنا فحقنا اديت، وان تمنعنا فنسأل الذى بيده ماحويت . ياأمير المؤمنين ان الله جعل العطاء محبة، والمنع مبغضة . والله لان أحبك احب الى من ان أبغضك . قال فألف دينار لماذا قال اقضى بها دينا فدحنى قضاؤه، وقد عنانى حمله، واضر بى اهله . قال فلا باس ننفس كربة ، وتؤدى امانة والف دينار لماذا . قال ازوج بها من بلغ من ولدى . قال نعم المسلك سلكت اغضضت بصرا واعففت ذكرا ورفعت نسلا . والف دينار لماذا . قال اشترى بها أرضا يعيش بها ولدى، واستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخرا لمن بقى . قال فاناقد أمرنا لك بما سألت قال فالمحمود الله على ذلك . خرج فاتبعه هشام بصره وقال اذا كان القرشى فليكن مثل هذا . مارأيت رجلا أوجز فى مقال ولا أبلغ فى بيان منه . ثم قال: اما والله انا لنعرف الحق اذا نزل، وننكره الاسراف والبخل، وما نعطى تبذيرا ، ولا نمنع تقتيرا ، ومانحن الا خزان الله فى بلاده، وامناؤه على عباده، فاذا أذن أعطينا واذا منع ابينا. ولو كان كل قائل يصدق ،وكل سائل يستحق، ماجبهنا قائلا؟ ولا رددنا سائلا، ونسال الذى بيده مااستحفظنا ان يجريه على أيدينا فانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدرانه بعباده خبير بصير فقالوا ياأمير المؤمنين لقد تكلمت فأبلغت وما بلغ فى كلامه ماقصصت . قال: انه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى . وذكروا :ان العباس والوليد وجماعة من بنى مروان اجتمعوا عند هشام . فذكروا أمور امن يزيد وعابوه وذموه . وكان هشام ينتقصه ودخل الوليد فقال له العباس ياوليد . كيف حبك للروميات فان أباك كان مشغوفا بهن . قال

كيف لا يكون وهن يلدن مثلك: قال ألا تسكت يا بن البظراء قال حسبك أيها المفتخر علينا بختان أمه وقال له هشام ماشرابك ياوليد: قال بشرابك ياأمير المؤمنين. وقام يخرج. فقال له هشام هذا الذي زعمتوه احمق وقرب الوليد بن يزيد فرسه فجمع جراميزه و وثب على سرجه. ثم التفت الى ولد هشام. وقال له هل يقدر أبوك ان يصنع مثل هذا. قال لا بي مائة عبد يصنعون مثل هذا. فقال الناس لم ينصفه فى الجواب • العتبي عن أبيه قال سمعت معاوية بن عمر بن عتبة يحدث قال انى لقاعد بباب هشام بن عبد الملك وكان الناس يتقربون اليه بعيب الوليد بن يزيد قال فسمعت قوما يعيبونه فقلت دعونا من عيب من يلزمنا مدحه ووضع من يجب علينا رفعه. وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون بباب هشام فنقلوا اليه كلامى وكلام القوم فلم ألبس الا يسيرا حتى راح الى مولى للوليد قد التحف على الف دينار • فقال لى يقول لك مولاى انفق هذه فى يومك وغدا امامك قال فلبثت رعبا من هشام وخشيت سطوته و رماه الله بالعلة فدفناه لثمانية عشر يوما بعد ذلك اليوم فلما قام الوليد بعده دخلت عليه. فقال لى يا ابن عتبة أتراني ناسيا قعودك بباب الاحول يهدمني وتبنيني و يضعني و ترفعني فقلت ياأمير المؤمنين شاركت قومك فى احسانك اليهم. وتفردت دونهم باحسانك الىّ فلست أحمل لك نفسى فى اجتهاد ولا أعذرها فى تقصير و تشهد بذلك ألسنة الجائزين بنا و يصدق قولهم فى الفعال بنا قال كذلك انتم لنا آل أبى سفيان وقد أقطعتك مالى بالبثنية وما أعلم لقرشى مثله * وقال عبد الله بن الحكم فقيه مصر: سمعت الاشياخ يقولون سنة خمس وعشرين ومائة اديل من الشرف وذهبت المروءة وذلك عند موت هشام بن عبد الملك . قال أبو الحسن المدائنى: مات هشام بن عبد الملك بالذبحة يوم الاربعاء بالرصافة فى ربيع الآخر لست خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وصلى عليه مسلمة بن هشام أو بعض ولده واشترى له كفن من السوق

٥٢ — خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك — بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف وقتل بالهجراء من تدمر على ثلاث أميال يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين أو ست وثلاثين. قال حاتم بن مسلم ابن خمس وأربعين وأشهر. وكانت ولايته سنة وشهرين واثنين

وعشرين يوما فاول شيء نظر فيه الوليد ان كتب الى العباس بن الوليد بن عبد الملك ان يأتى الرصافة يحصى مافيها من أموال هشام و ولده و يأخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام. فانه كتب اليه أن لا يعرض له ولا يدخل منزله وكان مسلمة كثيرا ما يكلم أباه فى الرفق بالوليد ففعل العباس ماأمره به . وكتب الوليد بن يزيد الى يوسف بن عمر فقدم عليه من العراق فدفع اليه خالد بن عبد الله القسرى ومحمد أو ابراهيم ابنى هشام بن اسمعيل المخزومى وأمره بقتلهم. فحدث أبو بشر بن السرى قال رأيتهم حين قدم بهم يوسف بن عمر الحيرة وخالد فى عباءة فى شق محمل فعذبهم حتى قتلهم ثم عكف الوليد على البطالة وحب القيان . والملاهى والشراب ومعاشقة النساء فتعاشق سعدى ابنة سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوجها. ثم تعاشق أختها سلمى فطلق أختها سعدى وتزوج سلمى فرجعت سعدى الى المدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك ثم ندم الوليد على فراقها وكلف بحبها فدخل عليه اشعب المضحك فقال له الوليد هل لك على ان تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرون الف درهم قال: هاتها فدفعها اليه فقبضها وقال ما رسالتك قال اذا قدمت المدينة فاستأذن عليها وقل لها يقول لك الوليد

أسعدى ما اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا ان يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

فأتاها أشعب فاستأذن عليها وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنه . فقالت له: مابدا لك فى زيارتنا يا أشعب. قال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة قالت هاتها فانشدها البيتين . فقالت لجواريها خذن هذا الخبيث . وقالت ماجرأك على مثل هذه الرسالة . قال انها بعشرين ألفا معجلة مقبوضة قالت والله لاجلدنك أو لتبلغنه كما أبلغتنى عنه . قال فاجعلى لى جعلا قالت بساطى هذا . قال فقومى عنه . فقامت عنه وطوى البساط وضمه . ثم قال هاتى رسالتك فقالت له قل له:

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب . وقال اختر احدى ثلاث خصال ولا بد لك من احداها . أما ان أقتلك . وأما ان أطرحك للسباع فتأكلك . وأما ان ألقيك من هذا القصر . فقال أشعب: ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فضحك وخلى سبيله . وأقامت

عنده سلمى حتى قتل عنها وهو القائل فى سلمى :

شاع شعرى فى سلمى وظهر * ورواه كل بدو وحضر
وتهادته الغوانى بينها * وتغنين به حتى انتشر
لو رأينا من سلمى أثراً * لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها اماماً مرتضى * ولكانت حجنا والمعتمر
انما بنت سعيد قمر * هل حرجنا ان سجدنا للقمر

وفيها يقول قبل تزوجه لها :

حدثوا ان سلمى * خرجت يوم المصلى
فاذا طير مليح * فوق غصن يتفلى
قلت ياطير ادن منى * فدنا ثم تدلى
قلت هل تعرف سلمى * قال لا ثم تولى
فتظامى القلب كلا * باطنا ثم تجلى

وقال فى سلمى قبل تزويجه لها :

لعل الله يجمعنى بسلمى * أليس الله يفعل مايشاء
ويأتى بى ويطرحنى عليها * فيوقظنى وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة من بعد هذا * فتغسلنا وليس بنا عناء

وقال فيها بعد تزويجه لها :

أنا فى يمنى يديها * وهى فى يسرى يديه
ان هذا لقضاء * غير عدل يا أخيه
ليت من لام محبا * فى الهوى لاقى منيه
فاستراح الناس منه * ميتة غير سويه

قال : ولهج الوليد بالنساء والشراب والصيد . فأرسل الى المدينة فحملوا له المغنين فلما قربوا اليه أمر ان يدخلوا العسكر ليلا وكره ان يراهم الناس فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن أبى عائشة فانه دخل نهاراً . فامر الوليد بحبسه فلم يزل محبوسا حتى شرب الوليد يوما فطرب فكلمه معبد فأمر

الوليد باخراجه ودعاه فغناه فقال:

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * يطرق عليك النجى والولج

فرضي عنه . وكان سعيد الاحوص ومعبد . قدما على الوليد ونزلا في الطريق على غدير وجارية تستسقي فزاغت فانكسرت الجرة فجلست تغني :

يابيت عاتكة التي أتغزل * حذر العدا و به الفؤاد موكل

فقال : ياجارية لمن أنت . فقالت كنت لآل الوليد بالمدينة . فاشتراني مولاي وهو من بني عامر بن صعصعة أحد بني الوحيد من بني كلاب وعنده بنت عم له فوهبني لها فأمرتني ان أستقي لها . فقال لها : فلمن الشعر . قالت : سمعت بالمدينة ان الشعر للاحوص والغناء لمعبد فقال معبد للاحوص : قل شيأ أغني عليه . فقال :

ان زين الغدير من كسر الجر * وغنى غناء فحل مجيد

قلت من أنت يامليحة قالت * كنت فيما مضى لآل الوليد

ثم قد صرت بعد عز قريش * في بني عامر لآل الوحيد

وغنائي لمعبد ونشيدي * لفتى الناس الاحوص الصنديد

فتضاحكت ثم قلت أنا الاح * وص والشيخ معبد فأعيدي

فأعادت وأحسنت ثم ولت * تتهادى فقلت أم سعيد

يقصر المال عن شراك ولكن * أنت في ذمة الامام الوليد

وأم سعيد كانت للاحوص بالمدينة : فغنى معبد على الشعر . فقال : ماهذا فاخبراه فاشتراها الوليد. قال أبو الحسن وقال ابن أبي الزناد : اني كنت عند هشام وعنده الزهري فذكر الوليد فتنقصاه وعاباه عيبا شديدا . ولم أعرض لشئ مما كانا فيه فاستأذن فأذن له فدخل وأنا أعرف الغضب في وجهه . فجلس قليلا ثم قام . فلما مات هشام : كتب بي فحملت اليه فرحب بي . وقال : كيف حالك يا ابن ذكوان والطف المسئلة . ثم قال أتذكر هشاما الاحول . وعنده الفاسق الزهري وهما يعيباني . فقلت : اذكر ذلك ولم أعرض لشئ مما كانا فيه . قال صدقت أرأيت الغلام الذي كان على رأس هشام قائما : قلت نعم . قال : فانه نم الي بما قالاه وأيم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته . قلت قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت . قال : يا ابن ذكوان ذهب الاحول

قالت يطيل الله عمرك ، ويمتع الامة ببقائك ، ودعا بالعشاء فتعشينا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وجلس . فقال : اسقني فجاؤا باناء مغطى وجيء بثلاث جوار فصففن بيني و بينه حتى شرب ودهش فتحدثنا واستسقى فصنعوا مثل ذلك فما زال كذلك يستسقى و يتحدث و يصنعون مثل ذلك حتى طلع الفجر . فاحصيت له سبعين قدحا . علي بن عياش قال : انى عند الوليد بن يزيد في خلافته اذ أتى بابن شراعة من الكوفة فوالله ماسأله عن نفسه ولا عن مسيره حتى قال له : يا ابن شراعة أنا والله ما أبعث اليك لاسألك عن كتاب الله وسنة رسوله . قال والله لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حمارا . قال انما أرسلت اليك لاسألك عن القهوة . قال دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم ، وطبيبها العليم . قال فأخبرني عن الشراب . قال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له قال ما تقول فى الماء . قال لا بد لى منه والحمار شريكي فيه . قال ما تقول فى اللبن . قال ما رأيته قط إلا استحييت من أمي لطول ما أرضعتني به . قال : ما تقول فى السويق قال شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال فنبيذ التمر . قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش . قال فنبيذ الزبيب . قال حاموا به على الشراب . قال : ما تقول فى الخمر . قال : أواه تلك صديقة روحى . قال : وأنت والله صديق روحى قال فأى المجالس أحب قال ماشرب الكاس قط على وجه أحسن من السماء قال أبو الحسن كان أبو كامل مضحكا غزلا مغنيا فغنى الوليد يوما فطرب فأعطاه قلنسوة برود كانت عليه فكان ابو كامل لا يلبسها الا فى عيد و يقول كسانيها امير المؤمنين فانا اصونها وقد أمرت أهلي اذا مت ان توضع فى اكفانى وله يقول الوليد

من مبلغ عنى أبا كامل * انى اذا ماغاب كالهابل
وزادنى شوقا الى قربه * ماقد مضى من دهرنا الحائل
انى اذا عاطيته مرة * ظلت بيوم الفرح الجاذل

قال وجلس الوليد يوما وجارية تغنيه فأنشدت الوليد* قينة فى يمينها ابريق * فاستنشدها حماد الراوية فقال:

ثم نادى الا أصبحونى فقامت * قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافه الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

وكتب له الوليد الى المدينة فحمل اليه اشعب فالبسه سراويل جلد قرد له ذنب وقال له ارقص

وغن صوتا يعجبنى فان فعلت اعطيتك الف درهم فرقص وغنى فاعجبه فاعطاه الف درهم وأنشد الوليد هذا :

علّلانى واسقيانى * من شراب اصفهانى
من شراب الشيخ كسرى * أو شراب الهرمزان
ان بالكاس لمسكا * أو بكفى من سقانى
انما الكاس ربيع * يتعاطى بالبنان

وقال أيضا: وصفراء فى الكاس كالزعفران * سباها الدهاقين من عسقلان
لها قادرمح اذا صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

وقال أيضا : ليت حظى اليوم من كل معاش لى وزاد
قهوة أبذل فيها * طارفى بعد تلادى
فنزال القلب منها * هائما فى كل واد
ان فى ذاك فلاحى * وصلاحى ورشادى

وقال : امدح الكاس ومن اعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر * فاذا مالم نذقها لم نعش

و بلغ الوليد ان الناس يعيبونه و ينتقصونه بالشراب وطلب اللذات . فقال فى ذلك :

ولقد قضيت ولم يجلل لمتى * شيب على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدمى ومناصف * ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تأبى الشموس وجوههم * شم الانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراثهم يعطونها * أو يطلبوا لايدركوا بترات

وقال معاوية بن عمرو بن عتبة، للوليد بن يزيد حين تغير له الناس وطعنوا عليه: ياامير المؤمنين انه ينطقنى الامن بك ، وتسبقنى اليك الهيبة لك وأراك تامن أشياء أخافها عليك . أفاسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل مقبول منك والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فقتل بعد ذلك بايام وقال اذ كثر القول فيه :

خذوا ملككم لاثبت الله ملككم * ثباتا لايساوى ماحييت عقالا
دعوالى سلمى مع طلاء وقينة * وكاس الا حسبى بذلك مالا

أباملك ارجـوأن أخلد فيكم * ألا رب ملك قـد أزيل فزالا
ألارب دار قد تحمل أهلها * فاضحت قفارا والديار خـلالا

قال اسحق بن محمد الا رزق دخلت على منصور بن جهور الا زدى بعد قتل الوليد بن يز يد وعنده جار يتان من جوارى الوليد . فقال لى : اسمع من ها تين الجار يتان ما يقولا ن قالتا قد حد ثناك قال بل حد ثاه كما حد ثتمـانى قالت : احد اهما كنا أعز جوار يه عنـد ه فنكح هـذه وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فأخرجها وهى سكرى جنبة متاثمة فصلت بالناس

٥٤ — مقتل الوليد بن يزيد — اسمعيل بن ابراهيم قال حد ثنى عبد الله بن واقد الجرمى وكان شهد قتل الوليد . قال : لما اجمعوا على قتله قلدوا أمرهم يز يد بن الوليد بن عبد الملك فخرج يز يد بن الوليد بن عبد الملك فاتى أخاه العباس ليلا فشاوره فى قتل الوليـد فنهاه عن ذلك فأقبل يز يد ليلا حتى دخل دمشق فى أر بعين رجلا فكسروا باب المقصـورة ودخلوا على والها فأوثقوه وحمـل يز يد الاموال على العجـل الى باب المضمار وعقد لعبد العز يز بن الحجاج ونادى مناديه من انتدب الى الوليد فله ألفان فانتدب معه الفا رجل وضم مع عبد العز يز بن الحجاج يعقوب ابن عبد الرحمن ومنصور بن جهور و بلغ الوليد بن يز يد ذلك فتوجه من البلقاء الى حمص وكتب الى العباس بن الوليد أن يأتيه فى جند من أهل حمص وهو منها قر يب . وخرج الوليد حتى انتهى الى قصر فى بر ية ورمل من تدمر على أميال وصبحت الخيـل الوليـد بالصحراء وقدم العباس بن الوليد بغير خيل فحبسه عبد العز يز بن الحجاج خلفه . ونادى منادى عبد العزيز من أتى العباس بن الوليد فهو آمن وهو بيننا و بينكم وظن الناس ان العباس مع عبد العز يز فتفرقوا عن الوليـد وهجم عليه الناس فكان أول من هجم عليه السرى بن ز ياد بن ابى كبشة السكسكى وعبد السلام اللخمى فأهوى اليه السرى بالسيف وضر به عبد السلام على قرنه فقتل . قال اسمعيل وحد ثنى عبد الله ابن واقد قال حد ثنى يز يد بن أبى فروة مولى بنى أمية قال لما أتى يز يد برأس الوليد بن يز يد قال لى انصبه للناس قلت لا أفعل انما ينصب رأس الخار ج فحلف لينصبـن ولا ينصبـه غيرى فوضع على رمح ونصب على درج مسجد دمشق . ثم قال : اذهب فطف به فى مدينـة دمشق : وخليفـة بن خيـاط قال حد ثنى الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المصحف قال اقتـل كما قتـل ابن عمى عثمان أبو الحسن المدائنى قال : كان الوليـد صـاحب لهـو وصـيد وشراب ولذات فلما ولى الامر جعـل يكره المواضع التى يراه الناس فيها . فلم يدخل

مدينة من مدائن الشام حتى قتل ولم يزل ينتقل و يتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده واشتد
على بني هاشم واضر بهم وضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه
الى عمان فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد . وحبس يزيد بن هشام وهو الافقم فرماه بنو هاشم و بنو
الوليد وكان أشدهم قولا فيه يزيد بن الوليد . وكان الناس الى قوله أميل لانه كان يظهر النسك ولما
دفع الوليد خالد بن عبد الله القسرى الى يوسف بن عمر فقتله غضب له اليمانية وغيرها فأتت
يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة وخلع الوليد فامتنع عليهم وخاف ان لا تبايعه الناس
ثم لم يزل الناس به حتى بايعوه سرا . ولما قتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيبا فحمد الله
وأثنى عليه . ثم قال: أيها الناس انى والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة
فى الملك وما بى اطراء نفسى ولا تزكية عملى وانى لظلوم لنفسى ان لم يرحمنى ربى ولكننى خرجت
غضبا لله ودينه . وداعيا الى كتاب الله وسنة نبيه حين درست معالم الهدى، وطفئ نور أهل
التقوى، وظهر الجبار العنيد المستحل للحرمة، والراكب للبدعة والمغير للسنة، فلما رأيت ذلك
أشفقت ان غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم، وقسوة من قلوبكم، وأشفقت ان
يدعو كثيرا من الناس الى ما هو عليه فيجيبه من أجابه منكم فاستخرت الله فى أمرى وسألته ان
لا يكلنى الى نفسى ودعوت الى ذلك من أجابنى من أهلى وأهل ولايتى وهو ابن عمى فى نسبى
وكفئى فى حسبى فأراح الله منه العباد وطهر منه البلاد ولاية من الله وعونا بلا حول ولا قوة ولكن
بحول الله وقوته وولايته وعونه، أيها الناس: ان لكم علىّ ان وليت أموركم ان لا أضع لبنة على لبنة
ولا حجرا على حجر ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى اسد ثغره وأقسم بين أهله ما تقوون به فان
فضل رددته الى أهل البلد الذى يليه ومن هو أحوج اليه حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا
فيه سواء ولا أحديعوزكم فتفتنوا فتنة أهاليكم فان أردتم بيعتى على الذى بذلت لكم فأنا لكم
به وان ملت فلا بيعة لى عليكم وان رأيتم أحدا هو أقوى عليها منى فأردتم بيعته فأنا اول من بايع
ودخل فى طاعته أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وقال خلف بن خليفة فى قتل الوليد بن
يزيد يقول فى قتل خالد بن عبد الله :

لقد سكنت كلب واسياف مذحج * صدا كان يزقو ليله غير راقد
تركنا أمير المؤمنين جليسة * مكبا على خيشومه غير ساجد

فان تقطعوا منا مناط قلادة * قطعنا بهامنكم مناط قلائد
وان تشغلونا عن أذان فاننا * شغلنا الوليد عن غناء الولائد

٥٥ ـ ولاية يزيد الناقص ـ ثم بويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فى أول رجب سنة ست وعشرين ومائة . وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى سباها قتيبة بن مسلم بخراسان و بعث بها الى الحجاج بن يوسف فبعث بها الحجاج الى الوليد بن عبد الملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره . ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين سنة وصلى عليه أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . قال عبد العزيز: بويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة ومات ولم يبلغ الاربعين . وعلى شرطته بكير بن عثمان الحسنى وكاتب الرسائل ابن أبى سليمان بن سعد . وعلى الخراج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو من أهل اليمن وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبى . ويقال قطن مولاه وكتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد بالجزيرة وبلغه عنه تلكك فى بيعته . أما بعد : فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . ثم قطع اليه البعوث وأمرهم بالعطاء فلم ينقص عطاؤه حتى مات يزيد . ولما بلغ مروان ان يزيد قطع البعوث اليه كتب ببيعته و بعث وفدا عليهم سليمان بن علاثة العقيلى فخرج فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بموت يزيد فانصرفوا الى مروان والله أعلم

٥٦ — ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع — العلاء بن يزيد بن سنان قال حدثنى أبى قال: حضرت الوليد بن يزيد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن . فقال أنا رسول من وراءبك يسألونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك ابراهيم بن الوليد فغضب وضرب بيده على جبهته وقال: أنا أولى ابراهيم . ثم قال لى ياأبا العلاء الى من ترى ان اعهد قلت أمر نهيتك عن الدخول فى أوله فلا أشير عليك فى الدخول فى آخره . قال فأصابته غماءة حتى ظننت انه قدمات ففعل ذلك غيرمرة ثم خرجت من عنده فقعد قطن وافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لابراهيم بن الوليد ودعا ناسا فاشهدهم عليه . قال والله ماعهد اليه يزيد ولا الى أحد من الناس وقال يزيد فى مرضه لو كان سعيد بن عبد الملك قريبا منى لرأيت فيه رأيى . و فى رواية أبى الحسن المدائنى . قال لما مرض يزيد قيل له لو بايعت لاخيك ابراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده فقال له قيس بن هانئ العبسى

اتق الله يا أمير المؤمنين وانظر لنفسك وأرض الله في عباده، فاجعل ولي عهدك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال الوليد لا يسألني الله عن ذلك ولو كان سعيد بن عبد الملك مني قريباً لرأيت فيه رأيي . وكان يزيد يرى رأي القدرية ويقول بقول غيلان فألحت القدرية عليه وقالوا : لا يحل لك اهمال أمر الامة فبايع لاخيك ابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده فلم يزالوا به حتى بايع لابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده ومات يزيد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة وكانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوما فلما قدم مروان نبش يزيد من قبره وصلبه وكان يقرأ في الكتب القديمة . يامبذر الكنوز ياسجاد في الاسحار كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة نبشوك فصلبوك وبويع ابراهيم بن الوليد وأمه بربرية فلم يتم له الامر وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة وقوم يسلمون بالامرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بامرة . وجماعة تبايع وجماعة يأبون أن يبايعوا فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلع ابراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج وولي الامر بنفسه . وفي رواية خليفة بن خياط قال : لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعة ففرض لستة وعشرين ألفا من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم عطياتهم وولى على قيس أسحق بن مسلم العقيلي وعلى ربيعة المساور بن عقبة . ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد ابن مروان فتلقاه وجوه قريش الوثيق بن زفر ويزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري وأبو الورد بن الهذيل بن زفر وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي في خمسة آلاف من قيس فسار وامعه حتى قدم حلب وبها بشر ومسرور ابنا الوليد بن عبد الملك أرسلهما ابراهيم بن الوليد حين بلغه مسير مروان بن محمد فالتقوا فانهزم بشر ومسرور ومن ابن محمد من غير قتال فاخذهما مروان فحبسهما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حمص فدعاهم للمسير معه والبيعة وولي العهد الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وهما محبوسان عند ابراهيم بن الوليد بدمشق فبايعوه وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد وبلغ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو معسكر في ناحية الري . فاقبل الى دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد من دمشق ونزل بباب الجابية وتهيأ للقتال ومعه الاموال على العجل ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما

فى السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر والحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد وهما الحملان وأتاهم رسول ابراهيم فتوجه عبد العزيز بن الحجاج الى داره ليخرج عياله . فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتز وا رأسه فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية . وكان محبوسا مع يوسف بن عمر وأصحابه فأخرجوه فوضعوه على المنبر فى قيوده ورأس عبد العزيز بين يديه وحلوا قيوده وهو على المنبر فخطبهم وبايع لمروان وشتم يزيد وابراهيم ابنى الوليد وأمر بجثة عبد العزيز فصلبت على باب الجابية منكوسا وبعث برأسه الى مروان بن محمد واستأمن أبو محمد لاهل دمشق فأمنهم مروان ورضى عنهم . وبلغ ابراهيم فخرج هاربا حتى أتى مروان فبايعه وخلع نفسه فقبل منه وأمنه فسار ابراهيم فنزل الرقة على شاطئ الفرات ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه فامنه فاتاه فبايعه واستقامت لمروان بن محمد وكانت ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع أشهرا . قال أبو الحسن شهرين ونصفا

٥٧ — ولاية مروان بن محمد بن مروان — ثم بويع مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم أمه بنت ابراهيم بن الاشتر قال بعضهم بل كانت أمه لخباز لمصعب بن الزبير أولا بن الاشتر واسم الخباز رزياء وقال بعضهم كان رزيا عبدا لمسلم بن عمر الباهلى . وقال أبو العباس الهلالى حين دخل على أبى العباس السفاح الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزمَ بنى مروان وأنجدَهم وأبلغَهم ولكنه ولى الخلافة والامر مدبر عنهم ودفع الى مروان أبياتا قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس وهى :

الا فتيان من مضر فيحموا * اسارى فى الحديد مكبليا
أتذهب عامر بدمى وملكى * فلا غثا أصبت ولا سمينا
فان أهلك أنا وولى عهدى * فمروان أمير المؤمنينا
فأدب لاعدمتك حرب قيس * فتخرج منهم الداء الدفينا
ألا من مبلغ مروان عنى * وعمى الغمر طال بذا حنينا
فانى قد ظلمت وطال حبسى * لدى الخضراء فى لحف مهينا

وقُتِلَ مروان ببوصير من أرض مصر فى ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة . الوليد بن هشام عن أبيه وعبد الله بن المغيرة عن أبيه وأبو اليقظان قالوا ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وقتل

بقرية من قرى مصر يقال لها بوصير يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت ولايته خمس سنين وستة اشهر وعشرة أيام. وأم مروان أمة لمصعب بن الزبير وقتل وهو ابن خمسين سنة ولد مروان عبد الملك ومحمد وعبد العزيز وعبيد الله وعبد الله وأبان ويزيد ومحمد الاصغر وأبو عثمان وكاتبه عبد الحميد بن يحيي بن سعيد مولى بني عامر بن لؤي وكان معلما وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن علاثة وعلى شرطته الكوثر بن عتبة وأبو الاسود الغنوي وكان للحرس نوب في كل ثلاثة أيام نوبة يلي ذلك صاحب النوبة وعلى حجابته صقلاب ومقلاص وعلى الخاتم الصغير عبد الاعلى بن ميمون بن مهران وعلى ديوان الجند عمران بن صالح مولى بني هذيل :

٥٨ — مقتل مروان بن محمد بن مروان — قال والتقى مروان وعامر بن اسمعيل ببوصير من أرض مصر فقاتلوهم ليلا وعبد الله وعبيد الله ابنا مروان واقفان ناحية في جمع من أهل الشام فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن مراكزهم ثم كرواعليهم فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم ورجعوا الى موقفهم. ثم ان أهل الشام بدؤهم فحملوا على أهل خراسان فكشفوا كشفا قبيحا ثم رجعوا الى أماكنهم وقد مضى عبيد الله وعبد الله فلم يروا أحدا من أصحابهم فضوا على وجوههم وذلك في السحر وقتل مروان وانهزم الناس وأخذوا عسكر مروان وما كان فيه وأصبحوا فاتبعوا الفل وتفرق الناس فجعلوا يقتلون من قدروا عليه ورجع أهل خراسان عنهم فلما كان الغد لحق الناس بعبد الله وعبيد الله ابني مروان وجعلوا يأتونهما متقطعين العشرة والعشرين وأكثر وأقل ويقولان كيف أمير المؤمنين فيقول بعضهم تركناه يقاتلهم ويقول بعضهم انحاز وثاب اليه قوم ولا يتبعونه حتى أتوا الحرون . فقال كنت معه أنا ومولى له فصرع فجررت برجله فقال أوجعتني فقاتلت أنا ومولاه عليه وعلموا انه مروان فألحوا عليه فتركته ولحقت بكم فبكى عبيد الله فقال له أخوه عبيد الله يا ألأم الناس فررت عنه وتبكي عليه ومضوا فقال بعضهم كانوا أربعة آلاف وقال بعضهم كانوا ألفين فأتوا بلاد النوبة فأجرى عليهم ملك النوبة ما يصلحهم ومعهم أم خالد بنت يزيد وأم الحكم بنت عبيد الله صبية جاء بها رجل من عسكر مروان حين انهزموا فدفعها الى أبيها ثم أجمع ابنا مروان على ان يأتيا اليمن وقالا نأتيها قبل ان يأتيها السودان فلنتحصن في حصونها وندعو الناس. فقال لهم صاحب النوبة لا تفعلوا انكم في بلاد السودان وهم في عدد كثير ولا آمن عليكم فاقيموا فأبوا . قال : فاكتبوا الى كتابا فكتبوا له انا قدمنا بلادك

فاحسنت مثوانا وأشرت علينا ان لا نخرج من بلادك فابينا وخرجنا من عندك وافرين راضين شاكرين لك بطيب أنفسنا وخرجوا فاخذوا فى بلاد العدو فكانوا بما عرضوا لهم ولا ياخذون منهم الا السلاح وأكثر ذلك لا يعرضون لهم حتى أتوا بعض بلادهم فتلقاهم عظيمهم فاحتبسهم فطلبوا الماء فمنعهم ولم يقاتلهم ولم يخلهم وعطشهم وكان يبيعهم القربة بخمسين درهما حتى أخذ منهم مالا عظيما ثم خرجوا فساروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقين فسلك عبد الله أحدهما فى طائفة وسلك عبيد الله الاخرى فى طائفة وظنوا ان للجبل غاية يقطعونها ثم يجتمعون بهم عند آخرها فلم يلتقوا وعرض قوم من العدو لعبيد الله وأصحابه فقاتلوهم فقتل عبيد الله وأخذت أم الحكم بنته وهى صبية . وقتل رجل من أصحابه وكفوا عن الباقين وأخذوا سلاحهم . وتقطع الجيش فجعلوا يتنكبون العمران فيأتون الماء فيقيمون عليه الايام فمضى طائفة وتقيم الاخرى حتى بلغ العطش منهم . فكانوا ينحرون الدابة فيقطعون اكراشها فيشربونه حتى وصلوا الى البحر بحيال علائقة المندب . ووافاهم عبد الله وعليه مقرمة قد جاء بها فكانوا جميعا خمسين أو أربعين رجلا فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون . وعفان مولى بنى هاشم . فعبروا اليهم البحر فى السفن فمشوا الى المندب فأقاموا بها شهرا فلم تحملهم . فخرجوا الى مكة . وقال بعضهم اعلم بهم العامل فخرج وامع الحجاج عليهم ثياب غلاظ وثياب الاكرياء حتى وافوا جدة وقد تقطعت أرجلهم من المشى فروا بقوم فرقوا لهم فحملوهم . وفارق عبد الله الحجاج بجدة ثم حجوا وخرجوا من مكة الى قتاله . وكان على عبد الله فص أحمر كان قد غيبه حين عبر الى المندب . فلما أمن استخرجه وكانت قيمته ألف دينار وكان يقول : وهو يمشى ليت به دابة . حتى صار فى مرقعة تكون عليه بالنهار فيلبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثل عبد الله قاتل فكان اشد الناس ومشوا فكان اقواهم ، وجاعوا فكان اصبرهم ، وعروا فكان أحسنهم عريا . وبعث وهو بالمندب الى العدو الذين أخذوا أم الحكم بنت أخيه عبيد الله فقداها وردها اليه . فكانت معه ثم أخذ عبيد الله فقدم به على المهدى . فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم فكلمت العباس بن يعقوب كاتب عيسى بن على واعطته لؤلؤا ليكلم فيه عيسى فكلمه واعلمه بما اعطته فلم يكلم فيه عيسى ابن على المهدى . واراد المهدى ان يخليه فقال له عيسى : ان له فى أعناقنا بيعة وقد أعطى كاتبى قيمة ثلاثين الف درهم فحبسه المهدى . وكان عبد الله بن مروان

تزوج أم يزيد ابنة يزيد بن محمد بن مروان وكانت فى الحبس . فلما اخرجهم العباس خرجت الى مكة فأقامت بها وقدم عبد الله بن مروان سرا فتزوجها . وقال مولى مروان : كنت مع مروان وهو هارب . فقال لى يوما : أين عزبت عنا حلومنا فى نسائنا ألا زوجناهم من اكفائهن من قريش فكفينا مؤنتهن اليوم . وقال بعض آل مروان : ما كان شىء انفع لنا فى هربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذى يساوى خمسة دنانير فما دون كان يخرجه الصبى والخادم فيبيعه وكنا لا نستطيع ان نظهر الجوهر الثمين الذى له قيمة كثيرة . وقال مصعب بن الربيع الخثعمى كاتب مروان بن محمد لما انهزم مروان وظهر عبد الله بن على على أهل الشام : طلبت الاذن فانا عنده جالس وهو متكئ اذ ذكر مروان وانهزامه . فقال : شهدت القتال : قلت . نعم اصلح الله الامير وقال لى مروان احزر القوم . فقلت انما أنا صاحب قلم . ولست بصاحب حرب . فاخذ يمنة ويسرة فقال لى : هم اثنى عشر ألف رجل . وقال مصعب قيل لمروان : قد انتهب بيت المال الصغير فانصرف يريد بيت المال . فقيل له انتهب بيت المال الاكبر انتهبه أهل الشام . وقال أبو الجارود السلمى : حدثنى رجل من أهل خراسان قال لقينا مروان على الزاب فحمل علينا أهل الشام كأنهم جبال حديد . فجثونا على الركب واشرعنا الرماح فزالوا عنا كأنهم سحابة ومنحنا الله اكتافهم وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا فبقى عليه رجل من أهل الشام فخرج اليه رجل منا فقتله الشامى . ثم خرج اليه آخر فقتله حتى والى بين ثلاثة . فقال رجل منا اطلبوا الى سيفا قاطعا وترسا صلبا فأعطيناه ومشى اليه فضربه الشامى فاتقاه بالترس وضرب رجله فقطعها وقتله ورجع فحملناه وكبرنا فاذا هو عبيد الله الكابلى . سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم . وانهم لم يزالوا على استقامة حتى افضى أمرهم الى أبنائهم المترفين . وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات ، وايثار اللذات ، والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا باستدراج الله ، وأمنا لمكره ، فسلبهم الله العز ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على ياامير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل النوبة هاربا فيمن تبعه . سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى امير المؤمنين ان يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة و يسأله عن ذلك . فامر المنصور باحضاره وساله عن القصة . فقال : ياامير المؤمنين قدمنا أرض النوبة وقد خبر الملك بامرنا فدخل على رجل أقنى الانف طوال حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب فقلت

مايمنعك ان تقعد على ثيابنا . قال : لانى ملك و يحق على الملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لاى شىء تشربون الخمر وهى محرمة عليكم قلت اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا واتباعنا لان الملك قد زال عنا . قال فلم تطؤن الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت : يفعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم . قلت : ذهب الملك عنا وقل انصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال . فاطرق مليا وجعل يقلب يده و ينكث الارض و يقول عبيدنا واتباعنا وقوم دخلوا فى ديننا وزال الملك عنا يردده مرارا . ثم قال ليس ذلك كذلك بل أنتم قوم قد استحللتم ما حرم الله ، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملكتم فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لن تبلغ غايتها واخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم وارتحلوا عن بلدى

٥٩ — أخبار الدولة العباسية — الهيثم بن عدى قال : حدثنى عياش قال حدثنى بكير أبو هاشم مولى مسلمة قال : لم يزل لبنى هاشم بيعة سر ودعوة باطنة منذ قتل الحسين بن على بن أبى طالب ولم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بنى أمية حتى صار ذلك وقيل لبعض بنى أمية ما كان سبب زوال ملككم قال اختلاف فيما بيننا واجتماع المختلفين علينا . الهيثم بن عدى قال : حدثنى غير واحد ممن ادركت من المشايخ ان على بن أبى طالب اصار الامر الى الحسن فاصاره الحسن الى معاوية وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن على صار أمر الشيعة الى محمد بن الحنفية . وقال بعضهم الى على بن الحسين . ثم الى محمد بن على . ثم الى جعفر بن محمد والذى عليه الاكثر ان محمد بن الحنفية أوصى الى أبى هاشم ابنه عبد الله بن محمد بن الحنفية . ولم يزل قائما بامر الشيعة يأتونه ويقوم بامرهم و يؤدون اليه الخراج حتى استخلف سليمان بن عبد الملك فاتاه وافدا ومعه عدة من الشيعة فلما كلمه سليمان . قال ما كلمت قط قرشيا يشبه هذا وما نظن الذى كنا نحدث عنه الا حقا فاجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين فلما كان ببلاد لخم وجذام ضربوا له أبنية فى الطريق ومعهم اللبن المسموم . فكلما مر بقوم قالوا هل لكم فى الشراب . قالوا جزيتم خيرا ثم بآخرين فعرضوا عليه . فقال : هاتوا فلما شرب واستقر

بجوفه . قال لاصحابه انى ميت فانظروا من القوم فنظروا فاذاهم قد قوضوا أبنيتهم وذهبوا فقال ميلوا بى الى ابن عمى وما أحسبنى أدركه فاسرعوا حتى أتوا الحميمتين أرض الشراة وبها محمد بن على بن عبد الله بن العباس . فنزل بها . فقال يا ابن عمى انى ميت وقد صرت اليك وأنت صاحب هذا الامر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان . ثم ليغلبن ما بين حضرموت وأقصى افريقية وما بين غانة وأقصى فرغانة فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيرا فهم دعاتك وأنصارك ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لا سيما مرو واستبطن هذا الحى من اليمن فان كل ملك لا يقوم به فمصيره الى انتقاض وانظر هذا الحى من ربيعة فألحقهم بهم فانهم معهم فى كل أمر . وانظر هذا الحى من قيس وتميم فأقصهم الا من عصم الله منهم . وذلك قليل ثم مرهم ان يرجعوا فليجعلوا اثنى عشر نقيبا . وبعدهم سبعين نقيبا . فان الله لم يصلح أمر بنى اسرائيل الا بهم . وقد فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك فى خراسان منهم من يقتل ومنهم من ينجو حتى يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن على يا أبا هاشم وما سنة الحمار . قال : انه لم تمض مائة سنة من نبوة قط الا انتقض أمرها لقول الله عز وجل «أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس» واعلم ان صاحب هذا الامر من ولدك عبد الله بن الحارثية . ثم عبد الله أخوه ولم يكن لمحمد بن على فى ذلك الحين ولد يسمى عبد الله فولد له من الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله وكنى الاكبر أبا العباس . والاصغر أبا جعفر فوليا جميعا الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن على بالامر بعده . واختلفت الشيعة اليهم . فلما ولد أبو العباس أخرجه اليهم فى خرقة قال لهم : هذا صاحبكم فجعلوا يلحسون أطرافه . وولد أبو العباس فى أيام عمر بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن على فأخبروه انهم حبسوا بخراسان فى السجن وكان يخدمهم فيه غلام من السراجين مار أو اقط مثل عقله وظرفه ومحبته فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو مسلم . وقال أحر أم عبد . قال أما عيسى فيزعم انه عبد . وأما هو فيزعم انه حر قال فاشتروه واعتقوه واجعلوه بينكم اذ رضيتموه واعطوا محمد بن على مائتى ألف كانت معهم . فلما انقضت المائة سنة بعث محمد بن على رسله الى خراسان فغرسوا بها غرسا . وأبو مسلم المقدم عليهم وثارت الفتنة فى خراسان بين المضرية واليمانية فتمكن أبو مسلم وفرق رسله فى كور خراسان يدعو الناس الى آل الرسول

فأجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان لهشام بن عبد الملك . فكان يكتب لهشام بخبرهم وتمضي كتبه الى ابن هبيرة صاحب العراق لينفذها الى أمير المؤمنين فكان يحبسها ولا ينفذها لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان في ابن هبيرة حسد شديد . فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جواب من عند هشام . كتب كتابا وأمضاه الى هشام على غير طريق ابن هبيرة وفي جوف الكتاب هذه الابيات مدرجة يقول فيها :

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك ان يكون لها ضرام

فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أولها الكلام

فان لم تطفؤها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام

فقلت من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام

تصري عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه هشام ان احسم ذلك الثؤلول الذي نجم عندكم . قال نصر وكيف لنا بحسمه . وقال نصر بن سيار يخاطب المضرية واليمانية ويحذرهم هذا العدو الداخل عليهم بقوله :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم * فليغضبوا قبل ان لا ينفع الغضب

ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا * حربا يحرق في حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم * كان أهل الحجا عن رأيكم غرب

وتتركون عدوا قد أظلكم * مما تأشب لا دين ولا حسب

قدما يدينون دينا ماسمعت به * عن الرسول ولم تنزل به الكتب

فمن يكن سائلا عن أصل دينهم * فان دينهم ان تقتل العرب

ومات محمد بن علي في أيام الوليد بن يزيد وأوصى الى ولده ابراهيم بن محمد . فقام بامر الشيعة وقدم عليهم أبو مسلم السراج وسليمان بن كثير . وقال لابي مسلم ان اسطعت ان لا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ومن شككت في أمره فاقتله . فلما استعلى أمر أبي مسلم بخراسان وأجابته الكور كلها كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد بخبر أبي مسلم وكثرة من تبعه وانه قد خاف ان يستولي على خراسان وان يدعو الى ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فأتى الكتاب مروان وقد

أتاه رسول أبي مسلم بجواب ابراهيم الى أبي مسلم فكتب مروان الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك ابن مروان وهو عامله على دمشق انا كتب الى عاملك بالبلقاء ليسير الى الحسينية فيأخذ ابراهيم ابن محمد فيشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجهه الى ّ فحمل الى مروان وتبعه من أهله عبد الله بن علي وعيسى بن موسى فادخل على مروان فأمر به الى الحبس . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال : كنت آتيه في السجن ومعه فيه سعيد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز فوالله انى ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا بمولى لمروان قد استفتح الباب ومعه عشرون رجلا من موالي مروان الاعاجم ومعهم صاحب السجن فأصبحنا وسعيد وعبد الله وابراهيم قد ماتوا . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال حدثني وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذى كان يخدمه في الحبس : انه غم عبد الله مولاه بمرفقه وابراهيم بن محمد بجراب نورة وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن . فلقيه بعض حرس مروان في ظلمة الليل فوطئته الخيل وهم لا يعرفون من هو فمات . ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها فأرسل الى نصر بن سيار فهرب هو وولده وكاتبه داود حتى انتهوا الى الري . فمات نصر بن سيار بفسطاط وتفرق أصحابه ولحق داود بالكوفة وولده جميعا . واستعمل ابو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمرقند واحوازها . ثم اخرج الرايات السود وقطع البعوث وجهز الخيل والرجال عليهم قحطبة بن شبيب وعامر بن اسمعيل ومحرز بن ابراهيم في عدة من القواد فلقوا من بطوس فانهزموا ومن مات في الزحام أكثر ممن قتل . فبلغ القتلى بضعة عشر الفا . ثم مضى قحطبة الى العراق فبدأ بجرجان وعليها نباتة بن حنظلة الكلابي . وكان قحطبة يقول لاصحابه : والله ليقتلن عامر بن منارة وينهزمن ابن هبيرة ولكني أخاف ان أموت قبل ان ابلغ ثاري . وأخاف أن أكون الذى يغرق في الفرات فان الامام محمد بن علي قال لي ذلك . قال الهيثم : فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نباتة ودخل جرجان فانتهبها وقسم ما اصاب بين أصحابه . ثم سار الى عامر بن ضبارة باصبهان فلقيه فقتل ابن ضبارة وقتل أصحابه ولم ينج منهم الا الشريد ولحق فلهم بابن هبيرة . وقال قحطبة لما قتل ابن ضبارة : ما شيء رأيته ولا عدو قتلته الا وقد حدثني به الامام صلوات الله عليه الا انه حدثني انى لا أعبر الفرات . وسار قحطبة حتى نزل بحلوان ووجه أباعون في نحو من ثلاثين ألفا الى مروان بن محمد . فاخذ على شهرزور حتى أتى الزاب وذلك برأي أبي مسلم . حدثني أبو عون عبد الملك ابن يزيد قال لي أبو هاشم بكير بن ماهان : أنت والله الذى تسير الى مروان ولتبعثن اليه غلاما من

مذحج يقال له عامر فليقتلنه . فامضيت والله عامر بن اسمعيل على مقدمتي فلقي مروان فقتله . ثم صار قحطبة من حلوان الى ابن هبيرة بالعراق فالتقوا بالفرات فاقتتلوا . حتى اختلط الظلام وقتل قحطبة في المعركة وهو لا يعرف . فقال بعضهم: غرق في الفرات . ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحق بواسط . وأصبح المسودة وقد فقدوا أميرهم فقدموا الحسن بن قحطبة . ولما بلغ مروان قتل قحطبة وهزيمة ابن هبيرة قال : هذا والله الادبار والا فمتى رأيتم ميتا هزم حيا . وأقام ابن هبيرة بواسط وغلبت المسودة على العراق وبايعوا لابي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ووجه عمه عبيد الله بن علي لقتال مروان وأهل الشام وقدمه على أبي عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر الى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام ابو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزاب . وامضى عبد الله بن علي أبا عون في طلبه وأقام على دمشق ومدائن الشام ياخذ بيعتها لابي العباس . وكان أبو مسلمة الخلال واسمه حفص ابن سليمان يدعى وزير آل محمد . وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا مسلمة الخلال واتهمه بحب بني فاطمة وانه كان يخطب حبالهم فقتل أبو جعفر أبا مسلم وكان أبو مسلم يقول لقواده : اذا اخرجتهم لا تكلموا الناس الا رمزا ولا تلحظوهم الا شزرا لتمتلئ صدورهم من هيبتكم

٦٠ — مقتل زيد بن علي ايام هشام بن عبد الملك — كتب يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك : ان خالد بن عبد الله أودع زيد بن حسين بن علي بن أبي طالب مالا كثيرا . فبعث هشام الى زيد فقدم عليه يساله عن ذلك فانكر . فاستحلفه فحلف فخلى سبيله واقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الايام فقال له هشام : بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال أما قولك اني أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله . وأما قولك : اني ابن أمة فهذا اسمعيل صلى الله عليه وسلم ابن امة اخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم . واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال هشام ما أحب أحد الحياة الا ذل قال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد وخرج زيد حتى قدم الكوفة . فقال :

سوده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
محتفي الرجلين يشكو الوجا * تنكبه اطراف مروحداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فوجه يوسف بن عمر اليه الخيل . وخرج في أثرهم حتى التقوا فقاتله فرمى زيد في آخر النهار بنشابة في نحره فمات فدفنه أصحابه في حمأة كانت قريبة منهم وتتبع أصحاب زيد فانهزم من انهزم وقتل من قتل . ثم أتى يوسف فقيل له ان زيدا دفن في حمأة فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام . ثم صلبه في سوق الكناسة فقال في ذلك اعور كلب وكان مع يوسف في جيش أهل الشام :

نصبنا لكم زيدا على جذع نخلة * وما كان هذا على الجذع ينصب

الشيباني قال : لما نزل عبد الله بن علي نهر أبي قطرس . حضر الناس بابه للاذن وحضر اثنان وثمانون رجلا من بني أمية فخرج الآذن . فقال : يا أهل خراسان قوموا فقاموا سماطين في مجلسه . ثم اذن لبني أمية فاخذت سيوفهم ودخلوا عليه . وقال أبو محمد العبدي الشاعر وخرج الحاجب فادخلني فسلمت عليه فرد على السلام : ثم قال انشدني قولك .

* وقف المتيم في رسوم ديار * فانشدته حتى انتهيت الى قولي :

اما الدعاة الى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار

من كان يفخر بالمكارم والعلا * فلها يتم المجد غير فخار

والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على المصلى . وبنو أمية على الكراسي فألقى الى صرة حرير خضراء فيها خمسمائة دينار . فقال : لك عندنا عشرة آلاف درهم وجارية وبرذون وغلام وتخت ثياب . قال : فوفى والله بذلك كله ثم انشأ عبد الله بن علي يقول :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمد والهه * حتى يفادوا زيدها وحسينها

ثم أخذ قلنسوته من رأسه فضرب بها الارض . فأقبل أولئك الجند على بني أمية فخبطوهم بالسيوف والعمد . وقال الكلبي الذي كان بينهم وكان من أتباعهم أيها الامير اني والله ما أنا منهم فقال عبد الله بن علي :

ومدخل رأسه لم يدعه أحد * بين الفريقين حتى بزه القرن

اضربوا عنقه . ثم أقبل على الغمر فقال : ما أحسب لك في الحياة بعد هؤلاء خيرا . فقال : أجل قال يا غلام اضرب عنقه فأقيم من المصلى فضرب عنقه . ثم أمر ببساط فطرح عليهم ودعا بالطعام فجعل



يا كل وأنين بعضهم تحت البساط . وفى رواية أخرى قال لما قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السفاح فى ثمانين رجلا من بنى أمية فوضعت لهم الكراسى ووضعت لهم نمارق وأجلسوا عليها وأجلس الغمر مع نفسه فى المصلى . ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف ابن ميمون وكان متوشحا . سيفا متنكبا قوسا وكان طويلا آدم فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيزعم الضلال بما حبطت أعمالهم ان غير آل محمد أولى بالخلافة فلم وبم . أيها الناس لكم الفضل بالصحابة دون حق ذوى القرابة الشركاء فى النسب ، الا كفاء فى الحسب ، الخاصة فى الحياة ، الوفاة عند الوفاة مع ضربهم على الامير جاهلكم واطعامهم فى الاولى جائعكم ، فكم قصم الله بهم من جبار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يسمع بمثل العباس لم تخضع له أمة بواجب حق أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجلدة ما بين عينيه ، أمينه ليلة العقبة ، ورسوله الى أهل مكة وحاميه يوم حنين ، لا يرد له رأيا ، ولا يخالف له قسما ، انكم والله معاشر قريش ما اخترتم لانفسكم من حيث ما اختاره الله لكم . تيمى مرة وعدوى مرة وكنتم بين ظهرانى قوم قد آثروا العاجل على الآجل ، والفانى على الباقى ، وجعلوا الصدقات فى الشهوات ، والفىء فى اللذات ، والغناء والمغانم فى المحارم ، اذا ذكروا بالله لم يذكروا ، واذا قدموا بالحق أدبروا . فذلك زمانهم ، وبذلك كان يعمل شيطانهم . فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شبل . فلما جلسوا قام شبل فاستأذن فى الانشاد فاذن له . فانشد :

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم فلقوها * بعد ميل من الزمان وباس

لا تقيلن عبد شمس عثارا * اقطعوا كل نخلة وغراس

ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من منابر وكراسى

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

وقتيلا بجوف حران أضحى * تحجل الطير حوله فى الكناس

نعم شبل الهراس مولاك شبل * لونجا من حبائل الافلاس

ثم قام وقاموا . ثم أذن لهم بعد فدخلوا ودخل الشيعة فلما جلسوا قام سديف بن ميمون . فأنشد :

قد أتتك الوفود من عبد شمس * مستعدين يوجعون المطيا

عنوة أيها الخليفة لا عن * طاعة بل تخوفوا المشرفيا

لا يغـــرنك ماترى من رجال * ان تحت الضـــلوع داء دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى * لا ترى فـوق ظهرها أمـويا

ثم قام خلف بن خليفة الاقطع فانشد :

ان تجاوز فقد قدرت عليهـم * أو تعاقب فـلم تعاقب بريا
أو تعاتبهـم على رقـة الديـن فقـد كان دينهـم سامريا

فالتفت أبو العباس الى الغمر . فقال : كيف ترى هذا الشعر قال والله ان هذا لشاعر ولقـد قال شاعرنا ماهو أقعد قال وما قال فانشده :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فشرق وجه أبي العباس بالدم . وقال : كذبت يا ابن اللخناء انى لارى الخيلاء فى رأسك بعد . ثم قاموا وأمر بهم فدفعوا الى الشيعة فاقتسموهم فضربوا أعناقهم . ثم جروا بارجلهم حتى ألقوهم فى الصحراء بالانبار وعليهم سراويلات الوشى فوقف عليهم سديف مع الشيعة وقال :

طمعت أمية ان سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمـد والهـه * حـتى يبيد كفورها وخؤنها

وكان أشد الناس على بنى أمية عبد الله بن علىّ وأحنهم عليهم سليمان بن علىّ وهو الذى كان يسميه أبو مسلم كنف الامان . وكان يجير كل من استجار به . وكتب الى أبى العباس يا أمير المؤمنين انا لم نحارب بنى أمية على أرحامهم وانما حاربناهم على عقوقهم . وقد دافت الى منهـم دافة لم يشهروا سـلاحا ولم يكثروا جمعا فأحب ان تـكتب لهـم منشور أمان فـكتب لهم منشور أمان وأنفذه اليهم فمات سليمان بن على : وعنده بضع وثمانون حرمة لبنى أمية :

٦١ — خلفاء بنى أمية بالاندلس — عبـد الرحمن بن معاوية بن هشام أول خلفاء الاندلس من بنى أمية . عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وتوفى فى عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ومائة . فـكان ملـكه اثنتين وثلاثين سنة وخمســة أشهر . ولى الملك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى الحجة سـنة ثمان وثلاثين ومائة . وهو ابن ثمان وعشرين سنة. وكان يقال له صقر قريش . وذلك ان أبا جعفر المنصور قال لاصحابه اخبرونى عن صقر قريش من هو قالوا أمير المؤمنين الذى راض الملك . وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعـداء . قال :

ماصنعتم شيأ. قالوا : فمعاوية قال ولا هذا. قالوا : فعبد الملك بن مروان قال : ولا هذا قالوا فمن يا أمير المؤمنين. قال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين . وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره . وشدة شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه . وعبد الملك ببيعة تقدم له عقدها وأمير المؤمنين بطلب غيره واجتماع شيعته . وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه . وقالوا لما توطد ملك عبد الرحمن بن معاوية عمل هذه الابيات وأخرجها الى وزرائه فاستغربت من قوله اذ صدقها فعله . وهى :

ماحق من قام ذا امتعاض * منتقضي الشفرتين نصلا
فبر ملكا وساد علما * ومنبرا للخطاب فصلا
فجاز قفرا وشق بحراً * مساميا لجة رمحلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأى ان هلم أهلا
فجاءه ذا طريد جوع * شريد سيف أباد قتلا
فحل أمنا ونال شبعا * وحاز مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أوجب من منعم ومولى

وكتب أمية بن يزيد عنه كتابا الى بعض عماله يستقصره فيما فرط فيه من عمله فأكثر وأطال الكتاب . فلما لحظه عبد الرحمن أمر بقطعه . وكتب : أما بعد فان يكن التقصير لك مقدما ، بعد الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا . وقد علمت بما تقدمت ، فاعتمد على أيهما أحببت . وكان ثار عليه ثائر يغزو ولده . فغزاه فظفر به وأسره . فبينما هو منصرف وقد حمل الثائر على بغل مكبولا . نظر اليه عبد الرحمن بن معاوية . وتحته فرس له فقنع رأسه بالعباءة وقال : يابغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق . قال الثائر : يافرس ماذا تحمل من العفو والرحمة فقال له عبد الرحمن : والله لاتذوق موتا على يدى أبدا ﴿ هشام بن عبد الرحمن ﴾

ثم ولى هشام بن عبد الرحمن لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ومات فى صفر سنة ثمانين ومائة . وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر . ومات وهو ابن احدى وثلاثين سنة . وهو أحسن الناس وجها وأشرفهم نفسا : الكامل

المروأة الحاكم بالكتاب والسنة. الذى أخذ الزكاة على حلها . ووضعها فى حقها . لم يعرف منه هفوة فى حداثته. ولا زلة فى أيام صباه . ورآه يوما أبوه وهو مقبل ممتلىء شبابا فاعجبه . فقال : ياليت نساء بنى هاشم أبصرنه حتى يعدن فوارك . وكان هشام يصر الصرر بالاموال فى ليالى المطر والظلمه ، ويبعث بها الى المساجد فيعطى من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد . وأوصى رجل فى زمن هشام بمال فى فك سبية من أرض العدو . فطلبت فلم توجد احتراساً منه للثغر واستنقاذاً لاهل السبى

﴿الحكم بن هشام﴾ ثم ولى الخلافة الحكم بن هشام فى صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولايته سبعا وعشرين سنة . ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة تسعين ومائة . وهو ابن خمسين سنة . وكانت فيه بطالة الا انه كان شجاع النفس ، باسط الكف ، عظيم العفو ، متخير الاهل عمله ، ولاحكام رعيته أورع من يقدر عليه وأفضلهم فيبسطهم على نفسه فضلا عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته بفضله وعدله وورعه وزهده . فمرض مرضاً شديداً واغتم له الحكم غما شديداً . فذكر يزيد فتاه انه أرق يوما وليلة وبعد عنه نومه وجعل يتململ على فراشه . فقلت أصلح الله الامير انى أراك متململا وقد زال النوم عنك فلم أدر ما عرض لك . قال : ويحك انى سمعت نائحة هذه الليلة وقاضينا مريض فما أراه الا وقد قضى نحبه وأين لنا بمثله ، ومن يقوم للرعية مقامه . ثم ان القاضى مات ، واستقضى الحكم بعده سعيد بن بشير . فكان أقصد الناس الى حق ، وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى ، وأنفذهم لحكم ، رفع اليه رجل من أهل كورة جيان ان عاملا للحكم اغتصبه جارية وعمل فى تصييرها الى الحكم . فوقعت من قلبه كل موقع وان الرجل أثبت أمره عند القاضى وأتاه ببينة يشهدون على معرفة ما تظلم منه وعلى عين الجارية ومعرفتهم بها . وأوجب البينة أن تحضر الجارية واستأذن القاضى على الحكم فأذن له فلما دخل عليه . قال : انه لا يتم عدل فى العامة ، دون افاضته فى الخاصة . وحكى له أمر الجارية وخيره فى ابرازها اليه ، أو عزله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك الى خير من ذلك . تبتاع الجارية من صاحبها بعين ثمنها وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : ان الشهود قد شخصوا من كورة جيان يطلبون الحق فى مظانه . فلما صاروا ببابك تصرفهم دون انفاذ الحق لاهله . ولعل قائل أن يقول : باع من لا يملك بيع متيسر على نفسه فلما رأى عزمه أمر باخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينها . وقضى بها لصاحبها .

وكان سعيد بن بشير القاضي اذا خرج الى المسجد . أو جلس فى مجلس الحكم . جلس فى رداء معصفر وشعره مفرق الى شحمة أذنيه . فاذا طلب ما عنده وجد أورع الناس ، وأفضلهم وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة عرفاء تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح فاذا بلغه عن ثائر فى طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره فلا يشعر حتى يحاط به . وأتاه الخبر : ان جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان فى الجسر . فدعا بعريف من أولئك العرفاء فأشار اليه ان يخرج من تحت يده الى جابر ابن لبيد . ثم فعل مثل ذلك بأصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين فلما رأى ذلك عدوه سقط فى أيديهم وظنوا ان الدنيا قد حشرت لديهم فولوا مدبرين . وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الربض :

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقدما رأيت الشعب مذ كنت يافعا

فسائل ثغورى هل بها اليوم ثغرة * أبادرها منتضى السيف دارعا

وشافه على أرض الفضاء جماجما * كأجفان شريان الجبير لوامعا

ولما تساقينا سجال حروبنا * سقيتهم سما من الموت ناقعا

وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا

قال عثمان بن المثنى المؤدب قدم علينا عباس بن ناصح من الجزيرة أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم فاستنشدنى شعر الحكم فانشدته فلما انتهيت الى قوله

* وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم * قال لو جوثى الحكم فى حكومة لاهل الربض لقام بعذره هذا البيت ﴿ عبد الرحمن بن الحكم ﴾ ثم ولى بعده عبد الرحمن بن الحكم . أندى الناس كفا ، وأكرمهم عطفا ، وأوسعهم فضلا ، فى ذى الحجة سنة ست ومائتين فملك احدى وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ومات ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة . وكتب اليه بعض عماله : يسأله عملا رفيعا لم يكن من شاكلته فوقع فى أسفل كتابه : من لم يصب وجه مطلبه ، كان الحرمان أولى به ﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾ ثم ولى الملك محمد بن عبد الرحمن . يوم الخميس لثلاث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين . فملك أربعا وثلاثين سنة . وتوفى فى يوم الجمعة مستهل ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . وهو ابن سبع وستين سنة . وكتب عبد الرحمن بن

الشمر : الى الامير محمد بن عبد الرحمن فى حياة أبيه عبد الرحمن . وكان يتجنب الوقوف ببابه مخافة نصر الفتى . فلما مات نصر كتب ابن الشمر هذه الابيات الى محمد يقول فيها :

لئن غاب وجهى عنك ان مودتى * لشاهدة فى كل يوم تسلم
وما عاقنى الا عدو مساط * يذل و يقصى من يشاء و يرغم
ولم يستطل الا بكم و بعزكم * ولا ينبغى ان يمنح العز مجرم
فمكنتموه فاستطال عليكم * وكادت بنا نيرانه تتضرم
كذلك كلب السوء ان يشبع الذرا * واشبعه مستشليا يترمرم
فجمع خوانا لصوصاً أراذلا * ومناهم أن يقتلونا و يغنموا
رأى بامين الله سقما يعده * ولم يك يدرى انه يتقدم
* فنحمد ربا سرنا بهلاكه * فما زال بالاحسان والطول ينعم
أراد بكيد الله نصرا فكاده * ولله كيد يغلب الكيد مبرم
بكى الكفر والشيطان نصرا فاعولا * كما ضحكت شوقا اليه جهنم
وكانت له فى كل شهر جباية * جباية آلاف تعد وتختم
فهل حائط الاسلام يوما يسوءهم * بما اجترموا يوما عليه وأقدموا
و ينهبنا أموالهم وهو فاعل * فانى أرى الدنيا له تتبسم
ألا أيها الناس اسمعوا قول ناصح * حريص عليكم مشفق وتفهموا
محمد نور يستضاء بوجهه * وسيف بكف الله ماض مصمم
فكونوا له مثل البنين يكن لكم * أباً احد فى الرحم بل هو ارحم
فيا ابن أمين الله لازلت سالما * معافى فانا ماسلمت سنسلم
ألست المرجى من أمية والذى * له المجد منها الاتلد المتقدم
وانت لاهل الخير روح ورحمة * نعم ولاهل الشر صاب وعلقم

وحدث بقى بن محمد الفقيه قال : ما كلمت أحدا من الملوك أكمل عقلا ، ولا ابلغ لفظا ، من الامير محمد دخلت عليه يوما فى مجلس خلافته فافتتح الكلام : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة . فحكى كل واحد منهم بحليته ونعته ، ووصفه وذكر مآثره ومناقبه . بافصح لسان ، وابين بيان ، حتى انتهى الى نفسه فسكت

وخرج الامير محمد يوما متنزها الى الرصافة ومعه هاشم بن عبد العزيز فكان بها صدر نهاره على لذته فلما أمسى واختلط الظلام رجع منصرفا الى القصر و به اختلاط فاخبرنى من سمعه وهاشم يقول : له ياسيدى يا ابن الخلائف . ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا . قال لولا الموت . قال له : يا ابن اللخناء لحنت فى كلامك وهل ملكنا هذا الملك الذى نحن فيه الا بالموت ولولا الموت ما ملكناه أبدا . وكان الامير محمد : غزاء لاهل الشرك والخلاف وربما أوغل فى بلاد العدو الستة أشهر أو أكثر يحرق و ينسف وله فى العدو وقيعة وادى سليط . وهى من أمهات الوقائع . لم يعرف مثلها فى الاندلس قبلها . وفيها يقول عباس بن فرناس وشعره يكفينا من صفتها :

ومختلف الاصوات مؤتلف الزحف * لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها * بروقا تراءى فى الجهام وتستخفى
كان ذرى الاعلام فى سيلانه * فراقديم قد عجزن عن القذف
وان طحنت اركانه كان قطبها * حجى ملك نجد شمائله عف
سمى ختام الانبياء محمد * اذا وصف الاملاك جل عن الوصف
فمن أجله يوم الثلاثاء غزوة * وقد نقض الاصباح حل عرى السجف
بكى جبلا وادى سليط فاعولا * على النفر العيدان والعصبة الغلف
دعاهم صريخ العير فاجتمعوا له * كما اجتمع الجعلان للبعر فى قف
فما كان الا ان رماهم ببعضها * فولوا على اعقاب مهزولة كشف
كان مساعير الموالى عليهم * شواهين جادت للغرانيق بالسيف
بنفسى تنانير الوغا حين صممت * الى الجبل المشحون صفا على صف
يقول ابن بليوس لموسى وقد ولى * أرى الموت قدامى وتحتى ومن خلفى
قتلناهم ألفا وألفا ومثلها * وألفا وألفا بعد ألف الى ألف
سوى من طواه النهر فى مستلجه * فاغرق فيه أو تردى من الجرف

﴿المنذر بن محمد﴾ ثم ولى المنذر بن محمد . يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ومات يوم السبت فى غزاته على بشتر لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . وهو ابن ست وأربعين سنة . وكان أشد الناس شكيمة ، وأمضاهم

عزيمة . ولما ولى الملك بعث اليه أهل طليطلة بجباياتهم كاملة فردها عليهم . وقال : استعينوا بها في حربكم فانا سائر اليكم ان شاء الله . ثم غزا الى المارق الموتر عمرو بن حفصون وهو بحصن فامره فاحدق به بخيله ورجله . فلم يجد الفاسق منفذا ولا متنفسا . فاعمل الحيلة وغاص بالمكر والخديعة واظهر الانابة والاجابة وان يكون من مستوطني قرطبة باهله وولده . وسأل الحاق أولاده في الموالي فاجابه الامير الى كل ماسأل وكتب لهم الامانات . وقطعت لاولاده الثياب وخرزت له الخفاف ثم سأل مائة بغل يحمل عليها ماله ومتاعه الى قرطبة فأمر الامير بها وطلبت البغال ومضت الى ببشترو عليها عشرة من العرفاء وانحل العسكر عن الحصن بعض الانحلال وقفل القاضي وجماعة من الفقهاء على تمام الصلح فيما حسبوا . فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها ففتق ليلا وخرج فلقى العرفاء بالبغال فقتلهم . وأخذ البغال وعاد الى سيرته الاولى فعقد المنذر على نفسه عقدا ان لا اعطاه صلحا ولا عهدا الا ان يلقى بيده وينزل على عهده وحكمه ثم غزاه الغزاة التي توفي فيها فامر بالبنيان والسكنى عليه وان يردسوق قرطبة عليه فعاجله أجله عن ذلك ﴿عبد الله بن محمد﴾ ثم تولى عبد الله بن محمد التقي النقي العابد الزاهد التالي لكتاب الله ، والقائم بحدود الله يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط وخرج الى الجامع والتزم الصلاة الى جانب المنبر حتى أتاه أجله رحمه الله يوم الثلاثاء لليلة بقيت من صفر سنة ثلثمائة وكانت له غزوات منها غزاة بلي التي أنست كل غزاة تقدمتها . وذلك ان المرتد بن حفصون الب عليه كور الاندلس فنزل حصن بلي وخرج اليه الامير عبد الله بن محمد في أربعة عشر ألفا من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه فبرز اليه الفاسق وقد كردس كراديسه في سفح الجبل وناهضه الامير عبد الله بجمهور عسكره فلم يكن لهم فيه الا صدمة صادقة ازالوهم بها عن عسكرهم . فلم يقدروا ان يتراجعوا اليه . ونظر الفاسق الى معسكر عبد الله الامير . فاذا عدد مقبل مثل الليل ، في انحدار السيل ، لا ينقطع فجشمت نفسه وعطف الى الحصن يظهر اخراج من بقي فيه . فثلم ثلمة وخرج منها في خمسة معه وقد طار بهم جناح الفرار فلما انتهى ذلك الى أهل عسكره ولوا مدبرين لا يلوى أحد على أحد . فعملت الرماح على أكتافهم ، والسيوف في طلا أعناقهم ، حتى أفنوهم أو كادوا . وكان منهم جماعة قد افترقوا في عسكر الامير عبد الله فقعد الامير في المظلة . وأمر بالتقاطهم وأن لا يمر أحد على أحد منهم الا قتله فقتل منهم ألف رجل صبرا بين يدي الامير

﴿عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين﴾ ثم ولي الملك القمر الازهر ، الاسد الغضنفر ، الميمون النقيبة ، المحمود الضريبة ، سيد الخلفاء ، وأنجب النجباء ، عبد الرحمن ابن محمد أمير المؤمنين صبيحة هلال ربيع الاول سنة ثلثمائة . فقلت فيه :

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد

يانعمة الله زيدى * ما كان فيه مزيد

وهى عدة أبيات فتولى الملك . وهى جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق . فاخمد نيرانها ، وسكن زلازلها ، وافتتحها عوداً ، كما افتتحها بدأ سميه عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله . وقد قلت وقيل فى أشعار غزواته كلها اشعار قد جالت فى الامصار ، وشردت فى البلدان ، حتى أتهمت وأنجدت وأعرقت . ولولا ان الناس مكتفون بما فى أيديهم منها لاعدنا ذكرها أوذكر بعضها . ولكنا سنذكر ما سيق الينا من مناقبه التى لم يتقدمه اليها متقدم ولا أخت لها ولا نظير . فمن ذلك أول غزاة غزاها وهى الغزاة المعروفة بغزاة المنتلون افتتح بها سبعين حصنا كل حصن منها قد نكبت عنه الطوائف واعيا على الخلائف وفيها أقول :

قد أوضح الله للاسلام منهاجا * والناس قد دخلوا فى الدين أفواجا

وقد تزينت الدنيا لساكنها * كانما ألبست وشيا وديباجا

ياابن الخلائف ان المزن لو علمت * نداك ما كان منها الماء ثجاجا

والحرب لو علمت باسا تصول به * ماهيجت من جبال الدين أهياجا

مات النفاق وأعطى الكفر ذمته * وذات الخيل الجاما واسراجا

وأصبح النصر معقودا بالوية * تطوى المراحل تهجيرا وادلاجا

أدخلت فى قبة الاسلام مارقة * أخرجتها من ديار الشرك اخراجا

بجحفل تشرق الارض الفضاء به * كالبحر يقذف بالامواج أمواجا

يقوده البدر يسرى فى كواكبه * عرمرما كسواد الليل رجراجا

تروق فيه بروق الموت لامعة * ويسمعون به للرعد اهزاجا

غادرت فى عفرتى جيان ملحمة * أبكيت منها بارض الشرك أعلاجا

فى نصف شهر تركت الارض ساكنة * من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا

وجدت فى الخبر المأثور منصلتا * من الخلائف خراجا وولاجا

تملا بك الارض عدلا مثل ماملئت * جورا وتوضح للمعروف منهاجا
يابدر ظلمتها ياشمس صبحتها * ياليث حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى وان رضيت * حتى عقدت لها فى رأسك التاجا

ولم يكن مثل هذه العزاة لملك من الملوك فى الجاهلية والاسلام . وله غزاة مارتش التى كانت أخت بدر وحنين وقد ذكرناها على وجهها فى الارجوزة التى ضمنتها مغازيه كلها من سنة احدى وثلثمائة الى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وأوقفناها . ومن مناقبه : ان الملوك لم تزل تبنى على أقدارها ، ويقضى عليها بآثارها . وانه بنى فى المدة القليلة مالم تبن الخلفاء فى المدة الطويلة نعم لم يبق فى القصر الذى فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية الاوله فيها أثر محدث اماتزييد أو تجديد ومن مناقبه : انه أول من سمى أمير المؤمنين من خلفاء بنى أمية بالاندلس . ومن مناقبه : التى لا أخت لها ولا نظير : ماأعجز فيه من بعده . وفات فيه من قبله . من الجود الذى لم يعرف لاحد من أجواد الجاهلية والاسلام الاله . وقد ذكرت ذلك فى شعرى الذى أقول فيه :

ياابن الخلائف والعلى للمعتلى * والجود يعرف فضله للمفضل
نوهت بالخلفاء بل أخملتهم * حتى كأن نبيلهم لم ينبل
أذكرت بل أنسيت ماذكر الاولى * من فعلهم فكأنه لم يفعل
وأتيت آخرهم وشأوك فائت * للآخرين ومدرك للاول
الآن سميت الخلافة باسمها * كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تأبى فعالك أن تقر لآخر * منهم وجودك أن يكون لاول

﴿ وهذه الارجوزة التى ذكرت جميع مغازيه وما فتح الله عليه فيها فى كل غزاة وهى ﴾

سبحان من لم تحوه أقطار * ولم تكن تدركه الابصار * ومن عنت لوجهه الوجوه
فماله ند ولا شبيه * سبحانه من خالق قدير * وعالم بخلقه بصير
وأول ليس له ابتداء * وآخر ليس له انتهاء * أوسعنا احسانه وفضله
وعز أن يكون شئ مثله * وجل أن تدركه العيون * أو يحويه الوهم والظنون
لكنه يدرك بالقريحة * والعقل والابنية الصحيحة * وهذه من أثبت المعارف
فى الاوجه الغامضة اللطائف * معرفة العقل من الانسان * أثبت من معرفة العيان
فالحمد لله على نعمائه * حمدا جزيلا وعلى آلائه * وبعد حمد الله والتمجيد

و بعدشكر المبدئ المعيد * أقول فى أيام خير الناس * ومن تحلى بالندى والباس
ومن أباد الكفر والنفاقا * وشرد الفتنة والشقاقا * ونحن فى حنادس كالليل
وفتنة مثل زهاء السيل * حتى تولى عابد الرحمن * ذاك الاعز من بنى مروان

مؤيد حكم فى عداته * سيفا يسيل الموت من ظباته
وصبح الملك مع الهلال * فأصبحا بدرين فى الجمال
واحتمل التقوى على جبينه * والدين والدنيا على يمينه
قد أشرقت بنوره البلاد * وانقطع التشغيب والفساد
هذا على حين طغى النفاق * واستفحل النكاب والمراق
وضاقت الارض على سكانها * وأذكت الحرب لظى نيرانها
ونحن فى عشواء مدلهمه * وظلمة ما مثلها من ظلمه
تأخذنا الصيحة كل يوم * فما تلذ مقلة بنوم
وقد نصلى العيد بالنواظر * مخافة من العدو الثائر
حتى أتانا الغوث من ضياء * طبق بين الارض والسماء
خليفة الله الذى اصطفاه * على جميع الخلق واجتباه
من معدن الوحى و بيت الحكمة * وخير منسوب الى أميه
تكل عن معروفه الجنائب * وتستحى من جوده السحائب
فى وجهه من نوره برهان * وكفه لعقله قربان
أحيا الذى مات من المكارم * من عهد كعب و زمان حاتم
مكارم يقصر عنها الوصف * وغرة يحسر عنها الطرف
وشيمة كالصاب أو كالماء * وهمة ترقى الى السماء
وانظر الى البديع من بيانه * يريك بدعا من عظيم شانه
لو كايل البحر ندى يديه * اذا نجت عفاته اليه
لغاض أو لكاد أن يغيضا * ولاستحى من بعد أن يفيضا
من أسبغ النعما وكانت محقا * ورتق الدنيا وكانت فتقا

هـو الذى جمع شمـل الامه * وجاب عنها دامسات الظلمه
وجـدد الملك الذى قـد أخلقا * حتى رست أوتاده واستوثقا
وجمع العـدة والعـديدا * وكنف الاجناد والحشودا

﴿ أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ﴾

ثم انتحى جيان فى غـزاته * بعسكر يسـعد من حماته
فاستنزل الوحش من الهضاب * كانما حطت من السحاب
فاذعنت مراقهـا سراعا * وأقبلت حصونها تداعى
لما رماها بسيوف العزم * مشحوذة على دروع الحـزم
كادت لها أنفسهم تجود * وكادت الارض بهم تميد
لولا الاله زلزلت زلزالها * وأخرجت من رهبة أثقالها
فأنزل النـاس الى البسـيط * وقطع البـين من الخليط
وافتتح الحصون حصنا حصنا * وأوسع النـاس جميعا أمنا
ولم يزل حتى انتحى جيانا * فلم يدع بارضها شيطانا
فاصبح النـاس جميعا أمـه * قد عقـد الآل لهـم والذمه
ثم انتهى من فـوره للبـيره * وهى بكل آفة مشـهوره
فداسـها بخيـله ورجـله * حتى توطا خدهـا بنعـله
ولم يدع من جنهـا مريدا * بهـا ولا من انسها عنيدا
الا كساه الذل والصغارا * وعمـه وأهـله دمارا
فما رأيت مثـل ذاك العام * ومثـل صنع الله للاسلام
فانصرف الامـير من غزاته * وقد شـفاه الله من عداته
وقبلها ماخضعت وأذعنت * استجة وطالما قد صـنعت
وبعـدها مدينة الصنجيـل * ماأذعنت للصارم الصقيل
لما غزاهـا قائد الامـير * باليمن فى لوائه المنصـور
فاسلمت ولم تـكن بالمسلمه * وزال عنها أحمـد بن مسلمه
وبعـدها فى آخر الشهور * من ذلك العام الذكى النور

أرجفت القلاع والحصون * كأنما ساورها المنون

وأقبلت رجالها وفودا * تبغى مدى أيامها السعودا

وليس من ذى عزة وشده * الا توافوا عند باب السده

قلوبهم باخعه بالطاعه * قد أجمعوا الدخول فى الجماعه

﴿ سنة احدى وثلثمائة ﴾

ثم غزا فى عقب عام قابل * فجال فى سدونة والساحل

ولم يدع مرية والجزيرة * حتى كوى أكلبها الهريره

حتى أناخ بذرى قرمونه * بكلكل كمدرة الطاحونه

على الذى خالف فيها وانتزى * يعزى الى سوادة اذا اعتزى

فسال أن يمهله شهورا * ثم يكون عبده المامورا

فاسعف الامير منه ماسال * وعاد بالفضل عليه وقفل

﴿ سنة اثنتين وثلثمائة ﴾

كان بها القفول عند الجيئة * من غزو احدى وثلثمائة

فلم يكن يدرك فى باقيها * غزو ولا بعث يكون فيها

﴿ سنة ثلاث وثلثمائة ﴾

ثمت أغزى فى الثلاث عمه * وقد كساه عزمه وحزمه

فسار فى جيش شديد الباس * وقائد الجيش أبو العباس

حتى ترقى بذرى فى بشتر * وجال فى ساحتها بالعسكر

فلم يدع زرعا ولا ثمارا * لهم ولا علفا ولا عقارا

وقطع الكروم منها والشجر * ولم يصافف علجها ولا ظهر

ثم انثنى من بعد ذاك قافلا * وقد أباد الزرع والمآكلا

فأيقن الخنزير عند ذاكا * ان لا بقاء يرتجى هناكا

فكاتب الامام بالاجابه * والسمع والطاعة والانابة

فأخمد الله شهاب الفتنة * وأصبح الناس معا فى هدنه

وارتعت الشاة معا والذيب * اذ وضعت أوزارها الحروب

﴿ سنة أربع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة أربع * فاى صنع ربنا لم يصنع
فيها ببسط الملك الاواه * كلتا يديه فى سبيل الله
وذاك أن يقود قائدين * بالنصر والتأييد ظاهرين
هذا الى الثغر وما يليه * على عدو الشرك أو ذويه
وذا الى شم الربا من مرسيه * وما مضى جرى الى بلنسيه
فكان من وجهه للساحل * القرشى القائد القنابل
وابن أبى عبدة نحو الشرك * فى خير ماتعبية وشاكى
فاقبلا بكل فتح شامل * وكل ثكل للعدو ثاكل
وبعد هذى الغزوة الغراء * كان افتتاح ليلة الحمراء
أغزى بجند نحوها مولاه * فى عقب هذا العام لاسواه
بدرا فضم جانبيها ضمه * وعمها حتى أجابت عنوه
وأسلمت صاحبها مقهورا * حتى أتى بدر به ماسورا

﴿ سنة خمس وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة خمس * الى السوادى عقيد النحس
لما طغى وجاوز الحدودا * ونقض الميثاق والعهودا
ونابذ السلطان من شقائه * ومن تعديه وسوء رأيه
أغزى اليه القرشى القائدا * اذصار عن قصد السبيل حائدا
* ثمت شد أزره ببدر * فكان كالشفع بها والوتر
أحدقها بالخيل والرجال * مشمرا وجد فى القتال
فنازل الحصن العظيم الشان * بالرجل والرماة والفرسان
فلم يزل بدر بها محاصرا * كذا على قتاله مثابرا
والكلب فى تهوره قد انغمس * وضيق الحلق عليه والنفس
فافترق الاصحاب عن لوائه * وفتحوا الابواب دون رأيه
واقتحم العسكر فى المدينه * وهو بها كهيئة الظعينه

مستسلما للذل والصغار * وملقيا يديه للاسار *
فنزع الحاجب تاج ملكه * وقاده مكتفا لهلكه
وكان فى آخر هذا العام * نكب أبى العباس بالاسلام
غزا فكان أنجد الانجاد * وقائدا من أفضل القواد
فسار فى غير رجال الحرب * الضار بين عند وقت الضرب
محاربا فى غير ما محارب * والحشم الجمهور عند الحاجب
واجتمعت اليه أخلاط الكور * وغاب ذو التحصيل عنه والنظر
حتى اذا أوغل فى العدو * فكان بين البعد والدنو
أسلمه أهل القلوب القاسيه * وأفردوه للكلاب العاويه
فاستشهد القائد فى أبرار * قد وهبوا نفوسهم للبارى
فى غير تاخير ولا فرار * الا شديد الضرب للكفار

﴿ سنة ست وثلثمائة ﴾

ثم أقاد الله من أعدائه * وأحكم النصر لاوليائه
فى مبدأ العام الذى من قابل * أزهق فيه الحق نفس الباطل
فكان من رأى الامام الماجد * وخير مولود وخير والد
ان احتمى للواحد القهار * وفاض من غيظ على الكفار
فجمع الاجناد والحشودا * ونفر السيد والمسودا
وحشر الاطراف والثغورا * ورفض اللذة والحبورا
حتى اذا ما وافت الجنود * واجتمع الحشاد والحشود
قود بدرا أمر تلك الطائفه * وكانت النفس عليه خائفه
فسار فى كتائب كالسيل * وعسكر مثل سواد الليل
حتى اذا حل على مظنيه * وكان فيها أخبث البريه
ناصبهم حربا لها شرار * كأنما أضرم فيها النار
وجد من بينهم القتال * وأحدقت حولهم الرجال
فحاربوا يومهم وباتوا * وقد بغت نومهم الرماة

فهم طوال الليل كالطلائح * جراحهم تصل فى الجوارح
ثم مضوا فى حربهم أياما * حتى ترى الموت لهم زؤاما
لما رأوا سحائب المنيه * تمطرهم صواعق البليه
تغلغل العجم بأرض العجم * وانحشروا من تحت كل نجم
فأقبل العلج لهم مغيثا * يوم الخميس مسرعا حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس * وحوله الصلبان والنواقس
وكان يرجوان يزيل العسكرا * عن جانب الحصن الذى قد دمرا
فاعتاقه بدر بمن لديه * مستبصرا فى زحفه اليه
حتى التقت ميمنة بميسرة * واعتلت الارواح عند الحنجرة
ففاز حزب الله بالعلجان * وانهزمت بطانة الشيطان
فقتلوا اقتلا ذريعا فاشيا * وأدبر العلج ذميما خاسيا
فانصرف الناس الى مظنة * فصبحوا بالرهن يوم الجمعة
ثم التقى العلجان فى الطريق * البنبلونى مع الخليق
فاعقدوا على انتهاب العسكر * وان يموتا قبل ذاك المحضر
وأقسما بالجبت والطاغوت * لا يهزما دون لقاء الموت
فأقبلوا باعظم الطغيان * قد جللوا الجبال بالفرسان
حتى تداعى الناس يوم السبت * فكان وقتا يا له من وقت
فأشرعت بينهم الرماح * وقد علا التكبير والصياح
وفارقت أغمادها السيوف * وفغرت أفواهها الحتوف
والتقت الرجال بالرجال * وانغمسوا فى غمرة القتال
فى موقف زاغت به الابصار * وقصرت فى طوله الاعمار
وهب أهل الصبر والبصائر * فازعقوا على العدو الكافر
حتى بدت هزيمة البشكس * كأنه مختضب بالورس
فانقضت العقبان والسلالقه * رهقا على مقدم الجلالقه
عقبان موت تخطف الارواحا * وتشبع السيوف والرماحا

فانهزم الخنزير عند ذاكا * وانكشفت عورته هناك

فقتلوا فى بطن كل وادى * وجاءت الرؤس فى الاعواد

وقدم القائد ألف راس * من الجثاليق ذوى القماس

فتم صنع الله للاسلام * وعمنا سرور ذاك العام

وخير ما فيه من السرور * موت ابن حفصون به الخنزير

فاتصل الفتح بفتح ثان * والنصر بالنصر من الرحمن

وهذه الغزاة تدعى القاضيه * وقد أتتهم بعد ذاك الداهيه

﴿ سنة سبع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة بلده * وهى التى أودت بأهل الرده

وبدؤها ان الامام المصطفى * أصدق أهل الارض عدلا ووفا

لما أتته ميتة الخنزير * وانه صار الى السعير

كاتبه أولاده بالطاعه * وبالدخول مدخل الجماعه

وان يقرهم على الولايه * على ورود الخرج والجبايه

فاختار ذلك الامام المفضل * ولم يزل من رأيه التفضل

ثم لوى الشيطان رأس جعفر * وصار منه نافخا فى المنخر

فنقض العهود والميثاقا * واستعمل التشغيب والنفاقا

وضم أهل النكث والخلاف * من غير ما كاف ولا مواف

واعتاقه الخليفة المؤيد * وهو الذى يشقى به ويسعد

ومن عليه من عيون الله * حوافظ من كل أمر داه

فجند الجنود والكتائبا * وقود القواد والمقانبا

ثم غزا فى أكثر العديد * مستصحبا بالنصر والتأييد

حتى اذا مر بحصن بلده * خلد فيها قائدا فى غده

يمنعهم من انتشار خيلهم * ويحرسهم فى يومهم وليلهم

ثم مضى يستنزل الحصونا * ويبعث الطلائع والعيونا

حتى أتاه باشر من بلده * يعدو برأس رأسها فى صعده

فقدم الخيل اليها مسرعا * واحتلها من يومه تسرعا
فخفها بالخيل والرماة * وجملة الحماة والكماة
فاطلع الرجل على انقابها * واقتحم الجند على أبوابها
فأذعنت ولم تكن بمذعنه * واستسلمت كافرة لمؤمنه
فقدمت كفارها للسيف * وقتلوا بالحق لا بالحيف
وذاك من عز الامام المرتضى * وخير من بقى وخير من مضى
ثم انتحى من فورة ببشترا * فلم يدع بها قضيبا أخضرا
وحطم النبات والزروعا * وهتك الرباع والربوعا
فاذ رأى الكلب الذى رآه * من عزمه فى قطعة مثواه
القى اليه باليدين ضارعا * وسأل الابقاله موادعا
وان يكون عاملا فى طاعته * على ورود الخرج من جبايته
فوثق الامام من رهانه * كيلا يكون فى غنا من شأنه
فقبل الامام ذاك منه * فضلا واحسانا وسارعنه

سنة ثمان وثلثمائة

ثم غزا الامام دار الحرب * فكان خطبا يالهمن خطب
تحاشدت اليه أعلام الكور * ومن له فى النار ذكر وخطر
الى ذوى الديوان والرايات * وكل منسوب الى الشامات
وكل من أخلص للرحمن * بطاعة فى السر والاعلان
وكل من طاوع بالجهاد * اوضمه تعدية الحشاد
فكان حشد الم يكن بالحشد * فى كل حر عندنا وعبد
فتحسب الناس جرادا منتشر * كما يقول ربنا فمن حشر
ثم مضى المظفر المنصور * على جبينه الهدى والنور
أمامه جند من الملائكه * آخذة لربها وتاركه
حتى اذا فوز فى العدو * جنبه الرحمن كل سو
وأنزل الجزية والدواهى * على الذين أشركوا بالله

فزلزلت أقدامهـم بالرعب * واستنفروا من حر نار الحرب
واقتحموا الشعاب والمكامنا * وأسلموا الحصون والمدائنا
فما تبقى من جناب دور * من بيعة لراهب أو دير
الا وقد صيرها هباء * كالنار اذ وافقت الاباء
وزعزعت كتائب السلطان * بكل ما فيها من البنيان
فكان من أول حصن زعزعوا * ومن به من العدو أوقعوا
مدينة معروفة بوخشمه * فغادروها فحمة مسخمه
ثم ارتقوا منها الى حواظر * فغادروها مثل أمس الدابر
ثم مضوا والعلج يحتذيهم * بجيشه يخشى ويقتفيهم
حتى التهوا منه لوادى دى * ففيه عقبي الرشد سبل الغى
لما التقوا بمجمع الجوزين * واجتمعت كتائب العلجين
من أهل أليون وينبلونه * وأهل ربط وبرشلبونه
تضافر الكفر مع الالحاد * واجتمعوا من سائر البلاد
فاضطربوا فى سفح طود عال * وصففوا تعبية القتال
فبادرت اليهم المقدمه * سامية فى خيلها المسومه
وردها متصل برد * يمده بحر عظيم المد
فانهزم العلجان فى علاج * ولبسوا ثوبا من العجاج
كلاهما ينظر حينا خلفه * فهو يرى فى كل وجه حتفه
والبيض فى أثرهم والسمر * والقتل ماض فيهم والاسر
فلم يكن للناس من براح * وجاءت الرؤس فى الرماح
فأمر الامير بالتفويض * وأسرع العسكر فى النهوض
فصادفوا الجمهور لما هزموا * وعاينوا قوادهم تخرموا
فدخلوا حديقة للموت * اذ طمعوا فى حصنها بالفوت
فيالها حديقة ويالها * وافت بها نفوسهم آجالها
تحصنوا اذ عاينوا الاهوالا * لمعقل كان لهم عقالا
وصخرة كانت عليهم صيلما * وانقلبوا منها الى جهنما

تساقطوا يستطعمون الماء * فأخرجت أرواحهم ظماء
فكم لسيف الله من جزور * فى مأدب الغربان والنسور
وكم به قتلى من القوامس * يندب بالصلبان والنواقس
ثم ثنى عنانه الامير * وحوله التهليل والتكبير
مصمما بريح دار الحرب * قدامه كتائب من عرب
فداسها وسامها بالخسف * والهتك والسفك لها والنسف
فخرقوا ومزقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
فانظر عن اليمين واليسار * فما ترى الا لهيب النار
وأصبحت ديارهم بلاقعا * فما ترى الا دخانا ساطعا
ونصر الامام فيها المصطفى * وقد شفى من العدو واشتفا

﴿ غزوة سنة تسع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة طوس * سمت اليها حية لم تمس
وأحدقت بحصنها الافاعى * وكل صل اسود شجاع
ثم بنى حصنا عليها راتبا * يعتور القواد فيه دائبا
حتى أنابت عنوة جنانها * وغاب عن يافوخها شيطانها
فاذعنت لسيد السادات * وأكرم الاحياء والاموات
خليفة الله على عباده * وخير من يحكم فى بلاده
وكان موت بدر بن احمد * بعد قفول الملك المؤيد
واستحجب الامام خير حاجب * وخير مصحوب وخير صاحب
موسى الاغر من بنى جرير * عقيد كل رأفة وخير

﴿ غزوة سنة عشر وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة عشر غزوه * بها افتتاح منة وعنوه
غزا الامام فى ذوى السلطان * يؤم أهل النكث والطغيان
فاحتل حصن ثروريه قاطعا * أسباب من أصبح فيه خالعا
سار اليه وبنى عليه * حتى أتاه ملقيا يديه
ثم انثنى عنه الى سدونه * فعاضها سهلا من الحزونه
وساقها بالاهل والولدان * الى لزوم قبة الايمان

ولم يدع صعبا ولا منيعا * الا وقـــد أذلهم جميعا
ثم انثنى باطيب القفول * كما مضى باحســن الفصول

﴿ غزوة سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة احدى عشره * كم نبهت من نائم فى سكره
غزا الامام ينتحى ببسـترا * فى عسكر أعظم بذاك عسكرا
فاحتــل من ببستر ذراها * وجال فى شاط ومســتواها
فخرب العمران من ببستر * وأذعنت شاط لرب العسكر
فادخــل العــدة والعــديدا * فيها ولم يترك بهــا عنيدا
ثم انتحى بعد حصون العجم * فداسها بالقضم بعــد القضم
ما كان فى سواحل البحور * منها وفى الغابات والوعور
وأدخــل الطاعة فى مكان * لم يدر قط طاعة السلطان
ثم رمى الثغر بخــير قائد * وذادهم منها بخــير ذائد
به قضى الله ذوى الاشراك * وأنقــذ الثغر من الهــلاك
وانتاش من مهواته تطيله * وقد ثوت دماؤها مطلوله
وســـهل الثغر وما يليــه * من شيعة الـكفر ومن ذويه
ثم انثنى بالفتح والنجاح * قد غــير الفساد بالصــلاح

﴿ غزوة سنة اثنتى عشرة وثلثمائة ﴾

وبعــدها غزاة ثنتى عشرة * وكم بهــا من خبرة وعبره
غزا الامام حوله كتائب * كالبدر محفوفا به الـكوا كب
غزا وسيف النصر فى يمينه * وطالع السعد على جبينه
وصاحب العسكر والتدبير * موسى الاغر صاحب الامير
فدمر الحصون من تدمير * واستنزل الوحش من الصخور
فاجتمعت عليه كل الامه * وبايعته أمراء الفتنــة
حتى اذا أوعب من حصونها * وحمل الحق على متونهــا
مضى وطار فى ظلال العسكر * تحت لواء الاسد الغضنفر
رجال تدمير ومن يليهــم * من كل صنف يعتزى اليهم

حتى اذا حـل على تطيله * نـكب عن دمائها المطلوله
وعظم مالاقت من العـدو * والحرب فى الرواح والغدو
فهم أن يزيح دار الحرب * وأن يكون ردأة فى الدرب
ثم استشار ذى النهى والحجر * من صحبه ومن رجال الثغر
فـكلهم أشار أن لا يدربا * ولا يجوز الجبل الموشـبا
لانه فى عسكـر قد انخرم * بندب كل العرفاء والحشم
وشنعوا ان وراء الفج * خمسين ألفا من رجال العلج
فقال لابد من الدخول * وما الى حاشاه من سبيل
وأن أزيح أرض ينبلونه * وساحة المدينة الملعونه
وكان رأيا لم يكن من صاحب * ساعده عليه خير حاجب
واستنصر الله وعبى ودخل * فـكان فتحا لم يكن له مثل
لما مضى وجاوز الدروبا * وأدرع الهيجاء والحـروبا
عبى له علج من الاعـلاج * كتائبا غطت على الفجاج
فاستنصر الامام رب الناس * ثم استعان بالندى والباس
وعاد بالرغبـة والدعاء * واستنزل النصر من السماء
فقـدم القواد بالحشـود * واتبع المـدود بالمـدود
فانهزم العلج وكانت ملحمه * جاوز فيها الساقة المقـدمه
فقتـلوا مقتـلة الفناء * فارتوت البيض مـن الدماء
ثم أمال نحـو ينبـلونه * واقتحم العسكر فى المدينـه
حتى اذا جاسوا خلال دورها * وأسرع الخراب فى معمورها
بكت على ماقاتها النواظر * اذ جعلت مدقة الحوافر
لفـقد من قتل من رجالها * وذل من أيتم من أطفالهـا
فكم بها وحولهـا من أغلف * يهمى عليه دمع عين الاسقف
وكم بها معزاء من كنائس * بدلت الاذان بالنواقس
يبكى لها الناقوس والصليب * كلاهمـا فرض له النحيب
وانصرف الامام بالنجـاح * والنصر والتأييد والفلاح

ثم ثنى الرايات فى طريقه * الى بنى ذونون من توفيقه
فأصبحوا من بسطهم فى قبض * قد الصقت خدودهم بالارض
حتى بدوا اليه بالرهان * من أكثر الاماء والولدان
فالحمد لله على تأييده * حمدا كثيرا وعلى تسديده

﴿ غزوة سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ﴾

ثم غزا بقبة استينا * وقد أشادوا حولها حصونا
وخصها بالخيل والرجال * وقاتلوهم أبلغ القتال
حتى إذا ماعاينوا الهلاكا * تبادروا بالطوع عند ذاكا
وأسلموا حصنهم المنيعا * وسمحوا بخرجهم خضوعا
وقبلهم فى هذه الغزاة * ماهدمت معاقد الاساة
وأحكم الامام فى تدبيره * على بنى هائل فى مسيره
ومن سواهم من ذوى العشيره * وامراء الفتنة المغيره
اذ حسبوا مرتباعليهم * حتى أتوا بكل مالديهم
من البنين والعيال والحشم * وكل من لاذبهم من الخدم
فهبطوا من أجمع البلدان * وأسكنوا مدينة السلطان
فكان فى آخر هذا العام * بعد خضوع الكفر للاسلام
مشاهد من أعظم المشاهد * على يدى عبد الحميد القائد
لما غزا الى بنى ذى النون * فكان فتحا لم يكن بالدون
اذ جاوزوا فى الظلم والطغيان * بقتلهم لعامل السلطان
وحاولوا الدخول فى الاذيه * حتى غزاهم أنجد البريه
فعاقهم عن كل ما رجوه * بنقضه على الذى بنوه
وضبطه الحصن العظيم الشان * بسرية بالرجل والفرسان
ثم مضى الليث اليهم زحفا * يختطف الارواح منهم خطفا
فانهزموا هزيمة لن ترفدا * وأسلموا صنوهمو محمدا
وغيرهم من أوجه الفرسان * مسربلا فى مأتم الغربان
مقطع الاوصال بالسنابك * من بعد مافرق بالنيازك

ثم لجوا الى طلاب الامن * و بذلهم ودائعامن رهن
فقبضت رهانهم وأمنوا * وأنغضوا رؤسهم وأذعنوا
ثم مضى القائد بالتأييد * والنصر من ذى العرش والتسديد
حتى أتى حصن بنى عماره * بالحرب والتدبير والاغاره
فافتتح الحصن وخلى صاحبه * وأمن الناس جميعا جانبه

﴿ غزوة سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

لم يغز فيها وغزت قواده * واعتوزت بستر أجناده
فكلهم أبلى وأغنى واكتفى * وكلهم شفى الصدور واشتفى
ثم تلاهم بعد ليث الغيل * عبد الحميد من بنى نشيل
هو الذى قام مقام الضيغم * وجال فى غزاته بالصيلم
برأس جالوت النفاق والحسد * من جمع الخنزير فيه والاسد
فما كه من صحبه فى عده * مصلبين عندنا بالشده
قد امتطى مطية لا تبرح * صائمة قائمة لا ترمح
مطية أن يعرها انكسار * يطبها النجار لا البيطار
كأنه من فوقها السوار * عيناه فى كلتيهما مسمار
مباشرا للشمس والرياح * على جواد غير ذى جماح
يقول للخاطر بالطريق * قول محب ناصح شفيق
هذا مقام خادم الشيطان * ومن عصى خليفة الرحمن
فما رأينا واعظا لا ينطق * أصدق منه فى الذى لا يصدق
فقل لمن غزا بسوء رأيه * يمت اذا شاء بمثل دائه
كم مارق مضى وكم منافق * قد ارتقى فى مثل ذا الحالق
وعاد وهو فى العصى مصلب * ورأسه فى جذعه مركب
فكيف لا يعتبر المخالف * لحال من تطلبه الخلائف
أما رآه من هو أن يرفع * معتبرا لمن يرى ويسمع

﴿ غزوة سنة خمس عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غزا معتزما بتسترا * فجال فى ساحتها ودمرا
ثم بنى طلحيرة عليها * وهى الشجى من بين أخدعيها

وامتدها بابن السليم راتبا * مشمرا عن ساقه محاربا
حتى رأى حفص سبيل رشده * بعد بلوغ غاية من جهده
فدان للامام قصدا خاشعا * وأسلم الحصن اليه طائعا

﴿ غزوة سنة ست عشرة وثلثمائة ﴾

لم يعز فيها وانتحى بتسترا * فزمها بما رأى ودبرا
واحتلها بالعز والتمكين * ومحو آثار بني حفصون
وماضها الصلاح من فسادهم * وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا ملحود كل قبر * من كل مرتد عظيم الكفر
عصابة من شيعة الشيطان * عدوة لله والسلطان
فحرمت اجسادها تحرما * وأصليت أرواحهم جهنما
ووجه الامام في ذا العام * عبد الحميد الضيغم الضرغام
الى ابن داود الذى تقلعا * وفي جبلي شزنة تمنعا
فحطه منها الى البسيط * كطائر آذن بالسقوط
ثم أتى به الى الامام * الى وفى العهد والذمام

﴿ غزوة سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴾

وبعد سبع عشرة وفيها * غزا بطليوس وما يليها
فلم يزل يسومها بالخسف * وينتحيها بسيوف الحتف
حتى اذا ماضم جانبيها * محاصرا ثم بنى عليها
خلى ابن اسحق عليها راتبا * مثابرا في حربه مواظبا
ومر يستقصي حصون الغرب * ويبتليها بوبيل الحرب
حتى قضى منهن كل حاجة * وافتتحت أشكوبة وباجه
وبعد فتح الغرب واستقصائه * وحسمه الادواء من أعدائه
لجت بطليوس على نفاقها * وغرها اللجاج من مراقها
حتى اذا شافهت الحتوفا * وشامت الرماح والسيوفا
دعا ابن مروان الى السلطان * وجاءه بالعهد والامان
فصار في توسعة الامام * وساكنا في قبة الاسلام

﴿ غزوة سنة ثمان عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غـزا بعـزمه طليطله * وامتنعوا بمعقل لامثل له
حتى بنى جلنكشه بجنبها * حصنا منيعا كافلا بحربها
وشدها بابن سليم قائدا * مجالدا لاهلها مجاهـــدا
فجاسها فى طول ذاك العام * بالخسف والنسف وضرب الهام

﴿ غزوة سنة تسع عشرة وثلثمائة ﴾

ثم أتى ردفا له درى * فى عسكر قضاؤه مقضى
فحاصروها عام تسع عشره * بكل محبوك القوى ذى امره
ثم أتاهم بعـــد بالرجال * فقاتلوها أبلغ القتال

﴿ غزوة سنة عشرين وثلثمائة ﴾

حتى اذا ماسـلفت شـهور * من عام عشرين لها ثبـور
ألقت يديها للامام طائعـة * واستسلمت قسرا اليـه باخعه
فأذعنت وقبلها لم تذعـن * ولم تقـدمن نفسها وتمكن
ولم تدن لربها بدين * سبعا وسـبعين من السـنين
ومبتدا عشرين مات الحاجب * موسى الذى كان الشهاب الثاقب
وبرز الامام بالتأييـــد * فى عـدة منـه وفى عـديد
صـبرا الى المدينـة اللعينـه * أتعسـها الرحمـن من مدينـة
مدينـة الشـقاق والنفاق * ومربد الفسـاق والمـراق
حتى اذا ما كان منها بالامم * وقد ذكا حر الهجير واحتدم
أتاه واليها باشـياخ البلـد * مستسلمين للامام المعتمـد
فوافقوا الرحب من الامام * وأنزلوا فى البر والاكـرام
ووجـه الامام فى الظهـيره * خيـلا لـكيما يدخل الجزيره
فوافقـوا قائدهـا درى * يلمـع فى متونها الدرى
فاقتحموا فى وعرهـا وسهلها * وذاك حين غفلة من أهلها
ولم يكن للقوم من دفاع * بخيـل درى ولا امتناع
وفوض الامام عنـد ذلـكا * وقام صنديدا بما هنالـكا
حتى اذا ماحـل فى المدينه * وأهلها ذليـلة مهينـه

أقمعها بالخيل والرجال * من غير ماحرب ولا قتال
وكان من أول شيء نظرا * فيه وما روى ودبرا
تهدم لبابها والسور * وكان ذاك أحسن التدبير
حتى اذا صيرها براحا * وعاينوا حريمها مباحا
أمر بالتشييد والتأسيس * فى الجبل النامى الى عمروس
حتى استوى فيها بناء محكم * نخله عامله والحشم
فعند ذاك أسلمت واستسلمت * مدينة الدماء بعد ماعتت

﴿ غزوة سنة احدى وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها مضى عبد الحميد مستلم * فى أهبة وعدة من الحشم
حتى أتى الحصن الذى تقلعا * يحيى بن ذى النون به وامتنعا
فحطه من هضبات ولب * من غير تعنيت وغير حرب
الا بترغيب له فى الطاعه * وفى الدخول مدخل الجماعه
حتى أتى به الامام راغبا * فى الصفح عن ذنوبه وتائبا
فصفح الامام عن جنايته * وقبل المبذول من انابته
ورده الى الحصون ثانيا * مسجلا له عليها واليا

﴿ غزوة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

ثم غزا الامام ذوالجدين * فى مبتدا عشرين واثنتين
فى فيلق مجهر لهام * مدكدك الرؤس والآكام
جاب الربا لزحفه يجيش * تحيش فى حفاته الجيوش
كانهم جن على سعال * وكلهم أمضى من الريبال
فاقتحموا ملوندة ورومه * ومن حواليها حصون حميه
حتى أتاه المارق التجيبي * مستجديا كالتائب المنيب
فخصه الامام بالترحيب * والصفح والغفران للذنوب
ثم حباه وكساه ووصل * بشاحج وصاهل لم يمتثل
كلا هما من مركب الخلائف * فى حليه تعجز وصف الواصف

فقال كن منا وأوطن قرطبه * نرقيك فيها فى أجل مرتبه
تكن وزيرا أعظم الناس خطر * وقائدا تحيي لنا هذا الثغر
فقال انى ناقه من علتى * وقد ترى تغيرى وصفرتى
فان رأيت سيدى امهالى * حتى أرم من صلاح حالى
ثم أوافيك على استعجال * بالاهل والاولاد والعيال
وأوثق الامام بالعهود * وجعل الله من الشهود
فقبل الامام من أيمانه * ورده عفوا الى مكانه
ثم اتته ربة البشاقص * تدلى اليه بالوداد الخالص
وانها مرسلة من عنده * وجدها متصل بجده
وا كتفلت بكل ينبلونى * واطلقت اسرى بنى ذى النون
فأوعد الامام فى تأمينها * ونكب العسكر من حصونها
ثم مضى بالعز والتمكين * وناصراً لاهل هذا الدين
فى جملة الرايات والعساكر * وفى رجال الصبر والبصائر
الى عدو الله من الخلائق * وعابد المخلوق دون الخالق
فدمروا السهول والقلاعا * وهتكوا الزروع والرباعا
وخربوا الحصون والمدائنا * وأفقدوا من أهلها المساكنا
فليس فى الديار من ديار * ولا بها من نافخ للنار
فغادروا عمرانها خرابا * وبدلوا ربوعها يبابا *
وبالقلاع أحرقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
ثم ثنى الامام عن عنانه * وقد شفى الشجى من أشجانه
وأمن القفار من انجاسها * وطهر البلاد من أرجاسها
(انتهت) الارجوزة وكمل كتاب العسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

كتاب اليتيمة الثانية في اخبار زياد

﴿ والحجاج والطالبيين والبرامكه ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضي الله تعالى عنه : قد مضى قولنا فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وما تصرفت به دولتهم . ونحن قائلون بعون الله فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . وما سيجوز على شىء من أخبار الدولة اذ كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذى عليه مدار السياسة ، ومعادن التدبير ، وينابيع البلاغة ، وجوامع البيان ، هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها ، وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ، ومارسوا الامور ، وجربوا الدهور ، فاحتملوا أعباءها ، واستفتحوا مغالقها ، حتى استقرت قواعد الملك ، وانتظمت قلائد الحكم ، ونفذت عزائم السلطان

١ — أخبار زياد — كانت سمية أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندى للحرث بن كلدة وكان طبيبا يعالجه . فولدت له على فراشه نافعا . ثم ولدت أبا بكرة فأنكر لونه وقيل له ان جاريتك بغى فانتفى من أبى بكرة ومن نافع وزوجها عبيدا عبداً لابنته . فولدت على فراشه زيادا . فلما كان يوم الطائف نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه لله ورسوله . فنزل أبو بكرة وأسلم ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم . فقال الحرث ابن كلدة لنافع أنت ابنى فلا تفعل كما فعل هذا يريد أبا بكرة . فلحق به فهو ينتسب الى الحرث ابن كلدة . وكانت البغايا فى الجاهلية لهن رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان وكان أكثر الناس يكرهون اماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا فنهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك بقوله جل وعز « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن — يريد فى الجاهلية — فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » يريد فى الاسلام . فيقال ان أبا سفيان خرج يوما وهو ثمل الى تلك الرايات

فقال لصاحبة الراية هل عندك من بغى . فقالت ما عندى الا سمية . قال هاتها على نتن ابطيها فوقع بها فولدت له زيادا على فراش عبيد . ووجه عامل من عمال عمر بن الخطاب زيادا بفتح فتحه الله على المسلمين به . فأمره عمر أن يخطب الناس به على المنبر فأحسن فى خطبته وجود وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب وعلى بن أبى طالب . فقال أبو سفيان لعلى أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى . قال نعم : قال أما انه ابن عمك . قال وكيف ذلك قال أنا قذفته فى رحم أمه سمية . قال فما يمنعك ان تدعيه قال أخشى هذا القاعد على المنبر يعنى عمر بن الخطاب أن يفسد على اهابى . فبهذا الخبر استلحق معاوية زيادا وشهد له الشهود بذلك . وهذا خلاف حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر . العتبى عن أبيه قال : لما شهد الشهود لزياد فقام فى أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوله ولا علم لى بآخره . وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود ما سمعتم فالحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضيعوا . وأما عبيد فانما هو والد مبرور وربيب مشكور ثم جلس . وقال زياد : ما هجيت ببيت قط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير

عاشت سمية ما عاشت وما علمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير

سبحان من ملك عباد بقدرته * لا يدفع الناس أسباب المقادير

وكان زياد عاملا لعلى بن أبى طالب على فارس . فلما مات على رضى الله عنه وبايع الحسن معاوية عام الجماعة بقى زياد بفارس وقد ملكها وضبط قلاعها فاغتم به معاوية . فأرسل الى المغيرة بن شعبة . فلما دخل عليه قال لكل نبأ مستقر ولكل سر مستودع وأنت موضع سرى وغاية ثقتى . فقال المغيرة يا أمير المؤمنين ان تستودعنى سرك تستودعه ناصحا شفيقا ورعا رفيقا فما ذاك يا أمير المؤمنين . قال ذكرت زيادا واعتصامه بارض فارس ومقامه بها وهو داهية العرب ومعه الاموال وقد تحصن بارض فارس وقلاعها يدبر الامور . فما يؤمننى ان يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعادها جذعة . قال له المغيرة أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى اتيانه . قال نعم فخرج اليه . فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مستقبل الشمس . فقام اليه زياد ورحب به وسر بقدومه وكان له صديقا . وذلك ان زيادا كان أحد الشهود الاربعة الذين

شهدوا على المغيرة وهو الذى تلجلج فى شهادته عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فنجا المغيرة وجلد الثلاثة من الشهود . وفيهم أبو بكرة أخو زياد فحلف ان لا يكلم زيادا أبدا . فلما تفاوضا فى الحديث قال له المغيرة أعلمت ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثنى اليك ولا نعلم أحدا يمد يده الى هذا الامر غير الحسن . وقد بايع معاوية فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغنى عنك معاوية . قال أشر على وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن . قال أرى ان تصل حبلك بحبله وتسير اليه وتعير الناس أذنا صماء وعينا عمياء قال يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه فى غير منبته لا أصل له يغذيه ولا ماء يسقيه كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل

ثم قال أرى ويقضى الله . وذكر عمر بن عبد العزيز زيادا فقال سعى لاهل العراق سعى الام البرة وجمع لهم جمع الذرة . وقال غيره تشبه زياد بعمر فأفرط وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس وقالوا : الدهاة أربعة معاوية للروية وعمرو بن العاص للبديهة والمغيرة للمعضلات وزياد لكل صغيرة وكبيرة . ولما قدم زياد العراق قال من على حرسكم قالوا بلخ قال انما يحترس من مثل بلخ فكيف يكون حرسا أخذه الشاعر فقال * وحارس من مثله يحترس * . العتبى قال : كان فى مجلس زياد مكتوب الشدة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف ، المحسن يجازى باحسانه والمسىء يعاقب باساءته ، الاعطيات فى أيامها لا احتجاب عن طارق ليل ولا صاحب ثغر وبعث زياد : الى رجال من بنى تميم ورجال من بنى بكر وقال دلونى على صلحاء كل ناحية ومن يطاع فيها فدلوه فضمنهم الطريق وحد لكل رجل منهم حدا فكان يقول لو ضاع حبل بينى وبين خراسان عرفت من آخذه . وكان زياد يقول من سقى صبيا خمرا حددناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . وكان يقول اثنان لا تقاتلوا فيهما العدو والشتاء وبطون الاودية . وأول من جمعت له العراق زياد . ثم ابنه عبيد الله بن زياد لم تجتمع لقرشى قط غيرهما وعبيد بن زياد أول من جمع له العراق وسجستان وخراسان والبحران وعمان وانما كان البحران وعمان الى عمال أهل الحجاز . وهو أول من عرف العرفاء ودعا الفقراء ونكب المناكب وحصل الدواوين ومشى بين يديه بالعمد ووضع الكراسى وعمل المقصورة ولبس الزيادى وربع الارباع بالكوفة وخمس الاخماس بالبصرة . وأعطى فى يوم واحد للمقاتلة

والذرية من أهل البصرة والكوفة . وبلغ بالمقاتلة من أهل الكوفة ستين ألفا ومقاتلة البصرة ثمانين ألفا والذرية مائة ألف وعشرين ألفا وضبط زياد وابنه عبيد الله العراق باهل العراق . قال عبد الملك بن مروان : لعباد بن زياد أين كانت سيرة زياد من سيرة الحجاج . قال يا أمير المؤمنين ان زيادا قدم العراق وهى جمرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل العراق باهل العراق وقدمها الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم باهل الشام فضلا عن أهل العراق ولو رام منهم ما رامه زياد لم يفجأك الا على قعود يوجف به . وقال نافع : لزياد استعلمت أولاد أبى بكرة وتركت أولادى . قال انى رأيت أولادك كراما قصارا ورأيت أولاد أبى بكرة نجباء طوالا . ودخل عبد الله بن عامر على معاوية فقال له حتى متى تذهب بخراج العراق . فقال يا أمير المؤمنين ما تقول هذا لمن هو أبعد منى رحما ثم خرج فدخل على يزيد فأخبره وشكا اليه . فقال له لعلك أغضبت زيادا قال قد فعلت . قال فانه لا يرضى حتى ترضى زيادا عنك فانطلق ابن عامر فاستأذن على زياد فاذن له وألطفه . فقال له ابن عامر ان شئت فصلح بعتاب وان شئت فصلح بغير عتاب فانه اسلم للصدر . ثم راح زياد الى معاوية فأخبره وأصبح ابن عامر غاديا الى معاوية . فلما دخل عليه قال مرحبا بابى عبد الرحمن ههنا وأجلسه الى جانبه فقال له يا أبا عبد الرحمن لنا سياق ولكم سياق وقد علمت ذلك الرفاق . الحسن بن أبى الحسن قال : ثقل أبو بكرة فأرسل زياد اليه أنس بن مالك ليصالحه ويطالعه فانطلقت معه فاذا هو مول وجهه الى الجدار . فلما قعد قال له كيف تجدك أبا بكرة . فقال صالح كيف أنت أبا حمزة . فقال له أنس اتق الله أبا بكرة فى زياد أخيك فان الحياة يكون فيها ما يكون فأما عند فراق الدنيا فليستغفر الله أحدكما لصاحبه فوالله ما علمت انه لوصول للرحم هذا عبد الرحمن ابنك على الايلة وهذا داود على الرى وهذا عبد الله على فارس كلها والله ما أعلمه الا مجتهدا قال اقعدونى فأقعدوه فقال اخبرنى ما قلت فى آخر كلامك فاعاد عليه القول . فقال يا أنس وأهل حروراء قد اجتهدوا فأصابوا أم أخطؤا والله لا أكلمه أبدا ولا يصلى على . فلما رجع أنس الى زياد أخبره بما قال وقال له انه قبيح أن يموت مثل أبى بكرة بالبصرة فلا تصلى عليه ولا تقوم على قبره فاركب دوابك والحق بالكوفة قال ففعل ومات أبو بكرة بالغد عند صلاة الظهر فصلى عليه أنس ابن مالك . وقدم شريح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة . فكان زياد يجلسه الى جنبه

ويقول له ان حكمت بشيء ترى غيره أقرب الى الحق منه فأعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه فيقول زياد لشريح ماترى فى هذا الحكم حتى أتاه رجل من الانصار . فقال انى قدمت البصرة والخطط موجودة فأردت أن أختط لى فقال لى بنو عمى وقد اختطوا ونزلوا أين تخرج عنا أقم معنا واختط عندنا فوسعوا لى فاتخذت فيهم دارا وتزوجت . ثم نزغ الشيطان بيننا فقالوا لى اخرج عنا . فقال زياد ليس ذلك لكم منعتموه أن يختط والخطط موجودة وفى أيديكم فضل فاعطيتموه حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به لا يخرج من منزله . فقال شريح يامستعير القدر ارددها . فقال زياد يامستعير القدر احبسها ولا تردها . فقال محمد بن سيرين القضاء بما قال شريح وقول زياد حسن . وقال زياد : ماغلبنى أمير المؤمنين معاوية الا فى واحدة طلبت رجلا فلجأ اليه وتحرم به . فكتبت اليه ان هذا افساد لعملى اذا طلبت أحدا لجأ اليك فتحرم بك فكتب الى انه لا ينبغى لنا ان نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون انا للرأفة والرحمة فيستريح الناس فيما بيننا . ولما عزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه زيادا عن كتابة أبى موسى قال له أعن عجز أم عن خيانة . قال لا عن واحدة منهما ولكنى كرهت ان أحمل على العامة فضل عقلك وكتب الحسن بن على رضى الله عنه : الى زياد فى رجل من أهل شيعته فعرض له زياد وحال بينه وبين ما يملكه وكان عنوان كتابه من الحسن بن على الى زياد . فغضب زياد اذ قدم نفسه عليه ولم ينسبه الى أبى سفيان . وكتب اليه من زياد بن أبى سفيان الى حسن اما بعد فانك كتبت الى فى فاسق لا يأويه الا الفساق وايم الله لاطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فانى أحب ان آكل لحما أنت منه . فكتب الحسن الى معاوية يشتكى زيادا وأدرج كتاب زياد فى داخل كتابه . فلما قرأه معاوية أكثر التعجب من زياد وكتب اليه أما بعد فان لك رأيين أحدهما من أبى سفيان والآخر من سمية . فاما الذى من أبى سفيان فحزم وعزم . وأما الذى من سمية فكما يكون رأى مثلها وان الحسن بن على كتب الى يذكر انك عرضت لرجل من أصحابه . وقد حجزناه عنك ونظراءه فليس لك على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم وعجبت منك حين كتبت الى الحسن لا تنسبه الى أبيه أفالى أمه وكلته لا ام لك فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن حين اخترت له . وكتب زياد الى معاوية : ان عبد الله بن عباس يفسد الناس على فان أذنت لى ان أتوعده فعلت . فكتب اليه ان أبا الفضل وأبا سفيان كانا فى الجاهلية فى مسلاخ واحد

وذلك حلف لا يحله سوء رأيك . واستأذن زياد معاوية فى الحج فاذن له و بلغ ذلك أبا بكرة فاقبل حتى دخل على زياد وقد أجلس له بنيه فسلم عليهم ولم يسلم على زياد . ثم قال يا بنى أخى ان أباكم ركب أمراً عظيماً فى الاسلام بادعائه الى ابى سفيان فوالله ماعلمت سمية بغت قط وقد استأذن أمير المؤمنين فى الحج وهو مار بالمدينة لا محالة وبها أم حبيبة ابنة ابى سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد له من الاستئذان عليها فان اذنت له فقعد منها مقعد الاخ من أخته فقد انتهك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وان لم تأذن له فهو عار الابد . ثم خرج فقال له زياد جزاك الله خيراً من أخ فما تدع النصيحة على حال . وكتب الى معاوية يستقيله فاقاله. وكتب زياد الى معاوية : انى قد أخذت العراق بيمينى و بقيت شمالى فارغة وهو يعرض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . فقال اللهم اكفنا شماله فعرضت له قرحة فى شماله فقتلته . ولما بلغ عبد الله بن عمر موت زياد قال اذهب اليك ابن سمية لا يدا رفعت عن حرام ولا دنيا تمليت . قال زياد : لعجلان حاجبه كيف تأذن للناس قال على البيوتات . ثم على الانساب . ثم على الآداب . قال فمن تؤخر قال من لا يعبأ الله بهم قال ومن هم قال الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء . وقال زياد لحاجبه : وليتك حجابتى وعزلتك عن أربع هذا المنادى الى الله فى الصلاح والفلاح لا توقفه عنى ولا سلطان لك عليه . وطارق الليل لا تحجبه فشر ماجاء به ولو كان خيراً ماجاء فى تلك الساعة . ورسول صاحب الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة . وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد . وقال عجلان حاجب زياد : صار لى فى يوم واحد مائة ألف دينار وألف سيف قيل له وكيف ذلك . قال : أعطى زياد ألف رجل مائتى ألف دينار وسيفاً سيفاً فاعطانى كل رجل منهم نصف عطائه وسيفه

٢ أخبار الحجاج — دخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الغداة . فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة فانك قذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت . قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا وماهو بشيء مما ظننت ولكنى استكت فاردت ان أتخلل بسواك . فندم المغيرة على ما بدر منه فخرج أسفاً فلقى يوسف بن أبى عقيل . فقالت له هل لك الى شيء ادعوك اليه . قال وماذاك قال انى نزلت

الساعة عن سيدة نساء ثقيف فتزوجها فانها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج . ومما رواه عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال ان الحجاج بن يوسف كان يعلم الناس بالطائف واسمه كليب وأبوه يوسف معلم أيضا . وفى ذلك قال الشاعر :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده * اذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد اياد

زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادى

ثم لحق الحجاج بن يوسف بروح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان . فكان فى عديد شرطته الى ان شكا عبد الملك ابن مروان ما رأى من انحلال العسكر وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله . فقال روح بن زنباع يا أمير المؤمنين ان فى شرطتى رجلا لو قلده امير المؤمنين أمر عسكره لا رحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف . قال فانا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد يتخلف عن الرحيل والنزول الا أعوان روح بن زنباع . فوقف عليهم يوما وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون . فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين . فقالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا فقال هَيْهَات ذهب ما هنالك ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم فى العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فاحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك ابن مروان باكيا . فقال له مالك . فقال يا أميرَ المؤمنين الحجاج بن يوسف الذى كان فى عديد شرطتى ضرب عبيدى وأحرق فَسَاطِيطى . قال علىّ به فلما دخل عليه قال ما حملك على ما فعلتَ . قال ما أنا فعلته يا امير المؤمنين . قال ومن فعله . قال أنت والله فعلت انما يدى يدك وسوطى سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له فاخلف لروح بن زنباع ما ذهب له . وتقدم الحجاج فى منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفايته . قال أبو الحسن المدايني : كانت امرأة الحجاج الفارعة ابنة هبار . فقال كان الحجاج بن يوسف يضع فى كل يوم ألف خوان فى رمضان وفى سائر الايام خمسمائة خوان على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وارزة بسكر . وكان يحمل فى محفة ويدار به على موائده يتفقدها فاذا رأى ارزة ليس عليها سكر وسعى الخباز ليجيء بسكرها فابطأ حتى أكلت الارزة بلا سكر امر به فضرب

مائتى سوط . فكانوا بعد ذلك لا يمشون الا متأبطى خرائط السكر . قال : وكان يوسف بن عمر والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك يضع خمسمائة خوان . فكان طعام الحجاج لاهل الشام خاصة وطعام يوسف بن عمر لمن حضره فكان عند الناس احمد . العتبى قال : دخل على الحجاج سليك بن سلكة . فقال أصلح الله الامير اعرنى سمعك واغضض عنى بصرك واكفف عنى حزبك فان سمعت خطأ او زللا فدونك والعقوبة . فقال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمى وهدمت دارى وحرمت عطائى . قال هيهات اما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب ماخوذ بذنب عشيرة * ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير قال سمعت الله قال غير هذا قال وماذاك قال قال « يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » فقال الحجاج على بيزيد بن أبى مسلم فأتى به فمثل بين يديه . فقال افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله . وأمر مناديا ينادى فى الناس صدق الله وكذب الشاعر . أتى الحجاج :بامرأة عبد الرحمن بن الاشعث بعد دير الجماجم . فقال لحرسى قل لها يا عدوة الله اين مال الله الذى جعلتيه تحت ذيلك . فقال يا عدوة الله اين مال الله الذى جعلتيه تحت استك فقال له كذبت ماهكذا قلت استك وخل عنها . الاصمعى قال : ماتت رفقة بالسجا والسجا ربوة من الارض فى بطن فلج فسجى به الوادى فسمى سجا . فقال الحجاج انى أراهم قد تضرعوا اذا نزل بهم الموت فاحفروا فى مكانهم فحفروا . فامر الحجاج رجلا يقال له عضيدة يحفر البئر . فلما أنبطها حمل منها قربتين الى الحجاج بواسط . فلما قدم بهما عليه قال يا عضيدة لقد تجاوزت مياها عذابا احتفت أم أوشلت . قال لا واحد منهما ولكن نبطا بين المنافق . قال وكيف يكون قدره قال مرت بنا رفيقة فيها خمسة وعشرون جملا فرويت الابل وأهلها . قال أو للابل حفرتها ان الابل ضمر خشف ماجشمت جشمت . بعث عبد الملك بن مروان: الحجاج بن يوسف واليا على العراق وأمره ان يحشر الناس الى المهلب فى حرب الازارقة . فلما أتى الكوفة صعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه . فنظر محمد بن عمير بن عطارد

التميمى . فقال لعن الله هذا ولعن من ارسله الينا ارسل غلاما لا يستطيع ان ينطق عيا وأخذ حصاة بيده ليحصبه بها . فقال له جليسه لا تعجل حتى ننظر ما يصنع . فقام الحجاج فكشف لثامه عن وجهه فقال :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

صليب العود من سلفى نزار * كنصل السيف وضاح الجبين

أخو خمسين مجتمع اشدى * ونجذنى مداورة الشؤن

أما والله لأحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله أما والله انى لارى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وكأنى أرى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ألا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانها فوجدنى أصلبها عودا فوجهنى اليكم فانكم طالما سعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى أما والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما أخلق الا فريت ولا أعد الا وفيت ولا أغمز تغماز التنين ولا يقعقع لى بالشنان اياى وهذه الزرافات والجماعات . وقيل وقال وما يقول وفيم أنتم ونحو هذا من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب ضربت عنقه . ثم قال ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين . فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيأ . فقال الحجاج اسكت ياغلام هذا أدب ابن نهية والله لاؤدبنهم غير هذا الادب أو ليستقيمن اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق أحد فى المسجد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام . ثم نزل فأتاه عمير بن هانئ فقال أيها الامير انى شيخ كبير عليل وهذا ابنى أقوى على الغزو منى . قال أجيزوا ابنه عنه فان الحدث أحب الينا من الشيخ . فلما ولى الرجل قال له عنبسة بن سعيد أيها الامير هذا الذى ركض عثمان برجله وهو مقتول . فقال ردوا الشيخ فردوه فقال اضربوا عنقه . فقال فيه الشاعر :

تجهز فاما ان تزور ابن هانئ * عميرا وأما ان تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من البلج أشهبا

ثم قال دلونی علی رجل أولیه الشرطة . فقیل له أی الرجال ترید قال أریده دائم العبوس ، طویل الجلوس ، سمین الامانة ، أعجف الخیانة ، لا یحنق فی الحق علی حرة ، یهون علیه سؤال الاشراف فی الشفاعة . فقیل علیك بعبد الرحمن بن عبید التمیمی فارسل الیه فاستعمله . فقال له لست أقبلها الا ان تکفینی عمالك و ولدك وحاشیتك . فقال الحجاج یاغلام ناد من طلب الیه منهم حاجة فقد برئت الذمة منه . قال الشعبی : فوالله ما رأیت قط صاحب شرطة مثله کان لا یحبس الا فی دین . وکان اذا أتی برجل نقب علی قوم وضع منقبته فی بطنه حتی تخرج من ظهره . وکان اذا أتی برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فیه حیا واذا أتی برجل قاتل بحدیدة أو أظهر سلاحا قطع یده فربما أقام أربعین یوما لا یؤتی الیه باحد . فضم الحجاج الیه شرطة البصرة مع شرطة الکوفة . ولما قدم عبد الملك بن مروان المدینة نزل دار مروان . فمر الحجاج بخالد بن یزید بن معاویة وهو جالس فی المسجد وعلی الحجاج سیف محلی وهو یخطر متبخترا فی المسجد فقال رجل من قریش لخالد ما هذه التختارة . فقال بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعه الحجاج فمال الیه . فقال قلت هذا عمرو بن العاص والله ما سرنی ان العاص ولدنی ولا ولدته ولکن ان شئت اخبرتك من أنا انا ابن الاشیاخ من ثقیف والعقائل من قریش والذی ضرب مائة بسیفه هذا کلهم یشهدون علی أبیك بالکفر وشرب الخمر حتی أقروا انه ولی وهو یقول هذا عمرو ابن العاص . الاصمعی قال : بعث الحجاج الی یحیی بن یعمر . فقال له أنت الذی تقول ان الحسن بن علی ابن رسول الله صلی الله علیه وسلم والله لتأتینی بالمخرج أو لاضربن عنقك . فقال له فان أتیت بالمخرج فانا آمن قال له نعم . قال له اقرأ وتلك حجتنا آتیناها ابراهیم علی قومه نرفع درجات من نشاء الی قوله ومن ذریته داود وسلیمان وأیوب ویوسف وموسی وهرون وکذلك نجزی المحسنین وزکریا ویحیی وعیسی فمن أقرب عیسی الی ابراهیم . وانما هو ابن ابنته أو الحسن الی محمد . قال الحجاج فوالله لکأنی ما قرأت هذه الآیة قط وولاه قضاء بلده فلم یزل بها قاضیا حتی مات . قال أبو عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ کان عبد الملك بن مروان سنان قریش وسیفها رأیا وحزما وعابدها قبل ان یستخلف ورعا وزهدا . فجلس یوما فی خاصته فقبض علی لحیته فشمها ملیا . ثم اجتر نفسه ونفخ نفخة أطالها . ثم نظر فی وجوه القوم فقال ما أقول یوم ذی المسئلة عن أمر الحجاج وأدحض المحتج علی العلیم بما طوته الحجب أما ان تملیکی له قرن بی لوعة یحثها التذکار کیف وقد علمت فتعامیت وسمعت فتصاممت وحمله الکرام الکاتبون . والله

لكانى آ اف ذا الطعن على نفسى بعدان نعت الايام بتصرفها أنفسا حق لها الوعيد بتصرم الزوال وما بقت الشبهة للباقى متعلقا وماهو الا الغل الكامن والغش المندمل من ذى النفس بحو بائها اللهم أنت لى أوسع غير منتصر ولا معتذر يا كاتب هات الدواة والقرطاس . فقعد كاتبة بين يديه واملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد : فقد أصبحت بأمرك برما يقعدنى الاشفاق ويقمنى الرجاء عجزت فى دار السعة وتوسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر التمس العدر فى أمرك فأنا لعمر الله فى دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسى والتوقع لما طويت عليه الصحف أعجز . وقد كنت أشركتك فيما طوقنى الله حمله وألات بحقوى من أمانة الله فى هذا الخلق المرعى فدلات منه على الحزم والجد فى امانة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة الغائب وعذر اللاعن والشاهد القائم . فلعن الله أبا عقيل وما نجل فآلام والدو أخبث نسل فلعمرى ماظلمكم الزمان ولا قعدت بكم المراتب لقد ألبستكم ملبسكم وأقعدتكم على روابى خططكم واحلتكم أعلى منعتكم فمن حافر وناقل وماتح للفلوات القفرة المتفيهقة ما تقدم فيكم الاسلام ولقد تأخرتم وما الطائف منا ببعيد يجهل أهله . ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك وسرك انتضاء سيفك فاستخرجك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته وأنت على معاونته يومئذ محسود فهفا أمير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكأن بك وكان مالولم يكن لكان خيرا مما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى أمير المؤمنين فصدعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة فى أوعية ثقيف فاستغفر الله لذنب ماله عذر . فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرأى فلقد جالت البصيرة فى ثقيف بصلح النبي صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وماهو الا اختيار للثقة والمطلب لمواضع الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بامير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا ألبس أمير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل أمير المؤمنين واظعن عنه باللعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين مايحاول من رأيه والسلام . ودعا عبد الملك مولى له يقال له نباتة له لسان وفضل رأى فناوله الكتاب . ثم قال له يانباتة العجل ثم العجل حتى تأتى العراق فضع هذا الكتاب فى يد الحجاج وترقب مايكون منه فاذا جبن عند قراءته واستيعاب مافيه فاقلعه عن عمله واقلع معه حتى تأتى به

وهدى الناس حتى أتيهم أمرى بما تصفني به في حين انقلاعك من حبي لهم والسلامة وان هش للجواب ولم تكشفه ارنبة الحيرة فخذ منه ما يجيب به وأقره على عمله . ثم اعجل على بجوابه قال نباتة فخرجت قاصداً الى العراق فضمتني الصحاري والفيافي واحتوانى القر وأخذني السفر حتى وصلت . فلما وردته أدخلت عليه في يوم ما يخطر فيه الخلق وعلى شحوب مضني وقد توسط خدمه من نواحيه وتدثر بمطرف خز أدكن ولاث به الناس من بين قائم وقاعد . فلما نظر الى وكان لى عارفاقعد . ثم تبسم تبسم الوجل . ثم قال أهلا بك يانباتة أهلا بمولى أمير المؤمنين لقد أثرفيك سفرك واعرف أمير المؤمنين بك ضنينا فليت شعرى ما دهمك أودهمني عنده . قال فسلمت وقعدت فسأل ما حال أمير المؤمنين وخوله . فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته اياه فأخذه مني مسرعا ويده ترعد . ثم نظر في وجوه الناس فما شعرت الا وأنا معه ليس معنا ثالث وصار كل من يطيف به من خدمه يلقاه خاليا لا يسمعون منا الا الصوت ففك الكتاب فقرأه وجعل يتثاءب ويردد تثاؤبه ويسيل العرق على جبينه وصدغيه على شدة البرد من تحت قلنسوته من شدة العرق وعلى رأسه عمامة خز خضراء وجعل يشخص الى ببصره ساعة كالمتوهم . ثم يعود الى قراءة الكتاب ويلاحظني النظر كالمتفهم الا انه واجم . ثم يعاود الكتاب وانى لاقول ما أراه يثبت حروفه من شدة اضطراب يده حتى استقصى قراءته . ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ورجع اليه ذهنه فمسح العرق عن جبينه . ثم قال متمثلا :

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

قبح والله منا الحسن يانباتة وتواكلتنا عند أمير المؤمنين الالسن وما هذا الا سانح فكرة نمقها مرصد يكلب بقصتنا مع حسن رأى أمير المؤمنين فينا ياغلام فتبادر الغلمان الصيحة فلىء علينا منهم المجلس حتى دفأني منهم الانفاس . فقال الدواة والقرطاس فأتى بدواة وقرطاس . فكتب بيده وما رفع القلم الا مستمدا حتى سطر مثل خد الفرس . فلما فرغ قال لى يانباتة هل علمت ما جئت به فنسمك ما كتبنا قلت لا قال اذا حسبك منا مثله . ثم ناولني الجواب وأمر لى بجائزة فأجزل وجرد لى كساء ودعا لى بطعام فأكلت . ثم قال نكلك الى ما أمرت به من عجلة أو توان وانى لاحب مقارنتك والانس برؤيتك . فقلت كان معى قفل مفتاحه عندك ومفتاح قفلك عندى فأجدت لك الوافية بالامرين فاقفلت المكروه وفتحت العافية وما ساءني ذلك وما أحب

ان أزيدك بيانا وحسبك من استعجال القيام . ثم نهضت وقام مودعا لى فالتزمنى . وقال بابى أنت وأمى رب لفظة مسموعة ومحتقر نافع فكن كما أظن فخرجت مستقبلا وجهى حتى وردت أمير المؤمنين فوجدته منصرفا من صلاة العصر . فلما رآنى قال ما احتواك المضجع بانباته فقلت من خاف من وجه الصباح أدلج . فسلمت وانتبذت عنه فتركنى حتى سكن حاشى ثم قال مهيم فدفعت اليه الكتاب فقرأه متبسما . فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ثم استقصاه فانصرف الى فقال كيف رأيت اشفاقه . قال فقصصت عليه ما رأيت منه فقال صلوات الله على الصادق الامين ان من البيان لسحرا . ثم قذف الكتاب الى . فقال اقرأ فقرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوى أمره من عبد اكتنفته الذلة ومد به الصغار الى وخيم المرتع وو بيل المكرع من جائل قادح ومعتز فادح والسلام عليك ورحمة الله التى اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى أهلها قائدا فانى أحمد الله اليك راجيا لعطفك بعطفه الذى لا اله الا هو أما بعد

كان الله لك بالدعة فى دار الزوال والامن فى دار الزلزال فانه من عنت به فكرتك يا أمير المؤمنين مخصوصا فما هو الا سعيد يؤثر أو شقى يوتر وقد حجبنى عن نواظر السعد لسان مرصد ونافس حقد انتهز به الشيطان حين الفكرة فافتتح به أبواب الوسواس بما تحتويه الصدور فواغوثاه باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما أجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد أراد اللعين أن يفتق لاوليائه فتقا نبا عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر أمير المؤمنين مبلسا وكاد حاو مؤرشا اليفل من غربه الذى نصبنى ويصيب ثارا لم يزل به موترا واذكره قديما امامت به الاوائل حتى لحقت بمثله منهم وممن كنت أبلوه من خسة اقدار ومزاولة أعمال الى أن وصلت ذلك بالتشرط لروح بن زنباع وقد علم أمير المؤمنين بفضل ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضى بان الذى عير به القوم مصانعهم من أشد ما كان يزاوله أهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وما جهل أمير المؤمنين وللبيان موقعة غير محتج ولا متعدد ان متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن أراد من فوقه وان روحا لم يلبسنى العزم الذى به رفعنى أمير المؤمنين عن خوله وقد ألصقتنى بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى بى البعيد وتطالع الاعلام وقد أخذت من أمير المؤمنين نصيبا اقسمه الاشفاق

من سخطه والمواظبة على موافقته فما بقى لنا بعد الاصابة وارث به تحول النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير متثبت موجف ولا متثاقل مجحف فقت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة وبادت البدعة وخسىء الشيطان وحملت الاديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها أناذا يا أمير المؤمنين نصب المسئلة لمن رامني وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل مختح أولا ثم ملتج وأمير المؤمنين ولى المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ أمرى ولكل نبأ مستقر وما حفنت يا أمير المؤمنين فى أوعية ثقيف حتى روى الظمآن وبطن الغرثان وغصت الاوعية وأنفدت الاوكية فى آل مروان فأخذت ثقيف فضلا صارلها لولاهم القطعة السائلة ولقد كان مما أنكره أمير المؤمنين من تحاملي وكان مما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وان أمير المؤمنين لرابع أربعة أحدهم ابنة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا فى النجى المصطفى بالرسالة فحق لها فيه الرجاء وزالت شبهة الشك بالاختيار وقبلها العزيز فى يوسف ثم الصديق فى الفاروق رحمة الله عليهما وأمير المؤمنين فى الحجاج وما حسد الشيطان يا أمير المؤمنين خاملا ولا شرف بغير سجافكم غبطة يا أمير المؤمنين الرجيم أدبرمنها وله غواة ومرساة وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كيت وكيت ولا أظن أذكرها من أمير المؤمنين ولقد سمعت لامير المؤمنين فى صالح صلوات الله عليه فى ثقيف مقالا هجم بى الرجاء لعدله عليه بالحجة فى وده بمحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فقد أخبر عن الله عز وجل وحكاية غر الملا من قريش عند الاختيار والافتخار . وقد نفخ الشيطان فى مناخرهم فلم يدعوا خلف ماقصدوا اليه موسى قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومى وأبى مسعود الثقفى فصارا فى الافتخار بهما صنوين ما أنكر اجتماعهما من الامة منكر فى مدصوت القرآن ومبلغ الوحى وان كان ليقال للوليد فى الامة يومئذ ريحانة قريش ومارد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة الى القسم السابق . فقال عز وجل « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » وماقدمتنى يا أمير المؤمنين ثقيف فى الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب . والامر الى أمير المؤمنين عزل أم أقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة

الله . قال نباتة فأتيت على الكتاب بحضر أمير المؤمنين عبد الملك . فلما استوعبته سارقته النظر عن الهيبة منه فصادف لحظى لحظه . فقال اقطعه ولا تعلمن بما كان أحدا . فلما مات عبد الملك فشاعنى الخبر بعد موته . محمد بن المنتشر بن الاجدع الهمدانى قال : دفع الى الحجاج رجلا ذميا وأمرنى بالتشديد عليه والاستخراج منه . فلما انطلقت به قال لى يا محمد ان لك لشرفا ودينا انى لا أعطى على القسر شيأ . فأذن لى وارفق بى ففعلت فأدى الىّ فى أسبوع خمسمائة ألف . فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانتزعه من يدى ودفعه الى الذى كان يتولى لهم العذاب فدق يديه ورجليه ولم يعطه شيأ . قال محمد بن المنتشر فانى لسائر يوما فى السوق اذ صائح بى يا محمد فالتفت فاذا أنا به معترضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته فتذممته . فملت اليه فقال لى انك وليت منى ما ولى هؤلاء فرفقت بى وأحسنت الى وانهم صنعوا بى ماترى . ولى خمسمائة ألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت الى فقلت ما كنت لآخذ منك على معروف أجرا ولا لأرزأك على هذه الحالة شيأ . قال فأما اذ أبيت فاسمع منى حديثا أحدثك به حدثنيه بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله عن قوم أنزل عليهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر فى غير وقته وجعل المال فى بخلائهم واستعمل عليهم شرارهم . فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فسرت اليه فألقيته جالسا على فرشه والسيف مصلت بيده . فقال لى ادن فدنوت شيأ ثم قال لى ادن فدنوت شيئا ثم قال لى الثالثة ادن لا أبالك . فقلت مابى الى الدنو من حاجة وفى يد الامير ما أرى فضحك وغمد سيفه . وقال اجلس ما كان من حديث الخبيث . فقلت له أيها الامير والله ما غششتك منذ استصحبتنى ولا كذبتك منذ استخبرتنى ولا خنتك منذ ائتمنتنى ثم حدثته فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه وأومأ الى بيده وقال لا تسمه . ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الاحاديث . ويقال ان الحجاج كان اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه . ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع حتى يتزايد فى الكلام فيخرج يده من مطرفه . ثم يزجر الزجرة فيقرع بها أقصى من فى المسجد . صعد خالد بن عبد الله القسرى . المنبر فى يوم جمعة وهو اذ ذاك على مكة فذكر الحجاج فحمد طاعته وأثنى عليه خيرا . فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم

الحجاج ونشر عيوبه واظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان ملكا من الملائكة وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلا . وكان الله قد علم من غشه وخبثه ما خفى على ملائكته . فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدى أمير المؤمنين فلعنه فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ولما أتى الحجاج بامرأة ابن الاشعث قال للحرسى قل لها يا عدوة الله أين مال الله الذى جعلته تحت ذيلك فقال لها الحرسى يا عدوة الله أين مال الله الذى جعلته تحت أستك قال الحجاج كذبت ما هكذا قلت ارسلها فخلى سبيلها . أبو عوانة عن عاصم عن أبى وائل قال : أرسل الحجاج الىّ فقال لى ما اسمك قلت ما أرسل الامير الىّ حتى عرف اسمى . قال لى متى هبطت هذه الارض قلت حين ساكنت أهلها . قال كم تقرأ من القرآن قلت أقرأ منه ما ان اتبعته كفانى . قال انى أريد ان أستعين بك على بعض عملى . قلت ان تستعن بى تستعن بكبير اخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعنى فهو أحب الىّ وان تقحمنى أتقحم . قال ان لم أجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لم أقحمك . قلت وأخرى أكرم الله الامير انى ما علمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك والله انى لا تعار من الليل فاذكرك فما يأتينى النوم حتى أصبح هذا ولست لك على عمل فاعجبه ذلك . وقال هيه كيف قلت فأعدت عليه الحديث . فقال انى والله ما أعلم اليوم رجلا على وجه الارض هو أجرأ على ربه منى . قال فقمت فعدلت عن الطريق كأنى لا أبصر . فقال أهدوا الشيخ أرشدوا الشيخ . أبو بكر بن أبى شيبة قال : دخل عبد الرحمن بن أبى ليلى على الحجاج . فقال لجلسائه اذا أردتم ان تنظروا الى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان فانظروا الى هذا . فقال عبد الرحمن معاذ الله أيها الامير ان أكون أسب عثمان انه ليحجزنى عن ذلك آيات فى كتاب الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » فكان عثمان منهم . ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فكان أبى منهم ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فكنت أنا منهم قال صدقت . أبو بكر بن أبى شيبة : عن أبى

معاوية عن الاعمش قال رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد فجعلوا يقولون له العن الكاذبين على بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد. فقال لعن الله الكاذبين . ثم قال على بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد بالرفع فعرفت حين سكت . ثم ابتدأ فرفع انه ليس يريدهم . قال الشعبي : أتى بي الحجاج موثقا فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم كاتبه . فقال انا لله يا شعبي لما بين دفتيك من العلم وليس اليوم بيوم شفاعة قلت له فما المخرج . قال بؤ للامير بالشرك والنفاق على نفسك وبالحرى ان تنجو . ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد . فلما دخلت على الحجاج قال لي وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت أصلح الله الامير انبأبنا المنزل ، وأجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر وضاق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم تكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا اطلقوا عنه فاحتاج الى فى فريضة بعد ذلك فارسل الى فقال ما تقول فى أم وأخت وجد . فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وعلى وعثمان وزيد وابن عباس . قال فما قال فيها ابن عباس ان كان لمتقيا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الاخت شيأ وأعطى الام الثلث. قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فاعطى الجد ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطى الاخت سهما . قال فما قال زيد قلت جعلها من تسعة فاعطى الام ثلاثة وأعطى الجد أربعة وأعطى الاخت اثنين فجعل الجد معها أخا . قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها ثلاثا . قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطى الجد سهما قال مر القاضي فليمضها على ما أمضاها أمير المؤمنين فبينا أنا عنده اذ جاءه الحاجب . فقال له ان بالباب رسلا . فقال ائذن لهم : قال فدخلوا عمائمهم على أوساطهم وسيوفهم على عواتقهم وكتبهم بايمانهم اذ جاء رجل من بني سليم يقال له شبابة بن عاصم . فقال له من أين قال من الشام قال كيف تركت أمير المؤمنين وكيف تركت حشمه فاخبره قال هل وراءك من غيث قال نعم . قال فهل بيني وبين الامير من سحاب قال نعم . قال فانعت لى كيف وقع المطر وتباشيره قال أصابتني سحابة بحوارين فوقع قطر صغار وقطر كبار . فكانت الصغار لحمة الكبار ووقع بسيطا ومتداركا وهو السح الذى سمعت به فواد سائل وواد نازح وأرض مقبلة وأرض مدبرة .

وأصابتني سحابة بسرافأبدت الدماث وأسالت العرار وأدحضت التلاع وصدعت عن الكماة أماكنها . وأصابتني سحابة بالقريتين فقأت الارض بعد الري وامتلأت الاجاديد وأفعمت الاودية وجئتك في مثل وجار الضبع . قال ائذن فدخل رجل من بني أسد . فقال هل وراءك من غيث . قال لا كثر الله الاعصار واغبرت البلاد وأيقنا انه عام سنة . قال بئس المخبر أنت . قال أخبرتك الذي كان . قال ائذن فدخل رجل من أهل اليمامة . قال هل وراءك من غيث . قال نعم سمعت الروادي يدعون الى الماء وسمعت قائلا يقول هلم ظعنكم الى محلة تطفأ فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعزى . قال الشعبي : فلم يدر الحجاج ماقال . فقال له تبالك انما تحدث أهل الشام فأفهمهم قال نعم أصلح الله الاميرا خصب الناس فكثر التمر والسمن والزبد واللبن فلا توقد نار يختبز بها . وأما تشكى النساء فان المرأة تظل تربق بهمها وتمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضدها . وأما تنافس المعزى فانها ترى من أنواع التمر وأنواع الشجر ونور النبات مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها ولها من الكظة جرة فتبقى الجرة حتى تستنزل الدرة . قال ائذن فدخل رجل من الموالي كان من أشد الناس في ذلك الزمان : فقال له هل وراءك من غيث . قال نعم ولكني لا أحسن ان أقول مايقول هؤلاء قال فما تحسن . قال أصابتني سحابة بحلوان فلم أزل أطأ في آثارها حتى دخلت عليك . فقال لئن كنت اقصرهم في المطر خطبة انك لاطولهم بالسيف خطوة . ابراهيم بن مرزوق : عن سعيد بن جويرية قال لما كان عام الجماعة كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انظر ابن عمر فاقتد به وخذ عنه يعني في المناسك . قال فلما كان عشية عرفة سار الحجاج بين يدي عبد الله بن عمر وسالم ابنه . فقال له سالم ان أردت أن تصب السنة اليوم فأوجز الخطبة وعجل الصلاة . قال فخطب ونظر الى عبد الله بن عمر . فقال صدقت فلما كان عند الزوال مر عبد الله بن عمر بسرادقه . وقال الرواح فما لبث ان خرج ورأسه يقطر كأنه قد اغتسل . فلما أفاض الناس رأيت العرق يتحدر من النجيبة التي عليها ابن عمر . فقلت أبا عبد الله عقرت النجيبة قال أنا عقرت ليس النجيبة وكان أصابه زج رمح بين أصبعين من قدمه . فلما صرنا بمكة دخل عليه الحجاج عائدا . فقال ياأبا عبد الرحمن لو علمت من أصابك لفعلت وفعلت . قال له أنت أصبتني : قال غفر الله لك لم تقول هذا قال حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح وفي بلد لا يحمل فيه السلاح . أبو الحسن المدائني قال : أخبرني من دخل المسجد والحجاج على المنبر وقد ملأ صوته المسجد بأبيات

سويد بن أبى كاهل اليشكرى حيث يقول :

رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطع

ساء ما ظنوا وقد أبليتهم * عند غايات المدا كيف أقع

كيف يرجون سقوطى بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

كتب الوليد الى الحجاج ان صف لى سيرتك . فكتب اليه انى أيقظت رأيى ، وأنمت هواى ، فأدنيت السيد المطاع فى قومه ، و وليت الحرب الحازم فى أمره ، وقلدت الخراج الموفر لامانته وصرفت السيف الى النطق المسىء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب . قرأ الحجاج : فى سورة هود «قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح» فلم يدر كيف يقرأ أعمل بالضم والتنوين أو عمل بالفتح فبعث حرسيا . فقال ائتنى بقارئ فأتى به وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه فحبسه حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر . فلما انتهى اليه . قال له فيم حبست قال فى ابن نوح أصلح الله الامير وأمر باطلاقه . ابراهيم بن مرزوق قال : حدثنى سعيد بن جويرية قال خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف فأرسل الى أنس بن مالك ان يخرج معه فأبى . فكتب اليه يشتمه فكتب أنس بن مالك الى عبد الملك ابن مروان يشكوه وأدرج كتاب الحجاج فى جوف كتابه قال اسمعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر بعث الى عبد الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعث الى فى مثلها فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقا وغيظا . فقال يا اسمعيل ما أشد على ان تقول الرعية ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه فى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة فقلت وماذاك ياأمير المؤمنين . قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى يذكر ان الحجاج قد أضر به وأساء جواره . وقد كتبت فى ذلك كتابين كتابا الى أنس بن مالك والآخر الى الحجاج فاقبضهما . ثم اخرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بأنس بن مالك فادفع له كتابى وقل له اشتد على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج اليك ولن يأتى اليك أمر تكرهه ان شاء الله . ثم ائت الحجاج فادفع اليه كتابه وقل له قد اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمنى اياه اذا قدمت على ان شاء الله . قال اسمعيل فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتى قدمت العراق . فبدأت بأنس بن مالك فى منزله فدفعت اليه كتاب أمير المؤمنين وأبلغته رسالته فدعا له وجزاه خيرا . فلما فرغ من قراءة

الكتاب قلت له أبا حمزة ان الحجاج عامل ولو وضع لك فى جامعة لقدر ان يضرك وينفعك فأنا أريد ان تصالحه . قال ذلك اليك لا أخرج عن رأيك . ثم أتيت الحجاج فلما رآنى رحب وقال والله لقد كنت أحب ان أراك فى بلدى هذا . قلت وأنا والله قد كنت احب ان أراك وأقدم عليك بغير الذى أرسلت به اليك . قال وماذاك قلت فارقت الخليفة وهو أغضب الناس عليك . قال ولم قال فدفعت اليه الكتاب فجعل يقرؤه وجبينه يعرق فمسحه بيمينه . ثم قال اركب بنا الى أنس بن مالك قلت له لا تفعل فانى سأتلطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى أشرت عليه من مصالحته . قال فالقى كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف . أما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاركضنك ركضة تدخل منها فى وجارك اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ويحفرون الآبار فى المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منك على امير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد على غير محبته ونزل عند سخطته . وأظنك أردت ان ترزأه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان بغضتها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وأيم الله لوأن أمير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرما وانتهكت له عرضا عليك فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهر البطن حتى ينتهى بك الى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ولم يخف على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال اسمعيل فانطلقت الى أنس فلم أزل به حتى انطلق معى الى الحجاج فلما دخلنا عليه قال يغفر الله لك أبا حمزة عجلت باللائمة وأغضبت علينا أمير المؤمنين . ثم أخذ بيده فاجلسه معه على السرير . فقال أنس انك كنت تزعم انا الاشرار والله سمانا الانصار . وقلت انا من أبخل الناس والله يقول فينا « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وزعمت انا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا « والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » فكان

الخروج والمشتكى فى ذلك الى الله والى أمير المؤمنين . فتولى من ذلك ماولاه الله وعرف من حقنا ماجهلت وحفظ منا ماضيعت وسيحكم فى ذلك رب هو أرضى للمرضى وأسخط للمسخط وأقدر على الغير فى يوم لا يشوب الحق عنده الباطل ولا النور الظلمة ولا الهدى الضلالة . والله لولا أن اليهود أو النصارى رأت من خدم موسى بن عمران أو عيسى بن مريم يوما واحدا لرأت له مالم تروا لى فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين . قال فاعتذر اليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره وترضى عنه . وكتب برضاه وقبوله عذره ولم يزل الحجاج له معظما هائبا له حتى هلك رضى الله عنه . وكتب الحجاج : الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه وسهل حظه وأحاطه ولا أعدمناه فان اسمعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين أعز الله نصره قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وجعلنى من كل مكروه فداءه يذكر شتمى وتوبيخى بآبائى وتعبيرى بما كان قبل نزول النعمة بى من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه واحسانه اليه ويذكرنى أمير المؤمنين جعلنى الله فداه استطالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراءة على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطته وأمير المؤمنين أصلحه الله فى قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم الانبياء أحق من أقال عثرتى وعفا عن ذنبى فأمهلنى ولم يعجلنى عند هفوتى للذى جبل عليه من كريم طبائعه وماقلده الله من أمور عباده فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله فى تسكين روعتى وافراج كربتى فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وفجاءة نقمته وأمير المؤمنين أقاله الله العثرات وتجاوز له السيآت وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات أحق من صفح وعفا وتعمل وأبقى ولم يشمت فى عدوا مكبا ولا حسودا مصبا ولم يجرعنى غصصا والذى وصف أمير المؤمنين من صنيعته الى وتنويهه لى بما أسند الى من عمله وأوطأنى من رقاب رعيته فصادق فيه مجزى بالشكر عليه والتوسل منى اليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد عاين اسمعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولى عند مسرة أنس بن مالك وخضوعى عند كتاب أمير المؤمنين واقلاقه اياى ودخوله بالمصيبة على ماسيعلمه أمير المؤمنين ويشهد اليه فان رأى أمير المؤمنين طوقنى الله بشكره وأعانى على تأدية حقه وبلغنى الى مافيه موافقة مرضاته ومد لى فى أجله ان يأمر لى بكتاب من رضاه وسلامة صدره مايؤمننى به من سفك دمى ويرد ماشرد من نومى

و يطمئن به قلبي فقد ورد على أمر جليل خطبه عظيم أمره شديد على كربه أسال الله أن لا يسخط امير المؤمنين وان يثبته فى حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه مايحمد به حسن رأيه و بعد همته انه ولى أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له فى أمره والسلام فحدث اسمعيل انه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال يا كاتب افرخ روع أبى محمد . فكتب اليه بالرضا عنه . كان سليمان بن عبد الملك : يكتب الى الحجاج فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتبا فلا ينظر له فيها . فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله . أما بعد فانك امرؤ مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق أوليائه لا ماسلف اليك من خير يعطفك ولا ما عليك لا لك تصرفه فى مهمة من أمرك معموه معصوصر عن الحق اعصيصار الا تسكت عن قبيح ولا ترعوى عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فقس شبرك بفترك واخرز زمام نعل بحذو مثله قائم وايم الله لئن أمكننى الله منك لادوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولاجعلنك شريدا فى الجبال تلوذ باطراف الشمال ولا علقن الرومية الحمراء بثدييها علم الله ذلك منى وقضى لى به على فقدما غرتك العافية وانتحيت أعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بى و بك مدة تعلق بها وان تكن الاخرى فارجو ان تؤل الى مذلة ذليلة وخزية طويلة و يجعل مصيرك فى الآخرة شر مصير والسلام . فكتب اليه الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانك كتبت الى تذكر انى امرؤ مهتوك عنى حجاب الحق مولع بما على لا لى منصرف عن منافعى تارك لحظى مستخف بحق الله وحق ولى الحق وتذكر انك ذو مصاولة ولعمرى انك لصبى حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك و يرقب فيك غيرك فأما كتابك الى فلعمرى لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك فلله أبوك أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك و رجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأمنت عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبهه فيلتمس من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته ولكنك لم تشف بالامور علما ولم ترزق من أمرك حزما جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوأ أمرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من

طبيعتك وأقبل الشيطان بك وأدبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطى مايعيبك فتحذلقت حنجرتك لقوله واتسع جوانبها الكذبه . وأما قولك لوملكك الله لعلقت زينب ابنة يوسف بثديها فارجوان يكرمها الله بهوانك وان لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع انى أعرف انك كتبت الى والشيطان بين كتفيك فشر مملي عليك على شر كاتب راض بالخسف فاحرى بالحمق ان لا يدلك على هدى ولا يردك الا الى ردى وتحلب فوك للخلافة فأنت شامخ البصر طامح النظر تظن انك حين تملكها لا تنقطع عنك مدتها انها للقطة الله أسأل الله ان يلهمك فيها الشكر مع انى أرجوان ترغب فيما رغب فيك أبوك وأخوك فاكون لك مثلى لهما وان نفخ الشيطان فى منخريك فهو أمر أراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو أكمل به منك ولعمرى انها النصيحة فان تقبلها فثلها قبل وان تردها على اقتطعتها دونك وأنا الحجاج . قدم الحجاج : على الوليد بن عبد الملك فدخل عليه وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت اليه أم البنين بنت عبد الملك بن مروان من هذا الاعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غلالة . فبعث اليها هذا الحجاج بن يوسف فاعادت الرسول اليه تقول والله لان يخلو بك ملك الموت أحب الى ان يخلو بك الحجاج فاخبره الوليد بذلك وهو يمازحه . فقال يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج . فقالت ياأمير المؤمنين حاجتى ان تأمره غدا يأتينى مسلما ففعل ذلك فاتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما . ثم قالت له ايه ياحجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا ان الله علم انك من شرار خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد فى الاسلام . واما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره منهن فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه بالاخذ عنك وان كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك اما والله لقد نفض كساء امير المؤمنين الطيب عن غدائر هن بعثك فى اعطية اهل الشام حتى كنت فى اضيق من القرق قد أظلتك رماحهم وأثخنتك كفاحهم وحتى كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وابنائهم . فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين الا بحبهم اياه ولله در القائل اذ نظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك :

أسد على وفى الحروب نعامة * ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى مخالب طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر * تركت كتائبه كامس الدابر

ثم قالت : اخرج فخرج مذموما مدحورا . كان عروة بن الزبير عاملا على اليمن لعبد الملك ابن مروان، فاتصل به ان الحجاج مجمع على مطالبته بالاموال التى بيده وعزله عن عمله . ففر الى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج واستدفاعا لضرره وشره . فلما بلغ ذلك الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان : أما بعد فان لوذان المعترضين بك، وحلول الجانحين الى المكث بساحتك واستلانتهم دمث أخلاقك، وسعة عفوك . كالعارض المبرق لاعدائه، لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك واذا الاذ أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق، مع كل ضال . والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين ان رأى ذلك والسلام . فلما قرأ الكتاب . بعث الى عروة ثم قال له ان كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى الا أشخاصك اليه . ثم قال لرسول الحجاج شأنك به . فالتفت اليه عروة مقبلا عليه وقال : أما والله ماذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتموه والله لئن كان الملك بجواز الامر، ونفاذ النهى ان الحجاج لسلطان عليك ينفذ أموره دون أمورك انك لتريد الامر يزينك عاجله، ويبقى لك أكرومة آجله، فيجذبك عنه، ويلقاه دونك . ليتولى من ذلك الحكم فيه فيحظى بشرف عفو ان كان أو بجرم عقوبة ان كانت وما حاربك من حاربك الا على أمر هذا بعضه . قال فنظر فى كتاب الحجاج مرة ورفع بصره الى عروة تارة . ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب اليه : أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا فى السياسة خبط عشواء الليل . فان رأيك الذى يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذى أخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك ، واذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان اوشك وثوبا عليك عند الفرصة . ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعى ، ولا هداه . اذا رجوا بذلك ادراك الثأر منك . وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ احمى أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية . وكانوا عليهم أصلح منهم عليك . وللشدة واللين أهلون والافراط فى العفو أفضل من الافراط فى العقوبة والسلام . زكريا بن عيسى عن ابن شهاب . قال : خرجنا مع الحجاج حجاجا . فلما انتهينا الى البيداء وافينا ليلة

الهلال هلال ذى الحجة . فقال لنا الحجاج: تبصرون الهلال فاما أنا فنى بصرى غبرة . فقال له نوفل بن مساحق: أوتدرى لم ذلك اصلح الله الامير. قال :لا أدرى . قال لكثرة نظرك فى الدفاتر . الاصمعى قال :عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . و وجد فيهم اعرابى أخذ يبول فى أصل مدينة واسط فكان فيمن اطلق فانشأ الاعرابى يقول :

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا و بلنا لا نخاف عقابا

أبو داود المصحفى عن النضر بن شميل قال : سمعت هشاما يقول : احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة ألف وعشرين ألفا . وخطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق بلغنى انكم تروون عن نبيكم انه قال: من ملك على عشرة رقاب من المسلمين جئ به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور. وأيم الله انى لأحب الى ان احشر مع أبى بكر وعمر مغلولا من ان أحشر معكم مطلقا . ومرض الحجاج ففرح أهل العراق . وقالوا : مات الحجاج مات الحجاج . فلما أفاق صعد المنبر وخطب الناس . فقال: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، مرضت فقلتم مات الحجاج . أما والله لاحب الى أن أموت من أن لا أموت وهل أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رأيت الله رضى بالخلود فى الدنيا لاحد من خلقه الا لابغض خلقه اليه وأهونهم عليه ابليس . ولقد رأيت العبد الصالح يسأل ربه . فقال: «رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى» . ففعل ثم اضمحل ذلك فكانه لم يكن . وأراد الحجاج أن يحج فاستخلف محمدا ولده على أهل العراق . ثم خطب فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق انى أردت الحج وقد استخلفت عليكم محمدا ولدى . وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم . وانى أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ، وأن لا يتجاوز عن مسيئكم . الا وانكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا خوفى . لا أحسن الله له الصحابة ، وأنا أعجل لكم الجواب: فلا احسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج . فلما كان بالعشى أتاه بريد من اليمن بوفاة محمد أخيه ففرح أهل العراق . وقالوا : انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحه . فخرج فصعد المنبر ثم خطب الناس فقال: أيها الناس محمدان فى يوم واحد أما والله ما كنت أحب انهما معى فى الحياة الدنيا لما أرجو من ثواب الله لهما فى الآخرة . وأيم الله ليوشكن الباقى منى

ومنكم أن يفنى، والجديد ان يبلى، والحى منى ومنكم ان يموت، وان تدال الارض منا كما أدلنا منها فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا . كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها . ثم نكون كما قال الله تعالى : «ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون» ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائى نبى الله من كل ميّت * وحسبى ثواب الله من كل هالك
اذا مالقيت الله عنى راضيا * فان سرور النفس فيما هنالك

ثم نزل واذن للناس فدخلوا عليه يعزونه . ودخل فيهم الفرزدق . فلما نظر اليه قال يا فرزدق أما رثيت محمدا ومحمدا . قال: نعم أيها الامير وأنشد:

لئن جزع الحجاج مامن مصيبة * تكون لمحزون امض وأوجعا
من المصطفى والمنتقى من نقاية * جناحاه لما فارقاه وودعا
جناحا عتيق فارقاه كلاهما * ولو نزعا من غيره لتضعضعا
ولوان يومى جمعتيه تتابعا * على شامخ صعب الذرى لتصدعا
سميا رسول الله سماهما به * اذا لم يكن عند الحوادث اخضعا

قال أحسنت وأمر له بصلة . فخرج وهو يقول : لو كلفنى الحجاج بيتا سادسا لضرب عنقى قبل أن آتيه به وذلك انه دخل ولم يهيئ شيأ .

٣ — قولهم فى الحجاج — الرياشى عن العتبى عن ابيه . قال: مارأيت مثل الحجاج كان زيه زى شاطر، وكلامه كلام خارجى ، وصولته صولة جبار . فسألته عن زيه قال: كان يرجل شعره ويخضب اطرافه . كثير بن هشام عن جعفر بن برقان . قال : سألت ميمون ابن مهران فقلت كيف ترى فى الصلاة خلف رجل يذكر انه خارجى فقال انك لا تصلى له انما تصلى لله . قد كنا نصلى خلف الحجاج وهو حرورى ازرقى . قال فنظرت اليه فقال: أتدرى ما الحرورى الازرقى هو الذى ان خالفت رأيه سماك كافرا واستحل دمك وكان الحجاج كذلك . ابو أمية عن أبى مسهر قال : حدثنا هشام بن يحيى عن أبيه قال حدثنا عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم . وحلف رجل بطلاق امرأته: ان الحجاج فى النار فاتى امرأته فمنعته نفسها . فسأل الحسن بن ابى الحسن

البصري . فقال: لاعليك ياابن أخي فانه ان لم يكن الحجاج في النار، فما يضرك ان تكون مع مع امرأتك على زنا . أبوأمية عن اسحق بن هشام عن عثمان بن عبدالرحمن الجمحي عن علي بن زيد . قال: لما مات الحجاج أتيت الحسن فاخبرته فخر ساجدا . علي بن عبدالعزيز عن اسحق عن جرير بن منصور . قال: قلت لابراهيم ماترى في لعن الحجاج . قال: ألم تسمع لقول الله تعالى «ألا لعنة الله على الظالمين» فاشهد ان الحجاج كان منهم . وكيع عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله . قال: دخلت على الحجاج فما سلمت عليه . وكيع عن سفيان قال قال يزيد الرقاشي عن الحسن: اني لارجو للحجاج . قال الحسن: اني لارجو ان يخالف الله رجاءك . ميمون بن مهران قال: كان أنس وابن سيرين لا يبيعان ولا يشتريان بهذه الدراهم الحجاجية . قال عبدالملك بن مروان للحجاج: ليس من احد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لي عيوبك . قال: اعفني ياأمير المؤمنين . قال لابد ان تقول . قال: انا لجوج حسود حقود . قال: ما في ابليس شر من هذا . أبو بكر بن أبي شيبة قال قيل لعبدالله بن عمر: هذا الحجاج قد ولي الحرمين . قال ان كان خيرا شكرنا، وان كان شرا صبرنا . ابن أبي شيبة قال: قيل للحسن . ماتقول في قتال الحجاج . قال: ان الحجاج عقوبة من الله فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف . ابن أبي فضيل قال: حدثنا أبو نعيم قال أمر الحجاج بماهان ان يصلب على بابه فرأيته حين رفعت خشبته يسبح ويهلل ويكبر ويعقد بيده حتى بلغ تسعة وتسعين وطعنه رجل على تلك الحال فلقد رأيتها بعد شهر في يده . قال: وكنا نرى عند خشبته بالليل شبيها بالسراج . أبوداود المصحفي عن النضر بن شميل . قال: سمعت هشاما يقول احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة وعشرين ألفا

٤ — من زعم ان الحجاج كان كافرا — ميمون بن مهران عن الاجلح . قال قلت للشعبي: يزعم الناس ان الحجاج مؤمن . قال مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله . علي بن عبدالعزيز عن اسحق بن يحيي عن الاعمش . قال: اختلفوا في الحجاج فقالوا بمن ترضون . قالوا بمجاهد فاتوه فقالوا انا قد اختلفنا في الحجاج فقال اجئتم تسألوني عن الشيخ الكافر . محمد بن كثير عن الاوزاعي . قال سمعت القاسم بن محمد يقول: كان الحجاج ابن يوسف ينقض عرى الاسلام عروة عروة . عطاء بن السائب . قال: كنت جالسا مع أبي البختري والحجاج يخطب . فقال في خطبته . «ان مثل عثمان عند الله كمثل عيسى بن مريم قال الله فيه

انى متوفيك و رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » . فقال أبوالبخترى : كفر ورب الكعبة . ومما كفرت به العلماء الحجاج . قوله : و رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره انما يطوفون باعواد و رمة . الشيبانى عن الهيثم عن ابن عباس . قال كنا عند عبد الملك بن مروان : اذ اتاه كتاب الحجاج يعظم فيه أمر الخلافة و يزعم ان ما قامت السموات والارض الا بها وان الخليفة عند الله افضل من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين . وذلك ان الله خلق آدم بيده واسجد له الملائكة واسكنه جنته ثم اهبطه الى الارض وجعله خليفته وجعل الملائكة رسلا اليه . فاعجب عبد الملك بذلك . وقال : لوددت ان عندى بعض الخوارج فاخاصمه بهذا الكتاب . فانصرف عبد الله بن يزيد الى منزله . فجلس مع ضيفانه وحدثهم الحديث . فقال له حوار بن زيد الضبى وكان هاربا من الحجاج توثق لى منه . ثم اعلمنى به فذكر ذلك لعبد الملك ابن مروان . فقال : هو آمن على كل ما يخاف فانصرف عبد الله الى حوار فاخبره بذلك . فقال بالغداة ان شاء الله . فلما أصبح اغتسل ولبس ثوبين ثم تحنط وحضر باب عبد الملك . فقال هذا الرجل بالباب فقال ادخله يا غلام فدخل رجل عليه ثياب بيض يوجد عليه ريح الحنوط . ثم قال : السلام عليكم ثم جلس فقال عبد الملك ائت بكتاب أبى محمد يا غلام فاتاه به فقال : اقرأ فقرأ حتى اتى على آخره . فقال حوار اراه قد جعلك فى موضع ملكا وفى موضع نبيا وفى موضع خليفة . فان كنت ملكا فمن أنزلك . وان كنت نبيا فمن أرسلك . وان كنت خليفة فمن استخلفك عن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس امورهم بالسيف . فقال عبد الملك قد أمناك ولا سبيل اليك والله لا تجاورنى فى بلد أبدا فارحل حيث شئت . قال فانى قد اخترت مصر فلم يزل بها حتى مات عبد الملك . على بن عبد العزيز عن اسحق بن اسمعيل الطائى . قال حدثنا جرير عن مغيرة عن الربيع قال . قال الحجاج فى كلام له : ويحكم اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله اليهم . قال ففهمت ما أراد . فقلت : لله على ان لا أصلى خلفك صلاة أبدا ولئن وجدت قوما يقاتلونك لقاتلتك معهم فقاتل فى الجماجم حتى قتل . قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق . قال : خير منزل لو أدركت بها أربعا لتقربت الى الله بدمائهم . قيل : ومن هم . قال مقاتل بن مسلم ولى سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط الناس له أرديتهم فقال « لمثل هذا فليعمل العاملون » . وعبيد الله بن ظبيان قام فخطب خطبة أوجز فيها

فنادى الناس من أعراض المسجد: أكثر الله فينا أمثالك قال: لقد سألتم الله شططا. وسعيد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على الطريق فمرت به امرأة فقالت ياعبد الله اين الطريق الى مكان كذا فغضب وقال المثلي يقال له ياعبد الله. وأبو سماك الحنفي اضل ناقته. فقال لئن لم يردها على لاصليت أبدا. فلما وجدها قال علم ان يميني كانت برا قال ناقل الحديث: ونسي الحجاج نفسه وهو خامس الاربعة. بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم الحادا وا كفرهم في كتابه الى عبد الملك بن مروان ان خليفة الله في أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم. وكتابه اليه وبلغه انه عطس يوما فحمد الله وشمته أصحابه فرد عليهم ودعالهم. فكتب اليه: بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين ومن تشميت أصحابه له ورده عليهم فياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما. وكان عبد الملك كتب الى الحجاج في اسرى الجماجم: ان يعرضهم على السيف. فمن اقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخل سبيله، ومن زعم انه مؤمن فاضرب عنقه ففعل. فلما عرضهم أتى بشيخ وشاب فقال للشاب: امؤمن أنت ام كافر. قال بل كافر فقال الحجاج لكن الشيخ لا يرضى بالكفر. فقال له الشيخ أعن نفسي تخادعني ياحجاج والله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيت به. فضحك الحجاج وخلى سبيلهما. ثم قدم اليه رجل فقال له على دين من أنت قال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. فقال اضربوا عنقه. ثم قدم آخر فقال له على دين من أنت قال على دين ابيك الشيخ يوسف. فقال: أما والله لقد كان صواما قواما خل عنه ياغلام. فلما خلى عنه انصرف اليه. فقال له ياحجاج سألت صاحبي على دين من أنت فقال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فامرت به فقتل وسالتني على دين من أنت فقلت على دين أبيك الشيخ يوسف فقلت أما والله لقد كان صواما قواما فامرت بتخلية سبيلي. والله لو لم يكن لابيك من السيآت الا أنه ولد مثلك لكفاه فامر به فقتل. ثم أتى بعمران بن عصام العنوى. فقال: عمران قال نعم. قال ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك قال بلى. قال الم أزوجك مارية بنت مسمع سيدة قومها ولم تكن لها أهلا قال بلى. قال فما حملك على الخروج علينا قال اخرجني باذان. قال فاين كنت من حجه أهلك قال اخرجني باذان. فامر رجلا فكشف العمامة عن رأسه فاذا هو محلوق قال ومحلوق أيضا لا اقالني الله ان لم أقتلك فامر به فضرب عنقه. فسأل عبد الملك بعد ذلك عن عمران بن عصام فقيل له قتله الحجاج. فقال ولم قال بخروجه مع ابن الاشعث. قال ما كان ينبغي له أن يقتله بعد قوله:

وبعثت من ولد الابرمعتب * صقرا يلوذ حمامـه بالعوسج

فاذا طبخت بناره انضجتها * واذا طبخت بغيرها لم تنضج

وهو الهزبر اذا ارادفريسة * لم ينجها منه صريخ الهجهج

ثم أتى بعامر الشعبي ومطرف بن عبـد الله بن الشخير وسعيد بن جبـير . وكان الشعبي ومطرف يريان التورية . وكان سعيد بن جبير لا يرى ذلك . فلما قدم له الشعبي قال أكافر أنت ام مؤمن . قال: اصلح الله الامير نبا بنا المنزل ، واجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال الحجاج: صدق والله ما بروا ولا فجروا ولقد تجهموا علينا، ولا فوا خليا عنه . ثم قدم اليه مطرف بن عبـد الله فقال له اكافر انت أم مؤمن . قال : اصلح الله الامير ان من شق العصا ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة، واخاف المسلمين . لجدير بالكفر . فقال: صدق خليا عنه . ثم أتى بسعيد بن جبير . فقال له انت سعيد بن جبير . قال: نعم قال لا بل شقي ابن كسير قال أمي اعلم باسمي منك . قال: شقيت وشقيت أمك . قال الشقاء لاهـل النار قال أ كافر أنت أم مؤمن قال ما كفرت بالله منذ آمنت به قال اضربوا عنقه

٥ — موت الحجاج — مات الحجاج فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك . فتفجع عليه وولى مكانه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فاكتفى وجاوز . فقال الوليد: مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبى مسلم فكنت كمن سقط منه درهم وأصاب ديناراً . وكان الوليد بن عبد الملك يقول ان عبـد الملك كان يقول الحجاج جلدة ما بين عيني . وأنفي وأنا اقول: انه جلدة وجـهي كله . لما بلغ عمر بن عبـد العزيز موت الحجاج خر ساجـدا . وكان يدعـو الله ان يكون موته على فراشـه ليكون أشـد لعذابه فى الآخرة . أبو بكر بن عيـاش قال : سمع صـياح الحجاج فى قبره فأتوا الى يزيد بن أبى مسـلم فاخبروه . فركب فى اهـل الشام فوقف على قـبره فسمع فقـال يرحمك الله يا أبا محمد فما تدع القراءة حتى ميتا . الرياشي عن الاصـمعي قال : اقبل رجـل الى يزيد بن ابى مسـلم . فقال له : انى كنت أرى الحجاج فى المنـام فـكنت اقول له مافعـل الله بك . قال قتلني بكل قتيـل قتلتـه قتلة وأنا منتظر ما ينتظره الموحـدون . ثم قال رأيتـه بعـد الحول فقلت ماصنع الله بك . فقال: ياعاض بظر امـه أما سـألتني عن هذا عام أول

فاخبرتك . فقال يزيد بن أبي مسلم أشهد انك رأيت أبا محمد حقا . وقال الفرزدق يرثي الحجاج ليرضي بذلك الوليد بن عبد الملك :

ليبك على الاسلام من كان باكيا * على الدين من متوحش الليل خائف
وأرملة لما أتاها نعيه * فجادت له بالوا كفات الذوارف
وقالت لعبديها انيخا فعجلا * فقد مات راعي ذودنا بالتنائف
فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن أو يجتثن فوق السقائف
فما ذرفت عيناي بعد محمد * على مثله الا نفوس الخلائف

قال ابن عباس فلقيت الفرزدق في الكوفة . فقلت له اخبرني عن قولك :

* فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن ما معناك في ذلك . فقال وددت والله ان أرجلهم تقطع مع أيديهم . قال ابن عباس فلما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وأمره بقتل آل ابي عقيل فقتلهم . فانشأ الفرزدق يقول :

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يرى لها
لقد أصبح الاحياء منهم اذلة * وموتاهم في النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتق الله شمرت * به عزة لا يستطاع جدالها
ألكني الى من كان بالصين اذرمت * به الهند الواحا عليها جلالها
هلم الى الاسلام والعدل عندنا * فقد مات من أرض العراق جبالها
ألا تشكرون الله اذفك عنكم * اذاهم بالمهدي صما قفالها
وشيمت به عنكم سيوف عليكم * صباح مساء بالعذاب استلالها
واذ أنتم من لم يقل هو كافر * تردى نهارا عثرة لا يقالها

قال ابن عباس . فقلت للفرزدق: ما أدري بأي قوليك نأخذ، ابمدحك في الحجاج حياته، أم هجوك له بعد موته . قال : انما نكون مع احدهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه تخلينا عنه .
ولما مات الحجاج دخل الناس على الوليد يعزونه ويثنون على الحجاج خيرا وعنده عمر بن عبد العزيز فالتفت اليه ليقول فيه ما يقول الناس . فقال: يا أمير المؤمنين فهل كان الحجاج الا رجلا منا فرضينا منه

٦ — أخبار البرامكة — قال أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ حدثنى سهل بن هرون قال : والله ان كانوا سجعوا الخطب، ومزجوا القريض لعيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى . ولو كان كلام يتصور درا ، أو يحيله المنطق السرى جوهرا ، لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد و بديهته وتوقيعاته فى كتبه فدمين عيين ، وجاهلين أميين . ولقد عمرت معهم وأدركت طبقة المتكلمين فى ايامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم، ولم تكن مقصورة الا عليهم، ولا انقادت الا لهم، وانهم محض الايام ، ولباب الكرام، وملح الانام، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق: وسهولة لفظ، ونزاهة أنفس ، واكمال خصال، حتى لوفاخرت الدنيا بقليل أيامهم، والمأثور من خصالهم، كثير أيام سواهم من لدن آدم أبيهم الى النفخ فى الصور ، وانبعاث اهل القبور ، حاشى أنبياء الله المكرمين ، واهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم، ولا عولت الا عليهم، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم اعراقهم : وسعة آفاقهم ، ورونق سياقهم ، ومعسول مذاقهم: وبهاء اشراقهم ، ونقاوة أعراضهم ، وتهذيب أغراضهم ، واكمال الخير فيهم، فى جنب محاسن المأمون كالنقطة فى البحر ، والخردلة فى المهمه القفر . قال سهل بن هرون : انى لاحصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد فى بناء خلا به داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقد بها جملا بكفه اذ غشيته سآمة فأخذته سنة فغلبته عيناه . فقال : ويحك ياسهل طرق النوم شفرى وأكلت السنة خواطرى . فماذلك قلت ضيف كريم، ان قريته روحك، وان منعته عنتك، وان طردته طلبك ، وان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك . قال: فنام أقل من فواق بكية أونزع ركية . ثم انتبه مذعورا . فقال ياسهل لامر ما كان والله لقد ذهب ملكنا وولى عزنا وانقضت أيام دولتنا . قلت وماذاك أصلح الله الوزير قال كأن منشداً أنشدنى :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته من غير روية ولا اجالة فكرة :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

قال فوالله مازلت أعرفها منه وأراها ظاهرة فيه الى الثالث من يومه ذلك فانى لفى مقعدى بين يديه أكتب توقيعات فى أسافل كتبه لطلاب الحاجات اليه . قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن

فيها اذوجدت رجلا سعى اليه حتى ارتمى مكبا عليه . فرفع رأسه . فقال مهلا ويحك ما أكتتم خير ولا استترشر . قال قتل امير المؤمنين جعفر الساعة قال أوقد فعل . قال نعم قال فما زاد على ان رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل بن هرون : فلوا نكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم وضم يحيى بن خالد و بقية ولده الفضل ومحمد وخالد بنيه . وعبد الملك . و يحيى وخالدا ابنى جعفر بن يحيى . والعاصى ومزيدا وخالدا ومعمرا ابنى الفضل بن يحيى . ويحيى وجعفرا وزيدا ابنى محمد بن يحيى . وابراهيم ومالكا وجعفرا وعمر ومعمرا ابنى خالد بن يحيى . ومن لف لفهم أو هكس بصدره أمل فيهم و بعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فلبست ثياب أحزانى واعظم رغبتى الى الله الا راحة بالسيف والا نعيت فى نعى جعفر . فلما دخلت عليه عرف الذعر فى تحريض ربتى وشخوصى الى السيف المشهور ببصرى . فقال : أيها يا سهل من غمط نعمتى واعتدى وصيتى وجانب موافقتى أعجلته عقوبتى . قال : فوالله ما وجدت جوابها حتى . قال يفرخ روعك و يسكن جاشك وتطيب نفسك وتطمئن حواسك فان الحاجة اليك قربت منك وأبقت عليك بما يبسط منقبضك و يطلق معقولك فاقتصر على الاشارة دون اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر . فقال :

مـــن لم يؤدبه الجميـ * ـل ففى عقوبته صلاحه

قال سهل والله ما أعلم انى عييت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت فى الشكر الا على تقبيل باطن رجليه . ثم قال اذهب فقد احللتك محل يحيى ووهبتك ما ضمته ابنيته وماحواه سرادقه فاقبض الدواوين واحص حباءه وحباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس وأحصيت حباءهما فوجدته عشرين ألف ألف دينار . ثم قفلت راجعا الى بغداد وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر وجثته ففصلت على ثلاثة جذوع رأسه فى جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده على جذع بالجزيرة وسائره فى جذع على آخر الجسر الثانى مما يلى باب بغداد فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه فأنا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل الحاجب عن يساره . فلما نظر اليه

الرشيد وكانما قنى شعره وطلى بنور بشره اربد وجهه واغضى بصره . فقال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين . وقال الرشيد من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ومن أراد فهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته على بالنضاحات فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو يقول لئن ذهب أثرك لقد بقى خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل بن هرون : وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين الف الف التي كانت مبلغ جبايتهم اثنى عشر الف الف مكتوب على بدرها صكوك مختومة تفسيرها رقبا حبوابها . فما كان منها حباء على غريبة أو استطراف ملحة تصدق به يحيي وأثبت ذلك فى دواتها على تواريخ أيامها . فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف الف وستمائة الف وستة وسبعين ألفا الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يوصف أقله ولا يعرف أيسره الا من أحصى الاعمال وعرف منتهى الآجال وابرزت حرمه الى دار الياقونة ابنة المهدى . فوالله ما علمته عاش ولا عيش الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لا يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيي وهى فاطمة ابنة محمد بن الحسين بن قحطبة أرضعت الرشيد مع جعفر لانه كان ربى فى حجرها وغذى برسلها لان أمه ماتت عن مهده . فكان الرشيد يشاورها مظهر الاكرامها والتبرك برأيها وكان آلى وهو فى كفالتها ان لا يحجبها ولا استشفعته لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذونا لها ولا شفعت لاحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكت ومبهم عنده فتحت ومستغلق منه فرجت . واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار الياقونة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا أمر بشىء فيها . فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد ويحك يا عبد الملك أوساعية . قال نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال ادخلها يا عبد الملك فرب كبد غذتها وكربة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فما شككت يومئذ فى النجاة بطلابها واسعافها بحاجتها فدخلت . فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس واكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها . ثم اجلسها معه . فقالت يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفا لك الاعوان ويحردك بنا البهتان وقد ربيتك فى حجرى وأخذت رضاعك

الامان من عـدوى ودهرى . فقال لها وماذلك يا أم الرشيد قال سهل فآيسنى من رأفته بتركه كنيتها آخراما كان اطمعنى من بره بها أولا قالت ظئرك يحيي وابوك بعدابيك ولا اصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته واشفاقه عليه وتعرضه للحتف فى شأن موسى اخيه . قال لها يا أم الرشـيد أمر سبق وقضاء حم وغضب من الله نفذ . قالت يا أمير المؤمنـين يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الـكتاب . قال صدقت فهذا مما لم يمحه الله . فقالت الغيب محجوب عن النبيين فـكيف عنك يا أمير المومنين . قال سهل بن هرون فاطرق الرشيد مليا ثم قال :

واذا المنية أنشبت اظفارها * الفيت كل تميـمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما أنا ليحيي بتميمة ياامير المؤمنين . وقد قال الاول:

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمـال

هذا بعـد قول الله عز وجل والـكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فأطرق هرون مليا . ثم قال ياأم الرشيد اقول:

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تـكد * اليـه بوجـه آخر الدهر تقبـل

فقالت ياامير المؤمنين وأقول :

ستقطع فى الدنيـا اذا ما قطعتنى * يمينـك فانظر اى كف تبـدل

قال هرون رضيت قالت فهبه لى يا امير المؤمنين . فقد قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيأ لله لم يوجده الله فقده فأكب هرون مليا . ثم رفع رأسه يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنـين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . واذكر يا أمير المؤمنين أليتك مااستشفعت الا شفعتنى . قال واذكرى يا أم الرشـيد اليتك ان لا شفعت لمقترف ذنبا . قال سهل بن هرون . فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها أخرجت حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه . فقال الرشـيد ماهذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فأخرجت منـه خفضه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك فى المسك . فقالت ياأمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله عليك وبما صار معى من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك فأخذ هرون ذلك فلثمه . ثم استـعبر وبكى بكاء شديدا وبكى أهل المجلس ومر البشـير الى يحيي وهو لا يظن الا ان البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رمى جميع ذلك فى الحق وقال لها لحسن ماحفظت الوديعة . قالت وأهل للمكافأة أنت ياأمير المؤمنين فسكت وقفل الحق ودفعه اليها . وقال ان الله

يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . قالت والله يقول واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل و يقول وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . ثم قال وماذلك يا أم الرشيد قالت وما أقسمت لى به أن لا تحجبنى ولا تهننى . قال أحب يا أم الرشيد ان تشتريه محكمة فيه . قالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال بكم قالت برضاك عمن لم يسخطك . قال يا أم الرشيد امالى عليك من الحق مثل الذى لهم . قالت بلى يا أمير المؤمنين أنت اعز على وهم أحب الى قال فتحكمى فى ثمنية بغيرهم . قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه و بقى مبهوتا مايحير لفظة . قال سهل وخرجت فلم تعد ولا والله ما رأيت لها عبرة ولا سمعت لها انة . قال سهل وكان الامين محمد بن زبيدة رضيع يحيى بن جعفر فت اليه يحيى بن خالد بذلك . فوعده استيها ب أمه اياه وتكلمها فيهم . ثم شغله اللهو عنهم فكتب اليه يحيى و يقال انها لسليمان الاعمى أخى مسلم بن الوليد . وكان منقطعا الى البرامكة يقول :

ياملاذى وعصمتى وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء فى كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة اعقبتها * نعم نفعها لكل العباد
وعدمولاك أمنه فابهى الدار * ما زين حسنه بانعقاد
ما أظلت سحائب اليأس الا * كان فى كشفها عليك اعتمادى
ان تراخت يداك عنى فواقا * اكلتنى الايام اكل الجراد

و بعث بها الى الامين محمد . فبعث بها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها هرون وهو فى موضع لذته وعند اقبال أريحيته وتهيأت للاستشفاع لهم وهيات جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام معها اذا قامت . فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم تنقض حبوته حتى وقع فى أسفلها عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك ورمى بها الى زبيدة . فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . وقال بعض الهاشميين : أخبرنى اسحق بن على بن عبد الله بن العباس . قال كنت أساير الرشيد يوما والامين عن يمينه والمأمون عن شماله فاستدنانى وقدمهما امامه فسايرته فجعل يحدثنى . ثم بدأ يشاورنى فى أمر البرامكة واخبرنى بما أضمر عليه لهم فانهم استوحشوه من أنفسهم وانى عنده بالموضع الذى لا يكتمنى شيأ من أمرهم . فقلت يا أمير المؤمنين لا تنقلنى من السعة الى الضيق . فقال الرشيد الا ان تقول فانى لا أتهمك فى نصيحة ولا أخافك على رأى ولا مشورة . فقلت يا أمير المؤمنين

انى أرى نفاستك عليهم بما صاروا اليه من النعمة والسعة ولك ان تأمر وتنهى وهم عبيدك بانباتك اياهم • فهل يصنعون ذلك كله الا بك قال وكنت احطب فى حبال البرامكة • فقال لى فضياعهم ليس لولدى مثلها وتطيب نفسى بذلك لهم • فقلت يا أمير المؤمنين ان الملك لا يحسد ولا يحقد ولا ينعم نعمة ثم يفسد نعمته • قال فرأيته قد كره قولى وزوى وجهه عنى • قال اسحق فعلمت انه سيوقع بهم • ثم انصرفت فكتمت الخبر فلم يسمع به أحد وتجنبت لقاء يحيى البرامكة خوفا ان يظن انى أفضى اليهم بسره حتى قتلهم • وكان أشد ما كان اكرامالهم وكان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم • وكان يحيى بن خالد بن برمك قد اعتل قبل النازلة التى نزلت بهم فبعث الى منكة الهندى • فقال ماذا ترى فى هذه العلة • فقال منكة داء كبير دواؤه يسير والشكر أيسر وكان متفننا • فقال له يحيى ربما ثقل على السمع خطرة الحق به واذا كان ذلك كان الهجر له الزم من المفاوضة • قال منكة لكننى أرى فى الطالع أثرا والامر فيه قريب وانت قسيم فى المعرفة وربما كانت صورة النجم عقيمة الانتاج لها ولكن الاخذ بالحزم أو فى حظ الطالبين • قال يحيى الامور منصرفة الى العواقب وما حتم فلا بد ان يقع والمنعة بمسالمة الايام نهزة فاقصد ما دعوتك له من هذا الامر الموجود بالمزاج • قال منكة هى الصفراء مازجتها مائية من البلغم فحدث لذلك ما يحدث من اللهب عند ممارسة رطوبة المادة من الاشتعال فخذ ماء الرمان فدق فيه هليلجة سوداء تنهضك مجلسا أو مجلسين ويسكن ذلك التوقد ان شاء الله • فلما كان من أمرهم ما كان تلطف منكة حتى دخل الحبس فوجد يحيى قاعدا على لبد والفضل بين يديه يخدم فاستعبر منكة باكيا • وقال كنت ناديت لو أسرعت الاجابة • قال له يحيى أتراك كنت علمت من ذلك شيأ جهلته كلا ولكن كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفقة • وكان مزايلة القدر الخطير عنا أقل ما تنهض به الهمة • فقد كانت نعم أرجو ان يكون أولها شكراء وآخرها أجراء فما تقول فى هذا الداء • قال منكة ما أرى له دواء انفع من الصبر ولو كان يفدى بمال أو بمفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك • قال يحيى قد شكرت ما ذكرت فان أمكنك تعاهدنا فافعل • قال منكة لو أمكننى تخليف الروح عندك ما بخلت به فانما كانت الايام تحسن بسلامتك • وكتب يحيى بن خالد : فى الحبس الى هرون الرشيد لامير المؤمنين ، وخليفة المهديين ، وامام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه ، وأوبقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه

صديقه ، ومال به الزمان ، ونزل به الحدثان ، فعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر ، وليلته دهر ، قدعاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعا لموجدتك يا أمير المؤمنين وأسفا على ما فات من قربك لا على شيء من المواهب لان الاهل والمال انما كانا لك وبك وكانا في يدي عارية والعارية مردودة . وأما ما أصبت به من ولدي فبذنبه ولا أخشى عليك الخطأ في أمره ولا ان تكون تجاوزت به فوق حده تفكر في أمري جعلني الله فداك وليمل هواك بالعفو عن ذنب ان كان فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وانما اعتذر اليك باقرار ما يجب به الاقرار حتى ترضى فاذا رضيت رجوت ان شاء الله ان يتبين لك من أمري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك بعده ذنب ان تغفره مد الله لي في عمرك وجعل يومي قبل يومك وكتب اليه بهذه الابيات :

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشية * وابن الخلائف من قريـ
ـش والملوك العاليه * ان البرامكة الذين رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم * خلع المذلة باديه * فكأنهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه * عمتهم لك سخطة * لم تبق منهم باقيه
بعد الامارة والوزا * رة والامور الساميه * ومنازل كانت لهم
فوق المنازل عاليه * أضحوا وجل مناهم * منك الرضا والعافيه
يا من يود لي الردى * يكفيك مني ما بيه * يكفيك ما أبصرت من
ذلي وذل مكانيه * وبكاء فاطمة الكئيبة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع * ياسوأتي وشقائيه * من لي وقد غضب الزما
ن على جميع رجاليه * يالهف نفسي لهفها * ما للزمان وماليه
ياعطفة الملك الرضا * عودي علينا ثانيه

فلم يكن له جواب من الرشيد واعتل يحيي في الحبس . فلما أشفى دعا برقعة فكتب في عنوانها ينفذ أمير المؤمنين عهد مولاه يحيي بن خالد وفيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت على الاثر والله حكم عدل وستقدم فتعلم . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدي توصله الى أمير المؤمنين فانه ولي نعمتي وأحق من نفذ وصيتي . فلما مات يحيي أوصل

السجان عهده الى الرشيد . قال سهل بن هرون وأنا عند الرشيد اذ وصلت الرقعة اليه . فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ولا أدرى لمن الرقعة . فقلت له يا أمير المؤمنين . ألا أكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة ان يتقوى سلطان العجز فيحكم بالغفلة ويقضى بالبلادة ووقع فيها الحكم الذى رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه قال ثم رمى بالصك الى . فلما رأيته علمت انه ليحيى . وان الرشيد أراد ان يؤثر الجواب عنه . وقال دعبل يرثى بنى برمك :

ولما رأيت السيف جال جعفرا * ونادى منادٍ للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت انما * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

﴿ وقال سليمان الاعمى يرثى بنى برمك ﴾

هدأ الخالون عن شجوى وناموا * وعينى لا يلائمها منام
وما سهرى بانى مستهام * اذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتنى * فبى أرق اذا هجع النيام
أصبت بسادة كانوا عيونا * بهم نسقى اذا انقطع الغمام
فقلت وفى الفؤاد ضريم نار * وللعبرات من عينى انسجام
على المعروف والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام
جزعت عليك يا فضل بن يحيى * ومن يجزع عليك فلا يلام
هوت بك أنجم المعروف فينا * وعز بفقدك القوم اللئام
وما ظلم الاله أخاك لكن * قضاء كان سببه اجترام
عقاب خليفة الرحمن نخر * لمن بالسيف صبحه الحمام
عجبت لما دها فضل بن يحيى * وما عجبى وقد غضب الامام
جرى فى الليل طائرهم بنحس * وصبح جعفرا منه اصطلام
ولم أر قبل قتلك يا ابن يحيى * حساما قده السيف الحسام
برين الحادثات له سهاما * فغالته الحوادث والسهام
ليهن الحاسدين بان يحيى * أسير لا يضيم ويستضام
وان الفضل بعد رداء عز * غدا ورداؤه ذال ولام

فقل للشامتين به جميعا * لكم أمثالها عام فعام
أمين الله فى الفضل بن يحيى * رضيعك والرضيع له ذمام
أبا العباس ان لكل هم * وان طال انقراض وانصرام
أرى سبب الرضاء له قبول * على الله الزيادة والتمام
وقد آليت فيه بصوم شهر * فان تم الرضا وجب الصيام
وقد آليت معتذرا بنذر * ولى فيما نذرت به اعتزام
بان لا ذقت بعدكم مداما * وموتى أن يفارقنى المدام
أألهو بعدكم وأقر عينا * على اللهو بعدكم حرام
وكيف يطيب لى عيش وفضل * أسير دونه البلد الشآم
وجعفر ثاويا بالجسر أبلت * محاسنه السمائم والقتام
أمر به فيغلبنى بكائى * ولكن البكاء له اكتتام
أقول وقمت منتصبا لديه * الى ان كاد يفضحنى القيام
اما والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لا تنام
لثمنا ركن جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام

وقال بعض الشعراء يغرى هرون ببنى برمك

قل للخليفة با كتفائه * دون الانام بحسن رائه
آمابدأت بجعفر * فاسق البرامك من أنائه
ما برمكى بعده * تقف الظنون على وفائه
انى وقصد البرمكى الى انتكاث من شقائه
فلقد رفعت لجعفر * ذكرين قلا فى جزائه
فارفع ليحيى مثله * ما العود الا من لحائه
واخضب بصدر مهند * عثنون يحيى من دمائه

﴿ابراهيم بن المهدى﴾ قال : قال لى جعفر بن يحيى يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو بنفسى وأفر من أشغال الناس وأتوحد فهل أنت مساعدى . قلت جعلنى الله

فداك أنا أسعد بمساعدتك وآنس بمخالاتك . فقال بكر الى بكور الغراب . قال: فاتيت عند الفجر الثانى فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرنى للميعاد . قال فصلينا ثم أفضنا فى الحديث حتى أتى وقت الحجامة فأتى الحجام فحجمنا فى ساعة واحدة . ثم قدم الينا الطعام فطعمنا فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وظللنا باسر يوم مر بنا ثم انه تذكر حاجة فدعا الحاجب . فقال له اذا جاء عبد الملك القهرمان فأذن له فنسي الحاجب وجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي على جلالته وسنه وقدره وأدبه فاذن له الحاجب فما راعنا الا طلعة عبد الملك بن صالح فتغير لذلك وجه جعفر بن يحيي وتنغص عليه ما كان فيه . فلما نظر اليه عبد الملك على تلك الحالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء فوقف على باب المجلس فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم . قال فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة ودعا بطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا . ثم قال ليخفف عنى فانه شيء ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فرحا . وقد كان الرشيد حاور عبد الملك على المنادمة فابى ذلك وتنزه عنه . ثم قال له جعفر بن يحيي جعلنى الله فداك قد تفضلت وتطولت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى ويحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافأة لما صنعت . قال بلى ان قلب أمير المؤمنين عاتب على فتسأله الرضا عنى . فقال قد رضى عنك أمير المؤمنين . ثم قال وعلى أربعة آلاف دينار قال هى حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب الى من مالى . قال وابنى ابراهيم أحب ان أشد ظهره بمصاهرة أمير المؤمنين . قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة العالية . قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه بولاية قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر . قال فانصرف عبد الملك ونحن نعجب من اقدام جعفر على الرشيد من غير استئذان فلما كان الغد وقفنا على باب أمير المؤمنين ودخل جعفر فلم يلبث ان دعى بابى يوسف القاضى ومحمد بن الحسن وابراهيم بن عبد الملك . فعقد له النكاح وحملت البدر الى عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر . وخرج جعفر فاشار الينا . فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله فالتفت الينا . فقال تعلقت قلوبكم باول أمر عبد الملك فاحببتم ان تعرفوا آخره وانى لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه سالنى عن أمسى فابتدأت أحدثه بالقصة من أولها الى آخرها فجعل يقول أحسن والله . ثم قال فما أجبته فجعلت أخبره وهو يقول فى كل شيء أحسن وخرج ابراهيم واليا على مصر

٧ — أخبار الطالبيين — حدث عبد العزيز بن عبد الله البصرى عن عثمان بن سعيد ابن سعد المدنى قال : لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح قدم عليه بنو الحسن بن على بن ابى طالب فاعطاهم الاموال وقطع لهم القطائع . ثم قال لعبد الله بن الحسن احتكم على . قال يا أمير المؤمنين بالف ألف درهم فانى لم أرها قط فاستقرضها أبو العباس من ابن أبى مقرن الصيرفى وأمر له بها . قال عبد العزيز لم يكن يومئذ بيت مال . ثم ان أبا العباس أتى بجوهر مروان فجعل يقلبه وعبد الله بن الحسن عنده فبكى عبد الله . فقال له ما يبكيك يا أبا محمد . قال هذا عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قط . قال فحباه به ثم أمر أبا مقرن الصيرفى أن يصل اليه و يبتاعه منه فاشتراه منه بثمانين ألف دينار . ثم حضر خروج بنى حسن فارسل معهم رجلا من ثقاته . ثم قال له قم بانزالهم ولا تأل فى الطافهم وكلما خلوت معهم فاظهر الميل اليهم والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وانهم أحق بالامر منا واحص لى ما يقولون وما يكون منهم فى مسيرهم ومقدمهم . ومما كان خشن قلب أبى العباس حتى أساء بهم الظن انه لما بنى مدينة الانبار دخلها مع أبى جعفر أخيه وعبد الله بن الحسن وهو يسير بينهما و يريهما بنيانه وما أقام فيها من المصانع والقصور . فظهرت من عبد الله بن الحسن فلتة فجعل يتمثل بهذه الابيات

ألم تر جوشنا قد صار يبنى * قصورا نفعها لبنى نفيله

يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

قال فتغير وجه أبى العباس وقال له أبو جعفر : أتراهما ابنيك يا أبا محمد والامر اليهما صائر لا محالة . قال لا والله ما ذهبت هذا المذهب ولا اردته ولا كانت الا كلمة جرت على لسانى لم ألق لها بالا فاوحشت تلك الكلمة ابا العباس . فلما قدم المدينة عبد الله بن حسن اجتمع اليه الفاطميون . فجعل يفرق فيه من أموال التى بعث بها أبو العباس فعظم بها سرورهم . فقال لهم عبد الله بن الحسن فرحتم قالوا ومالنا لا نفرح عما كان محجوبا عنا بايدى بنى مروان حتى أتى الله بقرابتنا و بنى عمنا فصاروه الينا . قال لهم أفرضيتم ان تنالوا هذا من تحت أيدى قوم آخرين . فخرج الرجل الذى كان وكله أبو العباس باخبارهم فاخبره بما سمع من قولهم وقوله فاخبر أبو العباس أبا جعفر بذلك فزادت الامور شرا ثم مات أبو العباس وقام أبو جعفر بالامر بعده فبعث بعطاء أهل المدينة وكتب الى عامله ان أعط الناس فى أيديهم ولا تبعث الى أحد بعطائه وتفقد بنى هاشم ومن تخلف

منهم ممن حضر وتحفظ بمحمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن . ففعل وكتب انه لم يختلف أحد عن العطاء الا محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فانهما لم يحضرا . فكتب أبو جعفر الى عبد الله بن الحسن وذلك مبدأ سنة تسع وثلاثين ومائة يسأله عنهما ويأمره باظهارهما ويخبره انه غير غادره ، فكتب اليه عبد الله انه لا يدرى أين هما ولا أين توجها وان غيبتهما غير معروفة . فلم يلبث أبو جعفر وكان قد أذكى العيون ووضع الارصاد حتى جاءه كتاب من بعض ثقاته يخبره ان رسولا لعبد الله ومحمد وابراهيم خرج بكتب الى رجال بخراسان يستدعيهم اليه . فأمر أبو جعفر برسولهم فأتى به وبكتبه فردها الى عبد الله بن الحسن بطوابعها لم يفتح منها كتابا ورد اليه رسوله . وكتب اليه انى أتيت برسولك والكتب الذى معه فرددتها اليك بطوابعها كراهية ان أطلع منها على ما يغير لك قلبى . فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ولا الى الفرقة بعد الاجتماع . وأظهر لى أبنيك فانهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف . فكتب اليه عبد الله بن حسن يعتذر اليه ويتنصل فى كتابه ويعلمه ان ذلك من عدو أراد تشتيت ما بينهم بعد التئامه . ثم جاءه كتاب ثقة من ثقاته يذكر ان الرسول بعينه خرج بالكتب باعيانها على طريق البصرة وانه نازل على فلان المهلبى فان أراده أمير المؤمنين فليضع عليه رصده . فوضع اليه أبو جعفر رصده فأتى به اليه ومعه الكتب فحبس الرسول وأمضى الكتب الى خراسان مع رسول من عنده من أهل ثقاته . فقدمت عليه الجوابات بما كره واستبان له الامر . فكتب الى عبد الله ابن الحسن يقول :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

أما بعد فقد قرأت كتبك وكتب ابنيك وأنفذتها الى خراسان . وجاءتنى جواباتها بتصديقها وقد استقر عندى انك مغيب لابنيك تعرف مكانهما فأظهرهما الى فان لك على ان أعظم صلتهما وجوائزهما وأضعهما بحيث وضعتهما قرابتهما فتدارك الامور قبل تفاقمها . فكتب اليه عبد الله بن الحسن :

وكيف أريد ذاك وأنت منى * وزندك حين تقدح من زنادى
وكيف أريد ذاك وأنت منى * بمنزلة النياط من الفؤاد

وكتب اليه انه لا يدرى أين توجها من بلاد الله ولا يدرى أين صارا وانه لا يعرف الكتب ولا

يشك أنها منتحلة . فلما اختلفت الامور على أبى جعفر بعث سالم بن قتيبة الباهلى و بعث معه بمال وأمره بامره وقال له انى انما أدخلك بين جلدى وعظمى فلا توطئنى عشواء ولا تخف عنى أمرا تعلمه . فخرج سالم بن قتيبة حتى قدم المدينة وكان عبد الله يبسط له فى رخام المنبر فى الروضة . وكان يجلسه فيه فجلس اليه واظهر له المحبة والميل الى ناحيته . ثم قال له حين أنس اليه ان نفرا من أهل خراسان وهم فلان وفلان وسمى له رجالا يعرفهم ممن كان يكاتب ممن استقر عند أبى جعفر أمره قد بعثوا اليك معى مالا وكتبوا اليك كتابا فقبل الكتاب والمال وكان المال عشرة آلاف دينار . ثم أقام معه ماشاء الله حتى ازداد به انسا واستئمانا . ثم قال له انه قد بعث بكتابين الى أمير المؤمنين محمد والى ولى عهده ابراهيم وأمرت أن لا أوصل ذلك الا فى أيديهما فان أوصلتنى اليهما وادخلتنى عليهما أوصلت اليهما الكتابين والمال ورحلت الى القوم بما يثلج صدورهم وتقبله قلوبهم فانا عندهم بموضع الصدق والامانة وان أمرهما مظلم وان لم تكن تعرفه كانهما لم يخاطر وابدينهم وأموالهم ومهجهم . فلما رأى عبد الله ان الامور تفسد عليه من حيث يرجو صلاحها الا بايصاله اليهما واظهارهما له أوصله . فدفع الكتابين مع أربعين الف درهم . ثم قال هذا محمد وهذا ابراهيم . فقال لهم ان من ورائى لم يبعثونى ولهم وراثى غاية وليس مثلى يتصرف الى قوم الا بجملة ما يحتاجون اليه ومحمد انما صار الى هذه الخطة ووجبت له هذه الدعوة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وههنا من هو أقرب من رسول الله رحما وأوجب حقا منه . قال ومن هو قال أنت الا ان يكون عند ابنك محمد أثر ليس عندك فى نفسك . قال فكذلك الامر عندى . قال له فان القوم يقتدون بك فى جميع أمورهم ولا يريدون ان يبذلوا دينهم وأموالهم وأنفسهم الا بحجة يرجون بها لمن قتل منهم الشهادة فان أنت خلعت أبا جعفر وبايعت محمدا اقتدوا بك وان أبيت اقتدوا بك أيضا فى تركك ذلك ثقة بك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك الذى وضعك الله فيه . قال فانى أفعل فبايع محمدا وخلع أبا جعفر وبايعه سالم من بعده وأخذ كتبه وكتب ابراهيم ومحمد فخرج فقدم على أبى جعفر وقد حضر الموسم . فأخبره بحقيقة الامر وبعينه . فلما حضر أبو جعفر المدينة أرسل الى بنى الحسن فجمعهم وقال لسالم اذا رأيت عبد الله عندى فقم على راسى واشر الى بالسلاح . ففعل فلما رآه عبد الله سقط فى يده وتغير وجهه . فقال له أبو جعفر مالك أبا محمد أتعرفه . قال نعم يا أمير المؤمنين

فاقلني وصلتك رحم . فقال له أبو جعفر هـل علمت انك تعرف موضع ولديك وانه لا عذر لك وقد باح السر فاظهرهما لى ولك ان أصل رحمك و رحمهما وان أعظم ولا يتهما وأعطى كل واحد منهما الف الف درهم . فتراجع هو وعبـد الله حتى جبذ على ظهره و بنو حسن اثنا عشر رجلا فامر بحبسهم جميعا وخرج أبو جعفر فعسكر من ليلته على ثلاثة اميال من المدينة وعبى على القتال ولم يشك ان أهل المدينة سيقاتلونه فى بنى حسن فعبى ميمنة وميسرة وقلبا وتهيأ للحرب واجلس فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم عشرين معطيا يعطون العطايا . فلم يتحرك عليه منهم أحد . ثم مضى بهم الى مكة فلما انصرف أبو جعفر الى العراق خرج محمد بن عبد الله بالمدينة . فـكتب اليه أبو جعفر من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله «انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيـم الا الذين تابوا من قبـل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم » ولك عهـد الله وميثاقه وذمة الله وذمة نبيـه ان أتيا أتيتما وتبتما و رجعتما من قبـل ان أقدر عليكما وان يقع بينى و بينـكما سفك الدماء ان أؤمنكما وجميع ولد كما ومن شايعكما وتابعكما على دمائـكم واموالـكم وأوسعكم ما اصبتم من دم أو مال وأعطيكما الف الف درهم لـكل واحد منـكما وما سألتما من الحوائج وأبوئـكما من البلاد حيث شئتما وأطلق من الحبس جميع ولد ابيكما ثم لا أتعقب واحـدا منـكما بذنب سلف منه أبدا . فـلا تشمت بنا و بك عدونا من قريش فان احببت ان توثق من نفسك بمـا عرضت عليك فوجه الى من احببت ليأخـذ لك من الامان والعهود والمواثيق ما تأمن به وتطمئن اليه ان شاء الله والسلام . فاجابه محمـد بن عبـد الله : من محمـد بن عبـد الله امير المؤمنين الى عبـد الله بن محمد «طسم تلك آيات الـكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون» الى قوله ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان ما عرضت فان الحق معنا وانما ادعيتم هـذا الامر بنا وخرجتم اليه بشيعتنا وحظيتم بفعلنا وان ابانا عليا رحمه الله كان الامام فـكيف ورثتم ولاية ولده وقد علمتم انه لم يطلب هذا الامر احـد بمثل نسبنا ولا شرفنا وانا لسـنا من ابناء الظئار ولا من ابناء الطلقاء وانه ليس يمت احد بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل وانا بنو ام ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنة عمرو فى الجاهليـة و بنو فاطمة ابنته فى الاسـلام دونـكم وان الله اختارنا

واختار لنا فولدنا من النبيين أفضلهم . ومن السلف أولهم اسلاما على بن أبي طالب . ومن النساء أفضلهم خديجة بنت خويلد أول من صلى الى القبلة منهن . ومن البنات فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ولدت الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة صلوات الله عليهما . وان هاشما ولد عليا مرتين . وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين . وان النبي صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين . وانى من أوسط بنى هاشم نسباً وأشرفهم أباً وأما . وانا لم نعرق فى العجم ولم تنازع فى أمهات الاولاد . فما زال الله يختار لى الامهات فى الجاهلية والاسلام حتى اختار لى فى النار فابى أرفع الناس درجة فى الجنة ومن أهونهم عذابا فى النار . وأبى خير أهل الجنة . وأبى خير أهل النار فلك الله ان دخلت فى طاعتى وأجبت دعوتى ان أؤمنك على نفسك ومالك ودمك وكل أمر أحدثته الا حدا من حدود الله أوحق امرىء مسلم او معاهد . فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا اولى بالامر منك وأوفى بالعهد لانك لا تعطى من العهد أكثر مما أعطيت رجالا قبلى فأى الامانات تعطينى أمان ابن هبيرة أو امان عمك عبد الله بن على أو أمان أبى مسلم والسلام

فكتب اليه أبو جعفر المنصور : من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله بن حسن . أما بعد : فقد بلغنى كتابك وفهمت كلامك فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة الاولياء لان الله جعل العم أبا وبدأ به فى القرآن على الوالد الادنى ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة اقربهن رحما وأعظمهن حقا وأول من يدخل الجنة غدا ولكن اختار الله لخلقه على قدر علمه الماضى لهن فأما ما ذكرت من فاطمة جدة النبي صلى الله عليه وسلم وولادتها لك فان الله لم يرزق أحدا من ولدها دين الاسلام ولو ان أحدا من ولدها رزق الاسلام بالقرابة لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء وقد قال جل ثناؤه « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة فأنزل الله عليه « وأنذر عشيرتك الاقربين » فدعاهم فانذرهم فاجابه اثنان أحدهما أبى وأبى عليه اثنان أحدهما أبوك . فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينهما الا ولا ذمة ولا ميراثا وقد زعمت انك ابن اخف اهل النار عذابا وابن خير الاشرار وليس فى الشر خيار ولا فخر فى النار وسترد فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وأما ما فخرت به من فاطمة أم على وان هاشما ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة

ولا عبد المطلب الا مرة وزعمت انك أوسط بني هاشم نسبا وأكرمهم أباوأما وانك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا فانظر أين انت ويحك من الله غدا فانك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نسبا وآباء وأولادا فخرت على ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم وهل خيار ولد أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات الاولاد وما ولد منكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين وهو لام ولد وهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد وهو خير من ابيك ولا مثل ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد . وأما قولك أنا بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يقول «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ولكنكم بنو ابنته وهي امرأة لا تحرز ميراثا ولا ترث الولاء ولا يحل لها ان تؤم فكيف تورث بها امامة ولقد ظلمها أبوك بكل وجه فاخرجها نهارا ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا الشيخين لتفضيلهما ولقد كانت السنة التي لا اختلاف فيها ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يرثون ولا يورثون وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فما أخذوه وكان في الستة من أصحاب الشورى فتركوه كلهم رفضه عبد الرحمن بن عوف . وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته واغلق بابه دونه . وبايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه فقاتل عليها . ثم حكم الحكمين ورضي بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه فاجتمعا على خلعه واختلفا في معاوية . ثم قام جدك الحسن فباعها بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الاموال الى غير أهلها وأخذ مالا من غير ولاية فان كان لكم فيها حق فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه . ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيي بن زيد بأرض خراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم كالسبي المجلوب الى الشام حتى خرجنا عليهم . فطلبنا بثاركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم ارضهم وديارهم وأموالهم واردنا اشراككم في ملكنا فابيتم الا الخروج علينا وأنزلت ما رأيت من ذكرنا أباك وتفضيلنا اياه لقدمه على العباس وحمزة وجعفر وليس كما ظننت ولكن هؤلاء سالمون مسلم منهم مجتمع بالفضل عليهم وابتلى بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على

المنابر كما تلعن اهل الكفر في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم فيما نالوا منه . وقد علمت ان المكرمة في الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية بئر زمزم . فصارت الى العباس من بين اخوته وقد نازعنا فيها أبوك فقضى لنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . فقد علمت انه لم يبق أحد من بعد النبي صلى الله عليه وسلم من بني عبد المطلب غير العباس وحده فكان وارثه من بين اخوته . ثم طلب هذا الامر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايتنا وميراث النبي صلى الله عليه وسلم ميراثنا والخلافة بأيدينا . فلم يبق فضل ولا شرف في الجاهلية والاسلام الا والعباس وارثه وموروثه والسلام

فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهل المدينة وأهل مكة . وخرج أخوه ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن بالبصرة في شهر رمضان فاجتمع الناس اليه فنهض الى دار الامارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم اليه البصرة بغير قتال وأرسل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الى الاهواز جيشا فأخذه بعد قتال شديد وأرسل جيشا الى واسط فاخذها . ثم ان أبا جعفر المنصور جهز اليهم عيسى بن موسى فخرج الى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم باصحابه وقتل . ثم مضى عيسى بن موسى الى البصرة فلقى ابراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه الى أبي جعفر . وقال رجل من أهل مكة كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد بالمسجد . فاتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه فقرأه ثم وضعه . فقال الرسول الجواب . فقال ليس له جواب قل لصاحبك يدعنا نجلس في الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تاتينا آجالنا

مروان بن شجاع مولى بني أمية قال : كنت مع اسمعيل بن علي بفارس أؤدب ولده . فلما لقيته المبيضة فظفر بهم أتى منهم بأربعمائة اسير . فقال له أخوه عبد الصمد وكان على شرطته اضرب أعناقهم . فقال ما يقول يا مروان . فقلت اصلح الله الامير أول من سن قتال اهل القبلة علي بن أبي طالب فرأى ان لا يقتل اسير ولا يجهز على جريح ولا يتبع مول . قال خذ بيعتهم وخل سبيلهم . قيل لمحمد بن علي بن حسين ما اقل ولد أبيك . قال اني لا عجب كيف ولدت له قيل له وكيف ذلك . قال انه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . ولما وجه المنصور عيسى بن موسى في محاربة بني عبد الله بن الحسن . قال يا أبا موسى اذا صرت الى المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن الى الطاعة والدخول في الجماعة فان أجابك فاقبل منه وان هرب منك فلا تتبعه وان أبى الا الحرب فناجزه واستعن بالله عليه فاذا ظفرت به فلا

تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اياك لا كما اوصى بها يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة وأمره ان يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وان يبيحها ثلاثة أيام ففعل . فلما بلغ يزيد ما فعله تمثل بقول ابن الزبعرى في يوم أحد حيث قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

ثم اكتب الى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح فانهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم لا يلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذى بعث منه محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم وشرف به آباءنا بتشريف الله ايانا فهذه وصيتي لا كما أوصى به الذى وجه الحجاج الى مكة . فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة وان يلحد في الحرم بظلم . ففعل ذلك . فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم :

الا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا

الرياشي قال : قال عيسى بن موسى لما وجهني المنصور الى المدينة في حرب بني عبد الله بن الحسن جعل يوصيني و يكثر . فقلت يا أمير المؤمنين الى كم توصيني :

اني أنا السيف الحسام الهندى * أكلت جفني وفريت غمدى

* فكل ما تطلب مني عندى *

وقال معاوية يوما لجلسائه من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة . فقالوا أمير المؤمنين اعلم . فأخذ بيد الحسن بن علي وقال هذا أبوه علي بن ابى طالب . وأمه فاطمة ابنة محمد وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجدته خديجة . وعمه جعفر . وعمته هالة بنت ابى طالب . وخاله القاسم بن محمد . وخالته زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم . الرياشي عن الاصمعي قال : لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة . فبايعه أهل المدينة واهل مكة وخرج ابراهيم أخوه بالبصرة فتغلب على البصرة والاهواز و واسط قال سديف بن ميمون في ذلك :

ان الحمامة يوم الشعب من حضن * هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمــــل ان ترتد ألفتنا * بعد التباعد والشحناء والاحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها * فيها كاحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم تنهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يابني حسن
لاعز ركن نزار عند نائبة * ان أسلموك ولا ركن لذي يمن
ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا * عودا وأنقاهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عند الله منزلة * وأبعد الناس من عجز ومن افن

فلما سمع أبو جعفر هذه الابيات استطير بها . فكتب الى عبد الصمد بن علي ان يأخذ سديفا فيدفنه حيا ففعل . قال الرياشي : فذكرت هذه الابيات لابي جعفر شيخ من اهل بغداد فقال هذا باطل الابيات لعبد الله بن مصعب وانما كان سبب قتل سديف انه قال أبياتا مبهمة وكتب بها الى أبي جعفر وهي هذه :

أسرفت في قتل الرعية ظالما * فاكفف يديك أضلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية * جرارة يقتادها حسنيها

فالتفت أبو جعفر . فقال لحازم بن خزيمة تهيأ بهيئة السفر متنكرا حتى اذا لم يكن الاان تضع رجلك في الغرز ائتني ففعل . فقال اذا أتيت المدينة فادخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدع سارية وثانية فانك تنظر عند الثالثة الى شيخ آدم يكثر التلفت طويل كبير فاجلس معه فتوجع لآل أبي طالب واذكر شدة الزمان عليهم ثلاثة ايام . ثم قل في الرابع من يقول هذه الابيات : * أسرفت في قتل الرعية ظالما * قال ففعل . فقال له الشيخ ان شئت نبأتك من أنت انت حازم بن خزيمه بعثك الى امير المؤمنين لتعرف من قال هذا الشعر . فقل له جعلت فداك والله ماقلته ولا قاله الا سديف بن ميمون فاني أنا القائل وقد دعوني الى الخروج مع محمد بن عبد الله :

دعوني وقد سالت لابليس راية * وأوقد للغاوين نار الحباحب
أبا الليث تغترون يحمي عرينه * وتلقون جهلا أسده بالثعالب
فلا نفعتني السن ان لم يؤزركم * ولا أحكمتني صادقات التجارب

قال واذا الشيخ ابراهيم بن هرمة . قال فقدمت على المنصور فاخبرته الخبر . فكتب الى عبد الصمد بن علي وكان سديف في حبسه فاخذه فدفنه حيا . قال الرياشي : سمعت محمد بن عبد الحميد يقول قلت لابن ابي حفصة ما أغراك ببني علي قال ما أحد احب الي منهم ولكني لم

أجد شيئا أنفع عنــد القوم منه . لما دخــل زيد بن على بن ابى طالب على هشام . قال بلغنى انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال اما قولك انى احدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله . واما قولك انى ابن أمة فهذا اسمعيل ابن امة اخرج الله من صلبه محمداً صلى الله عليه وسلم واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت . وخرج من عنده . فقال هشام ما أحب احد الحياة الاذل . فقال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن على عند خروجه من عند هشام بن عبد الملك :

شرده الخــوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد

محتفى الرجلين يشكو الوجا * يقرعه اطراف مروحداد

قد كان فى الموت له راحــة * والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب . وفيه يقول شبل لابى العباس يغريه ببنى أمية حيث يقول :

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيــــلا بجانب المهـــراس

٨ —باب من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه— عوانة بن الحكم

قال : حج محمد بن هشام ونزلت رفقة فاذا فيها شيخ كبــير قد احتوشته الناس وهو يامر وينــهى فقــال محمد بن هشام لمن حوله تجدون الشيخ عراقيا فاسقا . فقال له بعض اصحــابه نعم وكوفيا منافقــا . فقــال محمــد علىّ به فاتىَ بالشيخ . فقــال له أعــراقى انت . قال له نعم عراقى . قال وكوفى . قال وكوفى . قال وترابى قال وترابى من التراب خلقت واليه أصير . قال انت ممن يهوى أباتراب . قال ومن أبو تراب . قال على بن أبى طالب قال أتعنى ابن عم رسول الله صــلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة ابنته وأبا الحسن والحســين . قال نعم قال فما قولك فيه . قال قد رأيت من يقول خيراً ويحمد ورأيت من يقول شراً ويذم . قال فايهما أفضل عندك أهُوَ ام عثمان . قال وما أنا وذاك والله لو ان عليا جاء بوزن الجبال حســنات ما نفعنى ولو انه جاء بوزنها سيآت ماضرنى وعثمان مثل ذلك . قال فاشتم أباتراب قال أو ما ترضى منى بما رضى به من هو خير منك ممن هو خير منى فمين هو شر من على . قال وماذاك قال رضى الله وهو خــير منك من عيسى وهو خــير منى فى النصــارى وهم شر من على اذ قال « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغــفر لهم فانك انت العزيز الحــكيم » الرياشى قال : انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير عليا . فقال له أبوه يابنى انه والله

ما بنت الدنيا شيئا الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا أماترى عليا وما يظهر بعض الناس من بغضه ولمنه على المنابر فكانما والله ياخذون بناصيته رفعا الى السماء وماترى بنى مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكأنما يكشفون عن الجيف . قدم الوليد مكة . فجعل يطوف بالبيت والفضل بن أبي لهب يستقى من زمزم وهو يقول :

يا ايها السائل عن على * تسال عن بدر لنا بدرى

مردد فى المجد ابطحى * سائله غرته تضى

فلم ينكر عليه أحد . العتبى قال : قيل يوما لمسلمة بن هلال العبدى خطب جعفر بن سليمان الهاشمى خطبة لم يسمع مثلها قط وما درينا أوجهه كان أحسن ام كلامه . قال اولئك قوم بنور الخلافة يشرقون و بلسان النبوة ينطقون . وكتب عوام صاحب ابى نواس الى بعض عمال ديار ربيعة :

بحق النبى بحق الوصى * بحق الحسين بحق الحسن

بحق التى ظلمت حقها * و والدها خير ميت دفن

ترفق بار زاقنا فى الخراج * بترفيها و بحط المؤن

قال فاسقط عنه الخراج طول ولايته

٩ — احتجاج المأمون على الفقهاء فى فضل على — اسحق بن ابراهيم بن اسمعيل ابن حماد بن زيد قال : بعث الى يحيى بن اكثم والى عدة من اصحابى وهو يومئذ قاضى القضاة فقال ان امير المؤمنين امرنى ان احضر معى غدا مع الفجر اربعين رجلا كلهم فقيه يفقه ما يقال له و يحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب امير المؤمنين . فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتى تم العدد الذى أراد وكتب تسمية القوم وامر بالبكور فى السحر . و بعث الى من لم يحضر فامره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتى صرنا الى الباب فاذا بخادم واقف . فلما نظر الينا قال يا ابا محمد امير المؤمنين ينتظرك فادخلنا فامر بالصلاة فاخذنا فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول . فقال ادخلوا فدخلنا فاذا امير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته . فوقفنا وسلمنا فرد السلام وامر لنا بالجلوس . فلما استقر بنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه

ووضع قلنسوته . ثم اقبل علينا فقال انما فعلت ما رايتم لتفعلوا مثل ذلك . واما الخف فنع من خلعه علة من قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم يعرفها فسا عرفه بها ومد رجله وقال انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم . قال فأمسكنا فقال لنا يحيي انتهوا الى ما امركم به امير المؤمنين فتنحينا فنزعنا اخفافنا وطيالستنا وقلانسنا ورجعنا . فلما استقر بنا المجلس . قال انما بعثت اليكم معشر القوم فى المناظرة فمن كان به شيء من الخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول . فمن اراد منكم الخلاء فهناك واشار بيده فدعونا له . ثم التى مسئلة من الفقه . فقال يا ابا محمد قل وليقل القوم من بعدك فاجابه يحيي . ثم الذى يلى يحيي . ثم الذى يليه حتى اجاب آخرنا فى العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى اذا انقطع الكلام التفت الى يحيي . فقال يا أبا محمد اصبت الجواب وتركت الصواب فى العلة . ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ويخطىء بعضنا ويصوب بعضنا حتى اتى على آخرنا . ثم قال انى لم ابعث فيكم لهذا ولكننى احببت ان ابسطكم ان امير المؤمنين اراد مناظرتكم فى مذهبه الذى هو عليه والذى يدين الله به قلنا فليفعل امير المؤمنين وفقه الله . فقال ان امير المؤمنين يدين الله على ان على بن ابى طالب خير خلفاء الله بعد رسوله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بالخلافة له . قال اسحق فقلت يا امير المؤمنين ان فينا من لا يعرف ما ذكر امير المؤمنين فى على . وقد دعانا امير المؤمنين للمناظرة . فقال يا اسحق اختر ان شئت سالتك اسالك وان شئت ان تسال فقل . قال اسحق فاغتنمتها منه . فقلت بل اسالك يا امير المؤمنين . قال سل قلت من اين قال امير المؤمنين ان على بن ابى طالب افضل الناس بعد رسول الله واحقهم بالخلافة بعده قال يا اسحق خبرنى عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان افضل من فلان . قلت بالاعمال الصالحة . قال صدقت . قال فاخبرنى عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ان المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بافضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ايلحق به . قال فاطرقت . فقال لى يا أبا اسحق لا تقل نعم فانك ان قلت نعم اوجدتك فى دهرنا هذا من هو اكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة فقلت اجل يا امير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاضل ابدا . قال يا اسحق فانظر ما رواه لك اصحابك ومن اخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل على بن ابى طالب فقس عليها ما اتوك به من فضائل ابى بكر فانى رايت فضائل ابى بكر تشا كل فضائل على فقل انه افضل منه لا والله ولكن فقس الى فضائله ما روى لك من فضائل ابى بكر وعمر فان وجدت لهما من الفضائل

ما لعلي وحده فقل انهما افضل منه لا والله . ولكن قس الى فضائله فضائل ابى بكر وعمر وعثمان.
فان وجدتها مثل فضائل على فقل انهم افضل منه لا والله . ولكن قس بفضائل العشرة الذين
شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فان وجدتها تشاكل فضائله فقل انهم افضل منه
قال يا اسحق اى الاعمال كانت افضل يوم بعث الله رسوله . قلت: الاخلاص بالشهادة قال
اليس السبق الى الاسلام قلت نعم قال اقرأ ذلك فى كتاب الله تعالى يقول « والسابقون السابقون
أولئك المقربون » انما عنى من سبق الى الاسلام فهل علمت احدا اسبق عليا الى الاسلام
قلت: يا امير المؤمنين ان عليا اسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر اسلم وهو
مستكمل يجوز عليه الحكم . قال اخبرنى أيهما اسلم قبل ثم اناظرك من بعده فى الحداثة والكمال
قلت على اسلم قبل ابى بكر على هذه الشريطة . فقال نعم فاخبرنى عن اسلام على حين اسلم
لا يخلو من ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه الى الاسلام او يكون الهاما من الله
قال فاطرقت . فقال لى يا اسحق لا تقل الهاما فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
رسول الله لم يعرف الاسلام حتى اتاه جبريل عن الله تعالى . قلت اجل بل دعاه رسول الله الى
الاسلام . قال: يا اسحق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه الى الاسلام من ان
يكون دعاه بامر الله او تكلف ذلك من نفسه . قال فاطرقت. فقال يا اسحق لا تنسب رسول الله
الى التكلف فان الله يقول « وما أنا من المتكلفين » . قلت اجل يا امير المؤمنين بل دعاه بامر الله . قال
فهل من صفة الجبار جل ذكره ان يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم . قلت اعوذ بالله فقال
افتراه فى قياس قولك يا اسحق ان عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة و يرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم
فى ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام أترى هذا جائزا عندك ان تنسبه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت اعوذ بالله قال يا اسحق فأراك انما قصدت لفضيلة فضل
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله ولو كان الله امره
بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا . قلت بلى قال فهل بلغك ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا
احدا من الصبيان من اهله وقرابته لئلا تقول ان عليا ابن عمه . قلت لا اعلم ولا ادرى فعل او لم
يفعل . قال يا اسحق ارأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه . قلت لا قال فدع ما قد وضعه الله عنا
وعنك . قال ثم اى الاعمال كانت افضل بعد السبق الى الاسلام . قلت الجهاد فى سبيل الله . قال

صدقت فهل تجد لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجد لعلى فى الجهاد . قلت فى أى وقت . قال فى أى الاوقات شئت . قلت بدر . قال لا ار يد غيرها فهل تجد لاحد الا دون ماتجد لعلى يوم بدر اخبرنى كم قتلى بدر . قلت نيف وستون رجلا من المشركين . قال فكم قتل على وحده . قلت لا ادرى . قال ثلاثة وعشرين او اثنين وعشرين والا ربعون لسائر الناس قلت ياامير المؤمنين كان ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عريشه . قال يصنع ماذا . قلت يدبر . قال ويحك يدبر دون رسول الله او معه شريكا ام افتقارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رأيه اى الثلاث احب اليك . قلت أعوذ بالله ان يدبر ابو بكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون معه شريكا او ان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم افتقار الى رأيه . قال فما الفضيلة بالعريش اذا كان الامر كذلك أليس من ضرب بسيفه بين يدى رسول الله أفضل ممن هو جالس . قلت ياأمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهدا . قال: صدقت كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجالس أفضل من الجالس . أماقرأت كتاب الله «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما» قلت وكان أبو بكر وعمر مجاهدين . قال فهل كان لابى بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد . قلت نعم . قال فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبى بكر وعمر . قلت أجل . قال : يااسحق هل تقرأ القرآن . قلت نعم . قال اقرأ علىّ «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» فقرأت منها حتى بلغت «يشربون من كاس كان مزاجها كافورا الى قوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا» . قال: على رسلك فيمن أنزلت هذه الآيات . قلت فى على . قال فهل بلغك ان عليا حين أطعم المسكين واليتيم والاسير قال انما نطعمكم لوجه الله ، وهل سمعت الله وصف فى كتابه أحدا بمثل ماوصف به عليا . قلت لا قال : صدقت لان الله جل ثناؤه عرف سيرته يااسحق ، ألست تشهد ان العشرة فى الجنة . قلت بلى ياأمير المؤمنين . قال : أرأيت لو ان رجلا قال والله ماأدرى هذا الحديث صحيح أم لا ولا أدرى ان كان رسول الله قاله أم لم يقله أكان عندك كافرا قلت أعوذ بالله . قال أرأيت لو انه قال ماأدرى هذه السورة من كتاب الله أم لا كان كافرا قلت نعم . قال: يااسحق أرى بينهما فرقا يااسحق أتروى الحديث قلت نعم . قال

فهل تعرف حديث الطير. قلت نعم. قال: فحدثني به قال فحدثته الحديث. فقال يااسحق انى كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق. فاما الآن فقد بان لى عنادك انك توقن ان هذا الحديث صحيح قلت نعم رواه من لا يمكنني رده. قال: أفرأيت ان من أيقن ان هذا الحديث صحيح ثم زعم ان أحدا أفضل من على لا يخلو من احدى ثلاثة من أن يكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده مردودة عليه أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب اليه. أو أن يقول ان الله عزوجل لم يعرف الفاضل من المفضول. فاى الثلاثة أحب اليك أن تقول فاطرقت. ثم قال يااسحق لا تقل منها شيأ فانك ان قلت منها شيأ استتبتك وان كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الاوجه فقله. قلت لا أعلم وان لابى بكر فضلا. قال أجل لولا ان له فضلا لما قيل ان عليا أفضل منه فما فضله الذى قصدت له الساعة. قلت قول الله عزوجل: «ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا» فنسبه الى صحبته. قال يااسحق اما انى لا أحملك على الوعر من طريقك انى وجدت الله تعالى نسب الى صحبة من رضيه ورضى عنه كافرا وهو قوله: «فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا» قلت ان ذلك صاحبا كان كافرا وأبو بكر مؤمن قال فاذا جاز أن ينسب الى صحبة من رضيه كافرا جاز أن ينسب الى صحبة نبيه مؤمنا وليس بافضل المؤمنين ولا الثانى ولا الثالث. قلت: ياأمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم. ان الله يقول «ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا» قال يااسحق تأبى الآن الا أن أخرجك الى الاستقصاء عليك أخبرنى عن حزن أبى بكر أكان رضا أم سخطا. قلت ان أبا بكر انما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه وغما أن يصل الى رسول الله شئ من المكروه. قال: ليس هذا جوابى انما كان جوابى أن تقول رضى أم سخط. قلت بل كان رضا لله. قال: فكان الله جل ذكره بعث الينا رسولا ينهى عن رضا الله عزوجل وعن طاعته. قلت أعوذ بالله. قال: أوليس قد زعمت ان حزن أبى بكر رضا لله. قلت بلى. قال: أولم تجد ان القرآن يشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحزن نهيا له عن الحزن. قلت اعوذ بالله. قال: يااسحق ان مذهبى الرفق بك لعل الله يردك الى الحق و يعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به وحدثنى عن قول الله «فانزل الله سكينته عليه» من عنى بذلك رسول الله أم أبو بكر. قلت

بل رسول الله . قال : صدقت . قال فحدثني عن قول الله عز وجل « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم - الى قوله - ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع . قلت لا أدرى يا أمير المؤمنين . قال : الناس جميعا انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سبعة نفر من بني هاشم على يضرب بسيفه بين يدى رسول الله والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفا من أن يناله من جراح القوم شيء حتى اعطى الله لرسوله الظفر . فالمؤمنون في هذا الموضع على خاصة ثم من حضره من بني هاشم قال : فمن أفضل من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت ام من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه . قلت بل من انزلت عليه السكينة . قال : يا اسحق من افضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد من الهجرة ان الله تبارك وتعالى امر رسوله ان يامر عليا بالنوم على فراشه وان يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فبكى على رضى الله عنه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا على أجزعا من الموت . قال لا والذى بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفا عليك افتسلم يا رسول الله . قال نعم قال سمعا وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله . ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجى بثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمعوا ان يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه وعلى يسمع ما القوم فيه من اتلاف نفسه ولم يدعه ذلك الى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ولم يزل على صابرا محتسبا . فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح . فلما اصبح قام فنظر القوم اليه فقالوا أين محمد . قال وما علمي بمحمد أين هو . قالوا فلا نراك الا مغرورا بنفسك منذ ليلتنا فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينتقص حتى قبضه الله اليه : يا اسحق هل تروى حديث الولاية . قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال : اروه ففعلت قال يا اسحق أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه . قلت ان الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين على وأنكر ولاء على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . قال في أى موضع قال هذا أليس بعد منصرفه من حجة الوداع . قلت أجل . قال : فان قتل زيد بن حارثة قبل

الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا . أخبرني لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس مالا ينكرون ولا يجهلون . فقلت اللهم نعم . قال : يا اسحق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم ان الله جل ذكره . قال في كتابه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا انهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم . يا اسحق أتروي حديث أنت مني بمنزلة هرون من موسى . قلت نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده . قال : فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده . قلت من صححه . قال : فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم مزح بهذا القول . قلت أعوذ بالله . قال : فقال قولا لا معنى له فلا يوقف عليه قلت أعوذ بالله قال أفما تعلم ان هرون كان أخا موسى لابيه وأمه . قلت بلى . قال : فعلي أخو رسول الله لابيه وأمه قلت لا قال أوليس هرون نبيا وعلي غير نبي . قلت بلى . قال : فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هرون فما معنى قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى . قلت له انما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون انه خلفه استثقالا له . قال فأراد ان يطيب نفسه بقول لا معنى له قال فاطرقت . قال يا اسحق له معنى في كتاب الله بين . قلت وما هو يا أمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حكاية عن موسى انه قال لاخيه هرون « اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » . قلت يا أمير المؤمنين ان موسى خلف هرون في قومه وهو حي ومضى الى ربه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليا كذلك حين خرج الى غزاته قال كلا ليس كما قلت اخبرني عن موسى حين خلف هرون هل كان معه حين ذهب الى ربه أحد من اصحابه أو أحد من بني اسرائيل . قلت لا قال : أوليس استخلفه على جماعتهم . قلت نعم . قال : فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى غزاته هل خلف الا الضعفاء والنساء والصبيان فانى يكون مثل ذلك . وله عندي تاويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه اياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه ولا أعلم أحدا احتج به وأرجو ان يكون توفيقا من الله . قلت وما هو يا أمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله « واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا » فانت مني يا علي بمنزلة هرون من موسى وزيري من أهلي واخي شد الله به ازري وأشركه في أمري كي نسبح الله

كثيرا ونذ كره كثيرا فهل يقدر أحد ان يدخل فى هذا شيأ غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون لا معنى له . قال فطال المجلس وارتفع النهار . فقال يحيي بن أكثم القاضى يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبت ما لا يقدر أحد ان يدفعه . قال اسحق فاقبل علينا وقال ما تقولون . فقلنا كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله . فقال والله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقبلوا القول من الناس ما كنت لاقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول اللهم انى قد اخرجت الامر من عنقي اللهم انى أدينك بالتقرب اليك بحب علي وولايته .

وكتب المأمون الى عبد الجبار بن سعد المساحقي عامله على المدينة : ان اخطب الناس وادعهم الى بيعة الرضا علي بن موسى . فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس هذا الامر الذى كنتم فيه ترغبون والعدل الذى كنتم تنتظرون ، والخير الذى كنتم ترجون . هذا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ستة آباءهم ماهم من خير من يشرب صوب الغمام . وقال المامون لعلي ابن موسى : علام تدّعون هذا الامر . قال : بقرابة علي وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المأمون : ان لم تكن الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من هو أقرب اليه من علي أومن هو فى قعدده وان ذهبت الى قرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الامر بعدها للحسن والحسين فقد ابتزهما علي حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على ما لا حق له فيه فلم يجد علي بن موسى له جوابا

• ١ — باب من أخبار الدولة العباسية — روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه انه افتقد عبد الله بن عباس وقت صلاة الظهر . فقال لاصحابه ما بال أبي العباس لم يحضر . قالوا وُلِدَ له مولودٌ . فلما صلى على الظهر قال انقلبوا بنا اليه فاتاه فهناه . فقال له شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ، فما سميته . قال : لايجوز لى ان أسميه حتى تسميه أنت . فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ورده . وقال : خذه اليك أبا الاملاك وقد سميته عليا وكنيته أبا الحسن . قال فلما قدم معاوية قال لابن عباس لك اسمه وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه . وكان علي سيدا شريفا عابدا زاهدا وكان يصلى فى كل يوم الف ركعة . وضرب مرتين ضربه الوليد فى تزويجه لبابة ابنة عبد الرحمن بن جعفر . وكانت عند عبد الملك بن مروان فعضّ تفاحة ورمى بها اليها وكان ابخر فدعت بسكين . فقال ما تصنعين به . قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله بن عباس

فضربه الوليد . وقال انما تزوج أمهات أولاد الخلفاء لتضع منهم لان مروان بن الحكم انما تزوج أم خالد بن يزيد لتضع منه . فقال على بن عبدالله بن عباس: انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها الا ان أكون لها محرما وأما ضربه اياه فى المرة الثانية فان محمد بن يزيد . قال حدثنى من رآه مضروبا يطاف به على بعير و وجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبدالله الكذاب . قال فاتيته فقلت ماهذا الذى نسبوك فيه الى الكذب . قال بلغهم انى أقول هذا الامر سيكون فى ولدى و والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذى كان وجوههم المجان المطرقة . و فى حديث آخر ان على بن عبدالله دخل على هشام بن عبدالملك ومعه ابنان أبوالعباس وأبوجعفر فشكا اليه دينا لزمه . فقال له كم دينك قال ثلاثون ألفا فأمر له بقضائه فشكر له عليه . وقال له وصلت رحما وأنا أريد ان تستوصى بابنى هذين خيرا . قال نعم فلما تولى قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قدهتر وأسن وخولط فصار يقول ان هذا الامر سينقل الى ولده فسمعه على بن العباس . فقال والله ليكونن ذلك وليملكن ابناى هذان ماتملكه . قال محمد بن يزيد : وحدثنى جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمى قال حضر على بن عبدالله مجلس عبدالملك بن مروان وكان مكرما له وقد أهديت له من خراسان جارية وفص خاتم وسيف . فقال ياأبامحمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهى من سبى الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان بن على وصالح بن على . وذكر جعفر بن عيسى انه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدرى خرج عليه فانصرف على من مصلاه فاذا بها على فراشه . فقال مرحبا بك ياأم سليمان فوقع عليها فاولدها صالحا فاجتنبت فراشه فسالها عن ذلك . فقالت : خفت ان يموت سليمان فى مرضه فينقطع النسب بينى و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحرى ان ذهب أحدهما بقى الآخر وليس مثلى وطيئة الرجال . و زعم جعفر انه كانت فى سليمان رتة و فى صالح مثلها وانها موجودة فى آل سليمان وصالح . وكان على يقول : أكره ان أوصى الى محمد ولدى وكان سيد ولده وكبيرهم فأشينه بالوصية فاوصى الى سليمان . فلما دفن على جاء محمد الى سعدى ليلا . فقال اخرجى لى وصية أبى . قالت ان أباك اجل من ان تخرج وصيته ليلا ولكن تأتى غدوة ان شاء الله . فلما أصبح غدا عليه سليمان بالوصية . فقال : ياأبى و ياأخى هذه وصية أبيك . فقال : جزاك الله من ابن وأخ

خيراما كنت لأثرب على أبى بعدموته كالم أثرب عليه فى حياته . العتبى عن أبيه عن جده قال : لما اشتكى معاوية شكاته التى هلك فيها أرسل الى ناس من جملة بنى أمية ولم يحضرها سفيانى غيرى وغير عثمان بن محمد . فقال: يامعشر بنى أمية انى لما خفت ان يسبقكم الموت الىّ سبقته بالموعظة اليكم . لالأ ردقدرا، ولكن لا بلغ غدرا . ان الذى أخلف لكم من دنياى أمر ستشاركون فيه وتغلبون عليه . والذى أخلف لكم من ورائى أمر مقصور لكم نفعه ان فعلتموه مخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه . ان قريشا شاركتكم فى أنسابكم وانفردتم دونها بافعالكم فقدمكم ماتقدمتم له اذا أخر غيركم ما تاخر واعنه، ولقد جهل بى فحلمت، ونقر لى ففهمت، حتى كانى أنظر الى أبنائكم بعدكم كنظرى الى آبائهم قبلهم . ان دولتكم ستطول وكل طويل مملول وكل مملول مخذول . فاذا كان ذلك كذلك كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم فيدبر الامر بضد ما أقبل به فلست أذكر حسنا يركب منكم، ولا قبيحا ينتهك فيكم ، ألا والذى أمسك عن ذكره أكثر وأعظم ، ولا معول عليه عند ذلك أفضل من الصبر واحتساب الاجر فيمادكم القوم دولتهم امتداد العنانين فى عنق الجواد . حتى اذا بلغ الله بالامر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبى صلى الله عليه وسلم مع الحلقة المطبوعة على ملالة الشىء المحبوب، كانت الدولة كالاناء المكفأ فعندها أوصيكم بتقوى الله الذى لم يتقه غيركم فيكم فجعل العاقبة لكم والعاقبة للمتقين . قال عمرو بن عتبة : فدخلت عليه يوما آخر فقال : ياعمرو أوعيت كلامى قلت وعيت . قال أعد على كلامى فلقد كلمتكم وما أرانى أمسى من يومكم ذلك . قال شبيب بن شبة الاهتمى : حججت عام هلك هشام وولى الوليد بن يزيد وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينما أنا مريح ناحية من المسجد . اذ طلع من بعض أبواب المسجد فتى أسمر رقيق السمرة ، موفر اللمة خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، أقنى بين القنى، أعين كأن عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبهة الاملاك بزى النساك ، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، يعرف الشرف فى تواضعه، والعفو فى صورته ، واللب فى مشيته . فما ملكت نفسى ان نهضت فى أثره سائلا عن خبره وسبقنى فتحرم بالطواف . فلما سبع قصد المقام فركع وأنا أرعاه ببصرى . ثم نهض منصرفا فكأن عينا أصابته فكبا كبوة دميت لها أصبعه . فقعد لها القرفصاء فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب ، فلا يمتنع على ثم شققت حاشية ثوبه فعصبت بها أصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه . ثم نهض متوكئا على وأنقدت له أماشيه حتى اذا أتى دارا بأعلى مكة ابتدره

رجلان تكادصدورهما تنفرج من هيبته ففتحاله الباب فدخل واجتذ بنى فدخلت بدخوله . ثم خلى يدى وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجز فيهما فى تمام . ثم استوى فى صدر مجلسه فحمدالله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها . ثم قال : لم يخف على مكانك منذ اليوم ولا فعلك بى فمن تكون يرحمك الله قلت شبيب بن شيبة التميمى . قال الاهتمى قلت نعم . قال فرحب وقرب ووصف قومى بابين بيان وأفصح لسان . فقلت له أنا أجلك أصلحك الله عن المسئلة وأحب المعرفة فتبسم وقال لطف أهل العراق أنا عبدالله ابن محمد بن على بن عبدالله بن عباس . فقلت بأبى أنت وامى ما أشبهك بنسبك وأدلك على منصبك ولقد سبق الى قلبى من محبتك الا أبلغه بوصفى لك . قال فاحمد الله يا أخا بنى تميم فانا قوم اعاً بسعد الله بحبنا من أحبه ويشقى ببغضنا من أبغضه ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه . فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حملته وأيام الموسم ضيقة وشغل اهل مكة كثير وفى نفسى أشياء أحب ان أسأل عنها أفتأذن لى فيها جعلت فداك . قال نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجوأن تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت كما رجوت فافعل . قال فقدمت من وثائق القول والايمان ماسكن اليه فتلا قول الله « قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم » ثم قال سل عما بدالك . قلت ماترى فمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى خال الوليد . فتنفس الصعداء وقال عن الصلاة خلفه تسالنى أم كرهت ان يتأمر على آل الله من ليس منهم . قلت عن كلا الامرين . قال ان هذا عند الله لعظيم . فأما الصلاة ففرض لله تعبد به خلقه فادما فرض الله تعالى عليك فى كل وقت مع كل أحد وعلى كل حال فان الذى ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك فى كتابه بانه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة منه لك . ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك قال ثم كررت فى السؤال عليه فما احتجت ان أسأل عن أمر دينى أحدا بعده . ثم قلت يزعم اهل العلم انها ستكون لكم دولة . فقال لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها فنسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها . قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها . قال نعم قوم يأبون الا الوفاء لمن اصطنعهم ونأبى الا طلبا بحقنا فننصر ويخذلون كما نصر بأولنا أولهم ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم . قال فاسترجعت . فقال

سهل عليك الامر سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون لهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم وتجديد الصنيعة عندهم . قلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم . قال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل . فأما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم من انفسهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا بالمحسن عن المسىء ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل باسبابه فتذهب المثابرة وتخبو الفتنة وتطمئن القلوب . قلت ويقال انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة قال قد روى ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره . قلت لم أرد هذا قال فمه قلت تقعون بالولى وتحظون بالعدو قال من يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم لنا من الاعداء أقل وأيسر وانما نحن بشر وأكثرنا اذن ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور فنقع بما لا نريد وان لنا لاحسانا يأسو الله به ما نكلم ويرم به ما نثلم ونستغفر الله مما لا نعلم وما أنكرت من ان يكون الامر على ما بلغك ومع الولى التعزز والادلال ، والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والاحتيال ، والتذلل والاغتيال ، وربما أمل المذل ، وأخل المسترسل وتجانب المتقرب ومع المقة تكون الثقة ، وعلى ان العاقبة لنا على عدونا وهى لولينا وانك لسؤل يا أخا تميم . قلت انى أخاف ان لا أراك بعد اليوم . قال انى لارجو ان أراك وترانى كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى . قلت عجل الله ذلك . قال آمين . قلت ووهب لى السلامة منكم فانى من محبيكم . قال آمين وتبسم . وقال لا باس عليك ما أعاذك الله من ثلاث . قلت وماهى . قال قدح فى الدين أو هتك للملك أو تهمة فى حرمة . ثم قال احفظ عنى ما أقول لك اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخذول ولا تخذل ولينا فانه منصور واصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تستخف فيمقتوك ولا تنقبض فيتجشموك ولا تبدأ حتى يبدؤك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وأنا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته . ثم قلت أترقب لظهور الامر وقتا . قال الله المقدر الموقت فاذا قامت النوحتان بالشام فهما آخر العلامات قلت وماهما . قال موت هشام العام وموت محمد بن على مستهل ذى القعدة وعليه تخلفت وما بلغتكم حتى انضيت . قلت فهل أوصى . قال نعم الى أخيه ابراهيم . قال فلما خرجت فاذا مولى له يتبعنى حتى عرف منزلى . ثم أتانى بكسوة من كسوته . فقال يأمرك أبو جعفر ان تصلى

فى هذه . قال وافترقنا . قال فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدنيانى منه فى جماعة من قومى لا بايعه . فلما نظر الى أثبتنى فقال خليا عمن صحت مودته . وتقدمت حرمته . وأخذت قبل اليوم بيعته . قال فاكبر الناس ذلك من قوله و وجدته على أول عهده لى . ثم قال لى أين كنت عنى فى أيام أخى ابى العباس فذهبت اعتذر . قال امسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مسابقتك فاختر بين رزق يسعك أو عمل يرفعك قلت أنا حافظ لوصيتك . قال وأنا لها أحفظ انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم أنهك عن قبولها . قلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى . قال ذلك لك وهو أجم لقلبك وأودع لك وأعفى ان شاء الله . ثم قال هل زدت فى عيالك بعدى شيئا وكان قد سالنى عنهم فذكرتهم له فعجبت من حفظه . قلت الفرس والخادم . قال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخادمنا وفرسك بخيلنا ولو وسعنى لحملت لك من بيت المال وقد ضممتك الى المهدى وأنا أوصيه بك فانه أفرغ لك منى . قال الاحوص بن محمد الشاعر الانصارى من بنى عاصم بن الافلح الذى حمت لحمه الدبر يشبب بامرأة يقال لها أم جعفر . فقال فيها :

أدور ولولا ان أرى ام جعفر * بابياتكم مادرت حين أدور

وكان لام جعفر اخ يقال له ايمن فاستعدى عليه ابن حزم الانصارى وهو والى المدينة للوليد بن عبد الملك وهو ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فبعث ابن حزم الى الاحوص فاتاه وكان ابن حزم يبغضه فقال ما تقول فيما يقول هذا قال وما يقول قال يزعم انك تشبب باخته وقد فضحته وشهرت أخته بالشعر فانكر ذلك . فقال لهما قد اشتبه على أمركما ولكننى ادفع الى كل واحد منكما سوطا ثم اجتلدا وكان الاحوص قصيرا نحيفا وكان أيمن طويلا ضخما جلدا فغلب ايمن الاحوص فضربه حتى صرعه واثخنه . فقال أيمن :

لقد منع المعروف من أم جعفر * اشم طويل الساعدين غيور
علاك بمتن السوط حتى اتقيته * باصفر من ماء الصفاق يفور

قال فلما رأى الاحوص تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد . ثم شخص اليه الى الشام فدخل عليه فانشده: لا ترثين لحزمى رأيت به * ضرا ولوالقى الحزمى فى النار
الناجشين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

قال له صدقت والله لقد كنا غفلنا عن حزم وآل حزم . ثم دعا كاتبه فقال اكتب عهد عثمان بن جيان المرى على المدينة واعزل ابن حزم واكتب بقبض أموال حزم وآل حزم واسقاطهم اجمعين من الديوان ولا يأخذوا الاموى عطاء أبدا . ففعل ذلك فلم يزالوا فى الحرمان للعطاء مع ذهاب الاموال والضياع حتى انقضت دولة بنى امية وجاءت دولة بنى العباس . فلما قام أبو جعفر المنصور بامر الدولة قدم عليه اهل المدينة فجلس لهم . فامر حاجبه ان يتقدم الى كل رجل منهم ان ينتسب له اذا قام بين يديه . فلم يزالوا على ذلك يفعلون حتى دخل عليه رجل قصير قبيح الوجه . فلما مثل بين يديه قال له ياأمير المؤمنين انا ابن حزم الانصارى الذى يقول فينا الاحوص :

لا ترثين لحزمى رأيت به * ضرا ولو القى الحزمى فى النار

الناخسين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

ثم قال ياأمير المؤمنين حرمنا العطاء منذ سنين وقبضت أموالنا وضياعنا . فقال له المنصور اعد على البيتين فاعادهما عليه . فقال اما والله لئن كان ذلك ضركم فى ذلك الحين لينفعنكم اليوم . ثم قال على بسليمان الكاتب فاتاه أبو أيوب الخوزى . فقال اكتب الى عامل المدينة ان يرد جميع ما اقتطعه بنو أمية من ضياع بنى حزم واموالهم ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم وما استغل من غلاتهم من يومئذ الى اليوم فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بنى مروان ويفرض لكل واحد منهم فى شرف العطاء . وكان شرف العطاء يومئذ مائتى دينار فى السنة . ثم قال على الساعة بعشرة آلاف درهم تدفع الى هذا الفتى لنفقته فخرج الفتى من عنده بما لم يخرج به احد ممن دخل عليه :

١١ — فرش ذكر خلفاء بنى العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم —

ابو العباس السفاح : ولد ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مستهل رجب سنة اربع ومائة . وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتوفى بالانبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . فكانت خلافته أربع سنين وثمانية اشهر وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان . وكان أبيض طويلا اقنى الانف حسن الوجه حسن اللحية جعدها نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وصلى عليه عمه عيسى بن على . ورزق

من الولد اثنين محمد من ام ولد ومات صغيرا وابنة سماها ريطة من ام ولد تزوجها المهدى وأولدها علياً وعبيدالله . ووزر له ابوسلمة حفص بن سليمان الخلال وهو اول من لقب بالوزارة . فقتله ابوالعباس واستوزر بعده خالد بن برمك الى آخر ايامه . وكان حاجبه ابوغسان صالح بن الهيثم . وقاضيه يحيى بن سعيد الانصارى ﴿ المنصور ﴾ وبويع أبوجعفر المنصور واسمه عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس فى اليوم الذى توفى فيه اخوه لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وكان مولده بالشراة لسبع خلون من ذى الحجة سنة خمس وتسعين . وتوفى بمكة قبل التروية بيوم لسبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وهو محرم . ودفن بالحجون وصلى عليه ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس . وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا ثمانية ايام . وكان سنه ثلاثا وستين سنة . وامه امة اسمها سلامة وجنسها بربرية . وكان اسمر طوالا نحيف الجسم خفيف العارضين يخضب بالسواد ونقش خاتمه الله ثقة عبدالله وبه يؤمن . وتزوج ابنة منصور الحميرية وولدت له محمدا وهو المهدى وجعفرا . وكانت شرطت عليه ان لا يتزوج ولا يتسرى الا عن امرها وكان قد ابتاع جارية ام على وجعلها قيما فى ولده على ام موسى باولادها . فحظيت عند ام موسى وسألته التسرى بها لما رأت من فضلها فواقعها فأولدها عليا . وتوفى قبل استكمال سنة . ثم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيدالله فولدت له سليمان وعيسى ويعقوب ورزق من امهات الاولاد صالحا وغالية وجعفرا والقاسم والعباس وعبدالعزيز . ووزر له ابن عطية الباهلى . ثم ابوايوب المورياني . ثم الربيع مولاه . وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه ثم ابوالخصيب مولاه . وكان قاضيه عبدالله بن محمد بن صفوان . ثم شريك بن عبدالله والحسن بن عمار والحجاج بن ارطاة ﴿ المهدى ﴾ ثم بويع ابنه ابوعبدالله محمد المهدى بن عبدالله المنصور ابن محمد بن على بن عبدالله بن عباس صبيحة اليوم الذى توفى فيه ابوه لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة . وكان مولده بالحمية يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وتوفى بماسبذان فى المحرم سنه تسع وستين ومائة وصلى عليه ابنه الرشيد فكانت خلافته عشر سنين وخمسة واربعين يوما . وكان سنه احدى واربعين سنة وثمانية اشهر ويومين . وكان اسمر طويلا معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمنى نكتة

بياض نقش خاتمه الله ثقة محمد و به يؤمن . وتزوج ريطة بنت السفاح وأولدها عليا وعبيد الله .
وأول جارية ابتاعها حياة فرزق منها ولدا مات قبل استكمال سنة . وكان يبتاع الجوارى
باسمها وتقربهن اليه وأول من حظى منهن عنده رحيم ولدت له العباسة . ثم الخيزران فولدت له
موسى وهرون والبانوقة ثم حللة وحسنة فكانتا مغنيتين محسنتين . وتزوج سنة تسع وخمسين
ومائة أم عبد الله بنت صالح بن على أخت الفضل وعبد الله واعتق الخيزران فى السنة وتزوجها .
ووزر له أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى . ثم يعقوب بن داود السلمى . ثم الفيض بن أبى
صالح . واستحجب سلامان الابرش . واستخلف عن القضاء محمد بن عبد الله بن علاثة وعافية
ابن يزيد كانا يقضيان معا فى مسجد الرصافة ﴿ الهادى ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد موسى الهادى
ابن المهدى مستهل صفر سنة تسع وستين ومائة . وتوفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من
شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة بعيساباذ وصلى عليه أخوه الرشيد . وكانت خلافته
سنة وشهرين الا اياما . وكانت سنه ستا وعشرين سنة وكان أبيض طويلا جسيما بشفته
العليا تقلص نقش خاتمه الله ربى . وتزوج أمة العزيز فأولدها عيسى . ثم رحيم فأولدها جعفرا .
ثم سعوف فأولدها العباس . واشترى جارية حسنة بالف درهم وكانت شاعرة فرزق منها عدة
بنات . منهم أم عيسى تزوجها المأمون . وكان له من أمهات الاولاد عبد الله واسحق وموسى
وكان اعمى . ووزر له الربيع . ثم يونس . ثم عمر بن ربع . واستحجب الفضل بن الربيع
وولى القضاء أبا يوسف يعقوب . ثم ابراهيم فى الجانب الغربى . وسعيد بن عبد الرحمن الجمحى
بالجانب الشرقى ﴿ هرون الرشيد ﴾ ثم بويع أخوه أبو محمد هرون الرشيد فى اليوم الذى توفى فيه
أخوه يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة . وفى هذه الليلة
ولد عبد الله المأمون ولم يكن فى سائر الزمان ليلة ولد فيها خليفة وتوفى فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها
وكان مولد الرشيد فى المحرم سنة ثمان وأربعين ومائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين
ومائة ودفن بطوس وصلى عليه ابنه صالح فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر
يوما وكانت سنه ستا وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما افضت اليه الخلافة سلم عليه عمه سليمان بن
المنصور والعباس بن محمد عم أبيه وعبد الصمد بن على عم جده . فعبد الصمد عم العباس والعباس
عم سليمان وسليمان عم هرون . وكان الرشيد أبيض جسيما طويلا جميلا وقد وخطه الشيب نقش

خاتمه لا اله الا الله وخاتم آخر كن من الله على حذر . وتزوج زبيدة واسمها أمة العزيز وتكنى أم الواحد وزبيدة لقب لها وهى ابنة جعفر بن المنصور أولدها محمدا الامين . ثم مراجل فأولدها عبد الله المأمون . وماردة أولدها محمدا المعتصم ونادر ولدت له صالحا وشجا ولدت له خديجة ولبابة . وسريرة ولدت محمدا . وبربرية ولدت له أبا عيسى ثم القاسم وهو المؤتمن . وسكينة وحث فولدت له اسحق وأبا العباس . ووزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى وقتله . ثم الفضل بن الربيع واستحجب بشر بن ميمون مولاه . ثم محمد بن خالد بن برمك واستخلف على قضاء الجانب الغربى نوح بن دراج وحفص بن غياث ﴿الامين﴾ ثم بويع أبو عبد الله محمد الامين فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقتل يوم الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان مولده بالرصافة سنة احدى وسبعين ومائة فى شوال . فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأياما صفا له الامر من جملتها سنتين وشهرا . وكانت الفتنة بينه وبين أخيه سنتين . وكان طويلا جسيما جميلا حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين أشقر سبطا صغير العينين به أثر جدرى نقش خاتمه محمد واثق بالله ورزق من الولد موسى من أم ولد تدعى نظما . ولقبه الناطق بالحق وضرب اسمه على الدراهم . وذكر الصولى قال حدثنى من قرأ على درهم :

كل عز ومفخر * فلموسى المظفر
ملك خط ذكره * فى الكتاب المسطر

وماتت نظم فاشتد جزعه عليها فدخلت زبيدة معزية له . فقالت :

نفسى فداؤك لا يذهب بك التلف * ففى بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فكانت كل مرزية * من بعد موسى على مفقوده سلف

وبايع لابنه موسى فى حياته ولاخيه عبد الله وأمه أم ولد ونقش اسمه أيضا على الدراهم . وكان لجعفر بن موسى الهادى جارية اسمها بذل فطلبها الامين منه فأبى عليه . وكان شديد الوجد بها فزاره الامين يوما فسر به وزاد عليه فى الشرب حتى ثمل فانصرف وأخذ الجارية فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدر ما يصنع فدخل على الامين . فلما مثل بين يديه قال له أحسنت والله يا جعفر بدفعك بذل الينا وما أحسنا ووقر زورقه على عشرين ألف ألف درهم . ووزر

للامين الفضل بن الربيع الى آخر أيامه . وكان حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع . ثم علي بن صالح صاحب المصلى . ثم السندى بن شاهق ﴿المأمون﴾ ثم بويع أبو العباس عبد الله المأمون ابن هرون الرشيد بعد قتل أخيه يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة وكان مولده بالناشرية فى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وتوفى بالبدندون سنة ثمانى عشرة ومائتين لثمان خلون من رجب ودفن بطرسوس . فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما . وكان سنه ثمانا وأربعين سنة وأربعة أشهر الا أياما وكان أبيض تعلوه شقرة أجنى أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين بخده خال أسود وكان قد وخطه الشيب نقش خاتمه سل الله يعطك وكان الرشيد حد المأمون . وذلك انه دخل على الرشيد وعنده مغنية تغنيه فلحنت فكسر المأمون عينه عند استماعه اللحن فتغيرلون الجارية وفطن الرشيد لذلك . فقال أعلمتها بما صنعت . قال لا والله يا مولاى قال ولا أومأت اليها قال قد كان ذلك . فقال كن منى بمرأى ومسمع فاذا خرج اليك أمرى فانته اليه . ثم أخذ دواة وقرطاسا وكتب اليه :

يا آخذ اللحن على الـــــقينة عنـــد الطرب

تريد أن تفهمها * حد لغات العرب

أقسم بالله وما * سطر أهل الكتب

للكلب خير أدبا * من بعض أهل الادب

اذا قرأت ما كتبت به اليك فامر من يضربك عشرين مقرعة جيادا . فدعا المأمون النوابين ثم أمرهم ببطحه وضربه فامتنعوا فاقسم عليهم فامتثلوا أمره . ورزق من الولد محمدا الاصغر وعبيد الله بن أم عيسى بنت موسى الهادى . وتزوج بوران بنت الحسن بن سهل بنى بها سنة عشر ومائتين ووهب لابيها عشرة آلاف ألف درهم ولولده ألف ألف درهم وكان له عدة أولاد من بنين وبنات . ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم الحسن بن سهل . ثم أحمد بن أبى خالد الاحول . ثم أحمد بن يوسف . ثم ثابت بن يحيى . ثم محمد بن يزدار . واستحجب عبد الحميد بن شبيب . ثم محمدا وعليا ابنى صالح مولى المنصور ﴿المعتصم بالله﴾ ثم بويع أخوه أبو اسحق المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمانى عشر

ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة . وتوفى بسر من رأى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين ومائتين وصلى عليه ابنه هرون الواثق . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . وأمه أم ولد يقال لها ماردة . وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعها مشرب اللون نقش خاتمه الله ثقة أبى اسحق بن الرشيد وبه يؤمن وكان شديد الباس حمل بابا من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلا وفوقه عكام فيه مائتان وخمسون رطلا . وخطا خطا كثيرة وكان يسمى ما بين أصبعى المعتصم المقطرة لشدته وانه اعتمد يوما على غلام فدقه . وذكر الصولى انه كان يسمى المثمن . وذلك انه الثامن من خلفائهم ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وولى الامر فى سنة ثمانى عشرة ومائتين وله ثمان وأربعون سنة . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . ورزق من الولد الذكور ثمانية . ومن الاناث ثمانيا وغزا ثمان غزوات وخلف فى بيت ماله ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق ثمانية آلاف ألف درهم . ووزر له الفضل بن مروان . ثم أحمد بن عمار . ثم محمد بن عبد الملك الزيات واستحجب وصيفا مولاه . ثم محمد بن حماد ثم دقش ﴿الواثق﴾ ثم بويع ابنه أبو جعفر هرون الواثق صبيحة اليوم الذى توفى فيه أبوه يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين . وكان مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وتوفى بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وصلى عليه أخوه المتوكل . فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وكان سنه ستا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما . وكان أبيض الى الصفرة حسن الوجه جسيما فى عينه اليمنى نكتة بياض نقش خاتمه محمد رسول الله وختم آخر الواثق بالله ورزق من الولد محمدا المهتدى . وأمه أم ولد يقال لها قرب وعبد الله وأبا العباس أحمد وأبا اسحق محمدا وأبا اسحق ابراهيم . ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات وحاجبه ايتاخ . ثم وصيف مولاه . ثم دقش . وقاضيه ابن أبى دواد ﴿المتوكل﴾ ثم بويع أخوه ابو الفضل جعفر المتوكل يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان مولده يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست ومائتين . وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ودفن فى القصر الجعفرى وصلى عليه ابنه المنتصر ولى عهده . فكانت مدة خلافته

اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسعة ايام . وكان سنه اربعين سنة الاثمانية ايام . وكان أسمر كبير العينين نحيف الجسم خفيف العارضين نقش خاتمه على الهى اتكالى وكان كثير الولد . وزرله محمد ابن عبد الملك الزيات . ثم محمد بن الفضل الجرجانى . ثم عبيد الله بن يحيي بن خاقان واستحجب وصيفا التركى . ثم محمد بن عاصم . ثم ابراهيم بن سهل . وكان خليفته على القضاء يحيي بن اكثم ﴿ المنتصر ﴾ ثم بويع ابنه ابوجعفر محمد المنتصر لاربع خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين فكانت خلافته ستة اشهر . وسنه ستة وعشرين سنة الاثلاثة ايام . وكان قصيرا أسمر ضخم الهامة عظيم البطن جسيما على عينه اليمنى اثر نقش خاتمه يؤتى الحذر من مامنه وعلى خاتم آخر انا من آل محمد الله ولي ومحمد . ورزق من الولد عليا وعبد الوهاب وعبد الله واحمد . ووزرله احمد بن الخصيب . وحاجبه وصيف ثم بغا . ثم ابن المرزبان ثم اوتامش ﴿ المستعين ﴾ ثم بويع المستعين ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وخلع نفسه بموافقة المعتز بوساطة ابى جعفر المعروف بابن الكردية يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر . وكان مولده يوم الثلاثاء لاربع خلون من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين . وقتل بالقادسية بعد خلعه نفسه بتسعة أشهر . وأمه أم ولد يقال لها مخارق . وكان مربوعا أحمر الوجه أشقر مسمنا عريض المنكبين ضخم الكراديس خفيف العارضين بوجهه أثر جدرى ألثغ بالسين نقش خاتمه فى الاعتبار غنى عن الاختبار . ووزرله أحمد بن الخصيب فنكبه وقلد مكانه ابن يزداد . ثم شجاع بن القاسم كاتب أوتامش . وأوتامش هذا حاجبه . وكانت سنه احدى وثلاثين سنة الاثمانية أيام ﴿ المعتز ﴾ ثم ولى أبو عبد الله محمد المعتز بن المتوكل يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكانت الفتنة قبل ذلك بينه وبين المستعين سنة وقتل عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكانت خلافته منذ بويع له واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ومنذ بايعه أهل سر من رأى الى أن قتل أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوما . وقتله صالح بن وصيف وكان

أبيض شديد البياض ربعة حسن الجسم على خده الايسر خال أسود الشعر نقش خاتمه الحمد لله رب كل شئ وخالق كل شئ • وزرله جعفر بن محمود الاسكافى . ثم عيسى بن فرخان شاه . ثم أحمد بن اسرائيل الانبارى وحاجبه سماء بن صالح بن وصيف وكانت سنه أربعا وعشرين سنة وشهرين وأياما ﴿المهتدى﴾ ثم بويع المهتدى أبو عبد الله محمد بن الواثق بسرمن راى يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين • كان مولده يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائتين . وقتل بسرمن رأى بسهم لحقه يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين فكانت خلافته أحد عشر شهرا واربعة عشر يوما • وكان سنه سبعا وثلاثين سنة واربعة أشهر واحد عشر يوما وكان ابيض مشربا بحمرة صغير العينين اقنى الانف فى عارضيه شيب • وخضب لما ولى الخلافة نقش خاتمه من تعدى الحق ضاق مذهبه • وزرله ابو ايوب سليمان بن وهب . وحاجبه بالك ﴿المعتمد﴾ ثم بويع ابو العباس احمد المعتمد بن المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الثلاثاء لثمان بقين من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين • وتوفى ببغداد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين • فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وكان سنه خمسين سنة وخمسة اشهر واثنتين وعشرين يوما ومات اخوه وولى عهده طلحة الموفق فى ايامه فى صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان قد غلب على الامر لميل الناس اليه • وكان المعتمد قد عقد لولده جعفر ولقبه المفوض وبعده لابى احمد طلحة الموفق فاشتد امر الموفق . وقتل صاحب الزنج فى سنة (١) ومال الناس اليه واسمه الناصر لدين الله وكان يدعى له على المنبر فى ايام المعتمد . وكان الموفق حبس ابنه ابا العباس المعتضد . فلما حضرته الوفاة اطلقه للقيام بالامر واجرى المعتمد امره على ما كان يجرى عليه امر ابيه الموفق وافرده بولاية العهد وامر بكتب الكتب لخلع ابنه المفوض • وافرد المعتضد بالعهد وجعله الخليفة بعده . وكان المعتمد اسمر مربوعا نحيف الجسم حسن العينين مدور الوجه على وجهه اثر جدرى نقش خاتمه السعيد من كفى بغيره • ووزر له عبيد الله يحيى بن خاقان ثم سليمان بن وهب • ثم الحسن بن مخلد . ثم صاعد بن مخلد • ثم أبو الصقر اسمعيل بن بلبل

---

(١) بياض بالاصل



حاجبه موسى بن بغا ثم جعفر بن بغا ثم بكتمر ﴿ المعتضد ﴾ و بو يع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق في رجب سنة سبع وسبعين ومائتين وكان مولده في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وتوفى ببغداد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وصلى عليه أبو عمر القاضى . فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام . وكان سنه خمسا وأربعين سنة وتسعة أشهر وأياما . وأمه ضرار وكان نحيف الجسم معتدل القامة طويل اللحية أسمر نقش خاتمه الاضطرار يزيل الاختيار . ووزر له عبيد الله ابن سليمان بن وهب . ثم ابنه القاسم بن عبيد الله وحاجبه صالح الامين ﴿ المكتفى ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد على بن المعتضد يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين . وتوفى ببغداد فدفن عند قبر أبيه ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما وأمه (١) وقيل خاضع . وكان ربعة حسن الوجه أسود الشعر وافر اللحية عريضها ولم يشب الى ان مات نقش خاتمه بالله أحمد بن الموفق يثق . وخلف في بيت ماله ستة عشر الف الف دينار ومن الورق ثلاثين الف الف درهم . ووزر له القاسم بن عبيد الله ثم العباس . ثم الحسن ابن أيوب . وحاجبه خفيف السمرقندى . ثم سوسن مولاه ﴿ المقتدر ﴾ ثم بويع المقتدر وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد في اليوم الذى توفى فيه أخوه يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وخلع في خلافته دفعتين الاولى بعد جلوسه بأربعة أشهر وأيام بابن المعتز وبطل الامر من يومه والدفعة الثانية بعد احدى وعشرين سنة وشهرين ويومين من خلافته . وخلع نفسه وأشهد عليه واجلس القاهر يومين وبعض اليوم الثالث ووقع الخلف بين العسكرين وعاد المقتدر الى حاله . وكان مولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وقتل بالشماسية يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة . فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة الا خمسة عشر يوما . وكان سنه ثمانيا وأربعين سنة وشهرا وعشرين يوما . وكان أبيض مشربا بحمرة حسن الخلق ضخم الجسم بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر مدور الوجه قد كثر الشيب في وجهه نقش خاتمه الحمد لله الذى

---

(١) بياض بالاصل

ليس كمثله شيء وهو على كل شيء . و وزر له العباس بن الحسن . ثم علي بن محمد بن موسى بن الفرات . ثم عبيد الله بن خاقان . ثم أبو الحسن علي بن عيسى . ثم حامد بن العباس . ثم أحمد بن عبيد الله الخصيبي . ثم محمد بن علي بن مقلة . ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم عبيد الله الكلوداني . ثم الحسن بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . ثم الفضل بن جعفر ابن الفرات واستحجب سوسنا مولى المكتفي ونصرا القشوري وياقوتا المعتضدي وابراهيم ومحمدا ابني رائق ﴿ القاهر ﴾ ثم بويع أخوه أبو منصور محمد القاهر بن المعتضد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة . وخلع وسمل يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده لخمس خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثمانين ومائتين . وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وعاش الى أيام المطيع وكان سنه (١) وكان ربعة أسمر اللون معتدل القامة اصهب الشعر . و وزر له أبو علي بن مقلة . ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم أحمد بن عبيد الله الخصيبي . واستحجب علي بن بليق مولى يونس . ثم سلامة الطولوني ﴿ الراضي ﴾ ثم بويع الراضي أبو العباس أحمد بن المقتدر يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين . ومات ببغداد ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة . وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر وأياما وأمه أم ولد يقال لها ظلوم وكان قصير القامة نحيف الجسم اسود الشعر رقيق السمرة في وجهه طول نقش خاتمه محمد رسول الله . ووزر له أبو علي بن مقلة . ثم ابنه أبو الحسين . ثم عبد الرحمن بن عيسى . ثم محمد بن القاسم الكرخي . ثم سليمان بن الحسن . ثم الفضل بن جعفر . ثم أبو عبد الله البزيدي واستحجب محمد بن ياقوت . ثم ذكيا مولاه ﴿ المتقي ﴾ ثم بويع أخوه المتقي ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسمل يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة . وكان مولده في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا الا أياما . وكان أبيض

---

(١) بياض بالاصل

تعلوه حمرة أصهب شعر اللحية كث اللحية بفكه أدنى عوج نقش خاتمه محمد رسول الله • وزرله أحمد بن محمد بن ميمون • ثم اليزيدى • ثم سليمان بن الحسن • ثم أبو اسحق محمد بن أحمد العرايطى • ثم محمد بن القاسم الكرجى • ثم أحمد بن عبد الله الاصبهانى • ثم على بن محمد بن مقلة واستحجب سلامة مولى خمارويه بن أحمد • ثم بدر الحرشنى • ثم سلامة الطولونى • ثم عبد الرحمن بن أحمد بن خاقان المفلحى ﴿ المستكفى ﴾ ثم بويع أبو القاسم عبد الله بن على المستكفى فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بالسبندية عقيب كسوف القمر وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة • فكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وأياما • وكان مولده مستهل سنة اثنتين وتسعين ومائتين • وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة • وكانت سنه سبعا وأربعين سنة • وأمه أم ولد يقال لها غصن • وكان أبيض تعلوه حمرة ضخم الجسم تام الطول خفيف العارضين كبير العينين اشهل جهورى الصوت نقش خاتمه محمد رسول الله • وزرله محمد ابن على السرمن رأى • واستكتب بعده أبا أحمد الفضل بن عبد الله الشيرازى • واستحجب أحمد بن خاقان ﴿ المطيع ﴾ ثم بويع المطيع أبو القاسم الفضل بن المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وخلع نفسه ببغداد لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلثمائة • وكان مولده فى النصف من ذى القعدة سنة احدى وثلثمائة وتوفى فى (١) فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد تدعى مشعلة وكان سنه (٢) وكان شديد البياض اسود شعر الرأس واللحية • وزرله على بن محمد بن مقلة والناظر فى الامور أبو جعفر الصميرى كاتب أحمد بن بويه • ثم استولى على اسم الوزارة • وكتب للمطيع الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى • ومات وقام مقامه أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى وحاجبه عز الدولة بختيار بن معز الدولة * تم كتاب اليتيمة الثانية



(١) بياض بالاصل

(٢) بياض بالاصل

١٦

فن من كتاب الدرة الثانية

﴿ فى أيام العرب ووقائعها ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضى الله عنه : قد مضى قولنا فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعها فانهما مآثر الجاهلية ومكارم الاخلاق السنية . قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم فى مجالسكم . قال كنا نتناشد الشعر ونتحدث باخبار جاهليتنا وقال بعضهم وددت ان لنا مع اسلامنا كرم اخلاق آبائنا فى الجاهلية . ألا ترى ان عنترة الفوارس جاهلى لا دين له والحسن بن هانئ اسلامى له دين فمنع عنترة كرمه مالم يمنع الحسن بن هانئ دينه فقال عنترة فى ذلك :

واغض طرفى ان بدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانئ مع اسلامه :

كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل
والباعثى والناس قد رقدوا * حتى أتيت حليلة البعل

١ — حروب قيس فى الجاهلية — يوم منعج لغنى على عبس . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى يوم منعج يقال له يوم الردهة . وفيه قتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى بمنعج على الردهة . وذلك ان شاس بن زهير اقبل من عند النعمان بن المنذر . وكان قد حباه بحباء جزيل وكان فيما حباه قطيفة حمراء ذات هدب وطيلسان وطيب . فورد منعج وهو ماء لغنى فأناخ راحلته الى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الاسل الغنوى وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر اليه وهو مثل الثور الابيض . فانتزعه رياح بسهم فقتله ونحر ناقته فاكلها وضم متاعه وغيب أثره وفقد شاس بن زهير حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ قد سامتها امرأة رياح بن الاسل . فعلموا ان رياحا صاحب ثارهم فغزت بنو عبس غنيا قبل ان يطلبوا

قودا أودية مع الحسين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة . فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لرياح انج لعلنا نصالح القوم على شئ . فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب لا يريان الا انهما قد خالفا وجهة القوم فر صرد على رؤسهما فصرصر . فقال ماهذا فقال راعهما الا خيل بنى عبس فقال الكلابى لرياح انحدر من خلفى والتمس نفقا فى الارض فانى شاغل القوم عنك . فانحدر رياح عن عجز الجمل حتى أتى صعدة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب وولج فيه ومضى صاحبه فسألوه فحدثهم . وقال هذه غنى جامعة وقد استمكنتم منهم فصدقوه وخلوا سبيله . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذى كان خلفك . فقال لا أكذب رياح بن الاسل وهو فى تلك الصعدات . فقال الحصينان لمن معهما قد أمكننا الله من ثارنا ولا نريد ان يشركنا فيه أحد فوقفوا عنهما ومضوا فجعلا يريمان رياح بن الاسل بالصعدات . فقال لهما هذا عز الكماة الذى تريمانه فابتدراه فرمى أحدهما بسهم فاقصده وطعنه الآخر قبل ان يرميه فاخطاه ومرت به الفرس واستدبره رياح بسهم فقتله . ثم نجا حتى أتى قومه وانصرفا خائبين موتورين . وفى ذلك يقول الكميت بن زيد الاسدى وكان له أبان من غنى :

أنا ابن غنى والدى كلاهما * لامين منهم فى الفروع وفى الاصل

هم استودعوا زهرا نسيب بن سالم * وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل

وهم قتلوا شاس الملوك وارغموا * أباه زهيرا بالمذلة والنكل

٢ — يوم النفراوات لبنى عامر على بنى عبس — فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى . وكانت هوازن تؤدى اليه اتاوة وهى الخراج فاتته يوما عجوز من بنى نصر بن معاوية بسمن فى نحى واعتذرت اليه وشكت سنين تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعسها بقوس فى يده عطل فى صدرها فاستلقت على قفاها منكشفة فتالى خالد بن جعفر وقال والله لاجعلن ذراعى فى عنقه حتى يقتل أو اقتل . وكان زهير عدوسا مقداما لا يبالى ما أقدم عليه فاستقل أى انفرد من قومه بابنيه وبنى أخويه اسيد و زنباع يرعى الغيث فى عشر أوات له وشول فاتاه الحرث بن الشريد وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير . فلما عرف الحرث مكانه ابرز اليه بنى عامر بن صعصعة رهط خالد بن جعفر فركب منهم ستة فوارس فيهم خالد بن جعفر وصخر بن الشريد . وخرج ابن البكاء ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرات ويقال لمعاوية الاخيل وهو جد ليلى الاخيلية وثلاثة فوارس من سائر بنى عامر . فقال أسيد لزهير اعلمتنى راثية

غشى انها رأت على رأس الثنية اشباحا ولا أحسبها الا خيل بنى عامر فالحق بنا بقومنا . فقال زهير كل ازب نفور وكان اسيد أسعر القفا فذهبت مثلا فتحمل أسيد بمن معه و بقى زهير وابناه ورقاء والحرث وصبحتهم الفوارس . فمرت بزهير فرسه القعساء ولحقه خالد ومعاوية الاخيل فطعن معاوية القعساء فقلبت زهيرا وخر خالد فوقه فرفع المغفر عن رأس زهير . وقال يا آل عامر اقبلوا جميعا فأقبل معاوية فضرب زهيرا على مفرق رأسه ضربة بلغت الدماغ وأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا وعليه درعان فلم يغن شيأ واجهض ابنا زهير القوم عن زهير واحتملاه وقد أثخنته الضربة فمنعوه الماء . فقال أميت أنا عطشا اسقونى الماء وان كان فيه نفسى فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام . فقال فى ذلك ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
الى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يمينى يوم أضرب خالدا * ويمنعه منى الحديد المظاهر
فيا ليت انى قبل أيام خالد * ويوم زهير لم تلدنى تماضر
لعمرى لقد بشرت بى اذ ولدتنى * فماذا الذى ردت اليك البشائر

وقال خالد بن جعفر فى قتله زهيرا :

بل كيف تكفرنى هوازن بعدما * أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر بناتهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

٣ — يوم بطن عاقل لذبيان على عامر — فيه قتل خالد بن جعفر ببطن عاقل وذلك ان خالدا قدم على الاسود بن المنذر أخى النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرحال بن عتبة ابن جعفر فالتقى خالد بن جعفر والحرث بن ظالم بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان عند الاسود بن المنذر . قال فدعا لهما الاسود بتمر فجىء به على نطع فجعل بين أيديهم فجعل خالد يقول للحرث بن ظالم يا حارث ألا تشكر يدى عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيرا وتركتك سيدهم . قال سأجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحرث قال الاسود لخالد ما دعاك الى ان تحترش بهذا الكلب وانت ضيفى . فقال له خالد انما هو عبد من عبيدى لو وجدنى نائما

ما أيقظني وانصرف خالد الى قبته فلامه عروة الرحال . ثم ناما وقد أشرجت عليهما القبة ومع الحرث تبيع له من بني محارب يقال له خراش . فلما هدأت العيون أخرج الحرث ناقته وقال لخراش كن لي بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر أي البلاد أحب اليك فاعمد لها . ثم انطلق الحرث حتى أتى قبة خالد فهتك شرجها . ثم ولجها وقال لعروة اسكت فلا بأس عليك وزعم أبو عبيدة انه لم يشعر به حتى أتى خالدا وهو نائم فقتله ونادى عروة عند ذلك واجوار الملك فاقبل اليه الناس وسمع الهتاف الاسود بن المنذر وعنده امرأة من بني عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت . وفي ذلك يقول عبد الله بن جعدة :

شقت عليك العامرية جيبها * أسفا وما تبكي عليك ضلالا
ياحار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
واغرورقت عيناي لما أبصرت * بالجعفري وأسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم * ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضاً متلبباً * منا فانا لا نحاول مالا

٤ — يوم رحرحان لعامر على تميم — قال وهرب الحرث بن ظالم ونبت به البلاد فلجأ الى معبد بن زرارة وقد هلك زرارة فاجاره . فقالت بنو تميم لمعبد مالك آويت هذا المشؤم الانكد وأغريت بنا الاسود وخذلوه غير بني ماوية وبني عبد الله بن دارم . وفي ذلك يقول لقيط بن زرارة :

فاما نهشل وبنو نعيم * فلم يصبر لنا منهم صبور
فان تعمد طهية في أمور * تجدها ثم ليس لها نصير
ويربوع باسفل ذي طلوح * وعمرو لا تحل ولا تسير
أسيد والهجيم لها حصاص * وأقوام من الجعراء عور
وأسلمنا قبائل من تميم * لها عدد اذا حسبوا كثير
وأما الأكثمان بنو عدي * وتيم ان تدبرت الامور
فلا تنعم بهم فتيان حرب * اذا ما الحي صبحهم نذير
اذا ذهبت رماحهم بزيد * فان رماح زيد لا تضير

قال و بلغ الاحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحرث بن ظالم عند معبد فاغزا معبدا فالتقوا برحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فدائه فقال لهما الكما عندى مائتا بعير . فقالا يا أبا نهشل انت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه الا دية ملك فابى ان يزيدهم . وقال لهم ان أبانا أوصانا ان لا نزيد أحدا فى ديته على مائتى بعير . فقال معبد للقيط لا تدعنى يالقيط فوالله لئن تركتنى لا ترانى بعدها أبدا . قال صبرا أبا القعقاع فاين وصاة أبينا ان لا توكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذوب بكم ذؤبان العرب و رحل لقيط عن القوم . قال فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى مات هزالا وقيل أبى معبد ان يطعم شيأ أو يشرب حتى مات هزالا . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت * منية معبد فينا هزالا

وقال جرير :

وليلة وادى رحرحان فررتم * فرارا ولم تلووا زفيف النعائم

تركتم أبا القعقاع فى الغل مصفدا * وأى أخ لم تسلموا فى الاداهم

وقال آخر :

و برحرحان غداة كبل معبد * نكحوا بناتكم بغير مهور

٥ ــ يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم ــ قال أبو عبيدة : يوم شعب جبلة أعظم أيام العرب وذلك انه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبنى عامر وألب عليهم . و بين أيام رحرحان و يوم جبلة سنة كاملة . وكان يوم شعب جبلة قبل الاسلام بار بعين سنة وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم . وكانت بنو عبس يومئذ فى بنى عامر حلفاء لهم فاستعدى لقيط بنى ذبيان لعداوتهم لبنى عبس من أجل حرب داحس فاجابته غطفان كلها غير بنى بدر . وتجمعت لهم تميم كلها غير بنى سعد . وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم و بين غطفان حتى أتى لقيط الجون الكلبى وهو ملك هجر . وكان يحيى من بها من العرب . فقال له هل لك فى قوم عادين قد ملؤا الارض نعما وشاء فترسل معى ابنيك فما أصبنا من مال وسبى فلهما وما أصبنا من دم فلى فاجابه الجون الى ذلك وجعل له موعدا رأس الحول . ثم

أتى لقيط النعمان بن المنذر فاستنجده وأطمعه فى الغنائم فاجابه . وكان لقيط وجيها عند الملوك
فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهلت الجيوش الى لقيط وأقبل سنان بن أبى حارثة
المرى فى غطفان وهو والدهر بن سنان الجواد . وجاءت بنو أسد وأرسل الجون ابنيه
معاوية وعمرا وأرسل النعمان أخاه لامه حسان بن وبرة الكلبى . فلما توافوا اخرجوا الى بنى
عامر وقد أنذروا بهم وتأهبوا لهم . فقال الاحوص بن جعفر وهو يومئذ رحاها وازن لقيس بن
زهير ما ترى فانك تزعم انه لم يعرض لك أمران الا وجدت فى احدهما الفرج . فقال قيس بن زهير
الرأى ان ترتحل بالعيال والاموال حتى تدخل شعب جبلة فتقاتل القوم دونها من وجه واحد
فانهم داخلون عليك الشعب وان لقيطا رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فأرى لك ان تأمر
بالابل فلا ترعى ولا تسقى وتعقل ثم تجعل الذرارى وراء ظهور نا وتأمر الرجال فتأخذ باذناب
الابل فاذا دخلوا علينا الشعب حلت الرجالة عقل الابل ثم لزمت أذنابها فانها تنحدر عليهم وتحن
الى مرعاها ووردها ولا يرد وجوهها شيء وتخرج الفرسان فى أثر الرجالة الذين خلف الابل فانها
تحطم ما لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل قال الاحوص نعم ما رأيت . فأخذ برأيه
ومع بنى عامر يومئذ بنو عبس وغنى فى بنى كلاب وباهلة فى بنى صعب والابناء أبناء صعصعة .
وكان رهط المعقر البارقى يومئذ فى بنى نمير بن عامر . وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس . قال أبو
عبيدة : وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بنى عامر قد دخلوا شعب جبلة فنزلوا على فم
الشعب . فقال لهم رجل من بنى أسد خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا . فوالله
ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير فأبوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الابل
وعطشوها ثلاثة أخماس وذلك اثنتا عشرة ليلة ولم تطعم شيأ . فلما دخلوا حلوا أعقلها فاقبلت
تهوى . فسمع القوم دويها فى الشعب فظنوا ان الشعب قد هدم عليهم والرجالة فى أثرها آخذين
باذنابها فدقت كلما لقيت وفيها بعير اعور يتلوه غلام أعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول :

أنا الغلام الاعسر * الخير فى والشر * والشر منى أكثر

فانهزموا لا يلوون على أحد . وقتل لقيط بن زرارة . وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة .
وأسر سنان بن أبى حارثة المرى أسره عروة الرجال فجز ناصيته واطلقه فلم تشنه . وأسر عمرو
ابن أبى عمرو بن عوين أسره قيس ابن المنفق فجز ناصيته وخلاه طمعا فى المكافاة فلم يفعل .

وقتل معاوية بن الجون ومنقذ بن طريف الاسدى ومالك بن ربعى بن جندل بن نهشل . فقال جرير :

كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذدعايال دارم

ويوم الصفا كنتم عبيد العامر * وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

يعنى بالحزن يوم لقيط . وقال جرير أيضا فى بنى دارم :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا * كأن عليه حلة ارجوان

وكبل حاجب بالشام حولا * فحكم ذا الرقيبة وهو عان

وقالت دختنوس أخت لقيط ترثى لقيطا :

قرت بنوا سد فرا * والطير عن أربابها

عن خير خندف كلها * من كهلها وشبابها

وأتمها حسبا اذا * ضمت الى أحسابها

وقال المعقر البارقى :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر * مع الصبح أم زالت قبيل الاباعر

وحلت سلمى فى هضاب وأيكة * فليس عليها يوم ذلك قادر

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فصبحها أملاكها بكتيبة * عليها اذا أمست من الله ناظر

معاوية بن الجون ذبيان حوله * وحسان فى جمع الرباب مكاثر

وقد رجمت دودان تبغى لثارها * وجاشت تميم كالفحول تخاطر

وقد جمعوا جمعا كان زهاءه * جراد هفا فى هبوة متطاير

فروا باطناب البيوت فردهم * رجال باطناب البيوت مساعر

فيأتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة * لنا مسمعات بالدفوف وزامر

فلم نقرهم شيأ ولكن قراهم * صبوح لدينا مطلع الشمس حازر

وصبحهم عند الشروق كتائب * كاركان سلمى سيرها متواتر

كان نعام الدوباض عليهم * وأعينهم تحت الحبيك خوازر

من الضار بين الهام يمشون مقدما * اذا غص بالريق القليل الحناجر
أظن سراة القوم ان لن يقاتلوا * اذا دعيت بالسفح عبس وعامر
ضربنا حميل البيض فى غمر لجة * فلم ينج فى الناجين منهم مفاخر
هوى زهدم تحت العجاج لعامر * كما انقض باز أقتم الريش كاسر
يفرج عنا كل ثغر نخافه * مشيح كسرحان القصيمة ضامر
وكل طموح فى العنان كانها * اذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسر
لها ناهض فى الوكر قدمهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
تخاف نساء يبتززن حليلها * محربة قد أحردتها الضرائر

استعار هذا البيت فالقت عصاها من المعقر البارقى اذ كان مثلا فى الناس راشد بن عبدربه السلمى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل أباسفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبدربه السلمى أميرا على المظالم والقضاء فقال راشد بن عبدربه :

صحا القلب عن سلمى واقصر شأوه * وردت عليه تبتغيه تماضر
وحلمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض منى الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوه * بعرض ذى الآجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب الغوط أخصبت * وحلت فلاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان ان ليس بينها * وبين قرى بصرى ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فاستعار هذا البيت الاخير من المعقر البارقى ولا أحسبه استجاز ذلك الا لاستعمال العامة له وتمثلهم به :

٦ — يوم مقتل الحرث بن ظالم بالحربية — قال أبوعبيدة : لما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر الكلابى أتى صديقاله من كندة فالتف عليه فطلبه الملك فخفى ذكره حتى شخص من عند الكندى وأضمرته البلاد حتى استجار يزيد أحد بنى عجل بن لجيم . فقام بنو ذهل بن ثعلبة و بنو عمرو بن شيبان فقالوا لعجل أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فانه لا طاقة لنا

بالشيباء ودوسر وهما كتيبتان للاسود بن المنذر ولا يحاربه الملك فابت ذلك عليهم عجل . فلما رأى ذلك الحرث بن ظالم كره أن يقع بينهم فتنة بسببه فارتحل من بنى عجل الى جبل طيء فأجاروه فقال فى ذلك :

لعمرى لقد حلت بى اليوم ناقتى * على ناصر من طيء غير خاذل
فأصبحت جارا للمجرة فيهم * على باذخ يعلو يد المتطاول
اذا اجألفت على شعابها * وسلمى فانى اتم من تناولى

فمكث عندهم حينا . ثم ان الاسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل الى جارات كن للحرث بن ظالم فاستاقهن وأموالهن فبلغ ذلك الحرث بن ظالم فخرج من الجبلين فاندس الحرث بن ظالم فى الناس حتى علم مكان جاراته ومرعى ابلهن فاتاهن فاستنقذهن واستاق ابلهن فالحقهن بقومهن واندس فى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبى حارثة المرى وهو أبو هرم الذى كان يمدحه زهير . وكان الاسود بن المنذر قد استرضع ابنه شرحبيل عند سلمى امرأة سنان وهى من بنى غنم بن دودان بن أسد . فكانت لا تأمن على ابن الملك أحدا فاستعار الحرث بن ظالم سرج سنان وهو فى ناحية الشربة لا يعلم سنان ما يريد وأتى بالسرج امرأة سنان وقال لها يقول لك بعلك ابعثى ابنك مع الحرث فانى أريد ان استأمن له الملك وهذا سرجه آية ذلك . قال فزينته سلمى ودفعته اليه فأتى به ناحية من الشربة فقتله . وقال فى ذلك :

اخصى حمار بات يكدم لجمه * اتؤكل جاراتى وجارك سالم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الاكارم
فتكت به لما فتكت بخالد * وكان سلاحى تحتويه الجماجم
بدأت بذاك واثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم

قال وهرب الحرث من فوره ذلك وهرب سنان بن أبى حارثة . فلما بلغ الاسود قتل ابنه شرحبيل غزا بنى ذبيان فقتل وسبى وأخذ الاموال وأغار على بنى دودان رهط سلمى التى كان شرحبيل فى حجرها فقتلهم وسباهم فنشط لذلك . قال فوجد بعد ذلك نعلى شرحبيل فى ناحية الشربة عند بنى محارب بن خصفة فعزاهم الملك . ثم أسرهم ثم أحمى الصفا . وقال انى أحذيكم نعالا فأمشاهم على ذلك الصفا فتساقطت أقدامهم . ثم ان سيار بن عمرو بن جابر الفزارى احتمل

للاسود دية ابنه الف بعير وهى دية الملوك و رهنه بها قوسه فوفاها . فقال فى ذلك :

ونحن رهنا القوس ثمة فوديت * بألف على ظهر الفزارى اقرعا

بعشر مئين للملوك وفى بها * ليحمد سيار بن عمرو فاسرعا

فكان هذا قبل قوس حاجب . وقال فى ذلك أيضا :

وهل وجدتم حاملا كحامل * اذرهن القوس بالف كافل

بدية للملك الحلاحل * فافتكها من قبل عام قابل

وهرب الحرث فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره . وكان من سببه وقعة رحرحان التى تقدم ذكرها . ثم هرب الحرث حتى لحق بمكة وقريش لانه يقال ان مرة بن عوف بن سعد أبا ذبيان انما هو مرة بن عوف بن لؤى بن غالب فتوسل اليهم بهذه القرابة . وقال فى ذلك :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد * واخوتهم نسبت الى لؤى

الى نسب كريم غير دغل * وحى من أكارم كل حى

فان يك منهم أصلى فنهم * قرابين الاله بنو قصى

فقالوا هذه رحم كرشاء اذا استغنيتم عنها ادبرتم . قال فشخص الحرث عنهم غضبان . وقال فى ذلك :

ألا لستم منا ولا نحن منكم * برئنا اليكم من لؤى بن غالب

غدونا على نشز الحجاز وأنتم * بمنشعب البطحاء بين الاخاشب

وتوجه الحرث بن ظالم الى الشام فلحق بيزيد بن عمرو الغسانى فاجاره واكرمه . وكان ليزيد ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وصرة ملح وانما كان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترئ عليه فوحمت امرأة الحرث فاشتهت شحما فى وحمها فانطلق الحرث الى ناقة الملك فانتحرها وأتاها بشحمها وفقدت الناقة فارسل الملك الى الحسن التغلبى . وكان كاهنا فساله عن الناقة فاخبره ان الحرث صاحبها فهم الملك به . ثم تذمم من ذلك وأوجس الحرث فى نفسه شرا فاتى الحسن التغلبى فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك فامر بقتله فقال أيها الملك انك قد أجرتنى فلا تغدرن بى . فقال لا ضير ان غدرت بك مرة لقد غدرت بى مرارا وأمر ابن الحسن فقتله وأخذ ابن الحسن سيف الحرث فاتى به عكاظ فى الاشهر الحرم فاراه قيس بن زهير العبسى فضربه قيس فقتله . وقال يرثى الحرث بن ظالم :

وماقصرت من حاضر دون سرها * أبر وأوفى منك حار بن ظالم
أعز وأحمى عند جار وذمة * وأضرب فى كاب من النقع قاتم

٧ حرب داحس والغبراء — وهى من حروب قيس . قال أبو عبيدة : حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابنى بغيض بن ريث بن غطفان . وكان السبب الذى هاجها ان قيس ابن زهير وحمل ابن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق . وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء حجرة لحمل بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة والاضمار أربعين ليلة ثم قادوهما الى رأس الميدان بعد ان أضمروهما أربعين ليلة وفى طرف الغاية شعاب كثيرة فأكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية . قال فارسلوهما فاحضرا . فلما احضرا خرجت الانثى من الفحل . فقال حمل بن بدر سبقتك ياقيس فقال قيس رويدا يعدوان الجرد الى الوعث وترشح أعطاف الفحل . قال فلما أوغلا فى الجرد وخرجا الى الوَعْث بَزَّ داحس عن الغبراء فقال قيس جرى المذكيات غلاء فذهبت مثلا . فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجه داحس فردوه عن الغاية . فى ذلك يقول قيس بن زهير :

وما لاقيت من حمل بن بدر * واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر * وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض فبقيت أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق . فقال قيس كلا لا مطلتك به . ثم أخذ الرمح فطعنه به فدق صلبه ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء وزعموا ان الربيع بن زياد العبسى حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس . ثم ان مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشربة فاخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . فى ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا فابى حذيفة ان يرد شيئا . وكان

الربيع بن زياد يجاور النبي فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته . وكان يقال لهم الكملة وكان مشاحنا لقيس بن زهير من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد فاطرد قيس لبونا لبني زياد فاتى بها مكة فعاوض بها عبد الله بن جدعان بسلاح . وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

ألم يأتيك والانباء تنمى * بما لاقت لبون بني زياد

ومحبسها على القرشي تشرى * بادراع واسياف حداد

وكنت اذا بليت بخصم سوء * دلفت له بداهية الفؤاد

ولما قتل مالك بن زهير قامت بنو فزارة يسألون ويقولون مافعل حماركم قالوا اصطدناه . فقال الربيع ماهذا الوحي قالوا قتلنا مالك بن زهير . قال بئسما فعلتم بقومكم قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم . قالوا لولا انك جارنا لقتلناك وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له بعد ثلاث ليال اخرج عنا فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه وأتاه قيس بن زهير فعاقده . وفي ذلك يقول الربيع :

فان تك حربكم امست عوانا * فاني لم أكن ممن جناها

ولكن ولد سودة أرثوها * وحشوا نارها لمن اصطلاها

فاني غير خاذلكم ولكن * سأسعى الآن اذ بلغت مداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان الى بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر

٨ — يوم المُرَيقب لبني عبس على فزارة — فالتقوا بذي المريقب من أرض الشربة فاقتتلوا . فكانت الشوكة في بني فزارة فقتل منهم عوف بن زيد بن عمرو بن أبي الحصين أحد بني عدي بن فزارة وضمضم أبو الحصين المري قتله عنترة الفوارس وتفر كثير ممن لا يعرف أسماؤهم . فبلغ عنترة ان حصينا وهرما ابني ضمضم يشتمانه ويوعدانه . فقال في قصيدته التي أولها :

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

ولقد خشيت بان أموت ولم تدر * للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشاتمي عرضي ولم أشتمهما * والناذرين اذا لم آلقهما دمي

ان يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

لما رآنى قد نزلت أريده * أبدى نواجذه لغير تبسم

وفى هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

ولقد علمت اذا التقت فرسانها * يوم المريقب ان ظنك أحمق

٩ — يوم ذى حسا لذبيان على عبس — ثم ان ذبيان تجمعت لما اصابت بنو عبس منهم يوم المريقب فزارة بن ذبيان ومرة بن عوف بن سفيان بن ذبيان وأحلافهم فنزلوا فتوافوا بذى حسا وهو وادى الصفا من أرض الشربة وبينها وبين قطن ثلاث ليال وبينها وبين اليعمرية ليلة فهربت بنو عبس وخافت ان لا تقوم بجماعة بنى ذبيان واتبعوهم حتى لحقوهم فقالوا التفانى أو تقيدون . فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد ان لا يناجزوهم وان يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا فى أمرهم . فتوافقوا ان يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو احد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان : فدفعوا اليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس . وكان رأى الربيع مناجزتهم فصرفه قيس عن ذلك . فقال الربيع :

أقول ولم املك لقيس نصيحة * أرى ما ترى والله بالغيب اعلم

أتبقى على ذبيان فى قتل مالك * فقد حش جانى الحرب نارا تضرم

فمكث رهنهم عند سبيع بن عمرو حتى حضرته الوفاة . فقال لابنه مالك بن سبيع ان عندك مكرمة لا ضيران أنت حفظت هؤلاء الاغيلمة . فكأنى بك لومت قد أتاك خالك حذيفة بن بدر فعصر لك عينيه . وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها أبدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم . فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم اليه فاتى بهم اليعمرية فجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا ويقول نادا اباك فينادى أباه حتى يقتله

١٠ — يوم اليعمرية لعبس على ذبيان — فلما بلغ ذلك من فعل حذيفة بنى عبس أتوهم باليعمرية : فلقوهم بالحرة حرة اليعمرية فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا منهم مالك بن سبيع الذى بذى بالغلمة الى حذيفة وأخوه يزيد بن سبيع وعامر بن لوذان والحرث بن زيد وهرم بن ضمضم أخو حصين ويقال ليوم اليعمرية يوم نفرلان بينهما اقل من نصف يوم

١١ — يوم الهباءة لعبس على ذبيان — ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ الى جنب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتى انتصف النهار وحجز الحر بينهم • وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركض . فقال قيس بن زهير يا بني عبس ان حذيفه غدا اذا احتدمت الوديقة مستنقع في جفر الهباءة فعليكم بها فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف فرس حذيفة والحنفاء فرس حمل بن بدر فقال قيس بن زهير هـذا أثر الحنفاء وصارف فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة فبصر بهم حمل بن بدر • فقال لهـم من أبغض الناس اليكم ان يقف على رؤسكم قالوا قيس بن زهـير والربيع بن زياد • فقال هـذا قيس بن زهير قد أتاكم فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وقيس يقول لبيكم لبيكم يعني اجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون • وفي الجفر حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك بن بدر وورقاء بن هلال من بني ثعلبة بن سعد وحسن بن وهب فوقف عليهم شداد بن معاوية العبسي وهو فارس جروة وجروة فرسه ولها يقول :

ومن يك سائلا عني فاني * وجروة كالشجا تحت الوريد
اقوتها بقوتي ان شتونا * وألحفها ردائي في الجليد

فحال بينهم و بين خيلهم ثم توافت فرسان بني عبس • فقال حمل ناشدتك الله والرحم ياقيس فقال لبيكم لبيكم فعرف حذيفة انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال اياك والمأثور من الكلام فذهبت مثلا وقال لقيس لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها فقال قيس أبعـدها الله ولا أصلحها وجاءه قرواش بمعبلة فقصم صلبه وابتدره الحرث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباه بسيفهما حتى ذففا عليه وقتل الربيع بن زياد حمل ابن بدر • فقال قيس بن زهير يرثيه :

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة مايريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي * عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج علي ومستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل هو بالغلمة فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في استه وفيه يقول قائلهم :

فان قتيلا بالهباءة فى استه * صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهدكم عن ضلالكم * وتعرف اذا مافض عنها الخواتم

وقال فى ذلك عقيل بن علفة المرى :

ويوقد عوف للعشيرة ناره * فهلا على جفر الهباءة أوقدا
فان على جفر الهباءة هامة * تنادى بنى بدر وعارا مخلدا
وان أبا ورد حذيفة مثغر * باير على جفر الهباءة اسودا

وقال الربيع بن قعنب :

خلق المخازى غيران بذى حسا * لبنى فزارة خزية لاتخلق
تبيان ذلك ان فى است أبيهم * شعنا من صحف المخازى تبرق

وقال عمرو بن الاسلع :

ان السماء وان الارض شاهدة * والله يشهد والانسان والبلد
انى جزيت بنى بدر بسعيهم * على الهباءة قتلا ماله قود
لما التقينا على أرجاء جمتها * والمشرفية فى ايماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له * خذها اليك فانت السيد الصمد

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بارض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا باخوالهم بنى حنيفة ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببنى سعد بن زيد بن مناة

١٢ — يوم الفروق — ثم ان بنى سعد غدر والجوارهم فأتوا معاوية الجون فاستجاشوا عليهم وأرادوا أكلهم فبلغ ذلك بنى عبس فقروا الليلا وقدموا ظعنهم ووقفت فرسانهم بموضع يقال له الفروق . واغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم فلم يجدوا الا مواقد النيران فاتبعوهم حتى أتوا الفروق فاذا بالخيل والفرسان قد توارت الظعن عنهم فانصرفوا عنهم ومضى بنو عبس فنزلوا ببنى ضبة فأقاموا فيهم . وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى رواحة و بنو بدر بن فزارة يسمون بنى سودة ثم رجعوا الى قومهم فصالحوهم . وكان أول من سعى فى الحمالة حرملة بن الاشعر بن صرمة بن مرة فمات فسعى فيها هاشم ابن حرملة

ابنه . وله يقول الشاعر :

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباتين ويوم اليعمله
ترى الملوك حوله مرعبله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

١٣ — يوم قطن — فلما توافوا للصلح وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تيجان أحد بنى مخزوم بن مالك فقتله بابيه ضمضم . وكان عنترة بن شداد قتله بذى المريقب فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان . وقالوا الا نصالحكم ما بل البحر صوفة وقد غدر تم بنا غير مرة وتناهض القوم عبس وذبيان فالتقوا بقطن فقتل يومئذ عمرو بن الاسلع عيينة ثم سفرت السفراء بينهم . وأتى خارجة بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه اليه . فقال فى هذا وفاء من ابنك فاخذه فكان عنده أياما . ثم حمل خارجة لابى تيجان مائة بعير قادها اليه واصطلحوا وتعاقدوا

١٤ - يوم غدير قليب - قال أبو عبيدة : فاصطلح الحيان الا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فانهم أبوا ذلك . وقالوا لا نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قليب فسبقهم بنو عبس الى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون عطشا ودوابهم فاصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سبيع من بنى ثعلبة . واياها يعنى زهيرا بقوله :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تواتوا ودقوا بينهم عطر منشم
فوردوا حربا وأخرجوا عنه سلما . ثم حرب داحس والغبراء

١٥ — يوم الرقم لغطفان على بنى عامر — غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم وهو ماء لبنى مرة وعلى بنى عامر عامر بن الطفيل ويقال يزيد بن الصعق فركب عيينة ابن حصن فى بنى فزارة ويزيد بن سنان فى بنى مرة ويقال الحرث بن عوف . فانهزمت بنو عامر وجعل يقاتل عامر بن الطفيل ويقول يا لقيس لا تقتلى نموتى فزعمت بنو غطفان انهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا فدفعوهم الى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم فقتلوهم أجمعين . وانهزم الحكم بن الطفيل فى نفر من أصحابه فيهم جراب بن كعب حتى انتهوا الى ماء يقال له المزورات فقطع العطش أعناقهم فماتوا . وخنق نفسه الحكم بن الطفيل تحت شجرة مخافة المثلة . وقال فى ذلك عروة بن الورد :

عجبت لهم لم يخنقون نفوسهم * ومقتلهم تحت الوغا كان أجدرا

١٦ — يوم النتاءة لعبس على بنى عامر — خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثارها يوم الرقم فجمعوا على بنى عبس بالنتاءة وقد أنذروا بهم فالتقوا وعلى بنى عامر عامر بن الطفيل وعلى بنى عبس الربيع بن زياد فاقتتلوا قتالا شديدا . فانهزمت بنو عامر وقتل منهم صفوان بن مرة قتله الاحنف بن مالك ونهشل بن عبيدة بن جعفر قتله أبو زعبة بن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد وطعن ضبيعة بن الحرث عامر بن الطفيل فلم يضره ونجا عامر وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة فقال حراشة بن عمرو العبسى :

وساروا على أظنابهم وتواعدوا * مياها تحامتها تميم وعامر
كان لم يكن بين الزفاف وواسط * الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
ألا ابلغا عنى خليلى عامرا * تنسى سعاد اليوم أم أنت ذاكر
وصدتك أطراف الرماح عن الهوى * ورمت أمورا ليس فيها مصادر
وغادرت هزان الرئيس ونهشلا * فلله عينا عامر من يغادر
وأسلمت عبد الله لما عرفتهم * ونجاك وثاب الجراثيم ضامر
قذفتهم فى اليم ثم خذلتهم * فلا وألت نفس عليك تحاذر

وقال أبو عبيدة: ان عامر بن الطفيل هو الذى طعن ضبيعة بن الحرث ثم نجا من طعنته . وقال فى ذلك :

فان تنج منها يا ضبيع فاننى * وجدك لم أعقد عليك التمائما

١٧ — يوم شواحط لبنى محارب على بنى عامر — غزت سرية من بنى عامر بن صعصعة بلاد غسان فاغارت على ابل لبنى محارب بن خصفة فادركهم الطلب فقتلوا من بنى كلاب سبعة وارتدوا ابلهم. فلما رجعوا من عندهم وثب بنو كلاب على حشر وهم من بنى محارب كانوا حاربوا اخوتهم فخرجوا عنهم وحالفوا بنى عامر بن صعصعة فقالوا اقتلهم بقتل بنى محارب من قتلوا منا فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك . وقال :

أيا راكبا اما عرضت فبلغن * عقيلا وأبلغ ان لقيت أبا بكر
فيا أخوينا من أبينا وأمنا * اليكم اليكم لا سبيل الى حشر
دعوا جانبى انى سأترك جانبا * لكم واسعا بين اليمامة والقهر

أنا فارس الضحياء عمرو بن عامر * أبى الذم واختار الوفاء على الغدر

١٨ ـ يوم حوزة الاول لسليم على غطفان ـ قال أبو عبيدة : كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد و بين هاشم بن حرملة أحد بنى مرة غطفان كلام بعكاظ . فقال معاوية لوددت والله انى قد سمعت بظعائن يندبنك . فقال هاشم والله لوددت انى قد بريت الرطبة وهى جمة معاوية . وكانت الدهر تنطف ماء ودهنا وان لم تدهن . فلما كان بعد تهيأ معاوية ليغزو هاشما فنهاه أخوه صخر . فقال كانى بك ان غزوتهم علق بجمتك حسك العرفط . قال فأبى معاوية وغزاهم يوم حوزة فرآه هاشم بن حرملة قبل ان يراه معاوية وكان هاشم ناقها من مرض أصابه . فقال لاخيه دريد بن حرملة ان هذا ان رآنى لم آمن ان يشد على وأنا حديث عهد بشيكة فاستطرد له دونى حتى تجعله بينى و بينك ففعل فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاختلفا طعنتين فاردى معاوية هاشما عن فرسه الشماء وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية . قال وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشما فضرب معاوية بالسيف فقتله وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حرث الفزارى . قال وعادت الشماء فرس هاشم حتى دخلت فى جيش بنى سليم فاخذوها وظنوها فرس الفزارى الذى قتله خفاف . ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخى معاوية . فقالوا انعم صباحا أبا حسان قال حييتم بذلك ماصنع معاوية . قالوا قتل : قال فما هذه الفرس قالوا قتلنا صاحبها . قال اذا قد أدركتم ثاركم هذه فرس هاشم بن حرملة . قال فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام فاتى بنى مرة فلما رأوه قال لهم هاشم هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا وهاشم مريض من الطعنة التى طعنه معاوية . فقال من قتل أخى فسكتوا . فقال لمن هذه الفرس التى تحتى فسكتوا . فقال هاشم هلم أبا حسان الى من يخبرك قال من قتل أخى . فقال هاشم اذا أصبتنى أو دريدا فقد أصبت ثارك قال فهل كفنتموه . قال نعم فى بردين أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال فار ونى قبره فاروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده . ثم قال كانكم قد أنكرتم مارأيتم من جزعى فوالله ما بت منذ عقلت الا واترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده

١٩ ـ يوم حوزة الثانى ـ قال ثم غزاهم صخر . فلما دنا منهم مضى على الشماء وكانت

غراء محجلة فسود غرتها وتحجيلها فرأته بنت لهاشم . فقالت لعمها دريد أين الشماء . قال هي في بني سليم . قالت ما أشبهها بهذه الفرس فاستوى جالسا . فقال هذه فرس بهيم والشماء غراء محجلة وعاد فاصطجع فلم يشعر حتى طعنه صخر . قال فثار وابتناذروا وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها وعارض دونه البرشجرة بن عبد العزى . وكانت أمه خنساء أخت صخر وصخر خاله فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا الى قومه . فقال خفاف بن ندبة لما اقتل معاوية قتلني الله ان برحت من مكاني حتى أثار به فشد على مالك سيد بني جمح فقتله . فقال في ذلك :

فان تك خيلى قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا
نصبت له علوا وقد حام صحبتى * لابنى مجدا أولا ثأرها لكا
أقول له والرمح ياطرمتنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

وقال صخر يرثي معاوية وكان قال له قومه اهج بني مرة . فقال ما بيننا أجل من القذع وأنشأ يقول :

وعاذلة هبت بليل تلومنى * الا لا تلومينى كفى اللوم مابيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالى ان اهجوهم ثم ماليا
أبى الذم انى قد أصابوا كريمتى * وان ليس اهداء الخنى من سماتيا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب الناس عنى معاويا
وهون وجدى انني لم أقل له * كذبت ولم ابخل عليه بماليا
وذى اخوة قطعت اقران بينهم * كما تركونى واحدا لا أخاليا

وقال في قتل دريد :

ولقد دفعت الى دريد طعنة * نجلاء تزغر مثل غط المنخر
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الدابر

قال أبو عبيدة : واما هاشم بن حرملة فانه خرج منتجعا فلقيه عمرو بن قيس الجشمي فتبعه . وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسي ان وأل . فلما نزل هاشم كمن له عمرو بن قيس بين الشجر حتى اذا دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق قحفه فقتله . وقال في ذلك :

انى قتلت هاشم بن حرملة * اذا الملوك حوله مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لاذنب له

٢٠ — يوم ذات الاثل — قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو الشريد بنى أسد ابن خزيمة وا كتسح ابلهم فأتى الصريخ بنى أسد . فركبوا حتى تلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة بن ثور الاسدى صخرا فى جنبه وفات القوم بالغنيمة وجرى صخر من الطعنة فكان مريضا قريبا من الحول حتى مله أهله فسمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته كيف بعلك قالت لا حى فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه الامرين وكانت تسأل أمه كيف صخر فتقول أرجو له العافية ان شاء الله . فقال فى ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى

فاى امرىء ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان

وما كنت أخشى أن تكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان

لعمرى لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان

أهم بامر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة . قالوا له لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شأنكم فقطعوها فمات . فقالت الخنساء أخته ترثيه :

فما بال عينى مابالها * لقد أخضل الدمع سربالها

أمن فقد صخر من آل الشريـ ـد حلت به الارض أثقالها

فآليت أبكى على هالك * وأسأل نائحة مالها

هممت بنفسى كل الهموم * فاولى لنفسى أولى لها

سأحمل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها

وقالت ترثية :

وقائلة والنفس قد فات خطوها * لتدركه يالهف نفسى على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

٢١ — يوم عذبية وهو يوم ملحان — قال أبو عبيدة : هذا اليوم قبل يوم ذات الاثل وذلك ان صخرا غزا بقومه وترك الحى خلوا فاغارت عليهم غطفان فثارت اليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم فقتل من غطفان نفر وانهزم الباقون . فقال فى ذلك صخر :

جزى الله خيرا قومنا اذ دعاهم * بعدنية الحي الحلوق المصبح
وغلماننا كانوا أسودا خفية * وحق علينا ان يثابوا ويمدحوا
هم قروا اقرانهم بعضرس * وسعروذادوا الجيش حتى تزحزحوا
كانهم اذ يطردون عشية * بقية ملحان نعام مروح

٢٢ـ يوم اللوى لغطفان على هوازن ـ قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصمة واسم الصمة معاوية الاصغر من بني غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى فاسمه عبد الله وخالد ومعبد وكنيته أبو فرغان وأبو دفافة وأبو ووفاء وهو أخو دريد بن الصمة لابيه وأمه . فاغار على غطفان فاصاب منهم ابلا عظيمة فاطردها . فقال له أخوه دريد النجاء فقد ظفرت فابى عليه وقال لا أبرح حتى انتقع نقيعتى والنقيعة ناقة ينحرها من وسط الابل فيصنع منها طعاما لاصحابه ويقسم ما أصاب على أصحابه . فاقام وعصى أخاه فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى فقتل عبد الله وارتث دريد فبقى فى القتلى . فلما كان فى بعض الليل أتاه فارسان . فقال أحدهما لصاحبه انى أرى عينيه تبص فانزل فانظر الى نفسه فنزل فكشف ثوبه فاذا هى ترمى فطعنه فخرج دم قد كان احتقن . قال دريد فافقت عندها فلما جاوزونى نهضت . قال فما شعرت الا وأنا عند عرقوبى جمل امرأة من هوازن . فقالت من أنت أعوذ بالله من شرك قلت لا بل من أنت ويلك قالت امرأة من هوازن سيارة قلت وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة . قال وكانت فى قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضمته وعالجته حتى أفاق . فقال دريد يرثى عبد الله أخاه ويذكر عصيانه له وعصيان قومه بقوله :

أعاذل ان الرزء فى مثل خالد * ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد
وقلت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بنى السوداء والقوم شهدى
علانية ظنوا بالفى مدجج * سراتهم فى السابرى المسرد
أمرتهم أمرى بمنقطع اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم واننى غير مهتد
وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

فان تعقب الايام والدهر تعلموا * بنى غالب أنا غضاب لمعبد
تنادوافقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعيذ الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد
ولا برما اذا الرياح تناوحت * برطب العضاه والضريع المنضد
كميش الازار خارج نصف ساقه * صبور على الضراء طلاع انجد
قليل التشكى للمصائب حافظ * عليم باعقاب الاحاديث فى غد
وهون وجدى اننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

أبوحاتم عن أبى عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة فى فوارس من بنى جشم حتى اذا كانوا فى واد لبنى كنانة يقال له الاخرم وهم يريدون الغارة على بنى كنانة اذ رفع له رجل فى ناحية الوادى معه ظعينة . فلما نظر اليه قال لفارس من أصحابه صح به خل عن الظعينة وانج بنفسك فانتهى اليه الفارس وصاح به وألح عليه فالقى زمام الناقة وقال للظعينة :

سيرى على رسلك سير الآمن * سير رداح ذات جاش ساكن
ان التأنى دون قرنى شائن * ابلى بلائى واخبرى وعاينى

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه فاعطاه للظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ماصنع صاحبه . فلما انتهى اليه ورأى ماصنع صاح به فتصامم عنه كان لم يسمع فظن انه لم يسمع فغشيه فالقى زمام الراحلة الى الظعينة . ثم خرج وهو يقول :

خل سبيل الحرة المنيعه * انك لاق دونها ربيعه * فى كفه خطية مطيعه
أولا فخذها طعنة سريعه * والطعن منى فى الوغى شريعه

ثم حمل عليه فصرعه . فلما ابطأ على دريد بعث فارسا لينظر ماصنعا . فلما انتهى اليهما وجدهما صريعين ونظر اليه يقود ظعينته ويجر رمحه . فقال للظعينة اقصدى قصد البيوت . ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شتيم عابس * ألم تر الفارس بعد الفارس * أرداهما عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه وارتاب دريد فظن انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق دريد ربيعة وقد دنا من الحى و وجد أصحابه قد قتلوا . فقال أيها الفارس ان مثلك لا يقتل

ولا أرى معك رمحك والخيل ثائرة باصحابك فدونك هذا الرمح فانى منصرف الى أصحابى ومثبطهم عنك فانصرف الى أصحابه . فقال ان فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحى ولا مطمع لكم فيه فانصرف القوم . فقال دريد فى ذلك :

ماان رأيت ولا سمعت بمثله * حامى الظعينة فارسا لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة * ثم استمر كانه لم يفعل
متهللا تبدو أسرة وجهه * مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجى ظعينته ويسحب رمحه * متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه * مثل البغاث خشين وقع الاجدل
ياليت شعرى من أبوه وأمه * ياصاح من يك مثله لا يجهل

وقال ابن مكدم :

ان كان ينفعك اليقين فسائلى * عنى الظعينة يوم وادى الاخرم
اذ هى لاول من أتاها نهبة * لولا طعان ربيعة بن مكدم
اذ قال لى أدنى الفوارس منهم * خل الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه * عمدا ليعلم بعض مالم يعلم
وهويت بالرمح الطويل اهابة * فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة * نجلاء فاغرة كشدق الاضجم
ولقد شفعتها بآخر ثالث * وأبى الفرار عن العداة تكرمى

ثم لم يلبث بنو كنانة ان غارت على بنى جشم فقتلوا وأسروا دريد بن الصمة فأخفى نفسه . فبينما هو عندهم محبوس اذ جاءت نسوة يتهادين اليه فصاحت احداهن . فقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جرى علينا هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها . فقالت يا آل فراس أنا جارة لكم منه هذا صاحبنا يوم الوادى فسألوه من هو . فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبى قالوا ربيعة بن مكدم . قال فما فعل قالوا اقتلته بنو سليم . قال فما فعلت الظعينة قالت المرأة أنا هى وأنا امرأته فحبسه القوم وائتمروا أنفسهم . فقال بعضهم لا ينبغى لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال الآخرون لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذى أسره فانبعثت المرأة فى الليل وهى ريطة بنت جذل الطعان . فقالت :

ستجزى دريداعن ربيعة نعمة * وكل امرئ يجزى بما كان قدما
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وان كان شرا كان شرا مذمما
ستجزيه نعمى لم تكن بصغيرة * باعطائه الرمح الطويل المقوما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم * ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما
فان كان حيا لم يطق بثوابه * ذراعا غنيا كان أو كان معدما

فلما أصبحوا أطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه فلم يزل كافا عن حرب بنى فراس حتى هلك

٢٣ — يوم الصلعاء لهوازن على غطفان — فلما كان فى العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصلعاء فخرجت اليه غطفان . فقال دريد لصاحبه ماترى قال أرى خيلا عليها رجال كانهم الصبيان أسنتها عند آذان خيلها قال هذه فزارة . ثم قال انظر ماترى قال أرى قوما كان عليهم ثيابا غمست فى الجاب المغزى . قال هذه أشجع . ثم قال انظر ماترى قال أرى قوما يهزون رماحهم سودا يخدون الارض باقدامهم قال هذه عبس أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا فالتقوا بالصلعاء فكان الظفر لهوازن على غطفان وقتل دريد ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

٢٤ — حرب قيس وكنانة يوم الكديد لسليم على كنانة — فيه قتل ربيعة ابن مكدم فارس كنانة وهو من بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وهو أنجد العرب كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم . وفيهم يقول على بن أبى طالب لاهل الكوفة وددت والله ان لى بجميعكم وأنتم مائة ألف ثلثمائة من بنى فراس بن غنم . وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره ومر به حسان بن ثابت وقتله بنو سليم يوم الكديد ولم يحضر يوم الكديد أحد من بنى الشريد

٢٥ — يوم برزة لكنانة على سليم — قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة ورجعوا أقاموا ماشاء الله ثم ان ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد واسم الشريد عمرو . وكانت بنو سليم قد توجوا مالكا وأمروه عليهم فغزا بنو كنانة فاغار على بنى فراس ببرزة ورئيس بنى فراس عبد الله بن جذل فدعا عبد الله الى البراز . فبرز اليه هند بن خالد بن صخر ابن الشريد . فقال له عبد الله من أنت قال أنا هند بن خالد بن صخر . فقال عبد الله أخوك أسن

منك يريد مالك بن خالد فرجع فاحضر أخاه فبرزله فجعل عبدالله بن جذل يرتجز ويقول :

أدنوا بني فرق القمع * اني اذا الموت كنع * لا أستغيث بالجزع

وشد على مالك بن خالد فقتله . فبرز اليه أخوه كرز بن خالد بن صخر فشد عليه عبدالله بن جذل فقتله أيضا فشد عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد . فتنحالفا طعنتين فجرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا وكان عمرو قد نهى أخاه مالكا عن غزو بني فراس فعصاه وانصرف للغزو عنهم . فقال عبدالله بن جذل :

تجنبت هندا رغبة عن قتاله * الى مالك أعشو الى ضوء مالك
فأيقنت اني ثائر بابن مكدم * غداة اذ أوهالك في الهوالك
فأنفذته بالرمح حين طعنته * معانقة ليست بطعنة باتك
وأثني لكرز في الغبار بطعنة * علت جلده منها بأحمر عاتك
قتلنا سليما غثها وسمينها * فصبرا سليم قد صبرنا لذلك
فان تك نسواني بكين فقد بكت * كما قد بكت أم لكرز ومالك

وقال عبدالله بن جذل :

قتلنا مالكا فبكوا عليه * وهل يغني من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا * تسيل على ترائبه الدماء
فان تجزع لذاك بنو سليم * فقد وأبيهم غلب العزاء
فصبرا يا سليم كما صبرنا * وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم * أخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل * تداركها وقد حمس اللقاء

٢٦ — يوم الفيفاء لسليم على كنانة — قال أبو عبيدة : ثم ان بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن حتى يدركوا بثارهم من بني كنانة فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بني فراس فقتل منهم نفرا منهم عاصم بن المعلى ونضلة والمارك وعمرو بن مالك وحصن وشريح وسبي سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم . فقال عباس بن مرداس في ذلك يرد على ابن جذل في كلمته التي قالها يوم برزة :

ألا أبلغا عني ابن جذل ورهطه * فكيف طلبنا كم بكرز ومالك

غداة فجعنا كم بحصن و بابنه * وبابن المعلى عاصم والمعارك
ثمانية منهم ثارناهم به * جميعا وما كانوا بواء بمالك
نذيقكم والموت يبنى سرادقا * عليكم شباحد السيوف البواتك
تلوح بايدينا كما لاح بارق * تلالأ فى داج من الليل حالك
صبحنا كم لعوج العناجيج بالضحى * تمر بنا مر الرياح السواهك
اذا خرجت من هبوة بعد هبوة * سمت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد :

قتلت بمالك عمرا وحصنا * وخليت القتام على الخدود
وكرزا قد أبات به شريحا * على أثر الفوارس بالكديد
جزيناهم بما انتهكوا وزدنا * عليه ماوجدنا من مزيد
جلبنا من جنوب العود جردا * كطير الماء غلس للورود

قال فلما ذكر هند بن خالد يوم الكديد وافتخر به ولم يشهده أحد من بنى الشريد غضب من ذلك نبيشة ابن حبيب فانشا يقول :

تبخل صحبنا فى كل يوم * كمخضوب البنان ولا يصيد
وتاكل مايعاف الكلب منه * وتزعم ان والدك الشريد
أبى لى أن أقر الضيم قيس * وصاحبه المزور به الكديد

٢٧ — حرب قيس وتميم يوم السريان لبنى عامر على بنى تميم — قال أبو عبيدة أغارت بنو عامر على بنى تميم وضبة فاقتتلوا . ورئيس ضبة حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه فاسره يزيد بن الصعق وانهزمت تميم . فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده فشد على درار بن عمر والقيسى وهو الرويم . وقال لابنه أدهم اغنه عنى فشد عليه فطعنه فتحول عن سرجه الى جنب أبدانه . ثم لحقه فقال لاحد بنيه اغنه عنى ففعل مثل ذلك ثم لحقه فقال لابن له آخر اغنه عنى ففعل مثل ذلك فقال ماهذا الا ملاعب الاسنة فسمى عامر من يومئذ ملاعب الاسنة . فلما دنا منه قال له درار انى لاعلم ماتريد أتريد اللبب . قال نعم قال انك لن تصل الى ومن هؤلاء عين تطرف كلهم بنو عامر . قال له عامر فاحلنى على غيرك فدله على حبيش بن الدلف وقال

عليك بذلك الفارس فشد عليه فاسره . فلما رأى سواده وقصره جعل يتفكر وخاف ابن الدلف أن يقتله . فقال ألست تريد اللبيب قال بلى . قال فانى لك به وفادى حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بالف بعير فداء الملوك فكثر مال يزيد وتما . ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذى ليان وذوليان عن يمين العرنيين

٢٨ — يوم اقرن لبنى عبس على بنى دارم — غزا عمرو بن عمرو بن عدس من بنى دارم وهو فارس بنى مالك بن حنظلة فاغار على بنى عبس وأخذ ابلا وشاء ثم أقبل حتى اذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فابتنى بجارية من السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا . وانهزمت بنو مالك بن حنظلة وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو . وقال بعضهم قتل فى غير هذا اليوم وارتد واما كان فى أيدى بنى مالك فنعى ذلك جرير على بنى دارم فقال :

هل تذكرون لدى ثنية أقرن * أنس الفوارس حين يهوى الاسلع

وكان عمرو أسلع أى أبرص . وكان لسماعة بن عمرو خال من بنى عبس فزاره يوما فقتله بابنه عمرا

٢٩ — يوم المروت لبنى العنبر على بنى بشير — أغار بجير بن سلمة بن أقيش على بنى العنبر بن عمرو بن تميم فاتى الصريخ بنى عمرو بن تميم فاتبعوه حتى لحقوه . وقد نزل المروت وهو يقسم المرباع ويعطى من معه فتلاحق القوم واقتتلوا فطعن قعنب بن عتاب الهيثم بن عامر العنبرى فصرعه فاسره وحمل الكدام وهو يزيد بن أزهر المازنى على بجير بن سلمة فطعنه فارداه عن فرسه . ثم نزل اليه فاسره فابصره قعنب بن عتاب فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله فانهزم بنو عامر وقتل رجالهم . فقال يزيد بن الصعق يرثى بجيرا :

أواردة على بنى رياح * بفخرهم وقد قتلوا بجيرا

فاجابته العوراء من بنى سليطة بن يربوع وهى تقول :

قعيدك يا يزيد أبا قبيس * أتنذر كى تلاقينا النذورا

وتوضع مجمر الركبان انا * وجدنا فى مراس الحرب خورا

ألم تعلم قعيدك يا يزيد * بانا نقمع الشيخ الفجورا

ونقنا ناظريه ولا نبالى * ونجعل فوق هامته الذرورا

فابلغ ان عرضت بني كلاب * فانا نحن أقعصنا بجيرا
وضرجنا عبيدة بالعوالى * فاصبح موثقا فينا أسيرا
أنخرا فى الخلاء بغير نخر * وعند الحرب خوارا ضجورا

٣٠ — يوم دارة مأسل لتميم على قيس — غزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابى بنى ضبة فاستاق نعمهم وقتل حصين بن ضرار الضبي زيد الفوارس . فجمع أبوه ضرار قومه وخرج ثائرا بابنه حصين وزيد الفوارس يومئذ حدث لم يذكر . فاغار على بنى عمرو بن كلاب وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتير بن خالد وكان شيخا كبيرا أعور . فاتى به قومه فقال ياشتير اختر واحدة من ثلاث قال أعرضها على قال اما ان تردابنى حصينا قال فانى لا أنشر الموتى . قال واما ان تدفع الى ابنك عتبة أقتله به قال لا ترضى بذلك بنو عامر ان يدفعوا فارسهم شابا مقتبلا بشيخ أعور هامة اليوم أوغد . قال: واما ان أقتلك قال اما هذه فنعم . قال فامر ضرارا بنه ادهم ان يقتله . فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شتير يا آل عامر صبرا بصبي كانه أنف ان يقتل بصبي فقال فى ذلك شمعلة فى كلمة له طويلة :

وخيرنا شتيرا من ثلاث * وما كان الثلاث له خيارا
جعلت السيف بين الليت منه * وبين قصاص لمته عذارا

وقال الفرزدق يفخر بايام ضبة :

ومغبوقة قبل القيان كانها * جراد اذا أجلى على الفزع الفجر
عوابس ماتنفك تحت بطونها * سرابيل ابطال بنائقها حمر
تركن ابن ذى الجدين يسبح مسندا * وليس له الا الألاء له قبر
وهن على خدى شتير بن خالد * اثير عجاج من سنا بكها كدر
اذا لبست للباس يغشى ظهورها * اسود عليها البيض عادتها الهصر
يهزون ارماحا طوالا متونها * بهن الغنى يوم الكريهة والفقر

٣١ — أيام تميم على بكر يوم الوقيط — قال فراس بن خندف تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون فرأى ذلك ناشب بن الاعور بن بشامة العنبر وهو أسير فى بنى سعد بن مالك ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . فقال لهم اعطونى رسولا ارسله الى بنى العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا

ليولوه مثل الذي يولونى من البرية والاحسان اليه . وكان حنظلة بن الطفيل الربدى أسيرا فى بنى العنبر . فقالوا والله على ان توصيه ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام لهم . فقال لقد أتيتمونى بأحمق وما أراه مبلغا عنى . قال الغلام لا والله ما أنا بأحمق وقل ما شئت فانى مبلغه فملأ الاعور كفه من الرمل . فقال كم هذا الذى فى كفى من الرمل قال الغلام شىء لا يحصى كثرة . ثم أومأ الى الشمس وقال ما تلك قال هى الشمس . قال فاذهب الى قومى فأبلغهم عنى التحية وقل لهم يحسنوا الى أسيرهم ويكرموه فانى عند قوم محسنين الى مكرمين لى وقل لهم يقروا جملى الاحمر . ويركبوا ناقتى العنساء ويرعوا حاجتى فى بنى مالك . وأخبرهم ان العوسج قد اورق، وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة، فانه مشؤم ويطيعوا ابن الاخنس فانه حازم ميمون . قال فاتاهم الرسول فابلغهم . فقال بنو عمرو بن تميم ما نعرف هذا الكلام ولقد جن الاعور بعدنا . فوالله ما نعرف له ناقة عنساء ولا جملا احمر فشخص الرسول . ثم ناداهم هذيل يا بنى العنبر قد بين لكم صاحبكم اما الرمل الذى قبض عليه فانه يخبركم انه أتاكم عدد لا يحصى . واما الشمس التى أومأ اليها فانه يقول ان ذلك أوضح من الشمس . وأما جمله الاحمر فانه هو الصمان يأمركم ان تقروه . واما ناقته العنساء فهى الدهناء يأمركم ان تحترزوا منها . واما ابناء مالك فانه يأمركم أن تنذروا بنى مالك بن زيد مناة وان تمسكوا الحلف بينكم وبينهم . واما العوسج الذى أورق فيخبركم ان القوم قد لبسوا السلاح . واما تشكى النساء فيخبركم بأنهن قد عملن عملا يغزون به . قال فتحرزت عمرو فركبت الدهناء وانذروا بنى مالك فقالوا السنا ندرى ما يقول بنو عمرو ولسنا متحولين لما قال صاحبكم . قال فصبحت اللهازم بنى حنظلة فوجدوا عمرا قد خلت . وانما أرادوهم على الوقيط وعلى الجيش ابجر بن جابر العجلى وشهدها ناس من تيم الله وشهدها الفرز ابن الاسود بن شريد من بنى سنان فاقتتلوا فاسر ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة . وتنازع فى أسره بشر بن القرما من تيم الله . والفرز بن الاسود فجزا ناصيته وخلا أسره من تحت الليل . وأسر عمرو بن قيس من بنى ربيعة بن عجل . وأسر عثجل بن المأموم بن شيبان بن علقمة من بنى زرارة ومن عليه . وأسرت غمامة بنت طوق بن عبيد بن زرارة واشترك فى أسرها الحطيم بن هلال ودربان بن زياد وقيس بن خالد وردوها الى أهلها . وعير جرير بن الخطفى بنى دارم بأسر ضرار وعثجل وبنى غمامة . فقال :

اغمارم لو شهد الوقيط فوارسى * مافيه يقتل عشجل وضرار

فاسر حنظلة المأموم بن شيبان بن علقمة أسره طلبسة بن زياد أحد بنى ربيعة . وأسر حوثرة بن بدر من بنى عبد الله بن دارم فلم يزل فى الوثاق حتى قال أبياتا يمدح فيها بنى عجل . وانشايتغنى بها وافعا عقيرته :

وقائلة ما غاله ان يزورها * وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل

وقد أدركتنى والحوادث جمة * مخالب قوم لاضعاف ولا غزل

سراع الى الداعى بطاء عن الخنا * رزان لدى النادى من غير ماجهل

لعلهم ان يمطرونى بنعمة * كما طاب ماء المزن فى البلد المحل

فقد ينعش الله الفتى بعد عسرة * وقد يبتدى الحسنى سراة بنى عجل

فلما سمعوه أطلقوه . وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وعمرو بن ناشب . وأسر سنان ابن عمرو أخو بنى سلامة بن كندة من بنى دارم . وأسر حاضر بن ضمرة وأسر الهيثم بن صعصعة . وهرب عوف بن القعقاع عن اخوته . وقتل حكيم النهشلى وذلك انه لم يزل يقاتل وهو يرتجز ويقول :

كل امرىء مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وفيه يقول عنترة الفوارس :

وغادرنا حكيما فى مجال * صريعا قد سلبناه الازارا

٣٢ – يوم النباج وثيتل لبكر على تميم – الحسنى قال: أخبرنا أبو حسان العبدى واسمه رفيع عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال : غدا قيس بن عاصم فى مقاعس . وهو رئيس عليها ومقاعس هو صريم وربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحمانى فى الحارث وهم حمان وربيعة ومالك والاعرج بنو كلب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة واللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم . وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة . فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن ظرب فى الاغارة . ثم اتفقا على ان يغير قيس على أهل النباج . ويغير سلامة على أهل الثيتل . قال فبعث قيس بن عاصم للاهتم

سبقة له والسبقة الطليعة فأتاه الخبر . فلما أصبح قيس سقى خيله ثم اطلق بأفواه الروايا . وقال لقومه قاتلوا فان الموت بين أيديكم والفلاة بين أيديكم ومن ورائكم . فلما دنوا من القوم صبحا سمعوا ساقيا يقول لصاحبه يا قيس أورد فتفاءلوا به . فاغاروا على النباج قبل الصبح فقاتلوهم قتالا شديدا . ثم ان بكرا انهزمت فأسر الاهتم حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد وأصابوا غنائم كثيرة . فقال قيس لاصحابه لا مقام دون النبتل فالنجاة فأتوا نبتل ولم يغز سلامة ولا أصحابه بعد فأغار عليهم قيس بن عاصم فقاتلوه . ثم انهزموا فاصاب ابلا كثيرة . فقال سلامة انكم أغرتم على ما كان أمره الى فتلاحوا فى ذلك ثم اتفقوا على ان سلموا اليه غنائم نبتل ففى ذلك يقول ربيعة بن ظرب :

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فأنت لنا عز عزيز وموئل

وأنت الذى خويت بكر بن وائل * وقد عضلت منها النباج ونبتل

غداوغدت يا آل شيبان اذ رأت * كراديس يزجيهن ورد محجل

وظلت عقاب الموت تهفوا عليهم * وشعث النواصي لجمهن تصلصل

فما منكم ابناء بكر بن وائل * لغارتنا الا ركوب مذلل

وقال جرير يصف ما كان من اطلاق قيس بن عاصم أفواه المزاد بقوله :

وفى يوم الكلاب ويوم قيس * هراق على مسلحة المزاد

وقال مرة بن قيس بن عاصم :

أنا ابن الذى شق المزاد وقد رأى * بنبتل أحياء اللهازم حضرا

وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * ولم يجدوا الا الاسنة مصدرا

على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من أعطافهن تحدرا

فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا بالسنابك أكدرا

سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الامر أصدرا

وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلا عن ذراعيه أسمرا

وجشامة الذهلى قدناه عنوة * الى الحى مصفود اليدين مكفرا

٣٣ـ يوم زرود الثاني لبني يربوع على بني تغلب ـ أغار خزيمة بن طارق التغلبي

على بنى يربوع وهم بزرود فبدروابه فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم انهزمت بنو تغلب وأسر خزيمة بن طارق أسره أنيف بن جبلة الضبي وهو فارس السليط . وكان يومئذ معتللا فى بنى يربوع وأسيد بن جبلة السليطى . فتنازعا فيه فحكما بينهما الحرث بن قراد وأم الحرث امرأة من بنى سعد بن ضبة . فحكم بناصية خزيمة للانيف بن جبلة على ان لاسيد على انيف مائة من الابل . قال ففدا خزيمة نفسه بمائتى بعير وفرس قال انيف :

أخذتك قسرا ياخزيم بن طارق * ولاقيت منى الموت يوم زرود

وعانقته والخيل تدمى نحورها * فانزلته بالقاع غير حميد

وهذه أيام كلها لبنى يربوع على بنى بكر من ذلك . يوم ذى طلوح وهو يوم أود ويوم الحائر . ويوم ملهم . ويوم القحقح وهو يوم مالة . ويوم رأس عين . ويوم طخفة . ويوم الغبيط . ويوم مخطط . ويوم جدود . ويوم الجبابات . ويوم زرود الثانى

٣٤ - يوم ذي طلوع لبني يربوع على بكر - كان عميرة بن طارق بن حصينة ابن أريم بن عبيد بن ثعلبة تزوج مزنة بنت جابر اخت ابجر بن جابر العجلى . فخرج حتى ابتنى بها فى بنى عجل فاتى ابجر أخته مزنة امرأة عميرة يزورها فقال لها انى لا ارجو أن آتيك ببنت النطف امرأة عميرة التى فى قومها . فقال له عميرة أترضى أن تحارب بنى وتسبينى . فندم أبجر وقال لعميرة ما كنت لاغزو قومك . ثم غزا ابجر الحوفزان متساندين هذا فيمن تبعه من بنى شيبان . وهذا فيمن تبعه من بنى اللهازم وسار وابعميرة معهم قد وكل بهم أبجر أخاه حرفشة بن جابر . فقال له عميرة لو رجعت الى أهلى فاحتملتهم فقال حرفشة افعل فكر عميرة على ناقته . ثم مطل عن الجيش فسار يومين وليلة حتى أتى بنى يربوع فانذرهم الجيش فاجتمعوا حتى التقوا باسفل ذى طلوح . فاول ما كان فارس طلع عليهم عميرة فنادى ياابجر هلم . فقال من أنت قال أنا عميرة فكذبه فسفر عن وجهه فعرفه فاقبل اليه والتقت الخيل بالخيل . فأسر الجيش الا أقلهم وأسر حنظلة بن بشر بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . وكان فى بنى يربوع الحوفزان بن شريك وأخذه معه مكبلا وأخذ طارق سوادة بن يحير بن غنم أخوه وأخذ أبو غنمة الضبي الشاعر مع بنى شيبان فافتكه متمم بن نويرة . فقال ابن غنمة يمدح متمم بن نويرة :

حزى الله رب الناس عنى متمما * بخير جزاء ماعف وأمجدا

أجـيرت به آباؤنا وبناتنـا * وشاركـ فى اطلاقنا وتفـردا
أبا نهشل انى لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال مرصدا

وأسر سويد بن الحوفزان وأسر أسود وفلحس وهما من بنى سعد بن همام . فقال جرير فى ذلك يذكر يوم ذى طلوح :

ولما لقينا خيـل أبجر يدعى * بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منا سجية * باسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلما رأوا ان لا هوادة عندنا * دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

٣٥ ـ يوم الحائر وهو يوم ملهم لبنى يربوع على بكر ـ وذلك ان أبا مليك عبيد الله بن الحرث بن عاصم بن حميد وعلقمة أخاه انطلقا يطلبان ابلا لهـما حتى وردا ملهم من أرض اليمامة . فخرج عليهما نفر من بنى يشكر فقتلوا علقمة وأخذوا أبا مليك فكان عندهم ماشاء الله ثم خلوا سبيله وأخذوا عليه عهدا وميثاقا أن لا يخبر بأمر أخيه أحـدا . فأتى قومه فسالوه عن أمر اخيه فلم يخبرهم . فقال وبرة بن حمزة هذا رجل قد اخذ عليـه عهد وميثاق فخرجوا يقصون أثره ورئيسهم شهاب بن عبد القيس حتى وردوا ملهم . فلما رآهم أهـل ملهم تحصـنوا فحرقت بنو يربوع بعض زرعهم وعقروا بعض نخلهم . فلما رأى ذلك القوم نزلوا اليهم فقاتلوهم فهزمت بنو يشكر وقتـل عمرو بن صابر صـبرا ضربوا عنقه . وقتل عيينة بن الحرث بن شهاب بن مثلم بن عبيد بن عمرو رجلا آخر منهم . وقتل مالك بن نويرة حمران بن عبد الله وقال :

طلبنا بيوم مثل يومك علقما * لعمرى لمن يسعى بها كان أكرما
قتلنا بجنب العرض عمرو بن صابر * وحمران أقصـدناهما والمثلما
فلله عينا من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم مثل ملهما

٣٦ ـ يوم القحقح وهو يوم مالة ـ لبنى يربوع عـلى بنى بكر أغارت بنو ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة بن ربيعة بن ذهـل فأخذوا ابلا لعاصم بن قرط أحد بنى حميد وانطلقوا فطلبهم بنو يربوع فناوشوهم . فكانت الدائرة على بنى ربيعة وقتـل المنهال بن عصمة المجبة بن ربيعة فقال فى ذلك ابن نمراز الرياحى :

واذا لقيت القوم فاطعن فيهم * يوم اللقاء كطعنة المنهال

ترك المجبة للضباع منكساً * والقوم بين سوافل وعوال

٣٧ - يوم رأس العين لبني يربوع على بكر - أغارت طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين فاطردوا النعم فاتبعهم معاوية بن فراس في بني أبي ربيعة فادركوهم. فقتل معاوية بن فراس وفاتوا بالابل . وقال سحيم في ذلك :

أليس الاكرمون بنو رياح * نوى منهم عمى وخالى

هم قتلوا المجبة وابن تيم * تنوح عليهما سواد الليالى

وهم قتلوا عميد بنى فراس * برأس العين فى الحجج الخوالى

وذادوا يوم طخفة عن حماهم * ذياد غرائب الابل النهالى

٣٨ - يوم العظالى لبني يربوع على بكر - قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الافاقة . ويوم الاياد . ويوم مليحة قال وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس . وكانوا يجيرونهم ويجهزونهم فاقبلوا من عند عامل عين التمر فى ثلثمائة فارس متساندين يتوقعون انحدار بنى يربوع فى الحزن . وكانوا يشتون خفافا فاذا انقطع الشتاء انحدر والى الحزن قال فاحتمل بنو عيينة وبنو عبيدة وبنو زبيد من بنى سليط من أول الحى حتى استهلوا ببطن مليحة . فطلعت بنو زبيد فى الحزن حتى حلوا الحديقة والافاقة . وحلت بنو عبيدة وبنو عتيبة بعين بروضة الثمد قال وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الحصا ثم بعثوا رئيسهم فصادفوا غلاما شابا من بنى عبيد يقال له قرط بنى أضبط فعرفه بسطام وقد كان عرفه عامة غلمان بنى ثعلبة حين أسره عتيبة قال وقال سليط بل هو المطوح بن قرواش . فقال له بسطام أخبرنى ماذاك السواد الذى أرى بالحديقة قال هم بنو زبيد قال أفيهم أسيد بن حياة قال نعم قال كم هم قال خمسون بيتاً قال فاين بنو عتيبة واين بنو ربيم قال نزلوا روضة الثمد . قال فأين سائر الناس قال هم محتجزون بخفاف . قال فمن هناك من بنى عاصم قال الاحيمر وقعب ومعدان ابنا عصمة . قال فمن فيهم من بنى الحرث بن عاصم . قال حصين بن عبدالله . فقال بسطام لقومه أطيعونى تقبضوا على هذا الحى من زبيد وتصبحوا سالمين غانمين قالوا وما يغنى عنا بنو زبيد لا يودون رحلتنا قال ان السلامة احدى الغنيمتين . فقال له مفروق انتفخ تتحول يا أبا الصهباء . وقال له هانئ احينا فقال لهم ويلكم ان أسيد لم يظله بيت قط شاتيا ولا قائظا انما بيته القفر فاذا أحس بكم اجال على الشقراء فركض

حتى يشرف على مليحة فينادى يا آل يربوع فتركب فيلقا كم طعن ينسيكم الغنيمة ولا يبصر أحدكم مصرع صاحبه وقد جئتمونى وأنا أتابعكم وقد أخبرتكم ما أنتم لاقون غدا . فقالوا نلتقط بنى زبيد ثم نلتقط بنى عبيد و بنى عتيبه كما تلتقط الكمأة ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه و بين يربوع ففعلوا . فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء ثم خرج نحو بنى يربوع فابتدره الفارسان فطعن أحدهما فالقى نفسه فى شق فأخطأه . ثم كر راجعا حتى أشرف على مليحة فنادى ياصباحاه يا آل يربوع غشيتم فتلاحقت الخيل حتى توافوا بالعطفان فاقتتلوا فكانت الدائرة على بنى بكر فقتل منهم مفروق بن عمرو فدفن بثنية يقال لها ثنية مفروق . والمقاعس الشيبانى . وزهير بن الحرور الشيبانى . وعمرو بن الحرور الشيبانى . والدمس بن المقاعس وعمير ابن الوراك . والضريس . وأما بسطام فالح عليه فارسان من بنى يربوع وكان دارعا على ذات النسوع . وكانت اذا أجردت لم يتعلق بها شىء من خيلهم . واذا أوعثت كادوا يلحقونها . فلما رأى ثقل درعه وضعها بين يديه على القربوس وكره ان يرمى بها وخاف أن يلحق فى الوعث فلم يزل ديدنه وديدن طالبيه حتى حميت الشمس وخاف اللحاق فر بوجار ضبع . فرمى الدرع فيها فمد بعضها بعضا حتى غابت فى الوجار . فلما خفف عن الفرس نشطت ففاتت الطلب وكان آخر من أتى قومه . وقد كان رجع الى درعه لما رجع عنه القوم فاخذها . فقال العوام فى بسطام وأصحابه :

ان يك فى جيش الغبيط ملامة * فجيش العظالى كان أخزى وألوما
أناخوا يريدون الصباح فصبحوا * فكانت على الغادين غدوة أشاما
فررتم ولم تلووا على مجحريكم * كرائحة الحراث يدعى لاقدما
ولوان بسطاما أطيع لامره * لادى الى الاحياء بالحور مغنما
ففر أبو الصهباء اذ حمى الوغى * وألقى بابدان السلاح وسلما
وأيقن ان الخيل ان تلتبس به * يعد غانما أو يملأ البيت مأتما
ولوانها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزنما
أبى لك قيد بالغبيط لقاؤهم * ويوم العظالى ان فخرت مكلما
فافلت بسطام جريضا بنفسه * وغادر فى كرشاء لدنا مقوما
وقاظ أسيرا هانىء وكأنما * مفارق مفروق تغشين عندما

قال ثم ان هانئا فدى نفسه وأسرى قومه. فقال العوام فى ذلك :

ان الفتى هانئا لاقى بشكته * ولم يحم عن قتال القوم اذ نزلا
ثمت سارع فى الاسرى ففكهم * حامى الذمار حقيق بالذى فعلا

٣٨ - يوم الغبيط لبنى يربوع على بنى بكر - قال أبو عبيدة: يقال لهذا اليوم يوم الغبيط . ويوم الثعالب والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له يوم صحراء فلج . وقال أبو عبيدة: حدثنى سليط بن سعد ورباب الصبيرى وجهم بن حسان السليطى. قال غزا بسطام بن قيس ومفروق بن عمرو والحرث بن شريك وهو الحوفزان بلاد بنى تميم . وهذا اليوم قبل يوم العظالى فاغاروا على بنى ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدى ابن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان . فلذالك قيل له يوم الثعالب. وكان هؤلاء جميعا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا . فانهزمت الثعالب فاصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم ولم يشهد عتيبة ابن الحرث بن شهاب هذه الوقعة لانه كان نازلا يومئذ فى بنى مالك بن حنظلة . ثم انبروا على بنى مالك وهم بين صحراء فلج وبين الغبيط فاكتسحوا ابلهم فركبت عليهم بنو مالك فيهم عتيبة بن الحرث بن شهاب ومعه فرسان من بنى يربوع بانفهم أى صار معهم مثل الاثافى للرماد وتالف اليهم الاحيمر بن عبد الله والاسيد بن حياة وأبو مرحب وجرو بن سعد الرياحى وهو رئيس بنى يربوع وربيع والخليس وعمارة وبنو عتيبة بن الحرث ومعدان وعصمة ابنا قعنب ومالك بن نويرة والمنهال بن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع . وهو الذى يقول فيه متمم بن نويرة فى شعره الذى يرثى فيه مالكا أخاه :

لقد غيب المنهال تحت لوائه * فتى غير مبطان العشية أروعا

فادركوهم بغبيط المدرة . فقاتلوهم حتى هزموهم وادركوا ما كانوا استاقوا من أموالهم وألح عتيبة والاسيد والاحيمر على بسطام . فلحقه عتيبة فقال استأسر لى يا أبا الصهباء . فقال ومن أنت قال أنا عتيبة وأنا خير لك من الفلاة والعطش . فاسره عتيبة ونادى القوم نجادا أخا بسطام كر على أخيك وهم يرجون ان يأسروه فناداه بسطام ان كررت فانا حنيف وكان بسطام نصرانيا. فلحق نجاد بقومه فلم يزل بسطام عند عتيبة حتى فادى نفسه . قال أبو عبيدة : فزعم أبو عمرو بن العلاء انه فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا ولم يكن عربى عكاظى أعلى فداء منه على ان

جز ناصيته وعاهده أن لا يغزو بني شهاب أبداً. فقال عتيبة بن الحرث بن شهاب :

ابلغ سراة بني شيبان مألكة * أني أبأت بعبد الله بسطاما
انى أسرته فى قيد وسلسلة * صوت الحديد يغنيه اذا قاما

٣٩ ـ يوم مخطط لبني يربوع على بكر ـ قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوفزان الحرث متساندين يقودان بكر بن وائل حتى وردوا على بني يربوع بالفردوس وهو بطن لا يادو بينه وبين مخطط ليلة. وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخطط فاقتتلوا فانهزمت بكر بن وائل وهرب الحوفزان و بسطام فقاتا ركضا . وقتل شريك بن الحوفزان قتله شهاب ابن الحرث أخو عتيبة . وأسر الاحيمر بن عبد الله بن الضريس الشيباني . فقال فى ذلك مالك بن نويرة ولم يشهد هذا اليوم :

ان لا اكن لاقيت يوم مخطط * فقد خبر الركبان ما أتودد
بابناء حى من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان تكتبوا * بني الحصن قد شارفتم ثم جردوا
فما فتئوا حتى رأونا كأننا * مع الصبح آذى من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالها * ترى الشمس فيها حين دارت توقد
فما برحوا حتى علتهم كتائب * اذا طعنت فرسانها لا تعرد
فاقررت عيني يوم ظلوا كأنهم * ببطن غبيط خشب أثل مسند
صريع عليه الطير يحجل فوقه * وآخر مكبول اليدين مقيد
وكان لهم فى أهلهم ونسائهم * مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى * شريك و بسطام عن الشر مقعد

٤٠ ـ يوم جدود ـ غزا الحوفزان وهو الحرث بن شريك فاغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة فاخذ نعما كثيرا وسبي فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحرث فاعجب بها وأعجبت به . وكانت خرقاء فلم يتمالك ان وقع بها فلما انتهى الى جدود منعتهم بنو يربوع بن حنظلة ان يردوا الماء ورئيسهم عتيبة بن الحرث بن شهاب . فقاتلوهم فلم يكن لبني بكر بهم يد فصالحوهم على ان يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم على ان يخلوهم يردوا الماء فقبلوا ذلك

وأجازوهم فبلغ ذلك بنى سعد فقال قيس بن عاصم فى ذلك :

جزى الله يربوعا بأسواسعيها * اذا ذكرت فى النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم أباكم * وسالمتم والخيل تدمى نحورها

فاجابه مالك :

سأسأل من لاقى فوارس منقذ * رقاب اماء كيف كان نكيرها

ولما أتى الصريخ بنى سعد ركب قيس بن عاصم فى أثر القوم حتى أدركهم بالاشمسين . فألح قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء وكان الحوفزان قد خرج فى طليعة فلقيه قيس بن عاصم فسأله من هو فقال لا تكاتم اليوم أنا الحوفزان فمن أنت قال أنا أبو على . ومضى ورجع الحوفزان الى أصحابه . فقال لقيت رجلا أزرق كأن لحيته ضريبة صوف . فقال أنا أبو على فقالت عجوز من السبى بأبى أبو على ومن لنا بأبى على فقال لها ومن أبو على . قالت قيس بن عاصم . فقال لاصحابه النجاء وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزبد وعقد شعرها الى صدره ونجابها . وكانت فرس قيس اذا أوعثت تضرب ويعطر عليها الزبد فلما أجد الحقت بحيث تكلم الحوفزان . فقال له قيس ياأبا حمار أنا خير لك من الفلاة والعطش . قال له الحوفزان ماشاء الزبد . فلما رأى قيس ان فرسه لا يلحقه نادى الزرقاء فقال ميلى به ياجعار . فلما سمعه الحوفزان دفعها بمرفقه وجز قرونها بسيفه فالقاها عن عجز فرسه وخاف قيس ان لا يلحقه فنجله بالرمح فى خزانة وركه فلم يقصده وعرج منها وردقيس الزرقاء الى بنى الربيع . فقال سويد بن حيان المنقرى :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * تمج نجيعا من دم الجوف أشكلا

٤١ — يوم سفوان — قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان فزعمت بنو شيبان انه لهم وأرادوا ان يحلوا تميما عنه . فاقتتلوا اقتتالا شديدا فظهرت عليهم بنو تميم وزادوهم حتى وردوا المحدث وكانوا بتواعدون بنى مازن قبل ذلك . فقال فى ذلك الودان المازنى :

رويدا بنى شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلى على سفوان
تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى * اذا الخيل جالت فى القنا المتدانى
عليها الكماة الغر من آل مازن * أولات طعان كل يوم طعان

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم * على ماجنت فيهم يد الحدثان

مقاديم وصالون فى الروع خطوهم * بكل رقيق الشفرتين يمان

اذا استنجدوا لم يسالوا من دعاهم * لاية حرب أم لاى مكان

٤٢ ـ يوم السلى ـ قال أبوعبيدة : كان من حديث يوم السلى ان بنى مازن أغارت على بنى يشكر فاصابوا منهم . وشد زاهر بن عبد الله بن مالك على تيم بن ثعلبة اليشكرى فقتله فقال فى ذلك :

لله تيم أى رمح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد

ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير معرد حياد

وقال حاجب بن دينار المازنى

سلى يشكرا عنى وأبناء وائل * لهازمها طرا وجمع الاراقم

ألم تعلمى انا اذا الحرب شمرت * سمام على أعدائنا فى الحلاقم

عتاة قراة فى الشتاء مساعر * حماة كماة كالليوث الضراغم

بايديهم سمر من الخط لدنة * وبيض تحلى عن فراخ الجماجم

أولئك قوم ان نخرت بعزهم * نخرت بعز فى اللهى والغلاصم

هم انزلوا يوم السلى عزيزها * بسمر العوالى والسيوف الصوارم

٤٣ ـ يوم بلقاء الحسن ـ وهو يوم السقيفة لبنى ضبة على شيبان : قال أبوعبيدة غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وقيس بن مسعود هو ذو الجدين وأخوه السليل بن قيس بنى ضبة بن اد بن طابخة . فاغار على ألف بعير لمالك بن المشفق فيها فحلها قد فقاعينه وفى الابل مالك بن المشفق فركب فرساله ونجا ركضا حتى اذا دنا من قومه نادى ياصباحاه فركبت بنوضبة . وتداعت بنو تميم فتلاحقوا بالبلقاء . فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه أيهم رئيس القوم . قال حاميتهم صاحب الفرس الادهم يعنى بسطام فعلا عاصم عليه بالرمح فعارضه حتى اذا كان بحذائه رمى بالقوس وجمع يديه فى رمحه فطعنه فلم تخطئ صماخ أذنه حتى خرج الرمح من الناحية الاخرى وخر على الالاءة والالاءة شجرة فلما رأى ذلك بنو شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل وأسير . وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس بن مسعود أخا بسطام فى سبعين

من بني شيبان . فقال ابن غنمة الضبي وهو مجاور يومئذ في بني شيبان يرثي بسطام وخاف أن يقتلوه . فقال :

لام الارض ويل ماأجنت * بحيث أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا ويدعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
كأنك لم تريه ولم تريه * تخب به عذافرة ذبول
حقيبة رحلها بدن وسرج * يعارضها مربتة ذؤل
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد ضمنت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
فخر على الالاة ولم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
فان تجزع عليه بنو أبيه * فقد فجعوا وحل بهم جليل
بمطعام اذ الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة :

ويوم شقائق الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه أسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

وقال محرز بن المكعبر الضبي :

أطلقت من شيبان سبعين راكبا * فآبوا جميعا كلهم ليس يشكر
اذا كنت في أفنان شيبان منعما * فجز اللحى ان النواصي تكفر
فلا شعرهم أبقي وان كنت منعما * ولا ودهم في آخر الدهر أضمر

٤٤ ـ أيام بكر على تميم ـ يوم الزويرين : قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض تميم في الجاهلية ترعى بها اذا أجدبوا فاذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عورة يصيبونها ولا شيئاً يظفرون به الا اكتسحوه . فقالت بنو تميم امنعوا هؤلاء القوم من رعي أرضكم وما يأتون اليكم فحشدت تميم وحشدت بكر واجتمعت . فلم يتخلف منهم الا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيبان وكان غازيا . فقدمت بكر عليهم عمرا الاصم أبا مفروق قال وهو

عمرو بن قيس بن مسعود أبو عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فحسد سائر ربيعة الاصم على الرياسة فأتوه فقالوا يا ابا مفروق انا قد زحفنا التميم وزحفوا النا أكثر ما كنا وكانوا قط قال فما تريدون قالوا نريد ان نجعل كل حي على حياله ونجعل عليهم رجلا منهم فنعرف غناء كل قبيلة فانه اشد لاجتهاد الناس . قال والله انى لابغض الخلاف عليكم ولكن يأتي مفروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه وذلك أول يوم ذكرنيه مفروق بن عمرو . فقال له مفروق ليس هذا أرادوا وانما أرادوا ان يخدعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال الفضل لنا بذلك أبد ولئن ظفر بك لا تزال لنا رياسة نعرف بها . فقال الاصم يا قوم قد استشرت مفروقا فرأيته مخالفا لكم ولست مخالفا رأيه وما أشار اليه فاقبلت تميم بجملين مجللين مقرونين مقيدين وقالوا الا نولى حتى يولى هذان الجملان وهما الزوبران فاخبرت بكر بقولهم الاصم . فقال وأنا زوبركم ان خشوهما فخشوني وان عقروهما فاعقروني . قال والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا . قال وأسرت القوم بنو تميم حراث بن مالك أخا مرة بن همام فركض به رجل منهم وقد أردفه واتبعه ابنه قتادة بن حراث حتى لحق الفارس الذى اسر أباه فطعنه فارداه عن فرسه واستنقذ أباه . ثم استحر بين الفريقين القتال فانهزمت بنو تميم . فقتل منهم مقتلة عظيمة فمن قتل منهم أبو الرئيس النهشلي . وأخذت بكر الزوبرين أخذتهما بنو سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة فنحروا أحدهما فأكلوه وافتحلوا الآخر وكان نجيبا . فقال رجل من بني سدوس :

يا سلم ان تسألى عنا فلا كشف * عند اللقاء ولسنا بالمقاريف

نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * جيش الزوبرين فى جمع الاحاليف

ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

وقال الاغلب بن جعشم العجلي :

جاؤا بزوريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا قد كان من عهد ارم

فكر بالسيف اذا الرمح انحطم * كهمة الليث اذا ما الليث هم

كانت تميم معشرا ذوى كرم * مخلصة من الفلاصم العصم

قد نفخوا لو ينفخون فى فخم * وصبروا لو صبروا على أمم

اذ ركبت ضبة اعجاز النعم * فلم تدع ساقا لها ولا قدم

٤٥ — يوم الشيطين لبكر على تميم — قال أبو عبيدة : لما ظهر الاسلام قبل ان يسلم أهل نجد والعراق سارت بكر بن وائل الى السواد . وقالت نغير على تميم بالشيطين فان فى دين ابن عبد المطلب من قتل نفسا قتل بها فنغير هذا العام . ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذرارى والاموال فاتوا الشيطين فى أربع و بينهما مسيرة ثمان اميال . فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون و رئيسهم يومئذ بشر بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين . فقتلوا بنى تميم قتلا ذريعا وأخذوا أموالهم واستحر القتل فى بنى العنبر و بنى ضبة و بنى يربوع دون بنى مالك بن حنظلة . قال أبو عبيدة : حدثنا أبو الحناء العنبرى قال قتل من بنى تميم يوم الشيطين ستمائة رجل قال فوفد وفد بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع الله على بكر بن وائل فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رشد بن زهير العنبرى :

وما كان بين الشيطين ولعلع * لسوقتنا الا مراجع أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديقة يضلع
بارعن دهم شيد البلق وسطه * له عارض فيه الاسنة تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فكان لهم يوم من الشر أشنع
فخلوا لنا صحن العراق وانه * حمى منهم لا يستطاع ممنع

٤٦ — يوم صعفوق لبكر على تميم — اغارت بنو ربيعة على بنى سليط بن يربوع يوم صعفوق فأصابوا منهم أسرى . فاتى طريف بن تميم العنبرى فروة بن مسعود وهو يومئذ سيد بنى ربيعة ففدى منهم أسرى بنى سليط ورهنهم ابنه فابطأ عليهم فقتلوا ابنه . فقال :

لا تأمنن سلمى ان أفارقها * صرمى الظعائن بعد اليوم صعفوق
اعطيت اعداءه طوعا برمته * ثم انصرفت وظنى غير موثوق

٤٧ — يوم مبايض لبكر على تميم — قال أبو عبيدة : كانت الفرسان اذا كانت أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا كى لا يعرفوا . وكان طريف بن تميم العنبرى لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل . وكان طريف قتل شراحيل الشيبانى أحد بنى عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان . فقال حصيصة أرونى طريفا فاروه اياه فجعل كلما مر به تامله ونظر اليه ففطن طريف . فقال مالك تنظر الى . فقال اتوسمك

لاعرفك فلله على ان لقيتك ان اقتلك أو تقتلنى . فقال طريف فى ذلك :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
فتوسمونى اننى أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادث معلم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى اسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتى خضم

قال فمضى لذلك ماشاء الله . ثم ان بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهم يزعمون انهم من قريش وان عائذة بن لؤى بن غالب خرج منهم رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه . فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فابت بنو ربيعة عليهم ذلك . فقال هانئ بن مسعود يابنى ربيعة ان اخوتكم قد أرادوا ظلمكم فانمازوا عنهم . قال ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض ماء لهم . ومبايض علم من وراء الدهناء فابق عبد لرجل من بنى ربيعه فسار الى بلاد تميم فاخبرهم أن حيا جديدا من بنى بكر بن وائل نزول على مبايض وهم بنو ربيعة والحى الجديد المنتقى من قومه فقال طريف العنبرى هؤلاء ثارى يا آل تميم انما هم اكلة رأس واقبل فى بنى عمرو بن تميم واقبل معه أبو الجدعاء أحد بنى طهية وجاءه فدكى ابن عبد المنقرى فى جمع من بنى سعد بن زيد مناة فنذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانئ بن مسعود وهو رئيسهم الى علم مبايض . فاقاموا عليه وشرقوا بالاموال والسرح وصبحتهم بنو تميم فقال لهم طريف أطيعونى وافرغوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم . فقال له أبو الجدعاء رئيس بنى حنظلة وفدكى رئيس بنى سعد بن مناة أنقاتل اكلبا أحرزوا نفوسهم ونترك أموالهم ماهذا برأى وأبوا عليه . فقال هانئ لاصحابه لا يقاتل رجل منكم ولحقت تميم بالنعم والبغال فاغاروا عليها . فلما ملؤا أيديهم من الغنيمة قال هانئ بن مسعود لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتلوا طريفا العنبرى قتله حميصة الشيبانى . وقال :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وانت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيا فى الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستقدم
فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا دعوا بنى ربيعة شمروا * بكتائب دون السماء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم * وحموا ذمار أبيهم ان يشتموا

سلبوك درعك والاغر كلاهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

٤٨ – يوم فيحان لبكر على تميم – قال أبو عبيدة : لما فدى بسطام بن قيس بن عتيبة بن الحرث اذ أسر يوم الغبيط بار بعمائة بعير قال لا دركن عقل ابلى فاغار بفيحان فاخذ الربيع بن عيينة واستاق ماله . فلما سار يومين شغل عن الربيع بالشراب وقد مال الربيع على قده حتى لان ثم خلعه وانحل منه . ثم جال فى متن ذات النسوع فرس بسطام وهرب فركبوا فى أثره . فلما يئسوا منه ناداه بسطام يار بيع هلم طليقا فابى قال وأتى نادى قومه يحدثهم فجعل يقول فى أثناء حديثه ايها يار بيع انج ربيع وكان معه رئى . قال وأقبل ربيع حتى انتهى الى أدنى بنى يربوع فاذا هو براع فاستسقاه وضربت الفرس برأسها فماتت فسمى ذلك المكان الى اليوم هبير الفرس . فقال له أبوه عيينة اما اذ نجوت بنفسك فانى مخلف لك مالك

٤٩ – يوم ذى قار الاول لبكر على تميم – قال أبو عبيدة : فخرج عيينة فى نحو خمسة عشر فارسا من بنى يربوع فكمن فى حمى ذى قار حتى مرت به ابل بنى الحصين بالقداوية اسم ماء لهم فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاء ثم استاقوها فاخلف للربيع ماذهب له . وقال :

ألم ترنى أفات على ربيع * جلادا فى مباركها وخورا

وانى قد تركت بنى حصين * بذى قار يرمون الامورا

٥٠ – يوم الحاجر لبكر على تميم – قال أبو عبيدة : خرج وائل بن صريم اليشكرى من اليمامة فلقيه بنو أسيد بن عمرو بن تميم أخذوه أسيرا فجعلوا يغمسونه فى الركية ويقولون * ياأيها الماتح دلوى دونكا * حتى قتلوه فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجر فاخذ ثمامة بن باعث بن صريم رجلا من بنى أسيد كان وجيها فيهم فقتله وقتل على بطنه مائة منهم . فقال باعث بن صريم :

سائل أسيداً هل ثأرت بوائل * أم هل شفيت النفس من بلبالها

اذ أرسلونى ماتحا لدلائهم * فملأتها علقا الى أشبالها

ان الذى سمك السماء مكانها * والبدر ليلة نصفها وهلالها

آليت انقف منهم ذا لحية * أبدا فينظر عينه فى مالها

وقال : سائل أسيداً هل ثأرت بوائل * أم هل أتيتهم بامر مبرم
اذ أرسلونى ماتحا لدلائهم * فملأتهن الى العراقى بالدم

٥١ ـ يوم الشقيف لبكر على تميم ـ قال أبو عبيدة: أغار أبجر بن جابر العجلى على بنى مالك بن حنظلة فسبى سلمى بنت محصن فولدت له أبجر . فنى ذلك يقول أبو النجم :

ولقد كررت على طهية كرة * حتى طرقت نساءها بمساء

٥٢ ـ حرب البسوس وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل ـ ابو المنذر هشام ابن محمد بن السائب قال : لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعة وكليب . فالاول عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث . وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان . وهو الياس بن مضر وعامر بن الظرب هو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة . وهى أول وقعة كانت بين تهامة واليمن . والثانى ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كعب هو قائد معد يوم السلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة . وهو الذى يقال فيه أعز من كليب وائل وقاد معدا كلها يوم خزازى ففض جموع اليمن وهزمهم . فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته فغبر بذلك حينا من دهره . ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج ولا تورد ابل أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب أعز من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة . وكان كليب بن وائل قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان وأخوها جساس بن مرة . وكانت البسوس بنت منقذ التيمية خالة خالة جساس بن مرة وكانت نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس . وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس . فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهى معقولة بفناء بيتها جوار جساس بن مرة . فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الابل واختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو . فلما رأتها

البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت واذلاه واجاراه وخرجت

٥٣ ـ مقتل كليب بن وائل ـ فاحمست جساسا فركب فرساله مغرو رابه فأخذ آلته وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحمى فقال له ياأبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتى فعقرتها . فقال له أتراك مانعى ان أذنب عن حماى فاحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو بن الحرث من خلفه فقطع بطنه . فوقع كليب وهو يفحص برجله . وقال لجساس أغثنى بشربة من ماء . فقال تجاوزت شبيثا والاحص. ففى ذلك يقول عمرو بن الاهتم :

وان كليبا كان يظلم قومه * فأدركه مثل الذى تريان

فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الاهل أى أوان

وقال لجساس أغثنى بشربة * والا فخبر من رأيت مكانى

فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو غير زؤان

وقال نابغة بنى جعدة :

أبلغ عقالا ان خطة داحس * بكفيك فاستأخر لها أو تقدم

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

رمى ضرع ناب فاستقر بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم

وقال لجساس أغثنى بشربة * تدارك بها منا علىّ وأنعم

فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو متوسم

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهى وتشمر المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة . وانما قيل له المهلهل لانه أول من هلهل الشعر أى أرقه واستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه فأرسل رجلا منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الامر فاتو مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه . فقالوا انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم . ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة وماهى قالة تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا جساسا قاتله فنقتله به أوهماما فانه كفء له أو تمكنا

من نفسك فان فيك وفاء من دمه . قال أما احيائى كليبا فهـذا مالا يكون . وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوى عليه . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لى فأدفعه اليكم يقتل بجريرة غيره واما انا فهل هو الا أن تجول الخيل جولة غدا فاكون اول قتيل بينها فما أتعجل من الموت . ولكن لكم عندى خصلتان اما احداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور والا فالف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل . فغضب القوم وقالوا لقد أسأت تبذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب . و وقع الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها ودعت النمر بن قاسط فانضمت الى بنى كليب وصاروا يدا معهم على بكر . ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل . فظعنت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحرث بن عباد فى أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة . وقال المهلهل يرثى كليبا :

بت ليلى بالانعمين طويلا * أرقب النجم ساهرا أن يزولا

كيف أهدا ولا يزال قتيل * من بنى وائل ينسى قتيلا

غنيت دارنا تهامة فى الدهـر وفيها بنو معـد حلولا

فتساقوا كاسا أمرت عليهم * بينهم يقتل العزيز الذليلا

فصبحنا بنى لجيم بضرب * يترك الهام وقعه مفلولا

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا

انتضوا معجس القسى وابرقـنا كما توعد الفحول الفحولا

قتلوا ربهم كليبا سفاها * ثم قالوا ماان نخاف عويلا

كذبوا والحرام والحل حتى * يسلب الخدر بيضه المحجولا

ويموت الجنين فى عاطف الرحـم ونروى رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها * اذ أنت خليتها فيمن يخليها

كليب أى فتى عز ومكرمة * تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها

نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم * مالت بنا الارض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها * زهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلقى أسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطى مدمجة * كمتا أنابيبها زرقا عواليها
نروى الرماح بايدينا فنوردها * بيضا ونصدرها حمرا أعاليها
ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لاأصلح الله منا من يصالحكم * مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

قال أبو المنذر : أخبرنى خراش ان أول وقعة كانت بينهم بالنهى يوم النهى فالتقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة . فكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى شيبان واستحر القتل فيهم الا انه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مرة

٥٤ — يوم الذنائب — ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وهو جد معن بن زائدة والحوفزان هو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل قتله عتاب بن سعد بن زهير بن جشم . وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان قتله كعب بن زهير ابن جشم وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . وقتل من بنى تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله وعبد الله بن مالك بن تيم الله . وقتل من بنى قيس بن ثعلبة سعد ابن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الخرفين وكان شيخا كبيرا فحمل فى هودج فلحقه عمرو بن مالك بن الفدوكس بن جشم وهو جد الاخطل فقتله هؤلاء . من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب

٥٥ — يوم واردات — ثم التقوا بواردات وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر . فيومئذ قتل الشعثمان شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحرث بن سيار . وفيه قتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو

جساس لامه وأبيه فر به مهلهل مقتولا . فقال والله ماقتل بعد كليب قتيل أعز على فقدا منك وقتله ناشرة . وكان همام رباه وكفله كما كان ربي حذيفة بن بدر قرواشا فقتله يوم الهباءة

٥٦ — يوم عنيزة — ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنوا تغلب . ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيه لبني تغلب على بني بكر . فنها يوم الحنو . ويوم غو برضات . ويوم انيق ويوم ضرمة . ويوم العصيات هذه الايام كلها لتغلب على بكر أصيبت فيها بكر حتى ظنوا ان ليس يستقيلوا أمرهم . وقال مهلهل يصف هذه الايام وينعيها على بكر في قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذي حسم أنيري * اذا أنت انقضيت فلا تحوري

فان يك بالذنائب طال ليلي * فقد أبكي من الليل القصير

وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب * لاخبر بالذنائب أي زير

كانا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير

واني قد تركت بواردات * بجيرا في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عباد * وبعض القتل أشفى للصدور

على ان ليس عدلا من كليب * اذا برزت مخباة الخدور

ولولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف في الدماء :

أكثرت قتل بني بكر بربهم * حتى بكيت وما يبكي لهم أحد

آليت بالله لا أرضى بقتلهم * حتى أبهرج بكرا أينما وجدوا

قال أبو حاتم : أبهرج أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية . وقال البهرج من الدراهم من هذا . وقال المهلهل :

يال بكر انشروا لي كليبا * يال بكر أين أين الفرار

تلك شيبان تقول لبكر * صرح السر وبان السرار

وبنو عجل تقول لقيس * ولتيم اللات سيروا فسار وا

وقال : قتلوا كليبا ثم قالوا اربعوا * كذبوا ورب الحل والاحرام

حتى تبيد قبائل وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه * مما يرى ندما على الابهام

٥٧ — يوم قضة — ثم ان مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال باى قبيلة من قبائل بكر أوقع وكان أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليب بن وائل . فكان الحرث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير بن الحرث . ويقال انه كان ابن أخيه . فلما بلغ الحرث قتله قال نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل وظن ان المهلهل قد أدرك به ثار كليب وجعله كفؤاله . فقيل له انما قتله بشسع نعل كليب . وذلك ان المهلهل . لما قتل بجيرا قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث بن عباد . وكان له فرس يقال له النعامة فركبها وتولى أمر بكر . فقتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب . فقال فى ذلك الحرث بن عباد :

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيالى
لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

وكان اليوم الذى شهده الحرث بن عباد يوم قضة ويوم تحلاق اللمم . وفيه يقول طرفة بن العبد :

سائلوا عنا الذى يعرفنا * مالقوا فى يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن أسوقها * وتلف الخيل أفواج النعم

وفيه أسر الحرث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة . فقال له دلنى على عدى بن ربيعة وأخلى عنك . فقال له عدى عليك العهود بذلك ان دللتك عليه قال نعم . قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه . وقال فيه :

لهف نفسى على عدى ولم أعرف عديا اذا مكنتنى اليدان

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلهما جحدر بن ضبيعة طعن أحدهما بسنان رمحه والآخر بزجه . ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى جنب وجنب فى مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه فى صداقها جلودا من ادم . فقال فى ذلك :

اعزز على تغلب بما لقيت * اخت بنى الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من ادم

لو با بانين جاء يخطبها * زمل ماانف خاطب بدم

٥٨ — الكلاب الاول — قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها وتقاطعت أرحامها ارتأى رؤساؤهم . فقالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فاكل القوى الضعيف ولا نستطيع تغيير ذلك فنرى ان نملك علينا ملكا نعطيه الشاء والبعير فيأخذ للضعيف من القوى و يرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فتفسد ذات بيننا ولكنا نأتى تبعا فنملكه علينا . فأتوه فذكروا له أمرهم فملك عليهم الحرث بن عمرو آكل المرار الكندى . فقدم فنزل بطن عاقل . ثم غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما فى أيدى ملوك الحيرة اللخميين وملوك الشام الغسانيين وردهم الى أقاصى أعمالهم . ثم طعن فى نبطه أى مات فدفن ببطن عاقل واختلف ابناه شرحبيل ومسلمة فى الملك . فتواعدا الكلاب فاقبل شرحبيل فى ضبة والرباب كلها و بنى يربوع و بكر بن وائل . وأقبل مسلمة فى تغلب والنمر و بهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة وعليهم سفيان بن مجاشع وعلى تغلب السفاح وانما قيل له السفاح لانه سفح أوعية قومه . وقال لهم اندروا الى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه وانما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبنى تغلب فالتقوا على الكلاب واستحر القتل فى بنى يربوع وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله . وكان شرحبيل قتل حنشا فأراد أبو حنش ان يأتى برأسه الى مسلمة فخافه فبعثه مع عسيف له . فلما رآه مسلمة دمعت عيناه فقال له أنت قتلته . قال لا ولكنه قتله أبو حنش . فقال انما أدفع الثواب الى قاتله وهرب أبو حنش عنه . فقال مسلمة :

ألا أبلغ أباحنش رسولا * فمالك لا تجىء الى الثواب

تعلم ان خير الناس ميتا * قتيل بين أحجار الكلاب

تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جماميس الرباب

ومما يدل على ان بكرا كانت مع شرحبيل قول الاخطل :

اباغسان انك لم تهنى * ولكن قد أهنت بنى شهاب

ترقوا فى النخيل وأنسؤنا * دماء سراتكم يوم الكلاب

٥٩ — يوم الصفقة — وهو يوم الكلاب الثانى . قال أبو عبيدة : أخبرنا أبو عمرو بن

العلاء قال كان يوم الكلاب متصلا بيوم الصفقة . وكان من حديث الصفقة ان كسرى الملك كان قد أوقع ببني تميم فأخذ الاموال وسبي الذراري بمدينة هجر . وذلك انهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . ثم ان بني تميم أداروا أمرهم وقال ذوو الحجى منهم انكم قد أغضبتم الملك وقد أوقع بكم حتى وهنتم وتسامعت بما لقيتم القبائل فلا تامنون دوران العرب فجمعوا سبعة رؤساء منهم وشاوروهم في أمرهم . وهم أكثم بن صيفى الاسدى والاعيم بن يزيد بن مرة المازنى . وقيس بن عاصم المنقرى . وأبير بن عصمة التيمى والنعمان بن الحسحاس التيمى . وأبين بن عمرو السعدى . والزبرقان بن بدر السعدى . فقالوا لهم ماذا ترون . فقال أكثم بن صيفي وكان يكنى أبا حنش ان الناس قد بلغهم ما قد لقينا ونحن نخاف ان يطمعوا فينا . ثم مسح بيده على قلبه وقال انى قد نيفت على التسعين وانما قلبي بضعة من جسمي . وقد نحل كما نحل جسمي وانى أخاف ان لا يدرك ذهني الرأى لكم . وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم وانما كان قوامكم اسيفا وعسيفا يريد العبد والاجير وصرتم اليوم انما ترعى لكم بناتكم فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره فانى متى أسمع الحزم أعرفه . فقال كل رجل منهم ما رأى وأكثم ساكت لا يتكلم حتى قام النعمان بن الحسحاس . فقال يا قوم انظروا ماء يجمعكم ولا يعلم الناس باى ماء أنتم حتى تنفرد الحلقة عنكم . وقد حممتم وصلحت أحوالكم وانجبر كسيركم وقوى ضعيفكم ولا أعلم ماء يجمعكم الا قدة . فارتحلوا وانزلوا قدة وهو موضع يقال له الكلاب فلما سمع أكثم بن صيفي كلام النعمان . قال هذا هو الرأى فارتحلوا حتى نزلوا الكلاب . و بين أدناه واقصاه مسيرة يوم واعلاه مما يلي اليمن وأسفله مما يلي العراق . فنزلت سعد والرباب باعلى الوادي ونزلت حنظلة باسفله . قال أبو عبيدة : وكانوا لا يخافون ان يغزوا في القيظ ولا يسافر فيه أحد ولا يستطيع أحد ان يقطع تلك الصحارى لبعد مسافتها وليس بها ماء ولشدة حرها فاقاموا بقية القيظ لا يعلم أحد بمكانهم حتى اذا تهور القيظ أى ذهب بعث الله ذا العينين وهو من اهل مدينة هجر فمر بقدة وصحرائها . فرأى ما بها من النعم فانطلق حتى أتى أهل هجر فقال لهم هل لكم في جارية عذراء ومهرة شوهاء وبكرة حمراء ليس دونها نكبة . فقالوا ومن لنا بذلك قال تلكم تميم القاء مطرحون بقدة . قالوا أى والله فمشى بعضهم الى بعض . وقالوا اغتنموها من بنى تميم فاخرجوا منهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيديون . يزيد بن هوبر . ويزيد بن عبد المدان . ويزيد ابن المأمور . ويزيد بن المحرم وكلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثى . فكان كل واحد منهم

على ألفين والجماعة ثمانية آلاف فلا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه ومن يوم جيش كسرى يوم ذي قار . ويوم شعب جبلة فمضوا حتى اذا كانوا ببلاد باهلة . قال جزء بن جزء لابنه جزء الباهلي يابني هل لك في اكرومة لا يصاب أبدا امثلها . قال وماذاك قال هذا الحي من تميم قد ولجوا هناك مخافة وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم فاركب جملي الارحبي وسر سيرا رويدا عقبة من الليل يعني ساعة ثم خل عنه حبليه وأنخه وتوسد ذراعه . فاذا سمعته قد أفاض بجرته وبال فاستنقعت ثفناته في بوله فشد عليه حبله . ثم ضع السوط عليه فانك لا تسأل جملك شيأ من السير الا أعطاك حتى تصبح القوم ففعل ما أمره به . قال الباهلي فحللت بالكلاب قبل الجيش وأنا أنظر الى ابن ذكاء يعني الصبح فناديت ياصباحاه فانهم ليثبون الي يسألوني من أنت اذ أقبل رجل من بني شقيق على مهر قد كان في النعم فنادى ياصباحاه قد أتي على النعم . ثم كر راجعا نحو الجيش فلقيه عبد يغوث الحارثي وهو اول الرعيل فطعنه في رأس معدته فسبق اللبن الدم . وكان قد اصطبح . فقال عبد يغوث أطيعوني وامضوا بالنعم وخلوا العجائز من تميم ساقطة افواهها . قالوا امادون ان تنكح بنا تهم فلا . وقال ضمرة بن لبيد الحماسي أنظروا اذا سقتم النعم فان أتتكم الخيل عصبا العصبة تنتظر الاخرى حتى تلحق بها فان أمر القوم هين وان لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتى يردوا وجوه النعم فان أمرهم شديد . وتقدمت سعد والرباب في أوائل الخيل فالتقوا بالقوم فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضا . ورئيس الرباب النعمان بن الحسحاس . ورئيس بني سعد قيس بن عاصم . وأجمع العلماء ان قيس بن عاصم كان رئيس بني تميم . فالتقى القوم فكان أول صريع النعمان بن الحسحاس واقتتل القوم بقية يومهم . وثبت بعضهم لبعض حتى حجز الليل بينهم . ثم أصبحوا على راياتهم . فنادى قيس بن عاصم يا آل سعد . ونادى عبد يغوث يا آل سعد قيس يدعو سعد بن زيد مناة وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى يا آل كعب فنادى عبد يغوث يا آل كعب قيس يدعو كعب بن سعد وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك . فلما رأى ذلك قيس نادى يا آل كعب مقاعس . فلما سمعه وعلة بن عبد الله الجرمي . وكان صاحب لواء أهل اليمن نادى يا آل مقاعس تفاءل به فطرح له اللواء . وكان أول من انهزم فحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم لا تقتلوا الا فارسا فان الرجالة لكم . ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصبا هواربا * أقسمت لا أطعن الا راكبا * اني وجدت الطعن فيهم صائبا

وقال أبو عبيدة : أمر قيس بن عاصم ان يتبعوا المنهزمة و يقطعوا عرقوب من لحقوا ولا يشتغلوا بقتلهم عن اتباعهم فجزوا دوابرهم . فذلك قول وعلة :

فدى لكم أهلى وأمى ووالدى * غداة كلاب اذ تجز الدوابر

وسنكتب هذه القصيدة على وجهها . وحمى عبد يغوث أصحابه فلم يوصل الى الجانب الذى هو فيه فالظ به مصاد بن ربيعة بن الحرث . فلما لحقه مصاد طعنه فالقاه عن الفرس فاسره . وكان مصاد قد أصابته طعنة فى مأبضه . وكان عرقه يهمى أى يسيل فعصبه وكتفه يعنى عبد يغوث ثم اردفه خلفه فنزفه الدم فمال عن فرسه مقلوبا . فلما رأى ذلك عبد يغوث قطع كتافه واجهز عليه وانطلق على فرسه وذلك أول النهار . ثم ظفر به بعد فى آخره ونادى مناد قتل اليزيديون وشد قبيصة بن ضرار الضبى على ضمرة بن لبيد الحماسى الكاهن فطعنه فخر صريعا . فقال له قبيصة الا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم وأسر عبد يغوث أسره عصمة بن أبير التيمى . قال أبو عبيدة : انتهى عصمة بن أبير الى مصاد وقد أمعنوا فى الطلب فوجده صريعا وقد كان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا فى يديه فعرف انه هو الذى اجهز عليه فاقتص أثره . فلما لحقه قال له ويحك انى رجل أحب اللبن وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال عبد يغوث ومن أنت قال عصمة بن أبير . قال عبد يغوث أو عندك منعة . قال نعم قال لى يده فى يده فانطلق به عصمة حتى جناه عند الاهتم على ان جعل له من فداه جعلا . فوضعه الاهتم عند امرأته العبشمية فاعجبها جماله وكمال خلقه . وكان عصمة الذى أسره غلاما نحيفا . فقالت لعبد يغوث من أنت قال أنا سيد القوم فضحكت . وقالت قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا . ولذلك يقول عبد يغوث :

وتضحك منى شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

فاجتمعت الرباب الى الاهتم . فقالت ثارنا عندك وقد قتل مصاد والنعمان فاخرجه الينا فابى الاهتم ان يخرجه اليهم فكادان يكون بين الحيين الرباب وسعد فتنة حتى أقبل قيس بن عاصم المنقرى . فقال أترى اقطع حلف الرباب من قبلنا وضرب فمه بقوس فهتمه فسمى الاهتم فقال الاهتم انما دفعه الى عصمة بن أبير ولا أدفعه الا لمن دفعه الى فليجئ فليأخذه فأتوا عصمة فقالوا يا عصمة قتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد وثارنا أسيرك وفى يدك فما ينبغى لك أن تستحييه . فقال انى ممحل وقد أصبت الغنى فى نفسى ولا تطيب نفسى عن أسيرى فاشتراه بنو الحسحاس بمائة بعير . وقال رؤبة بن العجاج بل أرضوه بثلاثين من حواشى النعم فدفعه اليهم فخشوا ان

يهجوهم فشدوا على لسانه نسعة . فقال انكم قاتلي ولا بد فدعوني اذم أصحابي وأنوح على نفسي فقالوا انك شاعر ونخاف ان تهجونا فعقد لهم ان لا يفعل فاطلقوا لسانه وامهلوه حتى قال قصيدته التي أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا * فما لكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل ومالومي أخي من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * نداماى من نجران ان لا تلاقيا
أبا كرب والايهمين كليهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة * صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتني من القوم نهدة * ترى خلفها الجرد الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكم * وكان الرماح يختطفن المحاميا
أحقا عباد الله أن لست سامعا * نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة * أمعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا * فان أساركم لم يكن من بوائيا
وقد علمت عرسي مليكة انني * انا الليث معدوا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطي وامضي حيث لا حي ماضيا
وأعقر للشرب الكرام مطيتي * واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا * لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها * بكفي وقد أنحوا الى العواليا
كأني لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلي كري قاتلي عن رجاليا
ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل * لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

قال أبو عبيدة : فلما ضربت عنقه قالت ابنة مصاد بؤ بمصاد . فقال بنو النعمان بالكاع نحن نشتريه باموالنا ويبوء بمصاد . فوقع بينهم في ذلك الشر ثم اصطلحوا وكان الغناء كله يوم الكلاب من الرباب لتميم ومن بني سعد لمقاعس . وقال وعلة الجرمي وكان أول منهزم انهزم يوم الكلاب وكان بيده لواء القوم :

ومن على الله منا شكرته * غداة الكلاب اذتجز الدوابر
ولما رأيت الخيل تبرى اثابجا * علمت بان اليوم احمس فاجر
نجوت نجاء ليس فيه وتيرة * كانى عقاب عند تيماء كاسر
خدارية صعقاء لبدر يشها * بطخفة يوم ذوأها ضيب ماطر
لها ناهض فى الوكر قدمهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
كانا وقد حالت جدية دوننا * نعام تلاه فارس متواتر
فمن يك يرجو فى تميم هوادة * فليس لجرم فى تميم أواصر
ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا * تنازعنى من ثغرة النحر ناحر
فان استطع لا تبتئس بى مقاعس * ولا ترنى بيداؤهم والمحاضر
ولا أك فى جرارة مضرية * اذا ماغدت قوت العيال تبادر
يقول لى النهدى هل أنت مردفى * وكيف رداف الفل امك عاثر
يذكرنى بالآل بينى وبينه * وقدكان فى جرم ونهد تدابر

وقال محرز بن المعكبر الضبى ولم يشهدها وكان مجاورا فى بنى بكر بن وائل لما بلغه الخبر :

فدى لقومى ماجمعت من نشب * اذساقت الحرب أقواما لاقوام
اذحدثت مذحج عنا وقد كذبت * ان لا يذبب عن أحسابنا حام
دارت رحاهم قليلا ثم واجهم * ضرب تصدع منه جلدة الهام
ظلت ضباع مجيرات تجزرهم * وألجوهن منهم أى الجام
حتى جدية لم يترك بها ضبعا * الالها جزر من شلو مقدام
ظلت رؤس بنى كعب بكلكلها * وهم يوم بنى بدر باظلام

قال أبو عبيدة : حدثنى المنتجع بن نبهان قال وقف رؤبة بن العجاج على التيم بمسجد الحرورية فقال يامعشر تيم انى سمرت عند الامير تلك الليلة فتذاكرنا يوم الكلاب . فقال يامعشر تيم ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدتى صاحبينا يعنى عبد يغوث ووعلة الجرمى ومن قصيدة ابن المعكبر صاحبكم وهاتوا غير ذلك فاتم أكثر الناس كلاما وهجاء . قال رؤبة فانشدناه فى ذلك اليوم شعرا كثيرا فجعل يقول هذه اسلامية كلها

٦٠ — يوم طخفة — كانت الردافة ردافة الملك لعتاب بن هرم بن رباح ثم كانت لقيس بن عتاب . فسأل حاجب بن زرارة النعمان ان يجعلها للحرث بن مرط بن سفيان بن مجاشع فسألها النعمان بنى يربوع وقال اعقبوا اخوتكم فى الردافة قالوا انهم لا حاجة لهم فيها وانما سألها حاجب حسدا لنا وأبوا عليه . فقال الحرث بن شهاب وهو عند النعمان ان بنى يربوع لا يسلمون ردافتهم الى غيرهم . وقال حاجب ان بعث اليهم الملك جيشا لم يمنعوا ولم يمتنعوا فبعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسان بن المنذر . فكان قابوس على الناس وكان حسان على المقدمة و بعث معهم الصنائع والوضائع فالصنائع من كان يأتيه من العرب والوضائع المقيمون بالحيرة . فالتقوا بطخفة فانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره وأخذه ليجز ناصيته . فقال قابوس ان الملوك لا تجز نواصيها فجهزه وأرسله الى أبيه . واما حسان بن المنذر فاسره بشر بن عمرو الرياحى ثم من عليه وأرسله . فقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه والخيول تلهب

عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندى أبيض مقضب

طلبنا بها انا مداريك قبلها * اذا طلب الشأو البعيد المقرب

٦١ — يوم فيف الريح — قال أبو عبيدة: تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحرث بن كعب وقبائل من مراد وجعفى وزبيد وخثعم . وعليهم أنس بن مدركة وعلى بنى الحرث الحصين . فاغاروا على بنى عامر بن صعصعة بفيف الريح . وعلى بنى عامر عامر بن مالك ملاعب الاسنة . قال فاقتتل القوم فكسروهم وارفضت قبائل من بنى عامر وصبرت بنو نمير فما شبهوا الا بالكلاب المتعاظلة حول اللواء . واقبل عامر بن الطفيل وخلفه دعى بن جعفر . فقال يامعشر الفتيان من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليشهدنى . فكان الفارس اذا ضرب ضربة أو طعن طعنة قال عند ذلك أبا على . فبينما هو كذلك اذ أتاه مسهر بن يزيد الحارثى . فقال له من ورائه عندك ياعامر والرمح عند اذنه فوهصه أى طعنه فاصاب عينه فوثب عامر عن فرسه ونجا على رجليه . وأخذ مسهر رمح عامر . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر :

لعمرى وما عمرى على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

أعاذل لو كان البداد لقوتلوا * ولكن تزونا بالغدير المجمهر

ولوكان جمع مثلنا لم يبزنا * ولكن أتتنا ثروة ذات مفخر
أتونا ببهراء ومذحج كلها * وأكلب طرا فى جباب السنور

وقال مسهر وزعم انهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل :

وهصت بخوص الرمح مقلة عامر * فاضحى نحيفا فى الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه * وأدبر يدعو فى الهوالك جعفرا
وكنا اذا قيسية فرقت لنا * جرى دمعها من عينها فتحدرا
مخافة مالاقت حليلة عامر * من الشر اذ سربالها قد تعفرا

قال وامتنت بنو نمير على بنى كلاب بصبرهم يوم فيف الريح . فقال عامر :

تمنون بالنعما ولولا مكرنا * بمنعرج الفيفا لكنتم مواليا
ونحن تداركنا فوارس وحوح * عشية لاقين الحصين اليمانيا

وحوح من بنى نمير وكان عامر استنقذهم وأسر حنظلة بن الطفيل يومئذ . قال أبو عبيدة : كانت وقعة فيف الريح وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وأدرك مسهر بن يزيد الاسلام فاسلم

٦٢ ـ يوم تياس ـ كانت افناء قبائل من بنى سعد بن زيد مناة وافناء قبائل من بنى عمرو بن تميم التقت بتياس . فقطع غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم رجل الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة فطلبوا القصاص فاقسم غيلان ان لا يعقلها ولا يقص بها حتى تحشى عيناه ترابا . وقال :

لا نعقل الرجل ولا نديها * حتى تروا داهية تنسيها

فالتقوا فاقتتلوا فجرحوا غيلان حتى ظنوا انهم قد قتلوه ورئيس عمرو كعب بن عمرو ولواؤه مع ابنه ذؤيب وهو القائل لابنه :

يا كعب ان أخاك منحمق * ان لم يكن بك مرة كعب
جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب
والحرب قد يضطر جانبها * نحو المضيق ودونه الرحب

٦٣ ـ يوم زرود الاول ـ غزا الحوفزان حتى انتهى الى زرود وخلف جبل من جبالها . فاغاروا على نعم كثير صادر عن الماء لبنى عبس فاحتازوه وأتى الصريخ بنى عبس . فركبوا ولحق عمارة بن زياد العبسى الحوفزان فعرفه . وكانت أم عمارة قد أرضعت مضر بن

شريك وهو أخو الحوفزان . وقال عمارة يابني شريك قد علمتم ما بيننا و بينكم . قال الحوفزان وهو الحرث بن شريك صدقت ياعمارة فانظر كل شيء هولك فخذه . فقال عمارة لقد علمت نساء بني بكر بن وائل انى لم أملأ أيدى أزواجهن وابنائهن شفقة عليهن من الموت . فحمل عمارة ليعارض النعم ليرده وحال الحوفزان بينه و بين النعم فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحوفزان ولحق به نعامة بن عبدالله بن شريك فطعنه أيضا . وقال نعامة ما كرهت الرمح فى كفل رجل قط أشد من كفل عمارة وأسر ابنا عمارة سناد وشداد . وكان فى بنى عبس رجلا من طيء ابنان لأوس بن حارثة مجاورين لهم . وكان لهما أخ أسير فى بنى يشكر فاصابا رجلا من بنى مرة يقال له معدان بن محرب فذهبا به فدفناه تحت شجرة . فلما فقدته بنو شيبان نادوا ياثارات معدان . فمنذ ذلك قتلوا بنى عمارة وهرب الطائيان باسيرهما . فلما برأ عمارة من جراحه أتى طيأ فقال ادفعوا الى هذا الكلب الذى قتلنا به . فقال الطائى لاوس ادفع الى بنى عبس صاحبهم . فقال لهم أوس أتأمر وننى أن أعطى بنى عبس قطرة من دمى وان ابنى أسير فى بنى يشكر فوالله ما أرجو فكاكه الا بهذا . فلما قفل الحوفزان من غزوه بعث الى بنى يشكر فى ابن أوس فبعثوا به اليه فافتك به معدان . وقال نعامة بن شريك :

استنزلت رماحنا سنانا ❊ وشيخنا بطخفة عنانا

ثم أخوه قدرأى عيانا ❊ لما فقدنا بيننا معدانا

٦٤ — يوم غول الثانى — وهو يوم كنهل قال أبو عبيدة: اقبل ابنا هجيمة وهما من بنى غسان فى جيش فنزلا فى بنى يربوع فجاورا طالق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع فنزلا معه على ماء يقال له كنهل فاغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع فاستاقوا نعمهما وأسروا من كان فى النعم . فركب قيس بن هجيمة بخيله حتى أدرك بنى ثعلبة فكر عليه عتيبة بن الحرث . فقال له قيس هل لك ياعتيبة الى البراز . فقال ما كنت لاسئله وأدعه فبارزه . قال عتيبة فما رأيت فارسا املأ لعينى منه يوم رأيته فرمانى بقوسه فما رأيت شيا كان أكره الى منه فطعننى فاصاب قربوس سرجى حتى وجدت من السنان فى باطن فخذى فتجنبت . قال ثم ارسل الرمح وقبض بيدى وهو يرى ان قد أثبتنى وانصرف فاتبعته الفرس . فلما سمع زجلها رجع جانحا على قربوس سرجه و بدا الى فرج الدرع ومعى رمح معلية بالقد والعصب كنا نصطاد به

الوحش فرميته بالقوس وطعنته بالرمح فقتلته وانصرفت . فلحقت النعم . وأقبل الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلا ثم اتبعني . وقال هل لك في البزار فقلت لعل الرجعة لك خير . قال ابعد قيس ثم شد على فضر بني على البيضة فخلص السيف الى رأسي وضربته فقتلته . فقال سحيم بن وثيل يعير طارقا بقتل جاريه:

لقد كنت جارا بني هجيمة قبلها * فلم تغن شيأ غير قتل المجاور

وقال جرير:

وساق ابني هجيمة يوم غول * الى أسيافنا قدر الحمام

٦٥ — يوم الجبابات — قال أبوعبيدة: خرج بنو ثعلبة بن يربوع فمروا بناس من طوائف بني بكر بن وائل بالجبابات خرجوا اسفارا فنزلوا وسرحوا ابلهم ترعى وفيها نفر منهم يرعونها منهم سوادة بن يزيد بن بجيل العجلي ورجل من بني شيبان وكان محموما . فمرت بنو ثعلبة ابن يربوع بالابل فاطردوها وأخذوا الرجلين فسالوهما من معكما . فقالا معنا شيخ بن يزيد بن بجيل العجلي في عصابة من بني بكر بن وائل خرجوا اسفارا يريدون البحرين . فقال الربيع ودعموص ابنا عتيبة بن الحرث بن شهاب اين نذهب بهذين الرجلين وبهذه الابل ولم يعلموا من أخذها ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذا بلهم وصاحبيهم ليعنيهم ذلك . فقال لهما عميرة ماوراءكما الاشيخ بن يزيد قد أخذتما أخاه واطردتما ماله دعاه فابيا ورجعا فوقفا عليهم وأخبراهم وتسميا لهم فركب شيخ بن يزيد فاتبعهما وقد وليا . فلحق دعموصا فاسره ومضى ربيع حتى أتى عميرة فاخبره ان أخاه قد قتل . فرجع عميرة على فرس يقال له الخنساء حتى لحق القوم فافتك منهم دعموصا على ان يرد عليهم أخاهم وابلهم فردها عليهم فكفر ابنا عتيبة ولم يشكرا عميرة . فقال:

ألم ترد عموصا يصد بوجهه * اذا مارآني مقبلا لم يسلم

ألم تعلما ياابني عتيبة مقدمي * على ساقط بين الاسنة مسلم

فعارضت فيه القوم حتى انتزعته * جهارا ولم أنظر له بالتلوم

٦٦ — يوم اراب — غزا الهذيل بن حسان التغلبي فاغار على بني يربوع باراب فقتل فيهم قتلا ذريعا فاصاب نعما كثيرة وسبي سبيا كثيرا فيهم زينب بنت حمير بن الحرث بن همام بن رياح بن يربوع وهي يومئذ عقيلة نساء بني تميم وكان الهذيل يسمى المجدع . وكان بنو تميم

يفزعون به أولادهم وسبى أيضا طاية بنت جزء بن سعد الرياحى ففداها أبوها وركب عتيبة بن الحرث فى أسراهم ففكهم أجمعين

٦٧ — يوم الشعب — غزا قيس بن شرقاء التغلبى فاغار على بنى يربوع بالشعب فاقتتلوا فانهزمت بنو يربوع فزعم أبو عبيدة انها كانت اختطافا فاسر سحيم بن واصل الرياحى ففى ذلك يقول سحيم :

أقول لهم بالشعب اذ ياسروننى * ألم تعلموا انى ابن فارس زهدم

ففدى نفسه وأسر يومئذ متمم بن نويرة . فوفد مالك بن نويرة على قيس بن شرقاء فى فدائه فقال :

هل أنت ياقيس بن شرقاء منعم * أو الجهد ان اعطيته أنت قائله

فلما رأى وسامته وحسن اشارته . قال بل منعم فاطلقه له

٦٨ — يوم عول الاول — فيه قتل طريف بن شراحيل وعمرو بن مرثد المحمى غزا طريف بن هشيم فى بنى العنبر وطوائف من بنى عمرو بن تميم فاغار على بنى بكر بن وائل بعول فاقتتلوا . ثم ان بكرا انهزمت فقتل طريف بن شراحيل أحد بنى ربيعة وقتل أيضا عمرو بن مرثد المحمى وقتل الحسر . فقال فى ذلك ربيعة بن طريف :

يارا كبا بلغن عنى مغلغلة * بنى الحصنيب وشر المنطق الفند

هلا شراحيل اذ مال الحزام به * وسط العجاج فلم يغضب له أحد

أو الحسر أو عمرو بخيفهم * منا فوارس هيجا نصرهم حسد

ان يلحظونى بزرق من أسنتنا * تشفى بهن النسا والعجب والكبد

وقد قتلنا كم صبرا ونأسركم * وقد طردنا كم لو ينفع الطرد

حتى استغاث بنا أدنى شريدكم * من بعد مامسه الضراء والنكد

قال نضلة السلمى فى يوم عول وكان حقيرا ادميا وكان ذا نجدة :

ألم تسل الفوارس يوم عول * بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر * وينفع أهله الرجل القبيح

فشد عليهم بالسيف صلتا * كما عض الشبا الفرس الجموح

فاطلق غل صاحبه وأردى * قتيلا منهم ونجا جريح

ولم يخشوا مصاليتا عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح

٦٩ ـــ يوم الخندمة ـــ كان رجل من مشركى قريش يحد حربة يوم فتح مكة . فقالت له امرأته ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه قالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شئ فقال والله انى لارجو ان أخدمك بعض نسائهم وأنشا يقول :

ان تبتلوا اليوم فمالى عله * هذا سلاح كامل واله * وذو غرارين صريع السله

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوى على شئ فلامته امرأته . فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه
ولقيتنا بالسيوف المسلمه * يفلقن كل ساعد وجمجمه
ضربا فلا تسمع الاغمغمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

٧٠ ـــ يوم اللهيما ـــ قال أبو عبيدة . كان سبب الحرب التى كانت بين عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل و بين عمرو بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة أن قيس بن عامر بن غريب أخا بنى عمرو بن عدى وأخاه سالما خرجا يريدان بنى عمرو بن الحرث على فرسين يقال لاحداهما اللعاب والاخرى عفزر فباتا عند رجل من بنى نفاثة . فقال النفاثى لقيس وأخيه أطيعانى وارجعا لا عرفن رماحكما تكسر فى قتاد نعمان قالا ان رماحنا لا تكسر الا فى صدور الرجال . قال لا يضركما وستحمدان أمرى فاصبحا غاديين . فلما شارفامتن اللهيما من نعمان و بنو عمرو بن الحرث فويق ذلك بموضع يقال له ادية أغارا على غنم جندب بن أبى عميس وفيها جندب فتقدم اليه قيس . فرماه جندب فى خلمة ثديه ونفحه قيس بالسيف فاصابت ظبة السيف وجه جندب وخر قيس وقربت الغنم نحو الدار تتبعها . وحمل سالم على جندب بفرسه عفزر فضرب جندب خطم عفزر بالسيف فقطعه وضربه سالم فاتقاه بيده فقطع أحد زنديه فخر جندب وذفف عليه سالم وأدرك العشى سالما فخرج وترك سيفه فى المعركة وثوبه بحقويه لم ينج الا بجفن سيفه ومئزره . فقال فى ذلك حماد ابن عامر :

لعمرك ما وفى ابن أبى عميس * وما خان القتال وما أضاعا
* سما بقرانه حتى اذا ما * أتاه قرنه بذل المصاعا
فان ألك نائيا عنه فانى * سررت بانه عين البياعا

وافات سالم منها حريصا * وقد كلم الدراية والذراعا
ولو سلمت له يمنى يديه * لعمر أبيك أطعمك السباعا

وقال حذيفة بن أنيس :

ألا بلغا جل السرارى وجابرا * وبلغ بنى ذى السهم عنا ويعمرا
كشفت غطاء الحرب لما رأيتها * تميل على صفو من الليل أكدرا
أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ويمشى اذا ما الموت كان أمامه * كذا الشبل يحمى الانف أن يتأخرا
نجا سالم والنفس منه بشرقة * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا
وطاب عن اللعاب نفسا ورمة * وغادر قيسا فى المكر وعفزرا

٧١ — يوم خزاز — قال أبو عبيدة : تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك وخالد بن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاردى وغسان بن عبد الحميد وعبد الله بن سالم الباهلى ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون فى الرياسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة كان الاحوص بن جعفر الرئيس وقال عامر ومسمع كان الرئيس كليب بن وائل . وقال ابن نوح كان الرئيس زرارة بن عدس وهذا فى مجلس أبى عمرو بن العلاء . فتحاكموا الى أبى عمرو . فقال ماشهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحدا من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك غير ان أهل اليمن كان الرجل منهم يأتى ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ماشاء كعمال صدقاتهم اليوم . وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك ملوك حمير وكانت نزار لم تكثر بعد فاوقدوا نارا على خزاز ثلاث ليال ودخنوا ثلاثة أيام . فقيل له وما خزاز . قال هو جبل قريب من امرة على يسار الطريق خلفه صحراء منبج يناوحه كور وكوير اذا قطعت بطن عاقل . ففى ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن ان ياكلوهم ولولا قول عمرو بن كلثوم ماعرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيما يليهم * وصلنا صولة فيما يلينا

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب وائل قائدهم ورئيسهم ماادعى الوفادة وترك الرياسة ومارأيت أحدا عرف هذا اليوم ولا ذكره فى شعره قبله ولا بعده

٧٢ — يوم المعا — قال أبو عبيدة : أغار المنبطح الاسدى على بنى عباد بن ضبيعة فاخذ نعما لبنى الحرث بن عباد وهى ألف بعير فر ببنى سعد بن مالك بن ضبيعة وبنى عجل بن لجيم • فتبعوه حتى انتزعوها منه ورئيس بنى سعد حمران بن عبد عمرو فاسره وأقبل ابن حسان العجلى المنبطح الاسدى ففداه قومه ولا أدرى كم كان فداؤه واستنقذ السبى • فقال حجر بن خالد بن محمود فى يوم المعا :

ومنبطح الفواخر قد أذقنا * بناعجة المعا حر الجلاد

تنفذنا أخاديدا فردت * على سكن وجمع بنى عباد

سكن ابن باعث بن الحرث بن عباد والاخاديد من أخذ من النساء • وقال حمران بن عبد عمرو :

ان الفوارس يوم ناعجة المعا * نعم الفوارس من بنى سيار

لم يلههم عقد الاصرة خلفهم * وحنين منهلة الضروع عقار

لحقوا على قب الاباطل كالقنا * شعث تعد لكل يوم عوار

حتى حبون أخا القواصر طعنة * وفككن منه القد بعد اسار

سالت عليه من الشعاب خوائف * ورد العطاط تبلج الاسحار

٧٣ — يوم النسار — قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطىء وغطفان ولحقت بهم ضبة وعدى فغزوا بنى عامر فقتلوهم قتلا شديدا • فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا حتى لحقوا طيأ وغطفان وحلفاءهم من بنى ضبة وعدى يوم الفجار • فقتلت تميم طيأ أشد ما قتلت عامر يوم النسار • فقال فى ذلك بشر بن أبى حازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

٧٤ — يوم ذات الشقوق — خلف ضمرة النهشلى • فقال الخمر على حرام حتى يكون له يوم يكافئه فاغار عليهم ضمرة يوم ذات الشقوق فقتلهم • وقال فى ذلك :

الآن ساغ لي الشراب ولم أكن * آتي الفجار ولا أشد تكلمي
حتى صبحت على الشقوق بعدة * كالتمر تنثر في حرير الحرم
وأبأت يوما بالجفار بمثله * وأجرت نصفا من حديث الموسم
ومشت نساء كالنساء عواطلا * من بين عارفة النساء وأيم
ذهب الرماح بزوجها فتركته * في صدر معتدل القناة مقوم

٧٥ — يوم خو — قال أبو عبيدة : غارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا ابلهم فأتى الصريخ الحي فلم يتلاحقوا الا مساء بموضع يقال له خو . وكان ذؤاب بن ربيعة الاشتر على فرس أنثى . وكان عيينة بن الحرث بن شهاب على حصان فجعل الحصان يستنشق ريح الانثى في سواد الليل ويتبعها . فلم يعلم عيينة الا وقد أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة الاسدي وعيينة غافل لا يبصر ما بين يديه في ظلمة الليل . وكان عيينة قد لبس درعه وغفل عن جربابها حتى أتى الصريخ فلم يشده . ورآه ذؤاب فاقبل بالرمح الى ثغرة نحره فخر صريعا قتيلا . ولحق الربيع بن عيينة فشد على ذؤاب فاسره وهو لا يعلم انه قاتل أبيه . فكان عنده أسيرا حتى فاداه أبوه ربيعة بابل معلومة قاطعه عليها وتواعدا سوق عكاظ والاشهر الحرم ان يأتي هذا بالابل ويأتي هذا بالاسير . وأقبل أبو ذؤاب بالابل وشغل الربيع بن عيينة فلم يحضر سوق عكاظ . فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤابا قد قتلوه بابيهم عيينة فرثاه وقال :

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة * ما ان أحاول جعفر بن كلاب
ان المودة والهوادة بيننا * خلق كسحق الريطة المنجاب
ولقد علمت على التجلد والاسى * ان الرزية كان يوم ذؤاب
ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم * بعيينة بن الحرث بن شهاب
باحبهم فقدا على أعدائه * وأشدهم فقدا على الاصحاب

فلما بلغهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة . وقالت آمنة بنت عيينة ترثي أباها :

على مثل ابن ميسة فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا
وكان أبي عيينة سمهريا * فلا تلقاه يدخر النصيبا
ضروبا للكمي اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

٧٦ ـ أيام الفجار الاول ـ قال أبو عبيدة : أيام الفجار عدة وهذا أولها وهو بين كنانة وهوازن وكان الذى هاجه أن بدر بن معشر أحد بنى عقال بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة جعل له مجلس بسوق عكاظ . وكان حدثا منيعا فى نفسه : فقال فى المجلس وقام على رأسه قائم :

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا فى عينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنهم لجة بحر مسدف

قال ومد رجله : وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز منى فليضرب بها . فضربها الاحيمر بن مازن أحد بنى دهمان بن نصر بن معاوية فاندرها من الركبة . وقال خذها اليك أيها المخندف . قال أبو عبيدة : انما خرصها خريصة يسيرة . وقال فى ذلك :

نحن بنو دهمان ذو التعطرف * بحر لبحر زاخر لم ينزف * نبنى على الاحياء بالمعرف

قال أبو عبيدة : فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد أن يكون بينهما الدماء . ثم تراجعوا رأوا ان الخطب يسير :

٧٧ ـ الفجار الثانى ـ كان الفجار الثانى بين قريش وهوازن . وكان الذى هاجه أن فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بنى عامر بن صعصعة وضيئة حسانة بسوق عكاظ . وقالوا بل أطاف بها شباب من بنى كنانة وعليها برقع وهى فى درع فضل فأعجبهم ما رأوا من هيئتها فسألوها ان تسفر عن وجهها فأبت عليهم فأتى أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة الى ظهرها وهى لا تدرى . فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها فضحكوا وقالوا امنعتنا النظر الى وجهها فقد رأينا دبرها فنادت المرأة يا آل عامر فتحاور الناس وكان بينهم قتال ودماء يسيرة فحملها حرب ابن أمية وأصلح بينهم

٧٨ ـ الفجار الثالث ـ وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذى هاجه ان رجلا من بنى كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية فأعدم الكنانى فوافى النصرى بسوق عكاظ بقرد فأوقفه فى سوق عكاظ . وقال من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان حتى أكثر فى ذلك وانما فعل ذلك النصرى تعييرا للكنانى ولقومه فمر به رجل من بنى كنانة فضرب القرد

بسيفه فقتله فهتف النصري يا آل هوازن وهتف الكناني يا آل كنانة . فتهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال . ثم رأوا الخطب يسيرا فتراجعوا ولم يفقم الشر بينهم . قال أبو عبيدة : فهذه الايام تسمى فجارا لانها كانت في الاشهر الحرم وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها . فلذلك سميت فجارا وهذه يقال لها الفجار الثالث

٧٩ ـ الفجار الآخر ـ وهو بين قريش وكنانة كلها وهوازن . وانما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب فأبت ان تقتل بعروة البراض لان عروة سيد هوازن والبراض خليع من بني كنانة أرادوا ان يقتلوا به سيدا من قريش . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة . وقد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقال النبي عليه الصلاة والسلام كنت انبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة يعني أناولهم النبل . وكان سبب هذه الحرب ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ويشترى له بثمنها من ادم الطائف ما يحتاج اليه وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذي القعدة فيتسوقون الى حضور الحج . ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وعكاظ بين نخلة والطائف وبينها وبين الطائف نحو من عشرة أميال . وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذي القعدة الى وقت الحج ويأمن بعضها بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيرها فقال البراض بن قيس الضمري أنا أجيرها على بني كنانة . فقال النعمان ما أريد الا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن أكلب خليع يجيرها لك أبيت اللعن أنا أجيرها لك على اهل الشيح والقيصوم في أهل نجد وتهامة . فقال البراض أعلى بني كنانة تجيرها يا عروة . قال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة . فخرج بها وتبعه البراض وعروة لا يخشى منه شيا لانه كان بين ظهراني قومه من غطفان الى جانب فدك الى أرض يقال لها أوارة فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة ثم قام فنام . فجاء البراض فدخل عليه فناشده عروة وقال كانت مني زلة وكانت الفعلة مني ضلة فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلة مني ضله * هلا على غيري جعلت الزله * فسوف أعلو بالحسام القله

وقال : وداهية يهال الناس منها * شددت على بنى بكر ضلوعى

هتكت بها بيوت بنى كلاب * وأرضعت الموالى بالضروع

جمعت له يدى بنصل سيف * أثل نخر كالجذع الصريع

واستاق اللطيمة الى خيبر واتبعه المساور بن مالك الغطفانى وأسد بن خيثم الغنوى حتى دخلا خيبر . فكان البراض أول من لقيهما فقال لهما من الرجلان قالا من غطفان وغنى . قال البراض ماشان غطفان وغنى بهذه البلدة قالا ومن أنت . قال من أهل خيبر قالا ألك علم بالبراض . قال دخل علينا طريدا خليعا فلم يؤوه أحد بخيبر ولا أدخله بيتا . قالا فاين يكون قال وهل لكما به طاقة ان دللتكما عليه قالا نعم . قال فانزلا فنزلا وعقلا راحلتيهما . قال فايكما أجرأ عليه وأمضى مقدما واحد سيفا . قال الغطفانى أنا . قال البراض فانطلق أدلك عليه ويحفظ صاحبك راحلتيكما ففعل فانطلق البراض يمشى بين يدى الغطفانى حتى انتهى الى خربة فى جانب خيبر خارجة عن البيوت . فقال البراض هو فى هذه الخربة واليها يأوى فانظرنى حتى أنظر أثم هو أم لا فوقف له ودخل البراض . ثم خرج اليه وقال هو نائم فى البيت الاقصى خلف هذا الجدار عن يمينك اذا دخلت فهل عندك سيف فيه صرامة قال نعم . قال هات سيفك انظر اليه أصارم هو فاعطاه اياه فهزه البراض ثم ضربه به حتى قتله . ووضع السيف خلف الباب وأقبل على الغنوى . فقال ماوراءك قال لم أر أجبن من صاحبك تركته قائما فى الباب الذى فيه الرجل والرجل نائم لا يتقدم اليه ولا يتأخر عنه . قال الغنوى يالهفاه لو كان أحد ينظر راحلتينا . قال البراض هما على ان ذهبتا فانطلق الغنوى والبراض خلفه حتى اذا جاوز الغنوى باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب . ثم ضربه به حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما . ثم انطلق وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ فخلصوا نجيا واتبعتهم قيس لما بلغهم ان البراض قتل عروة الرجال وعلم قيس أبو براء عامر بن مالك فادركوهم وقد دخلوا الحرم ونادوهم يامعشر قريش انا نعاهد الله ان لا نبطل دم عروة الرجال أبداً ونقتل به عظماء منكم وميعادنا واياكم هذه الليالى من العام المقبل فقال حرب بن أمية لابى سفيان ابنه قل لهم ان موعدكم قابل فى هذا اليوم . فقال خداش بن زهير فى هذا اليوم وهو يوم نخلة :

ياشدة ماشددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

لما رأوا خيلنا تزجى أوائلها * آساد غيل حمى اشبالها الاجم
واستقبلوا بضراب لا كفاء له * يبدى من الغرل الا كفال ما كتموا
ولوا سلالا وعظم الخيل لاحقة * كما تخب الى أوطانها النعم
ولت بهم كل محضار ململمة * كأنها لقوة بجنبها ضرم

وكانت العرب تسمى قريشا سخينة لا كلهن السخن

٨٠ — يوم شمطة — وهى من يوم الفجار الآخر ويوم نخلة منه أيضا . قال فجمعت كنانة قريشها وعبد منافها والاحابيش ومن لحق بهم من بنى أسد بن خزيمة وسلح يومئذ عبد الله ابن جدعان مائة كمى باداة كاملة سوى من سلح من قومه والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة قال وجمعت سليم وهوازن جموعها واحلافها غير كلاب و بنى كعب فانهما لم يشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة فاجتمعوا بشمطة من عكاظ فى الايام التى تواعدوا فيها على قرن الحول وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها . وكذلك على قبائل قيس غير ان أمر كنانة كلها الى حرب بن أمية وعلى احدى مجنبتيها عبد الله بن جدعان وعلى الاخرى كريز بن ربيعة وحرب ابن أمية فى القلب وأمر هوازن كلها الى مسعود بن معتب الثقفى . فتناهض الناس وزحف بعضهم الى بعض . فكانت الدائرة فى أول النهار لكنانة على هوازن حتى اذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت وانقشعت كنانة فاستحر القتل فيهم . فقتل منهم تحت رايتهم مائة رجل وقيل ثمانون ولم يقتل من قريش يومئذ أحد يذكر . فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة

٨١ — يوم العبلاء — ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ والرؤساء على هؤلاء واولئك الذين ذكرنا فى يوم شمطة وكذلك على المجنبتين . فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على كنانة . وفى ذلك يقول خداش بن زهير :

ألم يبلغك مالقيت قريش * وحى بنى كنانة اذ أبيروا
دهمناهم بارعن مكفهر * فظل لنا بعقوتهم زئير

وفى هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام قتله مرة بن معتب الثقفى . فقال رجل من ثقيف :

منا الذى ترك العوام مجندلا * تنتاب الطير لحما بين أحجار

٨٢ - يوم شرب - ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ فالتقوا بشرب ولم يكن بينهم يوم أعظم منه والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا . وكذلك على المجنبتين وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ممن لم تكن له حمولة فالتقوا . وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان يوم شمطة ويوم العبلاء فحميت قريش وكنانة وصابرت بنو مخزوم و بنو بكر فانهزمت هوازن وقتلت قتلا ذريعا . وقال عبد الله بن الزبعري يمدح بنى المغيرة :

الا لله قوم ولدت أخت بنى سهم هشام وأبو عبد * مناف مدره الخصم
وذو الرمحين اشبال * من القوة والحزم فهذان يذودان * وذا من كثب يرمى

وأبو عبد مناف قصى وهشام بن المغيرة وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة قاتل يوم شرب برمحين وأمهم ريطة بنت سعيد بن سهم . فقال فى ذلك جذل الطعان :

جاءت هوازن ارسالا واخوتها * بنو سليم فهابو الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فض جمعهم * مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

٨٣ - يوم الحريرة - قال ثم جمع هؤلاء وأولئك ثم التقو على رأس الحول بالحريرة وهى حرة الى جنب عكاظ . والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا فى سائر الايام . وكذلك على المجنبتين الا ان أبا مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى قد كان مات . فكان من بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة أخوه جثامة بن قيس فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة . وكان آخر الايام الخمسة التى تراجعوا فيها . قال فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية . وقتل من كنانة ثمانية نفر قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بنى عامر بن صعصعة . وقتل أبو كنف وابنا اياس وعمرو بن أيوب . فقال خداش بن زهير :

انى من النفر المحمر أعينهم * أهل السوام وأهل الصخر واللوب
الطاعنين نحور الخيل مقبلة * من كل سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهم * يوم الحريرة ضربا غير مكذوب
لاقتهم منهم آساد ملحمة * ليسوا بدارعة عوج العراقيب
فالآن ان تقبلوا نأخذ نحوركم * وان تباهوا فانى غير مغلوب

وقال الحرث بن كلدة الثقفى :

تركت الفارس البذاخ منهم * تمج عروقه علقا عبيطا
دعست بنانه بالرمح حتى * سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرضيت قومك ياابن صخر * وقد جشمتهم أمرا شطيطا
وكم أسلمت منكم من كمى * جريحا قد سمعت له غطيطا

مضت أيام الفجار الآخر . وهى خمسة أيام فى أربع سنين أولها يوم نخلة ولم يكن لواحد منهما على صاحبه . ثم يوم شمطة لهوازن على كنانة وهو أعظم أيامهم . ثم يوم العبلاء . ثم يوم شرب وكان لكنانة على هوازن . ثم يوم الحريرة لهوازن على كنانة . قال أبو عبيدة : ثم تداعى الناس الى السلم على ان يذر واالفضل و يتعاهدوا و يتواثقوا

٨٤ — يوم عين أباغ — و بعده أيام ذى قار : قال أبو عبيدة : كان ملك العرب المنذر الاكبر ابن ماء السماء . ثم مات فملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند واليها ينسب . ثم هلك فملك أخوه قابوس وأمه هند أيضا فكان ملكه أربع سنين وذلك فى مملكة كسرى بن هرمز . ثم مات فملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء وذلك فى مملكة كسرى بن هرمز فغزاه الحرث الغسانى . وكان بالشام من تحت يد قيصر فالتقوا بعين أباغ . فقتل المنذر فطلب كسرى رجلا يجعله مكانه فاشار اليه عدى بن زيد وكان من تراجمة كسرى بالنعمان بن المنذر . وكان صديقا له فاحب ان ينفعه وهو أصغر بنى المنذر بن المنذر بن ماء السماء . فولاه كسرى على ما كان عليه أبوه وأتاه عدى بن زيد فمكنه النعمان ثم سعى بينهما فحبسه حتى أتى على نفسه . وهو القائل :

أبلغ النعمان عنى مالكا * انه قد طال حبسى وانتظار
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
وعداتى شمت أعجبهم * اننى غيبت عنهم فى أسار
لامرء لم يبل منى سقطة * ان أصابته ملمات العثار
فلئن دهر تولى خيره * وجرت بالنحس لى منه الجوار
لبما منه قضينا حاجة * وحياة المرء كالشئ المعار

فلما قتل النعمان عدى بن زيد العبادى وهو من بنى امرئ القيس بن سعد بن زيد مناة بن تميم

صار ابنه زيد بن عدي الى كسرى . فكان من تراجمته . وكان النعمان عند كسرى فحمله عليه فهرب النعمان حتى لحق ببني رواحة من عبس . واستعمل كسرى على العرب اياس بن قبيصة الطائي . ثم ان النعمان تحول حينا في أحياء العرب . ثم أشارت عليه امرأته المتجردة ان يأتي كسرى و يعتذر اليه . ففعل فحبسه بساباط حتى هلك و يقال أوطأه الفيلة . وكان النعمان اذا شخص الى كسرى أودع حلقته وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا هانئ بن مسعود الشيباني . وجعل عنده ابنته هند التي تسمى حرقة . فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء . فقال فيه زهير بن أبي سلمة المزني :

ألم تر للنعمان كان بنجوة * من الشر لو أن امرأ كان باقيا

فلم أر مخذولا له مثل ملكه * أقل صديقا أو خليلا موافيا

خلا ان حيا من رواحة حافظوا * وكانوا أناسا يتقون المخازيا

فقال لهم خيرا وأثنى عليهم * وودعهم توديع ان لا تلاقيا

٨٥ — يوم ذي قار — قال أبو عبيدة : يوم ذي قار هو يوم ذي الحنو . و يوم قراقر و يوم الجبايات . و يوم ذات العجرم . و يوم بطحاء ذي قار . وكلهن حول ذي قار وقد ذكرتهن الشعراء . قال أبو عبيدة : لم يكن هانئ بن مسعود المستودع حلقة النعمان وانما هو ابن ابنه واسمه هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود لان وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و بي نصروا فكتب كسرى الى اياس بن قبيصة يأمره ان يضم ما كان للنعمان فابى هانئ بن قبيصة ان يسلم ذلك اليه . فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل . وقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبي وقد طمع في هلاك بكر بن وائل . فقال ياخير الملوك الا أدلك على غرة بكر قال بلى . قال اقرها واظهر الاضراب عنها حتى يجليها القيظ و يدنيها منك فانهم لو قاظوا تساقطوا عليك بمالهم واديا يقال له ذو قار تساقط الفراش في النار فاقرهم حتى اذا قاظوا جاءت بكر بن وائل حتى نزلوا الحنو حنو ذي قار . فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم بين ثلاث خصال اما ان يسلموا الحلقة . واما ان يعروا الديار . واما ان يأذنوا بحرب فتنازعت بكر بينها فهم هانئ بن قبيصة بركوب الفلاة واشار به على بكر وقال لا طاقة لكم بجموع الملك فلم تر من هانئ سقطة قبلها . وقال حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي لا أرى غير القتال فانا ان ركبنا الفلاة متنا عطشا وان أعطينا بايدينا تقتل

مقاتلتنا وتسبي ذرارينا . فراسلت بكر بينهـا وتوافت بذى قار ولم يشهدها أحد من بنى حنيفة ورؤساء بنى بكر يومئذ ثلاثة نفر هانى ٔ بن قبيصة . ويزيد بن مسهر الشيبانى . وحنظلة بن ثعلبة العجلى . وقال مسمع بن عبد الملك العجلى بن لجيم بن مصعب بن على بن بكر بن وائل لا والله ما كان لهم رئيس وانما غزوا فى ديارهم فثار الناس اليهم من بيوتهم . وقال حنظلة بن ثعلبة لهانى ٔ ابن قبيصة يا أبا امامة ان ذمتكم ذمتنا عامة وانه لن يوصل اليك حتى تفنى أرواحنا فاخرج هذه الحلقة ففرقها فى قومك فان تظفر فستردعليك وان تهلك فاهون مفقود . فامر بها فاخرجت وفرقت بينهم وقال للنعمان لولا انك رسول ما أبت الى قومك سالما . قال أبو المنذر : فعقد كسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر . وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة واياد . وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر وعقد للهامرز التسترى وكان على مسلحة كسرى بالسواد على الف من الاساورة وكتب الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين وكان عامله على الطف طف سفوان وأمره ان يوافى اياس بن قبيصة . ففعل وسار اياس بمن معه من جنده من طيى ٔ ومعه الهامرز والنعمان بن زرعة وخالد بن يزيد وقيس ابن مسعود كل واحد منهم على قومه . فلما دنا من بكر انسل قيس الى قومه ليلا فاتى هانئا فاشار عليهم كيف يصنعون وأمرهم بالصبر ثم رجع . فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى . فقال يامعشر بكر ان النشاب الذى مع هؤلاء الاعاجم تفرقكم فعاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة . وقال هانى ٔ بن مسعود ياقوم مهلك معذور ، خير من منجى مغرور ، ان الجزع لايرد القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد فما من الموت بد ، ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وضن النساء فسقطن الى الارض . وقال ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته فسمى مقطع الوضن قال وقطع يومئذ سبعمائة رجل من بنى شيبان أيدى اقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف وعلى ميمنتهم بكر بن يزيد بن مسهر الشيبانى وعلى ميسرتهم حنظلة بن ثعلبة العجلى وهانى ٔ بن قبيصة ويقال ابن مسعود فى القلب . فتجالد القوم وقتل يزيد بن حارثة اليشكرى الهامرز مبارزة . ثم قتل يزيد بعد ذلك . ويقال ان الحوفزان بن شريك شد على الهامرز فقتله . وقال بعضهم لم يدرك الحوفزان يوم ذى قار وانما قتله يزيد بن حارثة وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا فاتبعهم بكر حتى دخلوا السواد فى طلبهم يقتلونهم وأسر النعمان بن زرعة التغلبي

ونجا اياس بن قبيصة على فرسه الحمامة . فكان أول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة . وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش الا نزع كتفه . فلما أتاه ابن قبيصة سأله عن الجيش . فقال هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم فعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة ثم استأذنه اياس فقال أخى قيس بن قبيصة مريض بعين التمر . فاردت أن آتيه فاذن له . ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق . فسال هل دخل على الملك أحد فقالوا اياس فظن انه حدثه الخبر . فدخل عليه واخبره بهزيمة القوم وقتلهم . فامر به فنزعت كتفاه . قال أبو عبيدة : لما كان يوم ذى قار كان فى بكر أسرى من تميم قريبا من مائتى أسيراً كثرهم من بنى رياح ابن يربوع فقالوا خلوعنا نقاتل معكم فانما نذب عن أنفسنا . فقالوا انا نخاف ان لا تناصحونا قالوا فدعونا نعلم حتى تروا مكاننا وغناءنا فذلك قول جرير :

منا فوارس ذى بهدى وذى نجب * والمعلمون صباحا يوم ذى قار

قال أبو عبيدة : سئل عمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلى و يشكرى . فزعم العجلى انه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبانى وعجلى . وقال اليشكرى بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم . فقال عمرو قد فصل بينكما التغلبى حيث يقول :

ولقد رأيت أخاك عمرا مرة * يقضى وضيعيه بذات العجرم
فى غمرة الموت التى لا تشتكى * غمراتها الابطال غير تغمغم
وكانما أقدامهم وأكفهم * سرب تساقط فى خليج مفعم
لما سمعت دعاء مرة قد علا * وأبى ربيعة فى العجاج الاقتم
ومحلم يمشون تحت لوائهم * والموت تحت لواء آل محلم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم * فى كل سابغة كلون العظلم
ودعت بنو ام الرقاع فاقبلوا * عند اللقاء بكل شاك معلم
وسمعت يشكر تدعى بحبيب * تحت العجاجة وهى تقطر بالدم
يمشون فى حلق الحديد كما مشت * أسد العرين بيوم نحس مظلم
والجمع من ذهل كان زهاءهم * جرب الجمال يقودها ابنا قشعم
والخيل من تحت العجاج عوابسا * وعلى مناسجها سحائب من دم

وقال العديل بن الفرج العجلى :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة * الا اصطلينا وكنا موقدى النار
وما يعدون من يوم سمعت به * للناس افضل من يوم بذى قار
جئنا باسلابهم والخيل عابسة * لما استلبنا لكسرى كل اسوار

قال وقالت عجل لنا يوم ذى قار فقيل لهم من المستودع ومن المطلوب ومن ناصب الملك ومن الرئيس فهو اذا لهم كانت الرياسة لهانئ وكان حنظلة يشير بالرأى . وقال شاعرهم :

ان كنت ساقية يوما ذوى كرم * فاسقى الفوارس من ذهل بن شيبانا
واسقى فوارس حاموا عن ذمارهم * وأعلى مفارقهم مسكا وريحانا

وقال أعشى بكر :

أما تميم فقد ذاقت عداوتنا * وقيس عيلان مس الخزى والاسف
وجند كسرى غداة الحنو صبحهم * مناغطاريف ترجو الموت وانصرفوا
* لقوا ململمة شهباء يقدمها * للموت لا عاجز فيها ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة * موفق حازم فى أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم * مثل الاسنة لا ميل ولا كشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم * جنان عين عليها البيض والزغف
لما رأونا كشفنا عن جماجمنا * ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندى يحصدهم * ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو أن كل معد كان شاركنا * فى يوم ذى قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم * ملنا ببيض لشل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت * حتى تولت وكاد القوم ينتصفوا
بطارق وبنى ملك مرازبة * من الاعاجم فى آذانها الشنف
من كل مرجانة فى البحر أحرزها * تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل فى حافات جمعهم * والبيض برق بدا فى عارض يكف
ما فى الخدود صدود عن سيوفهم * ولا عن الطعن فى اللبات منحرف

وقال الاعشى يلوم قيس بن مسعود :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

أطورين في عام غـزاة ورحلة * ألا ليت قيسا عرفتـه القوابل

لقد كان في شيبان لو كنت عالما * قباب وفيهـم رحـلة وقبائل

ورجراحة تعشي النواظر فخمة * وجرد على أكتافهن الرواحل

رحلت ولم تنظر وأنت عميدهم * فلا يبلغني عنك ما أنت فاعـل

فعريت من أهـل ومال جمعته * كما عـريت ممـا تمر المغازل

شفي النفس قتلى لم توسد خدودها * وسادوا ولم تعضض عليها الانامل

لعلك يوم الحنو اذ صبحتهم * كتائب موت لم تعظك العواذل

ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود اذ نقل الى قومه حبسه حتى مات في حبسه . وفيـه يقول الاعشى :

وعريت من أهل ومال جمعته * كما عريت مما تمر المغازل

وكتب لقيط الايادي الى بني شيبان في يوم ذي قار شعرا يقول في بعضه :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا

وقلدوا أمركـم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشـعا

مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طـورا ومتبعا

حتى استمر على شزر مريرة * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

وهذه الابيات نظير قول عبد العزيز بن زرارة :

غشيت في الدهر أطوارا على طرق * شتى فصادفت منـه اللين والفظعا

كلا بلوت فلا النعـماء تبطرني * ولا تخشيت مـن لاوائه جزعا

لا يملأ الامر صـدري قبل موقعه * ولا أضـيق به ذرعا اذا وقعا

١٧

فن من كتاب الزمردة الثانية

فى فضائل الشعر

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى أيام العرب ووقائعها وأخبارها . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، اذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها ، والمقيد لايامها ، والشاهد على حكامها ، حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة . فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير . والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات . قال بعض المحدثين قصيدة له ويشبهها ببعض هذه القصائد بقوله :

برزت تذكر فى الحسن من الشعر المعلق　　كل حرف نادر منها له وجه معشق

١ ـــ المعلقات ـــ لامرئ القيس قفا نبك . ولزهير أمن أم أوفى . ولطرفة لخولة أطلال . ولعنترة يادار عبلة . ولعمرو بن كلثوم ألا هبى . وللبيد عفت الديار . وللحرث ابن حلزة آذنتنا ببينها أسماء اختلف الناس فى أشعر الشعراء . قال النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عنده امرؤ القيس بن حجر هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم . وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا نابغة بنى ذبيان . قال لهم فمن الذى يقول هذا الشعر :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى * على وجل تظن بى الظنون

فالفيت الامانة لم تخنها * كذلك كان نوح لايخون

قالوا هو النابغة قال هو أشعر شعرائكم . وما أحسب عمر ذهب الا الى انه أشعر شعراء غطفان ويدل على ذلك قوله هو أشعر شعرائكم . وقد قال عمر لابن عباس أنشدنى لاشعر الناس الذى

لا يعاظل من القوافى ولا يتبع حوشى الكلام . قال من ذلك يا أمير المؤمنين قال زهير بن أبى سلمى . فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح وكان زهير لا يمدح الا مستحقا كمدحه لسنان بن أبى حارثة وهرم بن سنان . وهو القائل :

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وكذلك أحسن القول ما صدقه الفعل . قالت بنو تميم لسلامة بن جندل مجدنا بشعرك قال افعلوا حتى أقول . وقيل للبيد من أشعر الشعراء قال صاحب القروح يريد امرأ القيس . قيل له فبعده من . قال ابن العشرين يعنى طرفة . قيل له فبعده من قال أنا . وقيل للحطيئة من أشعر الناس قال الذى يقول :

من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

يريد عبيد بن الابرص قيل له فبعده من فاخرج لسانه وقال هذا اذا رغب . وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس قال النابغة اذا رهب وزهير اذا رغب وجرير اذا غضب . وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرهم واحدة يعنى قصيدته * لخولة أطلال ببرقة ثهمد * وفيها يقول

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأنشد هذا البيت للنبى صلى الله عليه وسلم . فقال هذا من كلام النبوة . وسمع عبد الله بن عمر رجلا ينشد بيت الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذاك رسول الله اعجابا بالبيت يعنى ان مثل هذا المدح لا يستحقه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسئل الاصمعى عن شعر النابغة . فقال ان قلت ألين من الحرير صدقت وان قلت أشد من الحديد صدقت . وسئل عن شعر الجعدى فقال . مطرف بآلاف وخمار براق . وسئل حماد الراوية عن شعر ابن أبى ربيعة فقال ذلك الفستق المقشر الذى لا يشبع منه . وقال فى عمرو بن الاهتم كأن شعره حلل مستترة . سئل عمرو بن العلاء عن جرير والفرزدق فقال هما بازيان يصيدان ما بين الفيل والعندليل . وقال جرير انا مدينة الشعر والفرزدق نبعته . وقال بلال بن جرير قلت لابى يا أبت انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم الا بنى نجا قال انى لم أجد شرفا فأضعه ولا بناء فأهدمه . واختلف الناس فى أشعر نصف بيت قالته العرب . فقال بعضهم قول

أبى ذؤيب الهذلى * والدهر ليس بمعتب من يجزع * وقال بعضهم قول حميد بن ثور الهلالى * توكل بالادنى وان جل ما يمضى * وقال بعضهم قول زهير * ومن يك رهنا للحوادث يغلق * وهذا مالا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه . والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتى به بديع الا أتى ما هو أبدع منه . ولله در القائل أشعر الناس من أبدع فى شعره الا ترى مروان بن أبى حفصة على موضعه من الشعر و بعد صيته فيه ومعرفته وسمعته أنشدوه لامرىء القيس فقال هذا أشعر الناس . وقد قالوا لحسان بن ثابت أفخر بيت قالته العرب وأحكم بيت قالته العرب . فاما أفخر بيت قالته العرب فقوله :

و بيوم بدر اذ يرد وجوههم * جبريل تحت لوائهم ومحمدا

واما أحكم بيت قالته العرب فقوله :

فان امرأ امسى وأصبح سالما * من الناس الا ما جنى لسعيد

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

ولما قال جرير هذا البيت قال والله لقد هجوت بنى تغلب ببيت لو طعنوا فى استاههم بالرماح ما حكوها . و يقال ان أبدع بيت قالته العرب قول أبى ذؤيب الهذلى :

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

و يقال ان أصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

الا كل شىء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وذكر الشعر عند عبد الملك بن مروان فقال اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بنى قيس بن ثعلبة وهم رهط أعشى بكر و باصحاب النخل من يثرب يريد الاوس والخزرج وأصحاب الشعف من هذيل والشعف رؤس الجبال

٢ — فضائل الشعر — ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب وجليل خطبه فى قلوبهم انه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تاليفه وأعجب قريشا ما سمعوا منه قالوا ما هذا الا سحر . وقالوا فى النبى صلى الله عليه وسلم شاعر نتربص به ريب المنون . وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرو بن الاهتم لما أعجبه كلامه ان من

البيان لسحرا . وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون ساحرا * رواية مرا ومرا شاعرا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة . وقال كعب الاحبار: انا نجد قوما فى التوراة اناجيلهم فى صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة وأظنهم الشعراء . وقال عمر بن الخطاب: رضى الله عنه أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها فى حاجاته يستعطف بها قلب الكريم و يستميل بها قلب اللئيم . وقال الحجاج: للمساور بن عبد مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت قال أرعى به الكلأ وأشرب به الماء وتقضى لى به الحاجة فان كفيتنى ذلك تركته . وقال عبد الملك بن مروان : لمؤدب ولده روهم الشعر روهم الشعر يمجدوا و ينجدوا . وقالت عائشة رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم . و بعث زياد: بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالما بكل ما ساله عنه . ثم استنشده الشعر فقال لم أر ومنه شيئا . فكتب معاوية الى زياد ما منعك ان تروية الشعر . فوالله ان كان العاق يرويه فيبر وان كان البخيل يرويه فيسخو وان كان الجبان يرويه فيقاتل . وكان على رضى الله عنه اذا أراد المبارزة فى الحرب أنشأ يقول :

أى يومى من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجوا الحذر

وقال المقداد بن الاسد: ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضى الله عنها . وفى رواية الخشنى عن أبى عاصم عن عبد الله بن الاحمق عن أبى مليكة قال قالت عائشة رحم الله لبيدا كان يقول:

قضى اللبانة لا أباك واذهب * والحق باسرتك الكرام الغيب

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب

فكيف لو أدرك زماننا هذا . ثم قالت انى لاروى الف بيت له وانه أقل ما أروى لغيره . وقال الشعبى : ما أنا لشى عمن العلم أقل منى رواية للشعر ولو شئت ان أنشد شعرا شهرا لا أعيد بيتا فعلت . وسمع النبى صلى الله عليه وسلم عائشة وهى تنشد شعر زهير بن حباب تقول :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ماجنى

يجزيك أو يثنى عليك فان من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق ياعائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس. يزيد بن عمرو ابن مسلم الخزاعى: عن أبيه عن جده قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلقى:

لا تأمنن وان أمسيت فى حرم * ان المنايا تحمى كل انسان
فاسلك طريقك تمشى غير مختشع * حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقه * وكل زاد وان أبقيته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أدرك هذا الاسلام لاسلم. أبو حاتم: عن الاصمعى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك يارسول الله قال نعم. فانشده:

تركت القيان وعزف القيان * وأدمنت تصلية وابتهالا
وكر المشقر فى حومة * وشنى على المشركين القتالا
أيارب لا أغبنن صفقتى * فقد بعت مالى وأهلى بدالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع ربح البيع. وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد شعره الذى يقول فيه:

بلغنا السماء بجدنا وجدودنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى. فقال الى الجنة يارسول الله بك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنة ان شاء الله. فلما بلغ قوله وانتهى وهو يقول:

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية سفيان الثورى: عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال انها الكلمة نبى يعنى قول الشاعر:

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وسمع كعب قول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قال انه فى التوراة حرف بحرف يقول الله تعالى من يفعل الخير يجده عندى لا يذهب الخير بينى

و بين عبدى . ابن عباس قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم أبياتا لامية بن أبى الصلت يذكر فيها حملة العرش . وهى :

رجل وثور تحت رجل يمينه * والتيس للاخرى وليث ملبد

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمرا و يصبح لونها يتوقد

تأبى فما تطلع لهم فى وقتها * الا معذبة والا تجلد

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم كالمصدق له . ومن حديث ابن أبى شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تروى من شعر أمية بن أبى الصلت شيا قلت نعم . قال فانشدنى فأنشدته فجعل يقول بين كل قافيتين هيه حتى أنشدته مائة قافية . فقال هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه . ولو لم يكن من فضائل الشعر الا انه أعظم جند يجنده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يدل على ذلك قوله لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام وتخبط يمشى فيه (١) قال والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم سل الشعرة من العجين . ثم أخرج لسانه فضرب به ارنبة انفه وقال والله يارسول الله انه ليتخيل لى انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيد الله حسان فى هجوه بروح القدس . وقال ابن سيرين : بلغنى ان دوسا انما أسلمت فرقا من كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قضينا من تهامة كل نحب * وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت * قواضبهن دوسا أو ثقيفا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد شكر الله لك قولك حيث تقول :

زعمت سخينة ان تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

ولو لم يكن من فضائل الشعر الا انه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك انه قال لعبد الله بن رواحة أخبرنى ما الشعر ياعبد الله . قال شىء يختلج فى صدرى فينطق به لسانى قال فانشدنى فانشده شعره الذى يقول فيه :

قبلت لله ما آتاك من حسن * قفوت عيسى باذن الله والقدر

---

(١) بياض بالاصل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وإياك قبلت لله وإياك قبلت لله . ومن ذلك مارواه ابن اسحق صاحب المغازى وابن هشام . قال ابن اسحق لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء وقال ابن هشام الاثيل أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت اخته قتيلة ابنة الحرث ترثيه :

يارا كبا ان الاثيل مطية * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بان تحية * ماان تزال بها النجائب تخفق
مني عليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ياخير ضنو كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تمزق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام . قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر لو بلغنى قبل قتله ماقتلته وقال من حديث زياد بن طارق الجشمى : قال حدثنى أبوجرول الجشمى وكان رئيس قومه قال أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين . فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله فى حرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * ياأرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعما اذا كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ فى هوازن وأرضعوه . فقال عليه الصلاة والسلام أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم . فقالت الانصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والاموال فاذا كان هذا مقام الشعر عند النبي صلى الله عليه وسلم فأى وسيلة تبلغه أو تعسره . وكان الذى هاج فتح مكة ان عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بنى كعب خرج من

مكة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وكانت خزاعة فى حلف النبى صلى الله عليه وسلم وفى عهده وعقده . فلما انتقضت عليهم قريش بمكة وأصابوا منهم ما أصابوا أقبل عمرو بن مالك الخزاعى بأبيات قالها . فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين أظهر الناس . فقال :

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الا تلدا
قد كنت والدا وكنا ولدا * وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا * هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيما خلقا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قال ابن هشام : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض عارض من السماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه السحابة تستهل بنصر بنى كعب . وقال عمر بن الخطاب : الشعر جذل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به النائرة ويبلغ به القوم فى ناديهم ويعطى به السائل . فقال ابن عباس الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز فاحسبه ذهب الى شعر الحجاز وحض عليه اذ لغتهم أوسط اللغات . وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخى انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعر الشريفة فى قومها والعفيفة فى نفسها والهجاء فانك لا تعدو ان تعادى كريما أو تستثير به لئيما ولكن أفخر بيت قومك وقل من الامثال ما توقر به نفسك وتؤدب به غيرك . وسئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وان شاعرا كتب اليه يقول :

نحج اذا حجوا ونغزو اذا غزوا * فانى لهم وفر ولسنا بذى وفر
اذا التاجر الهندى جاء بفارة * من المسك راحت فى مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته * سيرضون ان شاطرتهم منك بالشطر

قال فشاطرهم عمر أموالهم . وأنشد عمر بن الخطاب قول زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفاد أو جلاء

فجعل يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها . وانما أراد مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو بينة

وأنشد عمر قول عبدة بن الطبيب * والعيش شح واعقاق وتأميل * فقال على هذا بنيت الدنيا ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وبلال قالت عائشة فدخلت عليهما . فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك . قالت فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت ادنى من شراك نعله

قالت وكان بلال اذا أقلعت عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة كان عامر بن فهيرة يقول :

وقد رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه * كالثور يحمى جلده بروقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته . فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة . ومن حديث البراء ابن غازب قال لما كان يوم حنين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والعباس وأبا سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب وهما آخذان بلجام بغلته وهو يقول : أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه لما دخل الغار مكث فقال هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت . فهذا من المنثور الذى يوافق المنظوم وان لم يتعمد به قائله المنظوم . ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن مثل قول عبد مملوك لمواليه اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى . ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر ولا يسمى قول النبي صلى الله عليه وسلم وان كان موزونا شعرا الا انه لا يراد به الشعر . ومثله فى آى الكتاب . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . ومنه وجفان كالجواب وقدور راسيات . ومثله ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ومنه فذلك الذى يدع اليتيم . ولو تطلبت فى رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يحتمل الوزن كثيرا ولا يسمى شعرا من ذلك قول القائل من يشترى باذنجان تقطيعه مستفعلن مفعولات وهذا كثير

٣ — من قال الشعر من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين — كان شعراء النبي صلى الله عليه وسلم حسان . وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة . وقال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى أشعر الثلاثة . ومن قول على كرم الله وجهه بصفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عنى والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعفوا كرما

وقال أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الانصار بيت الا وهو يقول الشعر قيل له وأنت أبا حمزة قال وأنا . وقال عمرو بن العاص يوم صفين :

شبت الحرب فاعددت لها * مفرع الحارك محبوك الثبج
يصل المشد بشد فاذا * ونت الخيل عن الشد معج
جرشع أعظمه جفرته * فاذا ابتل من الماء خرج

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص :

فلو شهدت جمل مقامى ومشهدى * بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جا أهل العراق كانهم * سحاب ربيع زعزعتها الجنائب
وجئناهم نردى كان صفوفنا * من البحر مدموجه متراكب
اذا قلت قدولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنا انا نرى ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود وهو ابن أخى عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة . وله يقول سعيد بن المسيب أنت الفقيه الشاعر لا بد للصدر أن ينفث يعنى انه من كان فى صدره زكام فلا بد أن ينفث به زكمة صدره يريد ان كل من اختلج فى صدره شئ من شعر أو غيره ظهر على لسانه وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو ان لى مجلسا من عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود بدينار

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ما أحسن الحسنات فى أثر السيآت واقبح السيآت فى أثر الحسنات . واحسن من هذا وأقبح من ذلك الحسنات فى أثر الحسنات والسيآت فى أثر السيآت ﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عروة بن أذينة وكان من ثقات أصحاب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عنه مالك . وقال ابن شبرمة كان عروة بن أذينة يخرج فى الثلث الاخير من الليل الى سكك البصرة فينادى ياأهل البصرة « أفامن أهل القرى ان يأتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون » الصلاة الصلاة ﴿ ومن شعراء الفقهاء المبرزين ﴾ عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق . وقال حسان : خرجنا مع ابن المبارك مرابطين الى الشام . فلما نظر الى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت الى وقال انا لله وانا اليه راجعون على اعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها فى علم الخلية والبرمة وتركناههنا أبواب الجنة مفتوحة . قال فبينما هو يمشى وأنا معه فى أزقة المصيصة اذ لقى سكران قد رفع عقيرته يتغنى ويقول :

أذلنى الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج برنامجا من كمه . فكتب البيت فقلنا له أتكتب بيت شعر سمعته من سكران قال اما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة قالوا نعم قال فهذه جوهرة فى مزبلة . وبلغ عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره . فكتب اليه :

أتانى عنك هذا اليوم قول * فضقت به وضاق به جوابى
وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الاحبة فى التراب
وقد عزوا على ان اسلمونى * معا فلبست بعدهم ثيابى

وقد ذكرنا شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن أذينة فى الباب الذى يتلو هذا وهو قولهم فى الغزل . الواسطى : عن بعض أشياخ الشام قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان ابن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبيد الله السلمى أميرا على القضاء والمظالم . فقال راشد بن عبيد الله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر شأوه * وردت عليه ما بغته تماضر
وحكمه شيب القذال على الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض منى الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوه * بعرض ذى الآجام عيس بواكر

ولما دنت من جانب الفرض أخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها * و بين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وكان عبد الله بن عمر يحب ولده سالما حبا مفرطا فلامه الناس فى ذلك . فقال :

يلومونني فى سالم وألومهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وقال ان ابنى سالما يحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه . وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا برز للقتال أنشد :

أى يومى من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجى الحذر

وكان اذا سار بأرض الكوفة يرتجز و يقول :

ياحبذا السير بأرض الكوفة * أرض سواء سهلة معروفة
* تعرفها جمالنا المعروفة *

وكان ابن عباس فى طريقه من البصرة الى الكوفة يحدو بالابل و يقول :

أو بى الى أهلك يار باب * أو بى فقد حان لك الاياب

وقال ابن عباس لما كف بصره :

أن يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

٤ — قولهم فى الغزل — قال رجل لمحمد بن سيرين ما تقول فى الغزل الرقيق ينشده الانسان فى المسجد فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة وتقدم الى المحراب فالتفت اليه . فقال :

ونبود بردالفراديس فى الصيف رقرقت فيها العبيرا
ونسخن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب الاهريرا

ثم قال الله أكبر . وقال الحجاج دخلت المدينة فقصدت الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فاذا بأبى هريرة قد أكب الناس عليه يسألونه . فقلت هكذا افرجوا لى عن وجهه فافرج لى عنه فقلت له انما أقول هذا :

طاف الخيال الآن فهاجا سقما * خيال أروى وخيال تكتما

تريك وجها ضاحكا ومعصما * وساعدا عبلا وكفا أبرما

فما تقول فيه قال قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد مثل هذا المسجد فلا ينكره . ودخل كعب بن زهير على النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح فمثل بين يديه . وأنشد :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول

ماان تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول

ولا تمسك بالوعد الذى وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل

ولا يغرنك مامنت وما وعدت * ان الامانى والاحلام تضليل

ثم خرج من هذا الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألفا .

ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم * ولامك أقوام ولومهم ظلم

ونم عليك الكاشحون وقبل ذا * عليك الهوى قد نم لو نفع النم

فيامن لنفس لا تموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم

تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

ومن شعر عروة بن أذينة وهو من فقهاء المدينة وعبادها وكان من أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وجدى وبحت به * قد كنت عندى تحت الستر فاستتر

أأنت تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وماالقى على بصرى

وقد وقفت عليه المرأة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * غدوت نحو سقاء الماء أبترد

هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

والله ماقال هذا رجل صالح وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله بل لم يكن مرائيا . ولكنه كان مصدورا فنفث وقدم عروة بن أذنيه على هشام بن عبد الملك فى رجال من أهل المدينة . فلما

دخلوا عليه ذكر واحوائجهم فقضاها ثم التفت الى عروة . فقال له ألست القائل :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بان رزقى وان لم آت يأتينى
أسعى له فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعنينى

قال فما أراك الا وقد سعيت له . قال سانظر فى أمرى ياأمير المؤمنين وخرج عنه فجعل وجهته الى المدينة فبعث اليه بالف دينار وكشف عنه . فقيل له قد توجه الى المدينة فبعث اليه بالالف دينار . فلما قدم عليه بها الرسول قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له أنا كما قلت قد سعيت وعييت فى طلبه وقعدت عنه فاتانى لا يعنينى . ومن قول عبد الله بن المبارك وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سالت جارتها * وتعرت ذات يوم تبترد
أكما تنعتنى تبصرننى * عمركن الله أم لا تقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن فى كل عين من يرد
حسدا حملنه من شانها * وقديما كان فى الحب الحسد

وقال شريح القاضى وكان من جملة التابعين والعلماء المتقدمين استقضاه على رضى الله تعالى عنه ومعاوية وكان تزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب فنقم عليها فضربها ثم ندم . فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى حتى أضرب زينبا
أأضربها فى غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس أذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا برزت لم تبد منهن كوكبا

٥ — قولهم فى المدح — قال حج الرشيد وزميله أبو يوسف القاضى . قال شراحيل ابن زائدة وكان كثيرا ما أسايره . فبينما أنا أسايره اذ عرض له أعرابى من بنى أسد فأنشده شعرا مدحه فيه وعرضه . فقال له الرشيد ألم أنهك عن مثل هذا فى شعرك ياأخا بنى أسد اذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبى حفصة فى أبى هذا وأشار الى يقول :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كاولهم فى الجاهلية أول

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وقال عتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

ان أولى بالحق فى كل حق * ثم أحرى بان يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا * ن ومن كان جده الفاروقا
ثم داموا لنا علينا وكانوا * فى ذرا شاهق يفوت الانوقا

مدح عباس بن مرداس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة ومدحه كعب بن زهير فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم وان ذلك البرد لعند الخلفاء الى اليوم . وقال ابن عباس قال لى عمر بن الخطاب أنشدنى قول زهير فانشدته قوله فى هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا امنوا * مردون بهاليل اذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال له عمر ما كان أحب الى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى صناعة عمر بالشعر كيف لم ير أحدا يستحق هذا المدح الا أهل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وأسمع رجل عبد الله بن عمر بيت الحطيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا يستحق هذا المدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستاذن نصيب بن رياح على عمر بن عبد العزيز فلم ياذن له . فقال اعلموا أمير المؤمنين انى قلت شعرا أوله الحمد لله فاعلموه فاذن له فادخل عليه وهو يقول:

الحمد لله أما بعد ياعمر * فقد أتتنا بك الحاجات والقدر
فانت رأس قريش وابن سيدها * والرأس فيه يكون السمع والبصر

فامر له بحلية سيفه . ومدحه جرير بشعره الذى يقول فيه :

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فأمر له بثلثمائة درهم . ومدحه دكين الراجز فأمر له بخمس عشرة ناقة . ومدح نصيب بن رباح عبدالله بن جعفر فأمر له بمال كثير وكسوة ورواحل . فقيل له تفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود فقال أما والله لئن كان عبدا ان شعره لحر وان كان أسود ان ثناءه لابيض وانما أخذ مالا يفنى وثيابا تبلى ورواحل تنضى فاعطى مديحا يروى وثناء يبقى . ودخل ابن هرم بن سنان على عمر ابن الخطاب . فقال له من أنت قال أنا ابن هرم بن سنان . قال صاحب زهير قال نعم : قال أما انه كان يقول فيكم فيحسن قال كذلك كنا نعطيه فنجزل . قال ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم وكان الطريح الثقفى ناسكا شاعرا . فلما قال فى أبى جعفر المنصور قوله :

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * تعطف عليه الحنى والولج

لو قلت للسيل دع طريقك والمو * ج عليه كالسيل يعتلج

لهم أو كاد أو لكان له * فى سائر الارض عنك منعرج

فكيف ذلك وهو يقول للسيل دع طريقك . فبلغ ذلك الطريح فقال الله يعلم انى انما أردت يارب لو قلت للسيل دع طريقك . وقال الحطيئة لما حبسه عمر بن الخطاب فى هجائه للزبرقان ابن بدر أبياتا يمدح فيها عمر ويستعطفه . فلما قرأها عمر عطف له وأمر باطلاقه والابيات :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله ياعمر

أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقى اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

ودخل ابن دارة على عدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال انى مدحتك قال أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه فانى أكره ان لا اعطيك ثمن ما تقول لى ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى هذا حبس فى سبيل الله فامدحنى على حسب ما أخبرتك فقال :

تحن قلوصى فى معد وانما * تلاقى الربيع فى ديار بنى ثعل

وأبقى الليالى من عدى بن حاتم * حساما كنصل السيف سل من الخلل

أبوك جواد لا يشق غباره * وانت جواد ليس تعذر بالعذل

فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال عدي امسك لا يبلغ مالي أكثر من هذا

٦ — قولهم في الهجاء — قال الله تبارك وتعالى في هجو المشركين « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » فارخص الله للشعراء بهذه الآية في هجائهم لمن تعرض لهم . يزيد بن عمرو بن تميم الخزاعي عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبا سفيان يهجوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه هجاني واني لا أقول الشعر فاهجه عني . فقام اليه عبد الله بن رواحة فقال يارسول الله ائذن لي فيه . قال أنت القائل هممت الخ . قال نعم قال لست له . ثم قام حسان بن ثابت فقال يارسول الله ائذن لي فيه وأخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لي اني لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال أنت له اذهب الى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك . فقال يرد على ابي سفيان :

ألا ابلغ أبا سفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا واجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويطريه ويمدحه سواء
لنا في كل يوم من معد * سباب اوقتال او هجاء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وقال رجل من اهل اليمن دخلت الكوفة فاتيت المسجد فاذا بعمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو بن العاص وهو يقول الصق بالعجوزين . قلت له سبحان الله أتقول هذا وأنتم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال ان شئت فاجلس وان شئت فاذهب فجلست . فقال اتدري ما كان يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا اهل مكة . قلت لا ادري قال كان يقول لنا قولوا لهم مثل ما يقولون لكم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لقد شكر الله لك بيتا قلته وهو:

زعمت سخينة أن تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

وسألت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا. فقال حسان فى ذلك :

سألت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الملك بن مروان: ماهجانى أحد باوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

وقيل لعقيل بن علقمة: مالك لا تطيل الهجاء. قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقال رجل من ثقيف لمحمد بن مناذر مابال هجائك أكثر من مدحك قال ذلك مما اغرانى به قومك واضطرنى اليه لومك. وقال أبو عمرو بن العلاء :قلت لجرير انك لعفيف الفرج كثير الصدقة فلم تسب الناس. قال يبدؤنى ثم لا أغفر لهم. وكان جرير يقول لست عندى ولكننى بعيد بريدانه يسرف فى القصاص. ومثله قول الشاعر :

بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما * دفنتم بافناء العذيب القوافيا

فلسنا كمن قد كنتم تظلمونه * فيقتل نفسا أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا

فان قلتم انا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكنا أسانا التقاضيا

وكان عمر بن الخطاب يقول : واحدة باخرى والبادى أظلم. قيل وفد جرير على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك للاخطل أتعرف هذا قال لا قال هذا جرير. قال والذى عرفنى اعيار أمك ياجرير ماعرفتك قال له جرير والذى أعمى بصيرتك وأدام خزيتك لقد عرفتك سيماك سيما أهل النار. ابن الاعرابى : قال. دخل كثير عزة على عبد الملك فانشده وعنده رجل لا يعرفه فقال لعبد الملك هذا شعر حجازى دعنى اضغمه له ضغمة. قال كثير من هذا ياأمير المؤمنين قال هذا الاخطل قال فالتفت اليه فقال له هل ضغمت الذى يقول :

والتغلبي اذا تنحنح للقرا * حك استه وتمثل الامثالا

تلقاهم حلفا على أعدائهم * وعلى الصديق تراهم جفالا

حدثنا يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا عبد الملك بمصر كان رجل له صديق يقال له حصين فولى موضعا يقال له السابين فطالب اليه حاجة فاعتل عليه فيها. فكتب له :

اذهب اليك فان ودك طالق * منى وليس طلاق ذات البين

فاذا اروعيت فانها تطليقة * ويقيم ودك لى على ثنتين
واذا أتيت شنيعها بمثالها * فيكون تطليقين فى حيضين
وان الثلاث أتتك منى نية * لم تغن عنك ولاية السابين
ولم أرض ان أهجو حصينا وحده * حتى اسود وجه كل حصين

طلب دعبل بن على حاجة الى بعض الملوك فصرح بمنعه . فكتب اليه :

أحسبت أرض الله ضيقة * عنى فارض الله لم تضق
وحسبتنى فقعا بقرقره * فوطئتنى وقعا على حنق
فاذا سألتك حاجة أبدا * فاضرب بها قفلا على غلق
وأعدلى غلا وجامعة * فاجمع يدى بها الى عنق
ثم أرم بى فى قعر مظلمة * ان عدت بعد اليوم فى الحمق
ما أطول الدنيا وأوسعها * وأدلنى بمسالك الطرق

ومثل هذا قول أبى زبيد

ان كان رزقى اليك فارم به * فى ناظرى حية على رصد * ليتك أدبتنى بواحدة
تجعلها منك آخر الابد * تحلف أن لا تبرنى أبدا * فان فيها بردا على كبدى

وقال زياد ما هجيت ببيت أشد على من قول الشاعر :

فكر فى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتامير
عاشت سمية ماعاشت وماعلمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير
سبحان من ملك عبادا بقدرته * لا يدفع الخلق محتوم المقادير

وقال بلال بن جرير سألت أبى أى شىء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث :

ألست كليبا اذا سيم خطة * أقر كاقرار الحليلة للبعل
وكل كليبى صحيفة وجهه * اذل لاقدام الرجال من النعل

وكان بلال بن جرير شاعرا ابن شاعر ابن شاعر لان غطفان كان شاعرا وهو يقول:

مازال عصياننا لله يسلمنا * حتى دفعنا الى يحيى وبندار
الى عليجين لم تقطع ثمارهما * قد طال ماسجدا للشمس والنار

ومن أخبث الهجاء قول جميل :

أبوك حباب سارق الضيف برده * وجدى يا شماخ فارس شمرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن * لآباء سوء يلقهم حيث سيرا

فان تغضبوا من قسمة الله فيكم * فلله اذ لم يرضكم كان أبصرا

وقال كثير فى نصيب وكان أسود و يكنى أبا الحجناء :

رأيت أبا الحجناء فى الناس حائرا * ولون أبى الحجناء لون البهائم

تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

وكان يقال لسعد بن أبى وقاص المستجاب لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة سعد . فقال رجل بالقادسية فيه :

ألم تر أن الله أنزل نصره * وسعد بباب القادسية معصم

فابنا وقد أيمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفنى يده ولسانه فخرس وقطعت يده . وذكر عند المبرد محمد بن يزيد النحوى رجلا من الشعراء فقال لقد هجانى ببيتين أنضج بهما كبدى فاستنشدوه فانشدهم هذين البيتين :

سألنا كل حى عن ثماله * فكل قد أجاب ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدتهما جهاله

ولم يقل أحد أحسن من قول أبى نواس :

وقائلة لها فى وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما

فكان جوابها فى حسن ميس * أأجمع وجه هذا والحراما

وكان جرير يقول اذا هجوت فاضحك و ينشد :

اذا سعلت فتاة بنى تميم * تلقم باب عضرتها الترابا

ترى برصا باسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

وقوله: وتقول اذ نزعوا الازار عن استها * هذى دواة معلم الكتاب

وقوله : استوطنت بى سجايا من بنى مطر * وخاطرت بى عن احسابها مضر

هيأتم عمرا حانى دياركم * كما تهيا لاست الخارىء الحجر

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح بن حكيم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

* ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأتها تميم يوم زحف لولت

ولو أن عصفورا يمد جناحه * لقامت تميم تحته واستظلت

وقال جرير في بني تغلب :

قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

وقال محمد بن الجهم يهجو محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل :

أحسن من سبعين بيتا سرى * جمعك اياهن في بيت

ما أحوج الملك الى ديمة * تغسل عنه وضر الزيت

ومن أخبث الهجاء قول زياد الاعجم :

قالوا الاشاقر تهجوهم فقلت لهم * ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا

وهم من الحسب الذاكي بمنزلة * كطحلب الماء لا أصل ولا ورق

لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

وقوله : قضى الله خلق الناس ثم خلقتم * بقية خلق الله آخر آخر

فلم تسمعوا الا الذي كان قبلكم * ولم تدركوا الا مدق الحوافر

وقال فيهم : قبيلة خيرها شرها * وأصدقها الكاذب الآثم

وضيفهم وسط أبياتهم * وان لم يكن صائما صائم

ونظير هذا قول الطرماح :

وما خلقت تيم وزيد مناتها * وضبة الا بعد خلق القبائل

ومن أخبث الهجاء قول الطرماح في بني تميم :

لو كان ود تميم ثم قيل لها * حوض الرسول عليه الازد لم ترد

أو أنزل الله وحيا أن يعذبها * ان لم تعد لقتال الازد لم تعد

وكل لؤم أباد الله سبته * ولؤم ضبة لم ينقص ولم يزد

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو أسد

قوم أقام بدار الذل أولهم * كما أقامت عليه خدمة الوتد



ومن قول المساور بن هند :

ماسرني ان قومي من بني أسد * وان ربي ينجيني من النار
وانهم زوجوني من بناتهم * وان لي كل يوم ألف دينار

ومن أخبث الهجاء في غير المطاعة :

اذا ما نأى عني الصديق وسبني * بها غير ذي اثم فلا أتكلم

وقال عبيد: يا أبا جعفر كتبتك سمحا * فاستطال المداد والميم لام
لاتلمني على الهجاء فلم يهجك الا المداد والاقلام

وقال سليمان بن أبي شيخ كان أبو سعيد الرأي يماري أهل الكوفة و يفضل أهل المدينة فجاءه رجل من أهل الكوفة وسماه شرشيرا . وقال كلب في جهنم يسمى شرشيرا فقال :

عندي مسائل لا شرشير يعرفها * ان سيل عنها ولا أصحاب شرشير
وليس يعلم هذا الدين يعلمه * الا الحنيفية كوفية الزور
لاتسالن مدينيا فتكفره * الا عن اليم والمثنى والزير

فكتب أبو سعيد الى أهل المدينة انكم قد هجيتم فردوا فرد عليه رجل من أهل المدينة يقول :

لقد عجبت لغاوساقه قدر * وكل أمر اذا ماحم مقدور
قالوا المدينة أرض لا يكون بها * الا الغناء والا اليم والزير
لقد كذبت لعمر الله ان بنا * قبر النبي وخير الناس مقبور

فما انتصر في بيته ولم يقل شيأ . وقال مساور العزاف في أهل القياس :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة * حتى بلينا باصحاب المقاييس
قاموا من السوق اذ قامت مكاسبهم * فاستعملوا الرأي بعد الجهد والبؤس
أما الغريب فامسوا لا عطاء لهم * وفي الموالي هم شح علاميس

فلقيه أبو حنيفة فقال له هجوتنا نحن نرضيك فبعث اليه بدراهم فكف عنه . وقال :

اذا ما الناس يوما قايسونا * بمسئلة من الفتيا ظريفه
أتيناهم بمقياس صحيح * بديع من طراز أبي حنيفه
اذا سمع الفقيه بها وعاها * وأثبتها بحبر في صحيفه

ومن خبيث الهجاء قول الشاعر :

عجبت لعبدان هجونى سفاهة * ان اصطحبوا من شاتم ونفيل
بحارور سيان وفهر وغالب * وعون ومقدام وابن صفول
فاما الذى يحصيهم فمكثر * وأما الذى يطريهم فقليل

وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة :

قال ابن معن وجلى نفسه * على القرابين من الاهل
هل فى جوارى بنى وائل * جارية واحدة مثلى
قد نقطت فى خدها نقطة * مخافة العين من الكحل

٧ — مداراة الشعراء — قال مدح قوم من الشعراء جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس فماطلهم بالجائزة . وكان الخليل بن أحمد صديقه وكان وقت مدحهم اياه غائبا . فلما قدم الخليل أتوه فاخبروه فاستغاثوا به عليه . فكتب اليه :

لا تقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى * وعقابهم باق على الايام

فاجازهم وأحسن اليهم . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما مدحه عباس بن مرداس اقطعوا عنى لسانه قالوا بماذا يا رسول الله فامر له بحلة قطع بها لسانه . ومدح ربيعة الرقى يزيد بن حاتم وهو والى مصر فتشاغل عنه ببعض الامور واستبطاه ربيعة فشخص من مصر . وقال :

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فارسل فى طلبه ورده . فلما دخل عليه قال له أنت القائل أرانى ولا كفران البيت قال نعم . قال هل قلت غير هذا قال لا قال والله لترجعن بخفى حنين مملوءة مالا . فامر بخلع خفيه وان تملآ له مالا ثم قال اصلح ما افسدت من قولك . فقال فيه لما عزل من مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم السلمى :

بكى اهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاعز بن حاتم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاعز ابن حاتم
فهم الفتى القيسى انفاق ماله * وهم الفتى العبسى جمع الدراهم

فـلا يحسب التمام انى هجوته * ولـكننى فضلت اهـل المكارم

واعـلم : ان بقيـة الشعراء لم تحفظ الاغراض التى امر الله تعالى بحفظها . وقد وضعنا فى هـذا الـكتاب بابافيه وضـمه الهجاء ومن رفعه المدح . وكان لزياد عامل على الاهواز يقال له تـيم فمدحه رجل من الشعراء فلم يعطه شيأ . فقال الشاعر اما انى لا اهجوك ولـكننى أقول فيك ماهو شر عليك من الهجاء فدخل على زياد فاسمعه شعرا مدحه فيه . وقال فى بعضه :

وكائن عنـد تـيم من بدور * اذا ماصـفدت تدعو زيادا

دعته كى يجيب لها وشيكا * وقد ملئت حناجرها صفادا

فقال زياد لبيك يابدور ثم أرسل فيه فاغرمه مائة ألف :

٨ — باب فى رواة الشعر — قال الاصمعى : مابلغت الحـلم حـتى رويت اثنى عشر الف ارجوزة للاعراب . وكان خلف الاحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده . قال مروان ابن أبى حفصـة لما مدحت المهدى بشعرى الذى أوله :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أردت أن اعرضـه على نضراء البصرة . فدخلت المسجد الجامع فتصفحت الحلق فلم أر حلقة اعظم من حلقة يونس النحوى فجلست اليه . فقلت له انى مدحت المهدى بشـعر وأردت ان لا أرفعه حتى اعرضه على نضرائكم وانى تصفحت الحلق فلم أر حلقة أحفل من حلقتك فان رأيت ان تسمعه منى فافعل . فقال ياابن أخى ان ههنا خلفا ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعرا حتى يحضر فاذا حضر فاسمعه فجلست حتى اقبل خلف الاحمر . فلما جلس جلست اليـه ثم قلت له ماقلت ليونس . فقال أنشد ياابن أخى فأنشدنه حتى أتيت على آخره . فقال لى أنت والله كاعشى بكر بل انت اشعر منه حيث يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها * غضبى عليك فما تقول بدالها

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشـعر فيحسن وينحله الشـعراء . ويقال ان الشـعر المنسوب الى ابن أخت تأبط شرا . وهو :

ان بالشعب الى جنب سلع * لقتيـلا دمـه مايطل

لخلف الاحمـر وانما ينحله اياه . وكذلك كان يفعل حماد الراوية يحقق الشـعر القديم ويقول مامن شاعر الا قد حققت فى شعره أبياتا فجازت عنه الا الاعشى اعشى بكر فانى لم أزد فى شعره قط

غير بيت فأنشدت عليه الشعر قيل له وما البيت الذى أدخلته فى شعر الاعشى . فقال :

وانكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قال حماد الراوية : ارسل الى أبو مسلم ليلا فراعنى ذلك فلبست أكفانى ومضيت . فلما دخلت عليه تركنى حتى سكن جاشى . ثم قال لى ماشعر فيه أوتاد . قلت من قائله اصلح الله الامير . قال لا أدرى قلت فمن شعراء الجاهلية أم شعراء الاسلام . قال لا أدرى قال فاطرقت حينا أفكر فيه حتى بدر الى وهى شعر الافوه الازدى حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى الاله عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذى كادوا

فقلت هو قول الافوه الازدى أصلح الله الامير وأنشدته الابيات . فقال صدقت انصرف اذا شئت فقمت فلما خطوت الباب لحقنى أعوان له ومعهم بدرة فصحبونى الى الباب . فلما أردت ان أقبضها منهم قالوا لا بد من ادخالها الى موضع منامك فدخلوا معى فعرضت ان اعطيهم منها شيأ فقالوا لا نقدم على الامير . الاصمعى قال : أقبل فتيان الى أبى ضمضم بعد العشاء . فقال ما جاء بكم قالوا جئنا نتحدث اليك قال كذبتم يا خبثاء ولكن قلتم كبر الشيخ فهلم بنا عسى ان نأخذ عليه سقطة . قال فانشدهم لمائة شاعر كلها اسمه عمرو . قال الاصمعى : تحدثت أنا وخلف الاحمر فلم نزد على أكثر من ثلاثين . وقال الشعبى : لست لشئ من العلوم أقل رواية من الشعر ولو شئت لانشدت شهرا ولا أعيد بيتا . وكان الخليل بن أحمد : أروى الناس للشعر ولا يقول بيتا وكذلك كان الاصمعى . وقيل للاصمعى ما يمنعك من قول الشعر قال نظرى لجيده . وقيل للخليل : مالك لا تقول الشعر قال الذى أريد لا أجده والذى أجده منه لا أريده . وقيل لآخر : مالك تروى الشعر ولا تقوله قال لانى كالمسن أشحذ ولا أقطع . وقال الحسن بن هانئ رويت أربعة آلاف شعر وقلت أربعة آلاف شعر فما زريت لشاعر شيأ . القاسم بن محمد السلامى قال : حدثنا حماد بن بشر الاطروش قال حدثنى يحيى بن سعيد قال أخبرنى الاصمعى قال تصرفت بى الاسباب الى باب الرشيد مؤملا للظفر لما كان فى الهمة دفينا أترقب به طالع سعد فاتصل بى ذلك الى ان صرت للحرس مؤانسا بما استملت به مودتهم فكنت كالضيف عند أهل الميرة فطرفهم متوجهة باتحافى وطاولتنى الغايات بما كدت به أن أصير الى

ملالة غير انى لم أزل مؤانسا للامل بعذا كرته عند اعتراض الفترة • وقلت فى ذلك :

وأى فتى أعيرهات قلب ✻ وساع ماتضيق به المعانى
تجاذبه المواهب عن اباء ✻ الالابل تولفه الامانى
فرب معرس لليأس أملى ✻ عن الدرك الجهير لدى الامانى
وأى فتى أناس من سمو ✻ من المهمات متهم الجنان
بغير توسع فى الصدر ماض ✻ على العزمات والعضب اليمانى

فلم نشعر أن خرج علينا خادم فى ليلة نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد فقال هل بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقة قد فكه التيسير للانعام أنا صاحبك ان كان صاحبك من طاب قادمن وحفظ فاتقن فاخذ بيدى • ثم قال ادخل ان يختم الله لك بالاحسان لديه والتصريف فلعلها ان تكون ليلة تعرس فيها صباحها بالغنى • قلت بشرك الله بالخير قال ودخلت فواجهت الرشيد فى البهو جالسا كانما ركب البدر فوق أزراره جمالا والفضل بن يحيى الى جانبه والشمع يحدق به على قضب المناور والخدم فوق فرشه وقوف فوقف بى الخادم حيث يسمع تسليمى • ثم قال سلم فسلمت فرد • ثم قال تنح ليسكن قليلا ان وجد لروعه حسا فقعدت حتى سكن جاشى قليلا • ثم أقدمت فقلت ياأمير المؤمنين اضاءة كرمك وبهاء مجدك مجيران لمن نظر اليهما من غير اعتراض أذية له تسالنى فاجيب أم ابتدىء فاصيب بيمن أمير المؤمنين وفضله • قال فتبسم الفضل ثم قال ما أحسن ما استدعى الاختيار ولقد استسهل المفاتحة وأجدر به أن يكون محسنا • ثم قال الفضل والله ياأمير المؤمنين اقدم مبرزا محسنا فى استشهاده على براءته من الحيرة وارجوان يكون ممتعا قال ارجو • ثم قال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية • فقلت راوية ياأمير المؤمنين • قال لمن قلت لذى جد وهزل بعد أن يكون محسنا • قال والله ما رأيت أدعى لعلم ولا أخبر بمحاسن بيان فتقته الاذهان منك ولئن صدرت حامدا أثرك لتعرفن الافضال متوجها اليك سريعا • قلت أنا على الميدان ياأمير المؤمنين لمن منى من غنائى مجيبا فيما أحبه • قال قد أنصف القارة من راماها • ثم قال ما معنى المثل فى هذه الكلمة بديا قلت ذكرت العرب ياأمير المؤمنين ان السابقة كانت لهم رماة لاتقع سهامهم فى غير الحدق • فكانت تكون فى الموكب الذى يكون فيه الملك على الجياد البلق بايديهم الاسورة وفى أعناقهم الاطواق فخرج من موكب الصعر فارس معلم بعذبات سمور فى قلنسوته قد وضع

نشابته فى الوتر ثم صاح أين رماة الحرب فسمته العرب بالقارة. وقال قد أنصف القارة من راماها والملك أبو حسان أراد ذلك المضاف له . قال احسنت أرويت للعجاج ورؤبة شيأ قلت هما يا أمير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافى وان غابا عنك بالاشخاص فمد يده فأخرج من تحت فراشه رقعة ثم قال اسمعنى . فقال اطرقنى طارق هم طرقا فمضيت فيها مضى الجواد فى سنن ميدانه تهدر فى أشداقى حتى اذا صرت الى مدح بنى أمية ثنيت عنان السياق الى امتداحه المنصور فى قوله قلت لزيد لم تصله مرية . قال أعن خبرة أم عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده . قال الفضل أحسنت بارك الله فيك مثلك يؤمل لهذا الموقف . قال الرشيد ارجع الى أول هذا الشعر فاخذت من أوله حتى صرت الى صفة الجمل فاطلت . فقال الفضل مالك تضيق علينا كل ما اتسع من مشاهدة السمر فى ليلتنا هذه بذكر جمل أجرب فكر الى امتداح المنصور حتى أتى على آخره . فقال الرشيد اسكت هى التى أخرجتك من دارك وأزعجتك من قرارك وسلبتك تاج ملكك ثم ماتت فعمل جلودها سياطا تضرب بها قومك ضرب العبيد ثم قهقه . ثم قال لا تدع نفسك والتعرض لما تكره . فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله . قال الرشيد أخطأت فى كلامك يرحمك الله لو قلت وأستعين الله قلت صوابا انما يحمد الله على النعم ثم صرف وجهه الى وقال ما أحسن ما أديت فى قدر ما سئلت اسمعنى كلمة عدى بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قوله * عرف الديار توهما فاعتادها . فقال الفضل يا أمير المؤمنين البستنا ثوب السهر ليلتنا هذه لاستماع الكذب لم لا تامره يسمعك ما قالت الشعراء فيك وفى آبائك . قال ويحك انه أدب وقل ما يعتاض مثله ولان أسمع من ثقيف بعبارة تشغله العناية عمرا أحب الى من أن تشافهنى به الرسوم وللمتدح بهذا الشعر حركات سترد عليك ولا تقدر أن تصدر من غير استحسان لها فاكون أول مسبب طريقة ذكر ثم تردها اليك الرواية . قال الفضل قد والله يا أمير المؤمنين شاركتك فى الشوق وأعنتك على السوق . ثم التفت الى الفضل فقال احرمنا ليلتك منشدا هذا سيدى أمير المؤمنين قد أصغى اليك فرويحك فى عنان الانشاد فهى ليلة دهرك لم تنصرف الا غانما . قال الرشيد أما اذا قطعت على فاحلف لتشركنى فى الجزاء فما كان لى فى هذا شيء لم تقاسمنيه . قال الفضل قد والله يا أمير المؤمنين وطنت نفسى على ذلك متقدما فلا تجعلنه وعيدا . قال الرشيد لا أجعله وعيدا . قال الاصمعى الآن البس رداء التيه على العرب كلها وانى أرى الخليفة والوزير هما يتناظران فى المواهب لى . فمررت فى سنن الانشاد حتى بلغت الى قوله:

تزجى أغن كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فاستوى جالساً ثم قال أتحفظ فى هذا شيئاً قلت نعم يا أمير المؤمنين كان الفرزدق لما قال عدى :

* تزجى اغن كان ابرة روقه * قال لجرير أى شىء تراه يناسب هذا تشبيها . فقال جرير :

* قلم أصاب من الدواة مدادها * فما رجع الجواب حتى قال عدى * قلم أصاب من الدواة مدادها * فقلت لجرير ويحك لكان سمعك مخبوء فى فؤاده . فقال جرير اسكت شغلنى سبك عن جيد الكلام . ثم قال الرشيد مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

ولقد أراد الله اذ ولاكها * من أمة اصلاحها ورشادها

قال الفضل كذب ومابر . قال الرشيد ماذا صنع اذ سمع هذا قلت ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين انه قال لا حول ولا قوة الا بالله . قال مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

لم تاته السلاب الاعنوة * غصبا ويجمع للحروب عتادها

قال الرشيد لقد وصفه بحزم وعزم لا يعرض بينهما وكل ولا استذلال . قال فماذا صنع قلت يا أمير المؤمنين ذكرت الرواة انه قال ماشاء الله قال أحسبك وهمان . قلت يا أمير المؤمنين أنت أولى بالهداية فليردنى أمير المؤمنين الى الصواب . قال انما هذا عند قوله :

ولقد أراد الله اذ ولاكها * من أمة اصلاحها ورشادها

ثم قال والله ماقلت هذا عن سمع ولكنى أعلم ان الرجل لم يكن يخطىء فى مثل هذا . قال الاصمعى وهو والله الصواب . ثم قال مر فى انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

٢ وعلمت حتى ماسائل عن * حرف لكننى ازدادها

قال وكان من خبرهم ماذا قلت ذكرت الرواة ان جريراً لما أنشد عدى هذا البيت . قال بلى والله وعشر مئين قال عدى وقرفى سمعى أثقل من الرصاص هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقى . قال الرشيد والله انه لنقى الكلام فى مدحه وتشبيبه . قال الفضل يا أمير المؤمنين لا يحسن عدى ان يقول :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

قال الرشيد بلى قد أحسن . ثم التفت الى فقال ماحفظت له فى هذا الشعر شيئاً حين قال :

أطفأت نيران الحروب وأوقدت * نار قدحت براحتيك زنادها

قلت ذكرت الرواة انه يا أمير المؤمنين حك يمينا بشمال مقتدحا بذلك . ثم قال الحمد الله على هبة

الانعام . قال الرشيد رويت لذى الرمة شيئا قلت الاكثر ياأمير المؤمنين . قال والله لا أسألك سؤال امتحان ولا كان هذا عليك ولكنني أجعله سببا للمذاكرة فان وقع عن عرفانك والا فلا ضيق عليك بذلك عندى فما أراد بقوله :

ممرامرت منية أسدية * ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف ياأمير المؤمنين حمارا وحشيا اسمنه بقل روضة تشابكت فروعه ثم تراسخت عروقه من قطر سحابة كانت فى نوء الاسد ثم فى الذراع منه . قال أصبت أفترى القوم علموا هذا من نجوم بنظرهم بل هوشىء قلما يستخرج بغير أسباب للذين دونت لهم أصوله واداه الى أهله الاوهام أو الشؤن فالله أعلم بذلك . قلت ياأمير المؤمنين هذا تسورفى كلامهم ولا أحسبه الاعن أثر التى اليهم قلما أجد الاشياء يعزها الفكر فى القلوب فان ذهبت الى انه هبة الله ذكرهم بها ذهبت الى ما تجارينى فيه الاوهام . ثم قال أرويت للشماخ شيئا قلت نعم ياأمير المؤمنين . قال يعجبنى من قوله هذا :

اذا رد فى ثنى الزمام ثنت له * جرانا كخوط الخيزران المعوج

قلت ياأمير المؤمنين هى عروس كلامه . قال فايها الحسن الآن من كلامه قلت الرائية وأنشدته أبياتا منها قال امسك . ثم قال استغفر الله ثلاثا أخر قليلا واجلس فقد أمتعت منشدا ووجدناك محسنا فى أدبك معبرا عن سرائر حفظك . ثم التفت الى الفضل فقال لكلام هؤلاء ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن وان يزيدك على القدم جدة وحسنا فاذا جاءك الكلام المزين بالبديع جاءك الحرير الصينى المذهب يبقى على المحادثة فى أنف الروايات فاذا أمتعته الاسماع ولذ فى القلوب لهار ونق صواب ولكن فى الاقل . ثم قال يعجبنى مثل قول مسلم فى أبيك وأخيك الذى امتدحهما به مخاطبا حليلته مفتخرا عليها بطول الرأى فى اكتساب المغانم حيث قال :

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كان دجاها من قرونك ينشر

صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيي حين يذكر جعفر

أفرأيت ما ألطف ما جعلهما معدنا لكمال الصفات ومحاسنها . ثم التفت الى فقال أجد ملالة ولعل أبا العباس يكون لذلك أنشط وهولنا ضيف فى ليلتنا هذه فاقم عنده مسامراله . ثم نهض فتبادر الخدم فامسكوا بيده حتى نزل عن فرشه . ثم قدمت النعل فجعل الخادم يسوى عقب النعل فى رجله فقال ارفق ويحك حسبك قدعقرتنى . قال الفضل لله در العجم ما أحكم صنعتهم لو كانت سيرية

مااحتجت الى هذه الكلفة . قال هذه نعلى ونعل آبائى رحمة الله عليهم وتلك نعلك ونعل آبائك لا تزال تعارضنى فى الشىء ولا أدعك بغير جواب يمضك . ثم قال ياغلام على بصالح الخادم فقال يؤمر له بتعجيل ثلاثين ألف درهم فى ليلته هذه . قال الفضل لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه أحد غيره لدعوت له بمثل ماأمر به امير المؤمنين فدعا له بمثل ماأمر الا الف درهم ويصبح من غد فيلقى الخازن ان شاء الله قال الاصمعى فما صليت الظهر الا وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم . وقال دعبل :

يموت ردىء الشعر من غير أهله * وجيده يبقى وان مات قائله

وقال أيضا :

انى اذا قلت بيتا مات قائله * ومن يقال له والبيت لم يمت

٩ — باب من استعدى عليه من الشعراء — لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بالشعر الذى يقول فيه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

استعدى عليه عمر بن الخطاب وأنشده البيت فقال ماأرى به بأسا . قال الزبرقان والله ياأمير المؤمنين ماهجيت ببيت قط أشد على منه فبعث الى حسان بن ثابت وقال انظر ان كان هجاه فقال ماهجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء فى هذا البيت ولكنه كره أن يتعرض لشأنه . فبعث الى شاعر مثله وأمر بالحطيئة الى الحبس . وقال ياخبيث لاشغلنك عن أعراض المسلمين . فكتب اليه من الحبس يقول :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فامر باطلاقه وأخذ عليه أن لا يهجو رجلا مسلما . ولما هجا النجاشى رهط تميم بن مقبل استعدوا عليه عمر بن الخطاب وقالوا ياأمير المؤمنين انه هجانا قال وماقال فيكم قالوا قال :

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة * فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر هـذا رجـل دعا فان كان مظلوما استجيب له وان لم يكن مظلوما لم يستجب له قالوا فانه قد قال بعد هذا :

قبيلته لا يخفرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء الا عشـية * اذا صدر الوراد عن كل منهـل

وما سمى العجلان الا لقولهـم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر ليت آل الخطاب مثل هؤلاء فان ذلك احرم لهم وأمكن قالوا فانه يقول بعد هـذا ٢ قال عمر سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا ونظير هذا قول معاوية لابى بردة بن أبى موسى وكان دخل حماما فزحمه رجل فرفع الرجل يده فلطم بها أبا بردة فاثر فى وجهه . فقال فيه عتبة الاسدى :

فلا يضرم الله اليمين التى لها * بوجهك يا ابن الاشعرين ندوب

قال فاستعدى عليه معاوية وقال انه هجانى قال وما قال فيك قال فانشده البيت . قال معاوية هذا رجل دعا ولم يقل الاخير اقال فقد قال غير هذا قال وما قال . فانشده :

وأنت امرؤ فى الاشعرين مقابل * وفى البيت والبطحاء أنت غريب

قال معاوية واذا كنت مقابلا فى قومك فما عليك أن لا تكون مقابلا فى غيرهم قال فقد قال غير هذا قال وما قال قال :

معاوى اننـا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد

أكلتم أرضنا وجذذتموها * فهل من قائم أو من حصيد

فهبنا أمة هلكت ضـياعا * يزيد أمـيرها وأبو يزيد

أتطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود

ذروا خول الخلافة واستقيموا * وتامين الاراذل والعبيد

قال فما منعك يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه من يضرب عنقه قال أفلا خـير من ذلك قال وما هو قال . نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينـا الى السماء وندعو عليه فما زاد ان زوى :. استعدى قوم زياد اعلى الفرزدق وزعموا انه هجاهم فارسل فيه وعرض له أن يعطيه فهرب منه وانشد :

دعانى زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وفرا

وعنـد زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد يرى بهـم فقرا

فلما خشيت أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو مدحرجة سمرا

نهضت الى عيس تجون متونهـا * سرى الليل واستعراضها البلد القفرا
يؤم بهـا المؤماة مـن لا يرى له * لدى ابن أبى سفيان جاها ولا عذرا

ثم لحق بسعيد بن العاص وهو والى المدينة فاستجار به وأنشده شعره الذى يقول فيه

اليك فررت منك ومن زياد * ولم أحسب دماءكما حـلالا
فان يكن الهجاء أحل قتلى * فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر السوابق من قريش * اذا ما الامر بالحدثان حالا
قيـاما ينظرون الى سـعيد * كأنهـم يرون به هـلالا

ولما بلغ التهاجى بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم أرسـل يزيد بن معاوية الى كعب ابن جعيل . فقال له ان عبـد الرحمن بن حسان فضح عبـد الرحمن بن أم الحكم فاهجِ الانصارى . فقال أرادى أنت الى الاشراك بعد الايمـان لا أهجو قوما نصروا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ولـكن أدلك على غـلام مناضرى فدله على الاخطل فارسـل اليه فهجا الانصار . وقال فيه :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار
قوم اذا حضر العصير رأيتهم * حمرا عيونهم من المسطار
واذا نسبت الى الفريعة خلته * كالجحش بين حمارة وحمار
فدعوا المـكارم لستم من أهلها * وخذوا مساحيكم بنى النجار

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصارى . فلما بلغه الشـعر أقبل حتى دخـل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسه . وقال يامعاوية هل ترى من لؤم قال ما أرى الا كرما . قال فما الذى يقول فينا عبد الاراقم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

قال قد حكمتك فيه قال والله لا رضيت الا بقطع لسانه . ثم قال :

معاوى الا تعطنا الحق تعترف * لحى الاسد مشدود اعليها العمائم
أيشتمنا عبـد الاراقم ظلمه * وماذا الذى تجرى عليك الاراقم
فـالى ثار دون قطع لسانه * فدونك من ترضيه عنك الدراهم

فقال معاوية قد وهبتك لسانه و بلغ الاخطل . فلجا الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان

فاستوهبه اياه فوهبه له . ومن قول عبد الرحمن بن حسان فى عبد الرحمن بن أم الحكم :

وأما قـولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم نضحت كحوت بحر * هوى فى مظلم الغمرات داج
وهم دعج وولد أبيك زرق * كأن عيونهم قطع الزجاج

وقال يزيد لابيه ان عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة قال وما يقول فيها قال يقول :

هى بيضاء مثل لؤلؤة الغواص صيغت من لؤلؤ مكنون

قال صدق قال ويقول :

واذا ما نسبتها لم تجدها * فى نساء من المكارم دون

قال صدق ايضا قال ويقول :

ثم حاضرتها الى القبة الحمـــراء تمشى فى مرمر مسنون

قال كذب قال ويقول فيه فى مرمر قال ما فى هذا شىء قال فهلا تبعث اليه من يأتيك برأسه . قال يا بنى لو فعلت ذلك لكان اشد عليك لانه يكون سببا للخوض فى ذكره فيكثر مكثر ويزيد زائد اضرب عن هـذا صـفحا واطوه دونه كشحا . ومن قول عبـد الله بن قيس المعروف بالرقيات يشبب بعاتكة ابنة يزيد بن معاوية :

أعاتك يا بنت الخـلائف عاتكا * أنيلى فتى أمسى بحبـك هالكا
تبدت وأتراب لها فقتلنـنى * كذلك يقتلن الرجال كذلكا
يقلبن ألحاظا لهـــن فـواترا * ويحملن ما فوق النعال سبائكا
اذا غفلت عنا العيوب التى ترى * سلكن بها حيث اشتهين المسالكا
وقلن لنا لو نسـتطيع لزاركم * طبيبان منا عالمان بدائكا
فهل من طبيب بالعراق لعله * يداوى سـقيما هالكا متهالكا

فلم يعرض له يزيد للذى تقدم من وصاية أبيه معاوية فى رملة . تحـدثت الرواة أن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج فارتاع من نظر الحجاج اليه فدعا به . فلما وقف بين يديه قال :

فداك أبى ضاقت بى الارض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان

وان كنت بالعفيفاء أو بتخومها * ظننتك الا أن تصد ترانى

فقال لا عليك فوالله ان قلت الا خيرا انما قلت هذا الشعر :

يخنين أطراف البنان من التقى * و يخرجن وسط الليل معتجرات

ولكن أخبرنى عن قولك :

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات

فى كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعى رفيق على أتان . قال فتبسم الحجاج ولم يعرض له . وهذه الابيات لابن نمير فى زينب بنت يوسف :

لم ترعينى مثل سرب أريته * خرجن من التنعيم معتجرات

مررن بفج ثم رحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات

دعت نسوة شم العرانين بدنا * نواضر لا شعثا ولا غبرات

فادنين لما قمن يحجبن دونها * حجابا من القسى والحبرات

أجل الذى فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتمرات

يخنين أطراف البنان من التقى * ويخرجن وسط الليل معتجرات

وكان الفرزدق قد عرض بهشام بن عبد الملك فى شعره . والبيت الذى عرض به فيه قوله :

يقلب عينا لم تكن لخليفة * مشوهة حولاء جم عيوبها

فكتب هشام الى خالد بن عبد الله القسرى عامله على العراق يأمره بحبسه فحبسه حتى دخل جرير على هشام فقال يا أمير المؤمنين انك تريد أن تبسط يدك على بادى مضر وحاضرها فاطلق لها شاعرها وسيدها الفرزدق . فقال له هشام أو ما يسرك ما أخزاه الله قال ما أريد أن يخزيه الله الا على يدى فأمر باطلاقه ﴿ أى بيت تقوله العرب أشعر ﴾ قيل لابى عمرو بن العلاء أى بيت تقوله العرب أشعر . قال البيت الذى اذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ولان يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله . وقيل للاصمعى : أى بيت تقوله العرب أشعر قال الذى يسابق لفظه معناه . وقيل للخليل : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته . وقيل لعميرة : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى

لا يحجبه عن القلب شيء وأحسن من هذا كله قول زهير :

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

﴿أحسن ما يجتلب به الشعر﴾ قالت الحكماء: لم يستدع شارد الشعر بأحسن من الماء الجارى والمكان الخالى والشرف العالى وتأول بعضهم الخالى يريد الخالى من النوار يعنى الرياض وهو توجيه حسن . ولقى أبو العتاهية : الحسن بن هانىء فقال له أنت الذى لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك قال وكيف ينبغى للشعر أن يقال الا على هكذا قال اما أنى أقوله على الكنيف قال ولذلك توجد فيه الرائحة . وقال عبد الملك بن مروان : لارطاة بن سمية هل تقول الآن شعرا قال ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب فلا يقال الشعر الا بواحدة من هذه . وقيل للحطيئة : من أشعر الناس فأخرج لسانا رقيقا كانه لسان حية وقال هذا اذا طمع وقيل لكثير عزة : لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات عبد العزيز فما أرغب يريد عبد العزيز بن مروان . وقالوا : أشعر الناس النابغة اذا رهب وزهير اذا غضب وجرير اذا رغب . وقال عمرو بن هند : لعبيد بن الابرص ولقيه فى يوم بؤسه أنشدنى من شعرك قال حال الجريض دون القريض . وقد يمتنع الشعر على قائله ولا يسلس حتى يبعثه خاطر أو صوت حمامة . وقال الفرزدق : أنا أشعر الناس عند الياس وقد يأتى على الحين وقلع ضرس عندى أهون من قول بيت شعر . وقال الراجز :

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه

كان غثا أو سمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

وأسلس ما يكون الشعر فى أول الليل قبل الكرى وأول النهار قبل الغذاء وعند مفاجاة النفس واجتماع الفكر . وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة . قيل للخزيمى : ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مراثيك . قال كنا حينئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد . والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت بن زيد كانا شيعيين غاليين فى التشيع وكانت مدائحهم فى بنى أمية أشرف وأجود منها فى بنى هاشم وما ذلك علة الا قوة أسباب الطمع . وقيل لكثير عزة : يا أبا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال اطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فان نفرت عنك القوافى وأعيت عليك المعانى فروح قلبك واجم ذهنك وارتصد لقولك فراغ بالك وسعة

ذهنك فانك تجد فى تلك الساعة ما يمتنع عليك يومك الاطول وليلك الاجمع

١٠ — من رفعه المدح ووضعه الهجاء — قال بلال بن جرير سالت أبى جريرا فقلت له انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم غير بنى نجاء . قال يابنى انى لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . وقد يكون الشئ مدحا فيجعله الشعر ذما ويكون ذما فيجعله الشعر مدحا . قال حبيب الطائى فى هذا المعنى :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

يرى حكمة مافيه وهو فكاهة * ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

الا ترى الى بنى عبد المدان الحارثيين كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى . قال فيهم حسان هذا :

لا باس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا له والله يا ابا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحى من ذكر اجسامنا بعد أن كنا نفخر بها . فقال لهم ساصلح منكم ما افسدت . فقال فيهم:

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعد وذى بيان

كانك أيها المعطى لسانا * وجسما من بنى عبد المدان

وكان بنو أنف الناقة يعيبون بهذا الاسم فى الجاهلية حتى قال فيهم الحطيئة:

سيرى امامى فان الاكثرين حصى * والاكرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوى بانف الناقة الذنبا

فعاد هذا الاسم فخرا لهم وشرفا فيهم . وكان بنو نمير أشراف قيس وذوائبها حتى قال فيهم جرير هذا:

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقى نميرى الا طأطأ رأسه . وقال حبيب :

فسوف يزيد كم ضعة هجائى * كما وضع الهجاء بنى نمير

وقد كان المحلق بن حيثم بن شداد خاملا لا يذكر حتى طرقه الاعشى فى فتية وليس عنده الا ناقة فأتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيتى ان تأذنى فى نحر الناقة . قالت نعم يابنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوى لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم يشعر

المحلق حتى أتته القصيدة التى أولها :

ارقت وما هــذا السـهاد المؤرق * ومابى من سقم ومابى تعشق

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار فى يفاع تحرق

تشـب لمقـرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

رضـيعى لبانى ثدى أم تقاسما * باسحم داج عوض لا يتفرق

ترى الجود يسرى سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

فلما أتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول وبات على النار الندى والمحلق . وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شئ تفعله الفرس لا يفترقوا أبد الدهر :

﴿ مايعاب من الشعر وليس بعيب ﴾ قال الاصمعى : سمعت حماد الراوية وانشد رجل بيتا لحسان :

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبـل

فقال مايعرف هذا الا فى كلاب الحانات . وانشده آخر قول الشاعر :

* لمن منزل بين المذانب فالجسر * فقال مايعرف هذا الا دار الياسريين

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق :

أيا ابنة عبد الله وابنـة مالك * ويابنت ذى البردين والفرس الورد

فقال من جهل المعنى ولم يعرف الخبر مافى هذا من المدح ان يمدح رجـلا بلباس البردين وركوب فرس ورد انما معناه ما قال أبو عبيـدة ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان . فاخرج اليهم بردى محرق وقال ليقم اعز العـرب قبيـلة فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر بن بهـدلة فاتزر باحدهما وتردى بالآخر . فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة . قال العز والعـدد من العرب فى معد . ثم فى نزار . ثم فى مضر . ثم فى خندف . ثم فى تميم . ثم فى سعد . ثم فى كعب . ثم فى عوف . ثم فى بهدلة . فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى فسكت الناس . فقال النعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما تزعم فى نفسك وأهل بيتك . قال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة . واما أنا فى نفسى فهـذا شاهدى ثم وضع قدمه فى الارض وقال من أزالها فله مائة من الابل فلم يتعاط ذلك أحد . فذهب بالبردين فسمى ذا البردين . وفيه يقول الفرزدق :

فما تم فى سـعد ولا آل مالك * غلام اذ ماقيـل لم يتبهـدل

لهم وهب النعمان بردى محرق * لمجـد معـد والعديد المحصـل

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الاعشى فى فرس النعمان وكان يسمى اليحموم :

ويأمر لليحموم كل عشية * بقت وتعليف فقد كاد يسبق

فقالوا اما يمدح به أحد من السوقة فضلا عن الملوك ان يقوم بفرس ويأمر له بالعلف حتى كاد يسبق وليس هذا معناه . وانما المعنى فيه ما قال أبو عبيـدة ان ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها فى العواقب ان أحدهم لا يبيت الا وفرسـه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريبا منـه مخافة عدو يفجؤه أو حالة تصعب عليه . فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم فيتعاهده كل عشـية وهذا ممـا يتمـادح به العرب من القيام بالخيـل وارتباطها بافنيـة البيوت . ومما عابوه وليس بعيب قول زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارياح والديم

فنقض فى عجز هذا البيت ما قال فى صـدره لانه زعم ان الديار لم يعفها القدم . ثم انه انتبه من مرقده فقال بلى عفاها وغيرها أيضا الارياح والديم وليس هذا معناه الذى ذهب اليـه . وانما معناه ان الديار لم تعف فى عينه من طريق محبته لها وشغفه بمن كان فيها . وقال غيره فى هذا المعنى ما هو أبين من هذا وهو :

ألا ليت المنازل قد بلينا * فلا يرمين عن شرف حزينا

فقوله الا ليت المنازل قد بلينا أى بلى ذكرها ولكنها تجـدد على طول البـلاء بتجدد ذكرها وقال الحسن بن هانئ فى هذا المعنى فلخصه وأوضحه وشنفه وقرظه حيث يقول :

لمن دمن تزداد طول نسـيم * على طول ما أقوت وحسن رسوم

تلافى البلى فيهن حتى كأنما * لبسن على الاقواء ثوب نعيم

ومما عيب من الشعر وليس بعيب ما يروى عن مروان بن الحكم انه قال لخالد بن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فانشده :

فلو بقيت خلائف آل حرب * ولم يلبسـهم الدهـر المنونا

لاصبح ماء أهل الارض عذبا * وأصبـح لحـم دنياهم سمينا

فقال له مروان منونا وسمينا والله انها القافية ما اضطرك اليها الا العجز وهذا مما لا عجز فيـه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر . وما أرى العيب فيه الا على من رآه عيبا لان الياء والواو يتعاقبان فى اشـعار

العرب كلها قديمها وحديثها . وقال عبيد بن الابرص :

وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

ومثله من المحدثين :

أجارة بيتينا عليك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير

ومما عيب من الشعر وليس بعيب قول ذى الرمة :

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

ولما أنشدوا هذا الشعر بلال بن أبى بردة قال ياغلام مر لصيدح بقت علف فانما هى انتجعتنا وهذا من التعنت الذى لا انصاف معه لان قوله انتجعى بلالا انما أراد نفسه . ومثله فى كتاب الله تعالى « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها » وانما أراد أهل القرية وأهل العير . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى بعض ما يرتجز به من شعره :

اليك يغدو قلقا وضينها * مخالفا دين النصارى دينها

فجعل الدين للناقة وانما أراد صاحب الناقة ولم تزل الشعراء فى اماديحها تصف النوق وزيارتها لمن تمدحه ولكن من طلب تعنتا وجده أو تجنيا على الشاعر أدركه عليه كما فعل صريع الغوانى بالحسن ابن هانئ حين لقيه . فقال له ما يسلم لك بيت عندى من سقط قال فاى بيت اسقطت فيه . قال انشدنى لك أى بيت ينسب فانشده :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صباحا

فقال له قد ناقضت فى قولك كيف يمله ديك الصباح صباحا وانما يبشره بالصبوح الذى ارتاح له . فقال له الحسن فانشدنى انت من قولك فانشده :

عاصى الغرام فراح غير مفند * واقام بين عزيمة وتجلد

قال له قد ناقضت فى قولك انك قلت عاصى الغرام فراح غير مفند . ثم قلت واقام بين عزيمة وتجلد فجعلت رائحا مقيما فى مقام واحد والرائح غير المقيم . والبيتان جميعا مؤتلفان ولكن من طلب عيبا وجده . ومما عابه ابن قتيبة وليس بعيب قول المرقش الاصغر :

صحا قلبه عنها على ان ذكرها * اذا ذكرت دارت به الارض قائما

فقال له كيف يصحو من كانت هذه صفته والمعنى صحيح وانما ذهب الى أن هذه بعد ما تقدم من سوء حاله حالة صحو عنده ومثل هذا فى الشعر كثير لان بعض الشر أهون من بعض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى عمه ابى طالب انه اخف الناس عذابا يوم القيامة يحذى نعلين من نار يغلى منهما دماغه . وهذا من العذاب الشديد وانما صار خفيفا عند ما هو اشد منه . فزعم المرقش انه عند نفسه صاح اذ تبدل حاله الى اسهل مما كان فيه . وقد عاب الناس قول الحسن بن هانئ :

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

فقالوا كيف تخافه النطف التى لم تخلق ومجاز هذا قريب اذا لحظ ان من خاف شيا خافه بجوارحه وسمعه و بصره ولحمه و روحه والنطف داخلة فى هذه الجملة . فهو اذا أخاف اهل الشرك أخاف النطف التى فى اصلابهم . وقال الشاعر :

الا ترى لمكتئب * يحبك لحمه ودمه

وقال المكفوف :

احبكموا حبا على الله اجره * تضمنه الاحشاء واللحم والدم

ولقى العتابى : منصورا النميرى فساله . فقال انى لمدهوش وذلك انى تركت امرأتى وقد عسر عليها ولادها فقال له العتابى الا ادلك على ما يسهل عليها . قال وما هو قال اكتب على رحمها هرون قال وما معناك فى هذا . قال ألست القائل فيه :

ان أخلف القطر لم تخلف مواهبه * اوضاق امر ذكرناه فيتسع

فقال بالخلفاء تعرض واياهم تتبع فيقال فعدا على هرون فاعلمه ما كان من قول العتابى . فكتب الى عبد الصمد فكتب اليه عمه يشفع له فوهبه له

١١ — تقبيح الحسن وتحسين القبيح — سئل بعض علماء الشعر من أشعر الناس قال الذى يصور الباطل فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل بلطف معناه و رقة فطنته فيقبح الحسن الذى لا أحسن منه ويحسن القبيح الذى لا أقبح منه . فمن تحسين القبيح قول الحرث ابن هشام يعتذر من فراره يوم بدر :

الله أعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا مهرى باشقر مزبد

وعلمت أنى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

فصرفت عنهم والاحبة فيهم * طمعالهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب ز بيل . فقال يامعشر العرب حسنتم كل شئ فحسن حتى الفرار .

ومن تقبيح الحسن قول بشار العقيلى فى سليمان بن على . وكان وصل رجلا فاحسن :

ياسوأة يكثر الشيطان ان ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زال عن يده * فكوكب النحس يسقى الارض أحيانا

وقال غيره فى تقبيح الحسن :

يقولون لى انى بخيل بنائلى * وللبخل خير من سؤال بخيل

وقال المتلمس فى تحسين القبيح :

ياعائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكبر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر

انك تعصى كى تنال الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

ومن تحسين القبيح انه قيل لجذيمة الابرص ماهذا الوضح الذى بك . قال سيف الله الذى جلاه . وقال ابن حسان وكان به برص :

لا تحسبن بياضا فى منقصة * ان اللهاميم فى أقرانها بلق

وقال محمود الوراق يمدح الشيب :

وعائب عابنى بشيبى * لم يان لما أبان وقته

فقلت اذ عابنى بشيبى * ياعائب الشيب لا بلغته

وقال آخر :

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب

لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة غدا من اللهو مركب

وقال أعرابى فى عجوز :

أبى القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند

كبرد يمان قد تقادم عهده * ورقعته ماشيب فى العين واليد

وقال بشار العقيلى فى سوداء :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذلونكما واحد * انكما من طينة واحدة

١٢ — الاستعارة — لم تزل الاستعارة قديمة تستعمل فى المنظوم والمنثور . وأحسن ما تكون أن يستعار المنثور من المنظوم والمنظوم من المنثور وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها لانك قد نقلت الكلام من حال الى حال . وأكثر ما يجتليه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء وانما يجرى فيه الامر على سنن الاول . وأقل ما يأتى لهم المعنى الذى لم يسبق اليه أحد امافى منظوم واما فى منثور لان الكلام بعضه من بعض . ولذلك قالوا فى الامثال ماترك الاول للآخر شيا الا ترى ان كعب بن زهير وهو فى الرعيل الاول والصدر المتقدم قد قال :

ما أرانا نقول الا معارا * أومعادا من قولنا مكرورا

ولكن فى قولهم ان الآخر اذا أخذ من الاول المعنى فزاد فيه ما يحسنه ويقربه ويوضحه فهو أولى به من الاول . وذلك كقول الاعشى :

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

فاخذ هذا المعنى الحسن بن هانئ فحسنه وقربه اذ قال :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

وقال القطامى :

والناس من يلق خيرا يأملون له * مايشتهى ولام المخطىء الهبل

أخذه من قول المرقش :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقال قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

أخذه بعض المحدثين فقال :

فشبهتها بدرا بدا منه شقة * وقد سترت خدا فابدت لنا خدا

وأذرت على الخدين دمعا كانه * تناثر درا أو ندا واقع الوردا

وأخذه آخر فقال :

ياقمر النصف من شهره * أبدى ضيا لثمان بقين

وأخذه بشار فقال:

ضنت بخد وجلت عن خد * ثم انثنت كالنفس المرتد

فلم يفسد الآخر قول الاول ولم يكن الاول بالمعنى أولى من الآخر. قلنا فى هذا المعنى ما هو أحسن من كل ما تقدم أو مثله. وهو قوله:

كأن التى يوم الوداع تعرضت * هلال بدا امحقا على أنه تم

واما الاستعارة: اذا كانت من المنثور فى المنظوم ومن المنظوم فى المنثور فانها أحسن استعارة دخل سهل بن هرون: على الرشيد وهو يضاحك ابنه المأمون. فقال سهل اللهم زده من الخيرات وابسط له من البركات حتى يكون بكل يوم من أيامه موفيا على أمسه مقصرا عن غده فقال له الرشيد ياسهل من روى من الشعر أفصحه ومن الحديث أوضحه. وأراد أن يقول ان يعجزه. قال يا أمير المؤمنين ما أعلم أحدا سبقنى الى هذا المعنى. قال بلى سبقك اعشى همدان حيث يقول:

حسبتك امس خير بنى معد * وأنت اليوم خير منك امس

وأنت غدا تزيد الضعف خيرا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

وقد يكون مثل هذا وما أشبهه عن موافقة. وقد سئل الاصمعى عن الشاعرين يتفقان فى المعنى الواحد ولم يسمع أحدهما قول صاحبه. فقال عقول الرجال توافت على ألسنتها

١٣ — اختلاف الشعراء فى المعني الواحد — وقد تختلف الشعراء فى المعنى الواحد وكل واحد منهم محسن فى مذهبه جار فى توجيهه وان كان بعضه أحسن من بعض الا ترى ان الشماخ بن ضرار يقول فى ناقته:

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقال الحسن بن هانئ فى ضد هذا المعنى ما هو أحسن منه فى محمد الامين:

فاذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

وقال أيضا أقول لناقتى اذ أبلغتنى * لقد أصبحت منى باليمين

فلم اجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

فقد عاب بعض الرواة قول الشماخ واحتج فى ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصارية

المأسورة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم انى نذرت يارسول الله ان نجانى الله عليها ان أنحرها . قال بئسما جزيتيها ولا نذر لاحد فى ملك غيره . وقد قالت الشعراء : فلم تزل تمدح حسن الهيئة وطيب الرائحة واسبال الثوب . قال الفرزدق :

بنو دارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون أهداب اليمانى كانهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

وأول من سبق الى هذا المعنى النابغة الذبيانى فى قوله :

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

وقال طرفة :

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

وقال كثير عزة فى اسبال الذيول يمدح بنى أمية :

اشم من الغادين فى كل حلة * يميسون فى صبغ من العصب متقن
لهم ازر حمر الحواشى بطونها * باقدامهم فى الحضرمى الملسن

وقال فيه أيضا :

اذا حال العصب اليمانى أجادها * أكف اساتيذ على النسج درب
أتاهم بها الجانى فراحوا عليهم * توائم من فضفاضهن المكعب
لها طرر تحت البنائق اذنبت * الى مرهفات الحضرمى المعقرب

وقال آخر :

معى كل فضفاض القميص كانه * اذا ماسرت فيه المدام فتيق

وخالفهم فيه صريع الغوانى فقال :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وقال لبيد بن ربيعة يرثى أخاه عبد الله بن ربيعة و يصفه بتشمير الثوب :

كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من السوآت طلاع أنجد

مثل قول الحجاج :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

وقد يحمل معناهم فى تشمير الثوب وسحبه واختلافهم فيه على وجهين أحدهما أن يستحسن بعضهم ما يستقبح بعض . والوجه الثانى وهو أشبه ان يكون لتشمير الثوب موضع ولسحبه موضع كما قال عمرو بن معديكرب :

فيوما ترانا فى الخزوز نجرها ✻ ويوما ترانا فى الحديد عوابسا
ويوما ترانا فى الثريد ندوسه ✻ ويوما ترانا نكسر الكعك يابسا

وقال أعشى بكر لعمرو بن معديكرب :

واذا تجيء كتيبة مكروهة ✻ ململومة يخشى العدو نزالها
كنت المقدم غير لابس جنة ✻ بالسيف تضرب مقدما ابطالها

وقال مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد خلاف هذا كله وهو :

تراه فى الامن فى درع مضاعفة ✻ لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

ولما انشده يزيد بن مزيد قال له ألا قلت كما قال الاعشى فانشده البيتين فقال قولى احسن من قوله انه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم . وقال عبد الملك بن مروان : لاسيلم بن الاحنف الاسدى ما احسن شيء مدحت به . قال قول الشاعر :

أسيلم ذاكم لاخفا بمكانه ✻ لعين ترى أو الاذن تسمع
من النفر الشم الذين اذا اعتزوا ✻ وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه ✻ وطيب دهنا رأسه فهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا ✻ له حول برديه ارقوا وأوسعوا

فقال عبد الملك احسن من هذا قول قيس بن الاسلت :

قد حصت البيضة رأسى فما ✻ اطعم نوما غير تهجاع
أسعى على حى بنى مالك ✻ كل امرئ فى شأنه ساعى

وقال بعضهم :

سالت المحبين الذين تحملوا ✻ تباريح هذا الحب فى سالف الدهر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله ✻ لاخرى وطول للتمادى على الهجر

وقال الحمدونى ماهو أحسن من هذا المعنى فى ضده وهو قوله :

زعموا ان من تشاغل بالحب سلا عن حبيبه وأفاقا ✻ كذبوا ما كذا بلونا ولكن

لم يكونوا فيما أرى عشاقا * كيف أسلو بلذة عنك واللذات يحدثن لى اليك اشتياقا

كلما رمت سلوة تذهب الحر * قة زادت قلبي عليك احتراقا

وقال كثير عزة :

أريد لا أنسى ذكرها فكانما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وقال بعض الناس ان كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ألا قال كما قال مجنون بنى عامر :

فلا خفف الرحمن ما بى من الهوى * ولا قطع الرحمن عن حبها حبي

فما سرنى انى خلى من الهوى * ولو أن لى ما بين شرق الى غرب

وذكر أكثرهم ان بعد العهد يسلى المحب عن حبيبه . وقالوا فيه :

اذا ماشئت ان تسلوا حبيبا * فأكثر دونه عدد الليالى

وقال العباس بن الاحنف :

اذا كنت لا يسليك عمن تحبه * تناء ولا يشفيك طول تلاق

فما أنت الا مستعير حشاشة * لمهجة نفس آذنت بفراق

وقال كثير عزة :

فان تسل عنك النفس أو تدع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

ومثله قول بشار :

من حبها أتمنى ان يلاقينى * من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول فراقا لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة فى معناها جائزة فى مجرها . وقال عبد الله بن جندب :

الا ياعباد الله هذا أخوكم * قتيلا فهل منكم له اليوم واتر

خذوا بدمى ان مت كل خريدة * مريضة جفن العين والطرف ساهر

وقال صريع الغوانى فى ضد هذا :

أديرا على الراح لا تشربا قبلى * ولا تطلبا من عند قاتلتى دخلى

وقالوا : عبد الله بن جندب أحسن فى هذا المعنى لانه انما أراد ان يدل على موضع ثاره واسم قاتله ولم يرد الطلب بالثار لانه لا ثار له . وقد قال عبد الله بن عباس ونظر الى رجل مدنف عشقا :

* هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود *

وقال الفرزدق: وأراد مذهب ابن جندب فلم يؤاته رقة الطبع فخرج الى جفاء القول وقبحه فقال

يا أخت ناجية بن سامة التى * أجدى عليك بنى ان طلبوا دمى * لن يتركوك وقد قتلت أباهم

وقال ابن أخت تابط شرا يرثى خاله وقتلته هذيل :

شامس فى القــرحــتى اذاما * ذكت الشعرى فــبرد وظل

ظاعــن بالحــرحــتى اذا ما * حــل حــل الحر حيث يحــل

أخذ معنى البيت الاول أعرابى فسهل معناه وحسن ديباجته . فقال :

اذا نزل الشــتاء فانت شمس * وان نزل المصيف فانت ظــل

وأخذ معنى البيت الثانى الحسن بن هانئ فقال فى الخصيب :

فما جازه جود ولا حــل دونه * ولــكن يصير الجود حيث يصــير

وقالوا فى الخيال فحيوه و رحبوا به . فمن ذلك قول مروان بن أبى حفصة:

* طرقتك زائرة فحى خيالها . وقال * طرق الخيال فحيه بســلام *

وعلى هذا بنيت أشعارهم وخالفهم جرير فطرد الخيال . فقال :

طرقتك زائرة القــلوب وليس ذا * حــين الزيارة فارجعى بسلام

وأول من طرد الخيال طرفة فقال :

فقل لخيــال الحنظليــة ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصل

وأعجب من هذا قول الراعى الذى هجا الخيال فقال:

طاف الخيال باصحابى فقلت لهم * أأم ســـدرة زارتنى أم الغــول

لا مرحبا بابنة الاقيال اذ طرقت * كان محجــرها بالقــار مكحول

وقد يختلف معنى الشاعر أيضا فى شعر واحد يقوله ألا ترى ان امرأ القيس . قال :

وأن كنت قد ساءتك منى خليقة * فسـلى ثيابى من ثيابــك تنســل

فوصف نفسه بالصبر والجــلد والقوة على التهالك . ثم أدركته الرقة والاشــتياق فقال فى البيت الذى بعده :

أغرك منى ان حبــك قاتــلى * وانك مهما تأمرى القلب يفعل

مستدركا قوله فى البيت الاول * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل * ولم يزل من تقــدم من الشــعراء

وغيرهم مجمعين على ذم الغراب والتشاؤم به . وكان اسمه مشتقا من الغربة فسموه غراب البين وزعموا انه اذا صاح فى الديار أقفرت من أهلها وخالفهم أبو الشيص . فقال ماهو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله قوله :

مافرق الاحباب بعد الله الا الابل والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا
وما اذا صاح غرا * ب فى الديار احتملوا وما على ظهر غرا * ب البين تطوى الرحل
وماغراب البين الا ناقة أوجمل

وقال آخر فى هذا المعنى وذكر الابل :

لهن الوجا اذ كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وكسير
وما الشؤم فى نعب الغراب ونعقه * وما الشؤم الا ناقة وبعير

ومن قولنا فى هذا المعنى :

نعب الغراب فقلت أكذب طائر * ان لم يصدقه رغاء بعير
رد الجمال هو المحقق للنوى * بل شر أحلاس لهن وكور

وقد يأتى من الشعر ماهو خارج عن طبقة الشعراء منفرد فى غرائبه وبديع صنعته ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون:

كم بين نادى وبين لما * وبين بون الى ذما
من رشا أبيض التراقى * أغيد ذى غنة أجما
وطفلة رخصة المرائى * ليست تحلى ولا تسمى
الا وسلك من اللاآلى * تعجز من يخرج المعمى
صغرى وكبرى الى ثلاث * من التعاليل أوأيما
وكم معم وأرض لم * وأرض يرم وأرض رما
من طفلة بضة لعوب * تلقاك بالحسن مستتما
منهن ريا وكيف ريا * ريا اذا لاقت المشما
لو شمها طائر بدو * لخرفى الترب أوهما
تسحب ذايلين من خلوق * قد أفنيا زعفران قما
كانما أحنيا عليها * من طيب مابشرا وشما
فالفيا زعفران قم * فانغمسا فيه واستحما

فهل تظن اسمها المريا * يفوح لامرطها المذما
هيهات ياأخت أهل يما * غلطت فى الاسم والمسمى
لوكان هذا وقيل سم * مات اذا من يقول سما
قدقلت اذ أقبلت تهادى * كطلعة البدر أوأتما
قومى باسروعة وتخفى * بالبردمثل القداح حما
لوكنت ممن لكنت مما * لكنني قد كبرت مما
عاتبنى الدهر فى عذارى * باحرف فارعويت لما
قوس ما كان مستقيما * وابيض ما كان مدلهما
وكيف تصبوالدمى الى من * كان أخا ثم صار عما
لى عنك ياأخت أهل يم * شغل بما قددنا وجما
فلست من وجهك المفدى * ولست من قدك المحما
أذهلنى عنك خوف يوم * يحيا له كل ماأرما
ما كسبته يدلى رهينا * خيرا وشرا أصبت ثما
تحشر فيه الجنان زفا * وتحشر النار فيه زما
تقول هذى لطالبيها * هيت وهذى لهم هلما
نفسى أولى بان أذما * من أمرها كل ماالستذما
يانفس كم تخدعين لما * بلبس داج وأكل لما
رعيت من ذى الحطام مرعى * جمعت أكلاله وذما
ويحك فاستيقظى ليوم * تغدو لما قبله مصما
ألم ترى يونس بن عبد السلا على غدا صامتا مرما
فى حفرة مايجيز حرفا * قددك من فوقها وطما
والمزنى الذى اليه * نعشو اذادهرنا ادلهما
احنى فؤادى له عزائى * لكن زفيرى عليه نما
كانما خوفا نخافا * أوحذرا جاشاهما فصما

أقبل سهم من الرزايا * نخص أعلامنا وعما
دكدك مناذرا جبال * شامخة فى السماء شما
وخصنا دون من عليها * فداومتنا نعم وعما
قد قرب الموت ياابن أم * فبادر الموت ياابن أما
واعلم بان ماعصاك كهلا * من التقى لم يطعك هما
هو الهدى والردى فاما * آتيت آتى الردى واما
مفاترا فاعتبر بحالى * فى طبق مؤصد معمى
قد أسكنتنى الذنوب بيتاً * يخاله الالف مستحما
فهل لدنياك من سبيل * تكون فيها الدهور رهما
فتشكر الله لا سواه * فقل نعماه ان تتما
يانفس ردى ولا تميلى * فافضل البر ما استتما
ان بهذا الكلام نصحا * ان لم يواف القلوب صما
يارب لى ألف ألف ذنب * ان تعف يارب فاعف جما
فابرد بعفو غليل قلب * كأن فيه رسيس حما

١٤ — مايجوز فى الشعر مما لايجوز فى الكلام — قال أبو حاتم : أبيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ومد المقصور وتحريك الساكن وتسكين المتحرك وصرف مالا ينصرف وحذف الكلمة مالم تلتبس باخرى كقولهم فل من فلان وحم من حمام . قال الشاعر :

وجاءت حوادث من مثلها * يقال لمثلك ويهافل

وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس انى سائل الله وحده * وصائن وجهى عن فلان وعن فل

وقال آخر : * ودعا حمامات تجاوبها حم * ومن المحذوف أيضا قول الشاعر :

لهما أشارير من لحم تتمره * من الثعالى ووخز من أرانيها

يريد من الثعالب ومثله قول الشاعر * وللضفادى جمة نقانق * يريد الضفادع . ومن

المحذوف قول كعب بن زهير :

ويلمها خلة لوانها صدقت * فى وعدها أولوان النصح مقبول

يريد ويل لامها ومنه قولهم لاه أبوك يريدون لله أبوك . وقال الشاعر :

لاه ابن عمك لا يخا * ف المبديات من العواقب

وكذلك الزيادة أيضا اذا احتاجوا اليها فى الشعر . فمن ذلك قول زهير :

* فى ماء شرقى سلمى فيد اوركك * قال الاصمعى سالت نحيبات فيد عن ركك فقيل ماء ههنا يسمى ركا فعلمت ان زهيرا احتاج فضعف . ومنه قول القطامى :

وقول المرء ينفذ بعد حين * مواضع ليس ينفذها الابار

ومثله قولهم كلكال من كلكل ونظير هذا كثير فى الشعر لمن تتبعه . وأما قصرهم الممدود فجائز فى أشعارهم ومد المقصور عندهم قبيح . وقد يستجاد فى الشعر على قبحه مثل قول حسان بن ثابت

قفاؤك أحسن من وجهك * وأمك خير من المنذر

وأنشد أبو عبيدة :

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب فى الحلق وفى اللهاء

فمد اللهى وهو جمع لهاة كما قالوا قطاة وقطى ونواة ونوى . وأما تحريك الساكن وتسكين المتحرك فمن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

تراك أمكنة اذا لم ارضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

ومثله قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

وقال أمية بن أبى الصلت :

تأبى فما تطلع لهم فى وقتها * الا معذبة والا تجلد

ومن قولهم فى تحريك الساكن :

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسوط قونس الفرس

وأما صرف مالا ينصرف عندهم فكثير والقبيح عندهم أن لا يصرف المنصرف وقد يستجاد فى الشعر على قبحه . قال عباس بن مرداس :

وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

ومن قولهم فى تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه فى كتابه :

عجب الناس وقالوا * شعر وضاح اليمانى

انما شعرى قيد * قد خلط بجلجلان

ولو حرك خلط اجتمع خمس حركات :

١٥ — باب ما أدرك على الشعراء — قال أبو عبد الله بن محمد بن مسلم بن قتيبة أدركت العلماء بالشعر على امرئ القيس قوله

أغرك منى ان حبك قاتلى * وانك مهما تأمرى القلب يفعل

وقالوا اذا لم يغر هذا فما الذى يغر ومعناه فى هذا البيت يناقض البيت الذى قبله حيث يقول :

وان كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

لانه ادعى فى هذا البيت فضلا للتجلد وقوة الصبر بقوله * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل * وزعم فى البيت الثانى انه لا تحمل فيه للصبر ولا قوة على التمالك بقوله:

* وانك مهما تامرى القلب يفعل * وأقبح من هذا عندى قوله:

يظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل

ومما أدرك على زهير قوله فى الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق وانما ذلك لانهن يبتن فى الشطوط . ومما أدرك على النابغة قوله يصف الثور :

يحيد عن استن سود أسافله * مثل الاماء الغوادى تحمل الحزما

قال الاصمعى انما توصف الاماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو ولانهن يجئن بالحطب اذا رحن . قال الاخنس التغلبى :

يظل بها ربد النعام كانها * اماء يرحن بالعشى حواطب

وأخذ عليه فى وصف السيف قوله :

يقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

فزعم انه يفسد الدرع المضاعفة والفارس والفرس . ثم يقع فى الارض فيقدح النار من الحجارة .
وهذا من الافراط القبيح . وأقبح عندى من هذا فى وصف المرأة قوله :

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع باعلى مكة البرما

ومما أخذ عليه قوله :

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فشبه نفسه بالدلو وشبه النعمان خطاطيف حجن يريد خطاطيف معوجة يمد بها الدلو . وكان
الاصمعى يكثر التعجب من قوله :

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته * وهل على بان أخشاك من عار

ومما أدرك على المتلمس قوله :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

والصيعرية سمة للنوق فجعلها صفة للفحل . وسمعه طرفة وهو صبى ينشد هذا البيت . فقال
استنوق الجمل فضحك الناس وصارت مثلا . وأخذ عليه أيضا قوله :

أحارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتى لا يمس دم دما

وهذا من الكذب المحال . ومما أدرك على طرفة قوله :

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

فذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط لهم ذلك اذا صحوا كما قال عنترة :

واذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومما أدرك على عدى بن زيد قوله فى صفة الفرس :

فضاف يعرى جله عن سراته * يبذ الجياد فارها متتابعا

ولا يقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وعتيق . ويقال للكودن والبغل والحمار فاره . ومما
أدرك عليه وصفه الخمر بالخضرة ولا يعلم أحد وصفها بذلك فقال :

والمشرف الهندى يسقى به * أخضر مطموثا بماء الجريض

ومما أدرك على أعشى بكر قوله :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني * شاو مشل شلول شلشل شلل

وهذه الالفاظ الاربعة في معني واحد . ومما أدرك على لبيد قوله :

ومقام ضيق فرجته * بمقامي ولساني وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل

فظن ان الفيال أقوى الناس كما ان الفيل أقوى البهائم . ومما أدرك على عمرو بن أحمد الباهلي قوله يصف المرأة :

لم تدر ما نسج اليرندج قبلها * ودراس أعوص دارس متجدد

اليرندج جلود سود فظن انه شيء ينسج ودراس أعوص يريد انها لم تدارس الناس عويص الكلام الذي يخفى أحيانا ويتبين أحيانا . وقد أتى ابن أحمر في شعره بأربعة ألفاظ لم تعرف في كلام العرب منها انه سمى النار ماموسا ولا يعرف ذلك كما قال * تطاير عن ماموسها الشرر . وسمى حوار الناقة مانوسا ولا يعرف ذلك فقال :

حنت قلوصي الى مانوسها جزعا . فما حنينك اما أنت والذكر

وفي بيت آخر يذكر فيه البقرة * وقبس عنها فرقد خضر * أي تأخر ولا يعرف التقبيس . وقال * وتقنع الحرباء أرنبة * يريد ما لف على الرأس ولا تعرف الارنبة في غير شعره . ومما أدرك على نصيب بن رباح قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا كبدي من ذا يهيم بها بعدي

تلهف على من يهيم بها بعده . ومما أدرك على الراعي قوله في المرأة :

تكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج

أراد المسك فجعله من قصب والقصب المعى فجعل المسك من قصب دابة تعتلف الكافور فيتولد عنها المسك . ومما أدرك على جرير قوله في بني العدوس رهط الاخطل :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

القطين في هذا الموضع العبيد والاماء . وقيل له أبا حرزة ما وجدت في تميم شيئا تفخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة لا والله ان صنعت في هجائهم شيئاً . ومما أدرك على الفرزدق قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا أو مجلف

وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشيء يرضى . ومثل ذلك قوله :

غداة أحلت لابن أصرم طعنة * حضين عبيطات السدائف والخمر

فنصب عبيطات السدائف ورفع الخمر وانما هي معطوفة عليها . وكان وجهها النصب فكانه أراد وحلت له الخمر . ومما أدرك على الاخطل قوله في عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم * لابيض لا أرى الخوان ولا جدب

وهذا مما لا يمدح به خليفة . وأخذ عليه قوله في رجل من بني أسد يمدحه وكان يعرف بالقين ولم يكن قينا . فقال فيه :

نعم المجير سماها من بني أسد * بالسيف اذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قينا وانبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وهذا مدح كالهجاء . ومما ادرك على ذي الرمة :

تصغي اذا شدها بالكور جارحة * حتى اذا ما استوى في غرزها تثب

وسمعه اعرابي ينشده فقال صرع والله الرجل ألا قلت كما قال عمك الراعي :

وواضعة خدها للزما * م فالخد منها له اصعر

ولا تعجل المرء قبل الركو * ب وهي بركبته ابصر

وهي اذا اقام في غرزها * كمثل السفينة اواوقر .

ومما ادرك عليه ايضا قوله :

حتى اذا دومت في الارض راجعها * كرا ولو شاء نجى بيته الهرب

قالوا التدويم انما يكون في الجو يقال دوم الطائر في السماء اذا حلق واستدار ودوى في الارض اذا استدار فيها . ومما ادرك على ابي الطمحان القيسي قوله :

لما تخايلت الحمول حسبتها * دوما بأيلة ناعما مكموما

الدوم شجر المقل وهو لا يكم وانما يكم النخل . ومما اخذ على العجاج قوله :

كان عينيه من الغؤور * قلتان أو حوجلتا قارور

صيرتا بالنضح والتصبير * صلاصل الزيت الى السطور

الحوجلتان القارورتان جعل الزجاج ينضح ويرشح . ومما أدرك على رؤبة قوله :

كنتم كمن أدخل في جحر يدا * فاخطا الافعى ولاقى الاسودا

جعل الافعى دون الاسود وهي فوقه في المضرة . وأخذ عليه في قوله في وصف الظليم :

وكل زجاء سحام الخيل * تبرى له فى رعلات خطل

فجعل للظليم عدة اناث كما يكون للحمار وليس للظليم الا أنثى واحدة . وأخذ عليه قوله يصف الراعى * لا يلتوى من عطس ولا نعق * انما هو النعيق والنعاق وانما يصف الرامى . وادرك عليه قوله :

اقفرت الوعثاء والعثاعث * من أهلها والبرق البرارث

انما هى البراث جمع برث وهى الارض اللينة . وادرك عليه قوله * يالتنا والدهر يجرى السمهه * انما يقال ذهب السمهى أى فى الباطل . وأخذ عليه قوله * أوفضة أوذهب كبريت * قال فسمع بالكبريت انه احمر فظن انه ذهب . ومما يستقبح من تشبيهه قوله فى النساء :

* يلبسن من لين الثياب نميا * والنيم الفرو المقشى * وأخذ عليه قوله فى قوائم الفرس:

* يهوين مساو يقفن وقفا * وانشده سالم بن قتيبة فقال له اخطأت ياأبا الجحاف جعلته مقيدا . قال له رؤبة ادننى من ذنب البعير . ومما ادرك على أبى نخيلة الراجز قوله فى وصف المرأة :

سرية لم تأكل المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا

فجعل الفستق من البقول وانما هو شحم . ومما ادرك على أبى النجم قوله فى وصف الفرس :

* يسبح أخراه ويطفو اوله * قال الاصمعى اذا كان كذلك فحمار الكساح أسرع منه لان اضطراب مؤخره قبيح . وانما الوجه فيه ماقال اعرابى فى وصف فرس أبى الاعور السلمى:

مركامع البرق شام ناظره * يسبح أولاه ويطفو آخره * فمايمس الارض منه حافره

وأخذ عليه أيضاً فى الورود قوله:

جاءت تسامى فى الرعيل الاول * والظل فى أخفافها لم يفصل

فوصف انها وردت فى الهاجرة وانما خير الورود غلسا والماء بارد كما قال الآخر :

* فوردت قبل الصباح الفائق * وكقول لبيد بن ربيعة العامرى * ان من وردى لتغليس النهل * وقال آخر * فوردن قبل تبين الالوان * وأنشد بشار الاعمى قول كثير عزة :

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال لله أبو صخر جعلها عصا خيزرانة فوالله لو جعلها عصا زبد لهجنها ألا قال كما قلت :

وبيضاء المحاجر من معد * كان حديثها قطع الجمان

اذا قامت لحاجتها تثنت * كان عظامها من خيزران

ودخل العتابي على الرشيد فانشده في وصف الفرس :

كان أذنيه اذا تشوفا * قادمة أو قلما محرفا

فعلم الناس انه لحن ولم يهتد أحد منهم الى اصلاح البيت غير الرشيد فانه قال قل :
* تخال أذنيه اذا تشوفا * والراجز وان كان لحن فانه أصاب التشبيه . حدث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط . قال حدثني أحمد بن محمد بن يحيي عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدى عن السائب راوية كثير عزة . قال : قال لى كثير عزة يوما قم بنا الى ابن أبي عتيق نتحدث عنده . قال فجئنا فوجدنا عنده ابن معاذ المغنى . فلما رأى كثيرا قال لابن أبي عتيق ألا أغنيك شعر كثير عزة قال نعم فغناه :

أنبئت سعدى انها ستبين * كما انبت من حبل القرين قرين

أأن زم اجمال وفارق جيرة * وصاح غراب البين أنت حزين

كانك لم تسمع ولم تر قبلها * تفرق آلاف لهن حنين

فاخلفن ميعادى وخن أمانتى * وليس لمن خان الامانة دين

فالتفت ابن أبي عتيق الى كثير . فقال وللذين صحبتهم يا ابن أبي جمعة ذلك والله أشبه بهن وأدعى للقلوب اليهن وانما يوصفن بالبخل والامتناع وليس بالوفاء والامانة ذو الرقيات أشعر منك حيث يقول:

حبذا الادلال والغنج * والتى فى طرفها دعج

والتى ان حدثت كذبت * والتى فى ثغرها ثلج

خبرونى هل على رجل * عاشق فى قبلة حرج

فقال كثير قم بنا من عند هذا . ومضى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال انى بباب المأمون اذ خرج عبد الله بن السمط . فقال لى علمت ان أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشعر . قلت له وبم علمت ذلك قال اسمعته الساعة بيتا لو شاطرنى ملكه عليه لكان قليلا . فنظر الى نظرة سمجة كاد أن يصطلمنى عليها . قلت له وما البيت فانشد:

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قلت له والله لقد حلم عليك اذ لم يؤدبك عليه ويلك واذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يدبر أمرها ألا قلت كما قال جدك فى عبد العزيز بن مروان :



فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

فقال الآن علمت انى اخطأت . الهيثم بن عدى قال : دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه . فقال يا أمير المؤمنين لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لا أحسبهم اجتمعوا بباب أحد من الخلفاء فلو أذنت لهم حتى ينشدوك فاذن لهم فانشدوه . وكان فيهم الفرزدق وجرير والاخطل والاشهب بن رميلة وترك البعيث فلم يأذن له . فقال الرجل المستأذن لهم لو أذنت للبعيث فلم يأذن له . وقال انه ليس كهؤلاء انما قال من الشعر يسيرا قال والله يا أمير المؤمنين انه لشاعر فاذن له . فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا انك انما أذنت لهم دونى لفضل لهم على . قال أولست تعلم ذلك قال لا والله ولا علمه الله لى . قال فانشدنى من شعرك قال أما والله حتى انشدك من شعر كل رجل منهم ما يفضحه . فاقبل على الفرزدق فقال قال هذا الشيخ الاحمق لعبد بنى كليب :

باى رشاء ياجرير ومائح * تدليت فى حومات تلك القماقم

فجعله يتدلى عليه وعلى قومه من عل وانما يأتيه من تحته لو كان يعقل . وقد قال هذا كلب بنى كليب:

لقومى أحمى للحقيقة منكم * وأضرب للجبار والنقع ساطع

واوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ماجرد السيف لامع

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه الا عشية وقد نكحن وفضحن . وقال هذا النصرانى ومدح رجلا يسمى قينا فهجاه ولم يشعر . فقال :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وقال ابن رميلة ورفع أخاه سلمى فقتل :

مددنا وكانت ضلة من حلومنا * بثدى الى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل باخيه ما فعل . فجعل الوليد يعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه وقد قال له قد كشفت عن مساوى القوم فانشدنى من شعرك فانشده فاستحسن قوله ووصله وأجزل له . ومما عيب على الحسن بن هانىء قوله فى بعض بنى العباس :

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

فقالوا من حق الرسول صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره ولو اتسع متسع فاجازه لكان له مجاز حسن . وذلك ان يقول القائل من بنى هاشم لغيره من أبناء قريش منا رسول

الله صلى الله عليه وسلم يريد انه من القبيلة التي نحن منها كما قال حسان بن ثابت :

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عـز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره . ومما أدرك عليه قوله في البعير :

* اخنس في مثل الكظام مخطمه * والاخنس القصير المشافر وهو عيب له وانما توصف المشافر بالسبوطة . ومما أدرك على أبي ذؤيب قوله في وصف الدرة :

فجاء بها ماشئت من لطمية * يدوم الفرات فوقها ويموج

قالوا والدرة لا تكون في الماء الفرات انما تكون في الماء المالح . اجتمع جرير بن الخطفى وعمر ابن لجا التيمي عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة . فانشده عمر بن لجا ارجوزته التي يقول فيها :

تلاطم الجبها على دلائها * تلاطم الازد على عطائها

حتى انتهى الى قوله : تجر بالاهون من دمائها * جر العجوز الشيء من خبائها

فقال جرير ألا قلت * جر الفتاة طرفي ردائها * فقال والله ما أردت الا ضعف العجوز وقد قلت أنت أعجب من هذا وهو قولك :

وأوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ما جرد السيف لامع

والله لئن لم يلحقن الا عشية ما لحقن الا حتى نكحن واحبلن ووقع الشر بينهما . وقدم عمر بن ابي ربيعة المدينة فاقبل اليه الاخوص ونصيب فجعلوا يتحدثون . ثم سالهما عمر عن كثير عزة فقالوا هو ههنا قريب . قال فلو أرسلنا اليه قالا هو اشد مأذى من ذلك قال فاذهبا بنا اليه فقاموا نحوه . فالقوه جالسا في خيمة له فوالله ما قام للقرشي ولا وسع له فجعلوا يتحدثون ساعة فالتفت الى عمر بن ابي ربيعة . فقال له انك لشاعر لولا انك تشبب بالمراة ثم تدعها وتشبب بنفسك . اخبرني عن قولك : ثم استطيرت تشتد في أثري * تسال اهل الطواف عن عمر

والله لو وصفت بهذا هرة اهلك لكان كثيرا ألا قلت كما قال هذا يعني الاخوص :

ادور ولولا ان ارى ام جعفر * بابياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * وان لم يزر لا بد ان سيزور

قال فانكسرت نخوة عمر بن ابي ربيعة ودخلت الاخوص زهوة . ثم التفت الى الاخوص فقال اخبرني عن قولك :

فان تصلى أصلك وان تبينى * بهجر بعد وصلك ماابالى

اماوالله لو كنت حرا لباليت ولو كسرانفك الاقلت كما قال هذا الاسود واشار الى نصيب :

بزينب الم قبل ان يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانكسر الاخوص ودخلت نصيبا زهوة . ثم التفت الى نصيب فقال له اخبرنى عن قولك :

اهيم بدعد ماحييت فان امت * فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

همك ويحك من يفعل بها بعدك . فقال القوم الله اكبر استوت الفرقة قوموا بنا من عند هذا . ودخل كثير عزة على سكينة بنت الحسين . فقالت له يا ابن ابى جمعة اخبرنى عن قولك فى عزة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ويحك وهل على الارض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها الاطاب ريحها ألاقلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

سمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثير عزة . فقال له انشدنى بعض ما قلت فى عزة فانشده الى هذا البيت : هممت وهمت ثم هابت وهبتها * حياء ومثلى بالحياء حقيق

فقال له عبد الملك أما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك . قال ولم يا أمير المؤمنين قال لانك شركتها معك فى الهيبة . ثم استأثرت بالحياء دونها . قال فاى بيت عفوت عنى به يا أمير المؤمنين . قال قولك :

دعونى لاأريد بها سواها * دعونى هائما فيمن يهيم

ومما أدرك على الحسن بن هانئ قوله فى وصف الاسد حيث يقول :

كأنما عينه اذا التفتت * بارزة الجفن عين مخنوق

وانما يوصف الاسد بغؤور العينين كما قال العجاج :

كان عينيه من الغؤور * قلبان اوحوجلتا قارور

وقال ابو زبيد : * كان عينيه نقباوان فى حجر *

ومن قولنا فى وصف الاسد ماهو اشبه به من هذا :

ولرب خافقة الذوائب قد غدت * معـــقودة بلوائه المنصـور
يرمى بها الآفاق كل شرنبث * كفاه غـــير مقـــلم الاظفور
ليث تطـيرله القــلوب مخافة * مـن بـين همهـمة له وزئير
وكأنما يومى اليــك بطرفـه * عـن جمـرتين بجلمد منقـور

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع
وأوله باب من أخبار الشعراء الخ





﴿ الجزء الثالث ﴾

(من كتاب العقد الفريد)

(ذكر ما فيه من الكتب)

كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة
كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة
كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعها
كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه

صحيفه	
٢	كتاب التوقيعات والفصول الخ
٣	أول من وضع الكتابة
٤	استفتاح الكتب
	ختم الكتاب وعنوانه
	تاريخ الكتاب
٥	تفسير الامى
	شرف الكتاب وفضلهم
٧	أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه
	أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
	أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه
	أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه
٩	أسماء من كتب لغير الخليفة
١٠	أشراف كتاب النبى صلى الله عليه وسلم
	من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا
١١	من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها
	صفة الكتاب
١٢	ماينبغى للكاتب ان يأخذ به نفسه
١٤	خبر حائك الكلام
١٦	فضائل الكتابة
١٦	مايجوز فى الكتابة ومالا يجوز فيها
٢٢	البلاغة
٢٣	تضمين الاسرار فى الكتب
٢٣	قولهم فى الاقلام
٣٠	قولهم فى الحبر

صحيفة	
٣٠	قولهم فى المصحف
٣٣	توقيعات الخلفاء
٣٦	توقيعات بنى العباس
٣٩	توقيعات الامراء والكبراء
٤٢	توقيعات العجم
٤٣	فصول فى المودة
٤٤	فصول فى الزيارة
٤٧	فصول فى عتاب
٤٨	فصول فى حسن التواصل
٠٠	فصول فى الشكر
٤٩	فصول فى البلاغة
٠٠	فصول فى المدح
٥٠	فصول فى الذم
٠٠	فصل فى الادب
٥٢	فصول الى عليل
٠٠	فصول الى خليفة وأمير
٥٣	فصل للحسن بن وهب
٥٤	فصول لعمرو بن بحر الجاحظ فى الادب
٥٥	صدور الى خليفة
٠٠	صدور الى ولى عهد
٠٠	صدور الى والى شرطة
٥٦	صدور الى قاضى
٠٠	صدور الى عالم
٥٦	صدور الى اخوان
٠٠	صدور فى عتاب
٥٧	(فن من كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم واخبارهم)
٠٠	أخبار الخلفاء
٠٠	مولد النبى صلى الله عليه وسلم

صحيفه	
٥٧	صفة النبى صلى الله عليه وسلم
٥٨	هيئة النبى وقعدته صلى الله عليه وسلم
٠٠	شرف بيت النبى صلى الله عليه وسلم
٠٠	اخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة
٠٠	أبو النبى صلى الله عليه وسلم
٥٩	أعمامه صلى الله عليه وسلم
٠٠	ولد النبى صلى الله عليه وسلم
٠٠	أزواجه صلى الله عليه وسلم
٦٠	كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وخدامه
٠٠	وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وسنه
٠٠	نسب أبى بكر الصديق وصفته رضى الله عنه
٦١	خلافة أبى بكر رضى الله عنه
٦٢	سقيفة بنى ساعدة
٦٣	الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه
٦٤	فضائل أبى بكر رضى الله عنه
٦٥	وفاة أبى بكر رضى الله عنه
٦٧	استخلاف أبى بكر لعمر رضى الله عنهما
٦٨	نسب عمر بن الخطاب وصفته رضى الله عنه
٦٩	فضائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٧٠	مقتل عمر
٧١	أمر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه
٧٧	نسب عثمان وصفته
٧٨	فضائل عثمان رضى الله عنه
	مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه

صحيفة	
٨٣	القواد الذين أقبلوا الى عثمان
٨٤	ماقالوا فى قتلة عثمان
٨٦	فى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه
٨٨	تبرؤ على من دم عثمان بن عفان رضى الله عنهما
٩٠	ما نقم الناس على عثمان رضى الله عنه
٩٣	خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه
	نسب على بن أبى طالب وصفته كرم الله وجهه
٩٤	فضائل على بن أبى طالب كرم الله وجهه
٩٥	يوم الجمل
٩٩	مقتل طلحة
١٠٠	مقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه
١٠٥	قولهم فى أصحاب الجمل
	أخبار على ومعاوية
١٠٩	يوم صفين
١١١	مقتل عمار بن ياسر
١١٣	خبر عمرو بن العاص مع معاوية
١١٤	أمر الحكمين
١١٧	احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين
١١٨	احتجاج على على أهل النهروان
١٢٠	خروج عبد الله بن عباس على على رضى الله عنهم
١٢٣	مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه
١٢٤	خلافة الحسن بن على رضى الله عنهما
١٢٥	خلافة معاوية
١٢٥	فضائل معاوية
١٢٦	أخبار معاوية

صحيفه	
١٢٩	طلب معاوية البيعة ليزيد
١٣١	وفاة معاوية
١٣٣	خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته
	مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما
١٣٩	تسمية من قتل مع الحسين بن على رضى الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم
	حديث الزهرى فى قتل الحسين
١٤٠	وقعة الحرة
١٤٣	وفاة يزيد بن معاوية
١٤٣	خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية
	فتنة ابن الزبير
١٤٥	دولة بنى مروان ووقعة مرج راهط
١٤٨	ولاية عبد الملك بن مروان
١٥١	خبر المختار بن أبى عبيد
١٥٣	مقتل عمرو بن سعيد الاشدق
١٥٥	مقتل مصعب بن الزبير
١٥٧	مقتل عبد الله بن الزبير
١٦١	أولاد عبد الملك بن مروان
	وفاة عبد الملك بن مروان
١٦٢	ولاية الوليد بن عبد الملك
١٦٣	أخبار الوليد
١٦٤	ولاية سليمان بن عبد الملك
١٦٥	أخبار سليمان بن عبد الملك
١٦٧	وفاة سليمان بن عبد الملك
١٦٩	خلافة عمر بن عبد العزيز
	أخبار عمر بن عبد العزيز
١٧٣	وفاة عمر بن عبد العزيز
١٧٤	خلافة يزيد بن عبد الملك
١٧٦	خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان
١٧٧	أخبار هشام بن عبد الملك

صحيفة	
١٨٠	خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٨٦	مقتل الوليد بن يزيد
١٨٨	ولاية يزيد الناقص
١٨٨	ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع
١٩٠	ولاية مروان بن محمد بن مروان
١٩١	مقتل مروان بن محمد بن مروان
١٩٤	أخبار الدولة العباسية
١٩٨	مقتل زيد بن على
٢٠١	خلفاء بنى امية بالاندلس
٢٢٨	كتاب اليتيمة الثانيـة فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة
	أخبار زياد
٢٣٣	أخبار الحجاج
٢٥٣	قولهم فى الحجاج
٢٥٤	من زعم ان الحجاج كان كافرا
٢٥٧	موت الحجاج
٢٥٩	أخبار البرامكة
٢٦٩	أخبار الطالبيين
٢٧٨	باب من فضائل على بن أبى طالب
٢٧٩	احتجاج المأمون على الفقهاء فى فضل على
٢٨٦	باب من أخبار الدولة العباسية
٢٩٢	فرش ذكر خلفاء بنى العباس وصفاتهم و وزرائهم وحجابهم
	أبو العباس السفاح
٢٩٣	المنصور
	المهدى
٢٩٤	الهادى
	هارون الرشيد

صحيفة	
٢٩٥	الامين
٢٩٦	المأمون
	المعتصم بالله
٢٩٧	الواثق
٢٩٧	المتوكل
٢٩٨	المنتصر
	المستعين
	المعتز
٢٩٩	المهتدى
	المعتمد
٣٠٠	المعتضد
	المقتدر
٣٠١	القاهر
	الراضى
	المتقى
٣٠٢	المستكفى
	المطيع
٣٠٣	فن من كتاب الدرة الثانيـة فى أيام العرب ووقائعها
	حروب قيس فى الجاهلية
٣٠٤	يوم النفروات لبنى عامر على عبس
٣٠٥	يوم بطن عاقل لذبيان على عامر
٣٠٦	يوم رحرحان لعامر على تميم
٣٠٧	يوم شعب جبـلة لعامر وعبس عـلى ذبيان وتميم
٣١٠	يوم مقتل الحرث بن ظالم بالحريبة
٣١٣	حرب داحس والغبراء
٣١٤	يوم المريقب لبنى عبس على فزارة

صحيفة

٣١٥ يوم ذى حسا للذبيان على عبس
يوم اليعمرية لعبس على ذبيان
٣١٦ يوم الهباءة لعبس على ذبيان
٣١٧ يوم الفروق
٣١٨ يوم قطن
يوم غدير قلياد
يوم الرقم لغطفان على بنى عامر
٣١٩ يوم النتأة لعبس على بنى عامر
يوم شواحط لبنى محارب على بنى عامر
٣٢٠ يوم حوزة الاول
يوم حوزة الثانى
٣٢٢ يوم ذات الاثل
يوم عدنية
٣٢٣ يوم اللوى
٣٢٦ يوم الصلعاء
حرب قيس وكنانة يوم الكديد
يوم برزة
٣٢٧ يوم القيقاء
٣٢٨ حرب قيس وتميم
٣٢٩ يوم اقرن
يوم المروت
٣٣٠ يوم دارة مأسل
أيام تميم على بكر
٣٣٠ يوم الوقيط
٣٣٢ يوم النباج ونبتل
٣٣٣ يوم زرود الثانى
٣٣٤ يوم ذى طلوع

صحيفة

٣٣٥ يوم الحائر
يوم القحقح
٣٣٦ يوم رأس العين
يوم العظالى
٣٣٨ يوم الغبيط
٣٣٩ يوم مخطط
يوم جدود
٣٤٠ يوم سفوان
٣٤١ يوم السلى
يوم بلقاء الحسن وهو يوم السقيفة
٣٤٢ أيام بكر على تميم
يوم الزويرين
٣٤٤ يوم الشيطين
يوم صعفوق
يوم مبايض
٣٤٦ يوم فيحان
يوم ذى قار الاول
يوم الحاجر
٣٤٧ يوم الشقيف
حرب البسوس
٣٤٨ مقتل كليب بن وائل
٣٥٠ يوم الذنائب
يوم واردات
٣٥١ يوم عنيزة
٣٥٢ يوم قضة
٣٥٣ الكلاب الاول
٣٥٣ يوم الصفقة وهو الكلاب الثانى

صحيفة

٣٥٩ يوم طخفة
يوم فيف الريح
٣٦٠ يوم تياس
يوم زرود الاول
٣٦١ يوم غول الثانى
٣٦٢ يوم الجبايات
يوم أراب
٣٦٣ يوم الشعب
يوم عول الاول
٣٦٤ يوم الخندمة
يوم اللهيا
٣٦٥ يوم خزاز
٣٦٦ يوم المعا
يوم النسار
يوم ذات الشقوق
٣٦٧ يوم خو
٣٦٨ أيام الفجار الاول
الفجار الثانى
الفجار الثالث
٣٦٩ الفجار الآخر
٣٧١ يوم شمطة
يوم العبلاء
٣٧٢ يوم شرب
يوم الحريرة

صحيفة

٣٧٣ يوم عين اباغ
٣٧٤ يوم ذى قار
٣٧٩ فن من كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر
المعلقات
٣٨١ فضائل الشعر
٣٨٨ من قال الشعر من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين
٣٨٩ ومن شعراء الفقهاء المبرزين
٣٩٠ قولهم فى الغزل
٣٩٢ قولهم فى المدح
٣٩٥ قولهم فى الهجاء
٤٠١ مداراة الشعراء
٤٠٢ باب فى رواة الشعر
٤٠٨ باب من استعدى عليه من الشعراء
٤١٢ أى بيت تقوله العرب أشعر
٤١٣ أحسن ما يجتلب به الشعر
٤١٤ من رفعه المدح ووضعه الهجاء
٤١٥ ما يعاب من الشعر وليس بعيب
٤١٨ تقبيح الحسن وتحسين القبيح
٤٢٠ الاستعارة
٤٢١ اختلاف الشعراء فى المعنى الواحد
٤٢٨ ما يجوز فى الشعراء مما لا يجوز فى الكلام
٤٣٠ باب ما أدرك على الشعراء

﴿ تم الفهرس ﴾





